



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

شرح منہج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق

محمداً بن الفضل البراءى

(١٢)

دارالعلماء للكتاب العربى
بيس ابابى الجلبى وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح نهج البلاغه ابن ابى الحديد

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى - قم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريرات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	شرح نهج البلاغه المجلد ٢
٨	اشاره
١٠	اشاره
١٢	تتمه الخطب و الأوامر
١٢	اشاره
١٢	تتمه خطبه ٢٥
١٢	اشاره
١٢	بعث معاويه بسر بن أرطاه إلى الحجاز و اليمن
٢٨	٢٦ و من خطبه له ع
٢٨	اشاره
٣٠	حديث السقيفه
٧٢	قدوم عمرو بن العاص على معاويه
٨٥	٢٧ و من خطبه له ع
٨٥	اشاره
٩١	استطرد بذكر كلام لابن نباته في الجهاد
٩٦	غار سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار
١٠٢	٢٨ و من خطبه له ع
١٠٢	اشاره
١٠٤	نبد من أقوال الصالحين و الحكماء
١١٤	استطرد بلاغى في الكلام على المقابله
١٢٢	٢٩ و من خطبه له ع
١٢٢	اشاره
١٢٤	غار الضحاک بن قيس و نتف من أخباره

- ١٣٧ ٣٠ و من خطبه له ع فى معنى قتل عثمان
- ١٣٧ اشاره
- ١٤٠ اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله
- ١٧٣ ٣١ و من كلام له ع لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته
- ١٧٣ اشاره
- ١٧٧ من أخبار الزبير وابنه عبد الله
- ١٨١ استطراد بلاغى فى الكلام على الاستدراج
- ١٨٥ ٣٢ و من خطبه له ع
- ١٨٥ اشاره
- ١٨٩ فصل فى ذكر الآيات و الأخبار الواردة فى ذم الرياء و الشهرة
- ١٩٣ فصل فى مدح الخمول و الجنوح إلى العزله
- ١٩٧ ٣٣ و من خطبه له ع عند خروجه لقتال أهل البصره
- ١٩٧ اشاره
- ١٩٩ خبر يوم ذى قار
- ٢٠١ ٣٤ و من خطبه له ع فى استنفار الناس إلى أهل الشام
- ٢٠١ اشاره
- ٢٠٥ أمر الناس بعد وقعه النهروان
- ٢١٠ مناقب على و ذكر طرف من أخباره فى عدله و زهده
- ٢١٧ ٣٥ و من خطبه له ع بعد التحكيم
- ٢١٧ اشاره
- ٢١٩ قصه التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج
- ٢٨٠ ٣٦ و من خطبه له ع فى تخويف أهل النهروان
- ٢٨٠ اشاره
- ٢٨٠ أخبار الخوارج
- ٣٠٠ ٣٧ و من كلام له ع بجرى مجرى الخطبه
- ٣٠٠ اشاره

الأخبار الواردة عن معرفه الإمام على بالأمور الغيبية	٣٠٢
٣٨ و من خطبه له ع	٣١٤
٣٩ و من خطبه له ع	٣١٤
اشاره	٣١٤
أمر النعمان بن بشير مع على و مالك بن كعب الأرحبي	٣١٧
٤٠ و من كلام له ع للخوارج لما سمع قولهم لا حكم إلا لله	٣٢٣
اشاره	٣٢٣
اختلاف الرأى فى القول بوجوب الإمامه	٣٢٣
من أخبار الخوارج أيضا	٣٢٤
٤١ و من خطبه له ع	٣٢٨
اشاره	٣٢٨
الأخبار و الأحاديث و الآيات الواردة فى مدح الوفاء و ذم الغدر	٣٣١
٤٢ و من خطبه له ع	٣٣٤
٤٣ و من كلام له ع و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله إلى معاويه بجرير بن عبد الله البجلي	٣٣٨
اشاره	٣٣٨
ذكر ما أورده القاضى عبد الجبار من دفع ما تعلق به الناس على عثمان من الأحداث	٣٤٠
رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار من الدفاع عن عثمان	٣٤٤
فهرس الخطب و ما يجرى مجراها	٣٥٠
فهرس الموضوعات	٣٥٢
تعريف مركز	٣٥٥

شرح نهج البلاغه

شارح: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ

گرداورنده: شریف الرضی، محمد بن حسین

نویسنده: علی بن ابی طالب (علیه السلام)، امام اول

شماره بازیابی: ۷۶۹۲-۵

پدیدآور: ابن ابی الحدید، عبد الحمید بن ہبہ اللہ، ۵۸۶ - ۶۵۵ ق.

عنوان قراردادی: نهج البلاغه. شرح

Nhjol-Balaghah. Commantries

عنوان و نام پدیدآور: شرح نهج البلاغه [نسخه خطی] / ابن ابی الحدید

وضعیت کتابت: محمد طاهر ابن شیخ حسن علی ۱۰۸۳-۱۰۸۴ ق.

مشخصات ظاہری: ۳۴۵ گ [عکس ص ۶-۶۸۹]، ۳۰ سطر، اندازہ سطرها: ۱۲۰×۲۴۰؛ رادہ گذاری؛ قطع: ۲۰۰×۳۴۰

آغاز، انجام، انجامه: آغاز: الجزء الرابع عشر من شرح ابن ابی الحدید علی نهج البلاغه. بسمله. و منه الاستعانه و توفیق التتميم.

باب المختار من كتب امير المؤمنين علی علیه السلم و رسائله الی ...

انجام:.... و من دخل ظفار حمر و النسخه التي بنی هذا الشرح علی قصها اتم نسخه وجدتها بنهج البلاغه فانها مشتمله علی

زیادات تخلو عنها اکثر النسخ... و یکف عنی عادیه الظالمین انه سمیع مجیب و حسبنا الله وحده و صلواته علی سیدنا محمد

النبی و اله و سلامه. اخر الجزء العشرين و تم به الكتاب و لله الحمد حمدا دائما لا انقضاء له و لا نفاذ.

انجامه: قد فرغ من تسويده فی ظهر يوم الثلاثاء غره شهر جمدی الاول سنه اربع و ثمانین و الف کتبه الفقیر الحقیر... ابن شیخ

حسن علی محمد طاهر غفرالله تعالی له و لوالديه تمت.

یادداشت کلی: زبان: عربی

تاریخ تالیف: اول رجب ۶۴۴ - صفر ۶۴۹ ق.

یادداشت مشخصات ظاهری: نوع و درجه خط: نسخ

نوع کاغذ: فرنگی نخودی

تزیینات متن: کتیبه منقوش به زر، سیاه، آبی، قرمز با عناوین زرین در آغاز هر جلد و خطوط اسلیمی به زر در کتیبه و بالای متن در ص: نخست، ۱۱۶، ۲۲۲، ۳۱۶، ۴۰۴، ۵۰۲، ۶۰۰. عناوین، علائم و خطوط بالای برخی عبارات به سرخی. جدول دور سطرها به زر و تحریر.

نوع و تزیینات جلد: کاغذ گل دار رنگی، مقوایی، اندرون کاغذ

خصوصیات سند موجود: توضیحات صحافی: صحافی مرمت شده است.

حواشی اوراق: اندکی حاشیه با نشان "صح، ق" دارد.

یادداشت تملک و سجع مهر: شکل و سجع مهر: مهر بیضی با نشان "محمدباقر"، دو مهر چهار گوش ناخوانا در بسیاری از اوراق در میان متن زده شده است.

توضیحات سند: نسخه بررسی شده. جداشدگی شیرازه، رطوبت، لکه، آفت زدگی، وصالی. بین فرازهای متفاوت، برگ های نانوشته و عناوین نانوشته دارد.

منابع، نمایه ها، چکیده ها: ملی ۸: ۷۵، ۱۵: ۱۱۱، ۴: ۳۶۰؛ الذریعه ۱۰: ۲۱۰، ۱۴: ۲۵۵؛ دایره المعارف بزرگ اسلامی ۲: ۶۲۰.

معرفی سند: شرح ابن ابی الحدید به دلایل متعددی اهمیت دارد اول تبصر شارح بر ادبیات عرب، تاریخ فقه و کلام؛ دیگر این که وی نخستین شارح غیر شیعی نهج البلاغه است. اهمیت دیگر این شرح در گزارش های مفصل تاریخی است شارح در تدوین این گزارش ها علاوه منابع مشهوری چون اغانی ابی الفرج اصفهانی، سیره ابن هشام و تاریخ طبری، از برخی منابع نادر استفاده کرده که امروزه از میان رفته یا در دسترس قرار ندارند. شارح در نقل حوادث تاریخی به گونه ای مبسوط عمل می کند که می توان تاریخ ابن ابی الحدید را از شرح نهج البلاغه وی به عنوان کتابی مستقل استخراج نمود هر چند در پاره ای موارد هم اشاره ای به حوادث تاریخی نمی کند. این شرح مورد نقد دانشمندان شیعی قرار گرفته از جمله نقد احمد بن طاوس با نام "الروح فی نقض ما برمه ابن ابی الحدید"، شیخ یوسف بحرانی با نام "سلاسل الحدید لتقید ابن ابی الحدید"، مصطفی بن محمد امین با نام "سلاسل الحدید فی رد ابن ابی الحدید"، شیخ علی بن حسن بلاذری بحرانی با نام "الرد علی ابن ابی الحدید"، شیخ عبدالنبی عراقی با نام "الشهاب العتید علی شرح ابن ابی الحدید"، شیخ طالب حیدر با نام "الرد علی ابن ابی الحدید". ابن ابی الحدید این اثر را در بیست جزء و به نام ابن علقمی وزیری تألیف کرد. او در پایان کتاب خود می نویسد تدوین این اثر چهار سال و هشت ماه طول کشید که برابر است با مدت خلافت حضرت علی علیه السلام. ترجمه های فارسی این شرح از جمله عبارتند از شمس الدین محمد بن مراد از دانشمندان عصر صفوی، ترجمه ای دیگر با نام "مظهر البینات؛ اثر نصرالله تراب بن فتح الله دزفولی؛ نسخه حاضر شامل: جلد: ۱۴: صفحه (۶-۱۰۹)، جلد ۱۵: (۱۱۶-۲۱۸)، جلد ۱۶: (۲۲۲-۳۱۳)،

جلد ۱۷: (۳۱۶-۴۰۰)، جلد ۱۸: (۴۰۴-۵۰۰)، جلد ۱۹: (۵۰۲-۵۹۷)، جلد ۲۰: (۶۰۰-۶۸۹). مطالب باعناوین الشرح ، الاصل بیان شده است. برای توضیح بیشتر به شماره بازیابی ۴۸۳۶-۵ در فهرست همین کتابخانه بنگرید.

شناسه افزوده : محمدطاهر بن حسن علی، قرن ۱۱ق.، کاتب

شناسه افزوده : عاطفی، فروشنده

دسترسی و محمول الکترونیکی : <http://dl.nlai.ir/UI/c412c51b-cfb8-4e09-942b-8cb6448242e2/Catalogue.aspx>

ص : ۱

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعث معاويه بسر بن أرطاه إلى الحجاز و اليمن

فأما خبر بسر بن أرطاه العامري من بنى عامر بن لؤى بن غالب و بعث معاويه له ليغير على أعمال أمير المؤمنين ع و ما عمله من سفك الدماء و أخذ الأموال

١٩٣

١- فَصَدَّ ذَكَرَ أَرْيَابُ السَّيْرِ أَنَّ الَّذِي هَيَّجَ مُعَاوِيَةَ عَلَى تَشِيرِ بِيحِ بُسَيْرِ بْنِ أَرْطَاهَةَ وَيُقَالُ ابْنُ أَبِي أَرْطَاهَةَ إِلَى الْحِجَازِ وَ الْيَمَنِ أَنَّ قَوْمًا بِصَيْغَاءِ كَانُوا مِنْ شَيْعَةِ عُثْمَانَ يُعْظَمُونَ قَتْلَهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ نِظَامٌ وَ لَا رَأْسٌ فَبَايَعُوا لِعَلِيِّ ع عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَامِلُ عَلِيِّ ع عَلَى صَنْعَاءَ يَوْمَئِذٍ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ (١) وَ عَامِلُهُ عَلَى الْجُنْدِ سَعِيدُ بْنُ نِمْرَانَ (٢). فَلَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَى عَلِيِّ ع بِالْعِرَاقِ وَ قُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِصْرَ وَ كَثُرَتْ غَمَارَاتُ أَهْلِ الشَّامِ تَكَلَّمُوا وَ دَعَوْا إِلَى الطَّلَبِ بِحَدَمِ عُثْمَانَ فَبَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَأَرْسَلَ إِلَى نَاسٍ مِنْ وَجُوهِهِمْ فَقَالَ مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ قَالُوا إِنَّا لَمْ نَزَلْ نُنَكِّرُ قَتْلَ عُثْمَانَ وَ نَرَى مُجَاهِدَةً مِنْ سَيِّحَى عَلَيْهِ فَحَبَسَهُمْ فَكَتَبُوا إِلَى مَنْ بِالْجُنْدِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ فَتَارُوا بِسَعِيدِ بْنِ نِمْرَانَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْجُنْدِ وَ أَظْهَرُوا أَمْرَهُمْ وَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ بِصَيْغَاءِ وَ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ وَ لِحَقِّ بِهِمْ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا عَلَى رَأْيِهِمْ إِرَادَةَ أَنْ يَمْنَعُوا الصَّدَقَةَ وَ التَّقَى عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَ سَعِيدُ بْنُ نِمْرَانَ وَ مَعَهُمَا شَيْعَةُ عَلِيِّ ع فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِابْنِ نِمْرَانَ وَ اللَّهُ لَقَدْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ وَ إِنَّهُمْ لَنَا

ص: ٣

١- ١) عبید اللہ بن العباس؛ كان أصغر من أخيه عبد الله بسنه، رأى النبي صلى الله عليه وسلم و سمع منه، و حفظ عنه الاستيعاب .٤٠٤

٢- ٢) سعيد بن نمران الهمداني؛ كان كاتباً لعلی؛ و أدرك من حياه النبي عليه السلام أعواماً. الاستيعاب ٥٤٢.

لَمُقَارِبُونَ وَإِنْ قَاتَلْنَاهُمْ لَا نَعْلَمُ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّائِرَةُ فَهَلَّمْ لِنَكْتُبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ بَخْبَرِهِمْ وَقَدَحِهِمْ وَبِمَنْزِلِهِمُ الَّذِي هُمْ بِهِ.

فَكَتَبْنَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع (١) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّا نُخَبِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ شَيْعَةَ عُثْمَانَ وَتَبَّوْنَا بِنَا وَأَظْهَرُوا أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ شَيَّدَ أَمْرَهُ وَاتَّسَقَ لَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وَإِنَّا سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِشَيْعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَاعَتِهِ وَإِنَّ ذَلِكَ أَحْمَشَهُمْ (٢) وَآلَتَهُمْ فَعَبَّوْنَا (٣) لَنَا وَتَدَاعَوْا عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَنَصَرَهُمْ عَلَيْنَا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْيٌ فِيهِمْ إِرَادَهُ أَنْ يَمْنَعَ حَقَّ اللَّهِ الْمَفْرُوضَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يَمْنَعُنَا مِنْ مُنَاجَزَتِهِمْ إِلَّا أَنْتَظَرُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ وَآيَدَهُ وَقَضَى لَهُ بِالْأَقْدَارِ الصَّالِحَةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَالسَّلَامُ.

فَلَمَّا وَصَلَ كِتَابُهُمَا سَاءَ عَلِيًّا ع وَأَغْضَبَهُ وَكَتَبَ إِلَيْهِمَا مِنْ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَسَعِيدِ بْنِ نَمْرَانَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمَا يَا فَيَّانِي أَحْمَدُ إِلَيْكُمَا اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ أَتَانِي كِتَابُكُمَا تَذَكُّرَانِ فِيهِ خُرُوجُ هَذِهِ الْخَارِجَةِ وَتَعْظَمَانِ مِنْ شَأْنِهَا صَاحِبًا وَتُكْثِرَانِ مِنْ عَدَدِهَا قَلِيلًا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَخَبَ (٤) أَفْتِدَتِكُمَا وَصِعَرَ أَنْفُسِكُمَا وَشَتَاتِ رَأْيِكُمَا وَسُوءِ تَدْبِيرِكُمَا هُوَ الَّذِي أَفْسَدَ عَلَيْكُمَا مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمَا فَاسِدًا وَجَزَأُ [جَزَأ]

عَلَيْكُمَا مَنْ كَانَ عَنِ لِقَائِكُمَا جَبَانًا فَبَادَا قَدِيمَ رَسُولِي عَلَيْكُمَا فَامْضِيَا إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ كِتَابِي إِلَيْهِمْ وَتَدْعُوهُمْ إِلَى حَظِّهِمْ وَتَقْوَى رَبِّهِمْ فَإِنَّ أَحِبَّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَبَلَدِنَاهُمْ وَإِنْ حَارَبُوا اسْتَعْنَا بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ وَنَايَدْنَا هُمْ عَلَيَّ سِوَاءِ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ قَالُوا وَقَالَ عَلِيُّ ع لِيَزِيدَ بِنِ قَيْسِ الْأَرْحَبِيِّ أَلَا تَرَى إِلَى مَا صَنَعَ قَوْمُكَ

ص: ٤

١-١-١ (١-١) ساقط من ا.

٢-٢ (٢) أحمشهم: هاجهم وأغضبهم.

٣-٣ (٣) ب: «فتعبوا».

٤-٤ (٤) النخب: الحين و ضعف القلب.

فَقَالَ إِنَّ ظَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْمِي لِحَسَنٍ فِي طَاعَتِكَ فَإِنْ شِئْتَ خَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَكَفَيْتُهُمْ وَإِنْ شِئْتَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ فَتَنْظُرُ مَا يُجِيبُونَكَ فَكَتَبَ عَلِيُّ عَ إِلَيْهِمْ (١) مِنْ عَبِيدِ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ شَاقَّ وَغَدَرَ مِنْ أَهْلِ الْجُنْدِ وَصَيْنَعَاءَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي لَا يُعَقَّبُ لَهُ حُكْمٌ وَلَا يُرَدُّ لَهُ قَضَاءٌ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ وَقَدْ بَلَغَنِي تَجَرُّؤُكُمْ وَشَقَاقُكُمْ وَإِعْرَاضُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ بَعْدَ الطَّاعَةِ وَإِعْطَاءِ الْبَيْعَةِ فَسَأَلْتُ أَهْلَ الدِّينِ الْخَالِصِ وَالْوَرَعَ الصَّادِقِ وَاللَّبَّ الرَّاجِحِ عَنْ بَدْءِ مُحَرِّكِكُمْ وَمَا نَوَيْتُمْ بِهِ وَمَا أَحْمَشَكُمْ لَهُ فَحَدِّثْتُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا لَمْ أَرِ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ عُذْرًا مُبِينًا وَلَا مَقَالًا جَمِيلًا وَلَا حُجَّةً ظَاهِرَةً فَإِذَا أَتَاكُمْ رَسُولِي فَتَفَرَّقُوا وَانصَبُوا إِلَى رِحَالِكُمْ أَعْفُ عَنْكُمْ وَأَصْفَحْ عَنْ جَاهِلِكُمْ وَأَحْفَظْ قَاصِدِيكُمْ وَأَعْمَلْ فِيكُمْ بِحُكْمِ الْكِتَابِ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاسْتَعِدُّوا الْقُدُومَ جَيْشِ جَمِّ الْفُرْسَانِ عَظِيمِ الْأَرْكَانِ يَقْصِدُ لِمَنْ طَغَى وَعَصَى (٢) فَتَطْحَنُوا كَطْحَنِ الرَّحَى فَمَنْ أَحْسَنَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

وَوَجَّهَ الْكِتَابَ مَعَ رَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ بِالْكِتَابِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ إِلَى خَيْرٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنِّي تَرَكْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُرِيدُ أَنْ يُوَجِّهَ إِلَيْكُمْ يَزِيدَ بْنَ قَيْسِ الْأَرْحَبِيِّ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ فَلَمْ يَمْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَظَرُ حِيَابِكُمْ فَقَالُوا نَحْنُ سَيِّامِعُونَ مُطِيعُونَ إِنْ عَزَلَ عَنَّا هَذَا زَيْنَ الرَّجُلِينَ عُبَيْدَ اللَّهِ وَسَعِيدًا. فَرَجَعَ الْهَمْدَانِيُّ مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَأَخْبَرَهُ خَبَرَ الْقَوْمِ .

فَالُوا وَ كَتَبْتُ تَلَمَّكَ الْعِصَابَةُ حِينَ جَاءَهَا كِتَابُ عَلِيٍّ عَ إِلَى مُعَاوِيَةَ يُخْبِرُونَهُ وَ كَتَبُوا فِي كِتَابِهِمْ مُعَاوِيَةَ إِلَّا تُسْرِعِ السَّيْرَ نَحْوَنَا نُبَايِعَ عَلِيًّا أَوْ يَزِيدَ الْيَمَانِيَا .

ص: ٥

١- ١) ساقطه من ب.

٢- ٢) ساقطه من ا.

فَلَمَّا قَدِمَ كِتَابُهُمْ دَعَا بُسَيْرَ بْنَ أَبِي أَرْطَاهَةَ وَكَانَ قَاسِمِي الْقَلْبِ فَظًّا سَيِّئًا كَاللِدَّمَاءِ لَا رَأْفَةَ عِنْدَهُ وَلَا رَحْمَةً فَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ طَرِيقَ
الْحِجَازِ وَالْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْيَمَنِ وَقَالَ لَهُ لَا تَنْزِلْ عَلَى بَلَدٍ أَهْلُهُ عَلَى طَاعَةِ عَلِيٍّ إِلَّا بَسَطْتَ عَلَيْهِمْ لِسَانَكَ حَتَّى يَرَوْا
أَنَّهُمْ لَا نَجَاءَ لَهُمْ وَأَنَّكَ مُحِيطٌ بِهِمْ ثُمَّ أَكْفَفَ عَنْهُمْ وَادْعُهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ لِي فَمَنْ أَبِي فَأَقْتَلَهُ وَاقْتُلْ شِيعَةَ عَلِيٍّ حَيْثُ كَانُوا

١٩٤

١- وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الثَّقَفِيُّ فِي كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنْ زَيْدِ بْنِ جَابِرِ الْأَزْدِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مَسْعَدَةَ الْفَرَارِيَّ
يُحَدِّثُ فِي خِلَافِهِ عَبْدَ الْمَلِكِ قَالَ لَمَّا دَخَلْتُ سَيْنَهُ أَرْبَعِينَ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِالشَّامِ أَنَّ عَلِيًّا عَ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ بِالْعِرَاقِ فَلَا يَنْفِرُونَ مَعَهُ وَ
تَذَاكَرُوا أَنْ قَدْ اخْتَلَفَتْ أَهْوَاؤُهُمْ وَوَقَعَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَهُمْ قَالَ فَقُمْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ فَقُلْنَا لَهُ إِنَّ النَّاسَ لَا
يَشْكُونَ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ عَلَى عَلِيٍّ عَ بِالْعِرَاقِ فَادْخُلْ إِلَى صَاحِبِكَ فَمُرْهُ فَلْيَسِّرْ بِنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ أَوْ يُصْلِحَ
لِصَاحِبِهِمْ مَا قَدْ فَسَدَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ فَقَالَ بَلَى لَقَدْ قَاوَلْتُهُ فِي ذَلِكَ وَرَاجَعْتُهُ وَعَاتَبْتُهُ حَتَّى لَقَدِ بَرِمَ بِي وَاسْتَثْقَلَ طَلْعَتِي وَ أَيُّمَ اللَّهُ
عَلَى ذَلِكَ مَا أَدْعُ أَنْ أُبْلِغُهُ مَا مَشِيتُمْ (١) إِلَى فِيهِ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَخَبَّرَهُ بِمَجِيئِنَا إِلَيْهِ وَ مَقَالَتِنَا لَهُ فَأَذِنَ لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا الْخَبْرُ الَّذِي جَاءَنِي بِهِ عَنْكُمْ الْوَلِيدُ فَقُلْنَا هَذَا خَبْرٌ فِي
النَّاسِ سَائِرٌ فَسَمَّرَ لِلْحَرْبِ وَ نَاهَضَ الْأَعْيَادَ وَ اهْتَبَلَ الْفُرْصَةَ وَ اغْتَنِمَ الْغُرَّةَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَقْدِرُ عَلَى عَدُوِّكَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِمْ
الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا وَ أَنْ تَسِيرَ إِلَى عَدُوِّكَ أَعَزُّ لَكَ مِنْ أَنْ يَسِيرُوا إِلَيْكَ وَ اعْلَمْ

ص: ٦

وَاللَّهِ أَنَّهُ لَوْ لَا تَفَرَّقُوا النَّاسَ عَنْ صَاحِبِكُمْ لَقَدْ نَهَضَ إِلَيْكُمْ فَقَالَ لَنَا مَا أَسْتَيْغِي عَنْ رَأْيِكُمْ وَ مَشُورَتِكُمْ وَ مَتَى أَسْتَيْجِ إِلَى ذَلِكَ مِنْكُمْ أَدْعُكُمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَذْكُرُونَ تَفَرَّقَهُمْ عَلَى صَاحِبِهِمْ وَ اخْتِلَافَ أَهْوَائِهِمْ لَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ عِنْدِي بِهِمْ أَنْ أَكُونَ أَطْمَعُ فِي اسْتِئْصَالِهِمْ وَ اجْتِيَا حِهِمْ وَ أَنْ أَسِيرَ إِلَيْهِمْ مُخَاطِرًا بِجُنْدِي لَا أَدْرِي عَلَيَّ تَكُونُ الدَّائِرَةُ أَمْ لِي فَإِيَّاكُمْ وَ اسْتَيْطَائِي فَإِنِّي أَخَذُ بِهِمْ فِي وَجْهِ هُوَ أَرْفَقُ بِكُمْ وَ أُبَلِّغُ فِي هَلَكَتِهِمْ قَدْ شَنَنْتُ عَلَيْهِمُ الْغَارَاتِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَخَلِي مَرَّةً بِالْجَزِيرَةِ وَ مَرَّةً بِالْحِجَازِ وَ قَدْ فَتِيحَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِضْرَ فَاغْزَ بِفَتْحِهَا وَلَيْنَا وَ أَدَلَّ بِهِ عَدُوَّنَا فَاشْرَافُ أَهْلَ الْعِرَاقِ لَمَّا يَرُونَ مِنْ حُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ لَنَا يَأْتُونَنَا عَلَى قَلَائِصِهِمْ فِي كُلِّ الْأَيَّامِ وَ هَذَا مِمَّا يَزِيدُكُمْ اللَّهُ بِهِ وَ يَنْقُصُهُمْ وَ يُقْوِيكُمْ وَ يُضْعِفُهُمْ وَ يُعِزُّكُمْ وَ يُذِلُّهُمْ فَاصْبِرُوا وَ لَا تَعْجَلُوا فَإِنِّي لَوْ رَأَيْتُ فُرْصَتِي لَأَهْتَبْتُهَا.

فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ وَ نَحْنُ نَعْرِفُ الْفَضْلَ (١) فِيمَا ذَكَرَ فَجَلَسْنَا نَاحِيَهُ وَ بَعَثَ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ خُرُوجِنَا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى بُسَيْرِ بْنِ أَبِي أَرْطَاهُ فَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَ قَالَ سِرُّ حَتَّى تَمُرَّ بِالْمَدِينَةِ فَاطْرُدِ النَّاسَ وَ أَخِيفْ مَنْ مَرَرْتَ بِهِ وَ انْهَبْ أَمْوَالَ كُلِّ مَنْ أَصَابَتْ لَهُ مَالًا مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِنَا فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَدِينَةَ فَأَرِهِمْ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْفُسَهُمْ وَ أَخْبِرْهُمْ أَنَّهُ لَا بَرَاءَةَ لَهُمْ عِنْدَكَ وَ لَا عُدْرَةَ حَتَّى إِذَا ظَنُّوا أَنَّكَ مَوْقِعٌ بِهِمْ فَاسْكُفْ عَنْهُمْ ثُمَّ سِرُّ حَتَّى تَدْخُلَ مَكَّةَ وَ لَا تَعْرِضْ فِيهَا لِأَحَدٍ وَ أَرْهَبِ النَّاسَ عَنْكَ فِيمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَ مَكَّةَ وَ اجْعَلْهَا شَرْدًا حَتَّى تَأْتِيَ صَنْعَاءَ وَ الْجُنْدَ فَإِنَّ لَنَا بِهِمَا شِيعَةً وَ قَدْ جَاءَنِي كِتَابُهُمْ.

فَخَرَجَ بُسَيْرٌ فِي ذَلِكَ الْبُعْثِ حَتَّى أَتَى دَيْرَ مَرْوَانَ فَعَرَضَهُمْ فَسَقَطَ مِنْهُمْ أَرْبَعُمِائَةٍ فَمَضَى فِي الْفَيْنِ وَ سِتِّمَائِهِ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَشْرْنَا عَلَى مُعَاوِيَةَ بِرَأْيِنَا أَنْ يَسِيرَ

ص: ٧

إِلَى الْكُوفَةِ فَبَعَثَ الْجَيْشَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَثَلْنَا وَ مَثَلَهُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ أَرِيهَا الشُّهَى وَ تُرِينِي الْقَمَرَ. (١)

فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَغَضِبَ وَقَالَ وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ بِمَسَاءِهِ هَذَا الْأَحْمَقِ الَّذِي لَا يُحْسِنُ التَّدْبِيرَ وَلَا يَدْرِي سِيَاسَةَ الْأُمُورِ ثُمَّ كَفَّ عَنْهُ

قلت الوليد كان لشده بغضه عليا ع القديم التالد لا يرى الأناه فى حربه و لا يستصلح الغارات على أطراف بلاده و لا يشفى غيظه و لا- يبرد حزازات قلبه إلا- باستئصاله نفسه بالجوش و تسييرها إلى دار ملكه و سرير خلافته و هى الكوفه و أن يكون معاويه بنفسه هو الذى يسير بالجوش إليه ليكون ذلك أبلغ فى هلاك على ع و اجتثاث أصل سلطانه و معاويه كان يرى غير هذا الرأى و يعلم أن السير بالجيش للقاء على ع خطر عظيم فاقترضت المصلحه عنده و ما يغلب على ظنه من حسن التدبير أن يثبت بمركزه بالشام فى جمهور جيشه و يسرب الغارات على أعمال على ع و بلاده فتجوس خلال الديار و تضعفها فإذا أضعفتها أضعفت بيضه ملك على ع لأن ضعف الأطراف يوجب ضعف البيضه و إذا أضعفت البيضه كان على بلوغ إرادته و المسير حينئذ إن استصوب المسير أقدر.

و لا- يلام الوليد على ما فى نفسه فإن عليا ع قتل أباه عقبه بن أبى معيط صبورا (٢) يوم بدر و سمي الفاسق (٣) بعد ذلك فى القرآن لنزاع وقع بينه و بينه

ص: ٨

١- ١) السها: كويكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش الكبرى، و الناس يمتحنون به أبصارهم. و المثل فى اللسان ١٩:١٣٣ و انظر الميدانى ١:٢٩١.

٢- ٢) القتل صبورا: أن يجبس الإنسان و يرمى به حتى يموت.

٣- ٣) يشير إلى ما ذكره من سبب نزول قوله تعالى فى سوره الحجرات: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا. و انظر الإصابه ٦:٣١، و أسباب النزول للواحدى ٢٩١.

ثم جلده الحدّ في خلافة عثمان و عزله عن الكوفة و كان عاملها و ببعض هذا عند العرب أرباب الدين و التقى تستحل المحارم و تستباح الدماء و لا- تبقى مراقبه في شفاء الغيظ لدين و لا لعقاب و لا لثواب فكيف الوليد المشتمل على الفسوق و الفجور مجاهرا بذلك و كان من المؤلّفه قلوبهم مطعوناً في نسبه مرمياً (١) بالإلحاد و الزندقه .

قال إبراهيم بن هلال روى عوانه عن الكلبي و لوط بن يحيى أن بسرا لما أسقط من أسقط من جيشه سار بمن تخلف معه و كانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها و قادوا خيولهم حتّى يردوا الماء الآخر فيردون تلك الإبل و يركبون إبل هؤلاء فلم يزل يصنع ذلك حتّى قرب إلى المدينة .

قال و قد روى أن قضاة استقبلتهم ينحرون لهم الجزر حتّى دخلوا المدينة قال فدخلوها و عامل على ع عليها أبو أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله ص فخرج عنها هاربا و دخل بسر المدينة فخطب الناس و شتمهم و تهددهم يومئذ و توعدهم و قال شأهت الوجوه إن الله تعالى يقول وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ آمَنَهُمْ مُطْمَئِنُّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا (٢) الآية و قد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم و جعلكم أهله كان بلدكم مهاجر النبي ص و منزله و فيه قبره و منازل الخلفاء من بعده فلم تشكروا نعمه ربكم و لم ترعوا حق نبيكم و قتل خليفه الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل و خاذل و متربص و شامت إن كانت للمؤمنين قلتم أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانُوا لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَلْتُمْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعُكُمْ مِنْ

ص: ٩

(١ - ١) ا: «دينه».

(٢ - ٢) سورة النحل ١١٢، و بقيتها: رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِيَاسِ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .

المؤمنين ثم شتم الأنصار فقال يا معشر اليهود و أبناء العبيد بنى زريق و بنى النجار و بنى سلمه و بنى عبد الأشهل أما و الله لأوقعن بكم وقعته تشفى غليل صدور المؤمنين و آل عثمان أما و الله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفه (١).

فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ففرعوا إلى حويطب بن عبد العزى و يقال إنه زوج أمه فصعد إليه المنبر فناشده و قال عترتك و أنصار رسول الله و ليسوا بقتله عثمان فلم يزل به حتى سكن و دعا الناس إلى بيعه معاويه فبايعوه و نزل فأحرق دورا كثيره منها دار زراره بن حرون أحد بنى عمرو بن عوف و دار رفاعه بن رافع الزرقى و دار أبى أيوب الأنصارى و تفقد جابر بن عبد الله فقال ما لى لا أرى جابرا يا بنى سلمه لا أمان لكم عندى أو تأتونى بجابر فعاذ جابر بأم سلمه رضى الله عنها فأرسلت إلى بسر بن أرطاه فقال لا أؤمنه حتى يبايع فقال له أم سلمه اذهب فبايع و قالت لابنها عمر اذهب فبايع فذهبا فبايعاه (٢).

قال إبراهيم و روى الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان قال سمعت جابر بن عبد الله الأنصارى يقول لما خفت بسرا و توأريت عنه قال لقومى لا- أمان لكم عندى حتى يحضر جابر فأتونى و قالوا ننشدك الله لما انطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك و دماء قومك فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا و سييت ذرارينا فاستنظرتهم الليل فلما أمسيت دخلت على أم سلمه فأخبرتها الخبر فقالت يا بنى انطلق فبايع احقن دمك و دماء قومك فإنى قد أمرت ابن أخى أن يذهب فبايع و إنى لأعلم أنها بيعه ضلاله.

ص ١٠٠

١-١) انظر تاريخ الطبرى ١٤٠، ١٣٩: ٥.

٢-٢) فى تاريخ الطبرى: «فقال لها: ما ذا ترين؟ إنى قد خشيت أن أقتل؛ و هذه بيعه ضلاله، فقالت: «أرى أن تبايع، فإنى قد أمرت ابنى عمر بن أبى سلمه أن يبايع، و أمرت ختنى عبد الله بن زمعه...».

قال إبراهيم فأقام بسر بالمدينه أياما ثم قال لهم إني قد عفوت عنكم و إن لم تكونوا لذلك بأهل ما قوم قتل إمامهم بين ظهرانيهم بأهل أن يكف عنهم العذاب و لئن نالكم العفو مني في الدنيا إني لأرجو ألا تنالكم رحمه الله عزّ و جلّ في الآخرة و قد استخلفت عليكم أبا هريره فياياكم و خلافه ثم خرج إلى مكّه .

قال إبراهيم روى الوليد بن هشام قال أقبل بسر فدخل المدينه فصعد منبر الرسول ص ثم قال يا أهل المدينه خضبتم لحاكم و قتلتم عثمان مخضوبا و الله لا أدع في المسجد مخضوبا إلا قتلته ثم قال لأصحابه خذوا بأبواب المسجد و هو يريد أن يستعرضهم فقام إليه عبد الله بن الزبير و أبو قيس أحد بنى عامر بن لؤى فطلبا إليه حتى كف عنهم و خرج إلى مكّه فلما قرب منها هرب قثم بن العباس و كان عامل على ع و دخلها بسر فشتم أهل مكّه و أنبهم ثم خرج عنها و استعمل عليها شبيهه بن عثمان .

قال إبراهيم و قد روى عوانه عن الكلبي أن بسرا لما خرج من المدينه إلى مكّه قتل في طريقه رجالا و أخذ أموالا و بلغ أهل مكّه خبره فتنحى عنها عامه أهلها و تراضى الناس بشيبيه بن عثمان أميرا لما خرج قثم بن العباس عنها و خرج إلى بسر قوم من قريش فتلقوه فشتمهم ثم قال أما و الله لو تركت و رأيي فيكم لتركتمكم و ما فيكم روح تمشى على الأرض فقالوا ننشدك الله في أهلك و عترتك فسكت ثم دخل و طاف بالبيت و صلى ركعتين ثم خطبهم فقال الحمد لله الذي أعز دعوتنا و جمع ألفتنا و أذل (1) عدونا بالقتل و التشريد هذا ابن أبي طالب بناحية العراق في ضنك و ضيق قد ابتلاه الله بخطيئته و أسلمه بجريرته

ص: ١١

فتفرق عنه أصحابه ناقلين عليه و ولى الأمر معاويه الطالب بدم عثمان فبايعوا و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فبايعوا.

و تفقد سعيد بن العاص فطلبه فلم يجده و أقام أياما ثم خطبهم فقال يا أهل مكّه إنى قد صفحت عنكم فإياكم و الخلاف فو الله إن فعلتم لأقصدن منكم إلى التى تبير الأصل و تحرب المال و تخرب الديار.

ثم خرج إلى الطائف فكتب إليه المغيرة بن شعبه حين خرج من مكّه إليها أما بعد فقد بلغنى مسيرك إلى الحجاز و نزولك مكّه و شدتك على المريب و عفوك عن المسىء و إكرامك لأولى النهى فحمدت رأيك فى ذلك قدم على صالح ما كنت عليه فإن الله عزّ و جلّ لن يزيد بالخير أهله إلاّ خيرا جعلنا الله و إياك من الآمرين بالمعروف و القاصدين إلى الحق و الذّاكرين الله كثيرا قال و وجه رجلا من قريش إلى تبالة و بها قوم من شيعه على ع و أمره بقتلهم فأخذهم و كلم فيهم و قيل له هؤلاء قومك فكف عنهم حتى نأتىك بكتاب من بسر بأمانهم فحبسهم و خرج منيع الباهلى من عندهم إلى بسر و هو بالطائف يستشفع إليه فيهم فتحمل عليه بقوم من الطائف فكلموه فيهم و سألوه الكتاب بإطلاقهم فوعدهم و مطلهم بالكتاب حتى ظنّ أنه قد قتلهم القرشىّ المبعوث لقتلهم و أن كتابه لا يصل إليهم حتى يقتلوا ثم كتب لهم فأتى منيع منزله و كان قد نزل على امرأه بالطائف و رحله عندها فلم يجدها فى منزلها فوطئ على ناقته بردائه و ركب فسار يوم الجمعة و ليله السبت لم ينزل عن راحلته قط فأتاهم ضحوه و قد أخرج القوم ليقتلوا و استبطئ كتاب بسر فيهم فقدم رجل منهم فضربه رجل من أهل الشام فانقطع سيفه فقال الشاميون بعضهم لبعض شمسوا سيوفكم حتى تلين فهزوها و تبصر منيع

الباهلى بريق السيوف فألمع بثوبه فقال القوم هذا راكب عنده خير فكفوا و قام به بعيره فنزل عنه و جاء على رجليه يشتد فدفع الكتاب إليهم فأطلقوا و كان الرجل المقدم الذى ضرب بالسيف فانكسر السيف أخاه.

قال إبراهيم و روى على بن مجاهد عن ابن إسحاق أن أهل مكّه لما بلغهم ما صنع بسر خافوه و هربوا فخرج ابنا عبيد الله بن العيّاس و هما سليمان و داود و أمهما جويريه ابنه خالد بن قرظ الكنانيه و تكنى أم حكيم و هم حلفاء بنى زهره و هما غلامان مع أهل مكّه فأضلوهما عند بئر ميمون بن الحضرمى و ميمون هذا هو أخو العلاء بن الحضرمى و هجم عليهما بسر فأخذهما و ذبحهما فقالت أمهما (١) ها من أحس بابنى اللذين هما

ص: ١٣

١-١) الأبيات فى الكامل- بشرح المرصفى ١٥٨:٨، و هى أيضا مع الخبر فى الأغانى ١٥:٤٥ (طبعه الساسى).

وقد روى أن اسمهما قثم و عبد الرحمن و روى أنهما ضلّا في أخوالهما من بنى كنانة و روى أن بسرا إنّما قتلها باليمن و أنّهما ذبحا على درج صنعاء (١).

و روى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبيه أن بسرا لما دخل الطائف و قد كلمه المغيرة قال له لقد صدقتني و نصحتني فبات بها و خرج منها و شيعة المغيرة ساعه ثم ودعه و انصرف عنه فخرج حتى مر بنى كنانة و فيهم ابنا عبيد الله بن العباس و أمهما فلما انتهى بسر إليهم طلبهما فدخل رجل من بنى كنانة و كان أبوهما أوصاه بهما فأخذ السيف من بيته و خرج فقال له بسر ثكلتك أمك و الله ما كنا أردنا قتلك فلم عرضت نفسك للقتل قال أقتل دون جاري أعذر لي عند الله و الناس ثم شد على أصحاب بسر بالسيف حاسرا و هو يرتجز آليت لا يمنع حافات الدار و لا يموت مصلتا دون الجار (٢). إلا فتى أروع غير غدار.

فضارب بسيفه حتى قتل ثم قدم الغلامان فقتلا فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن هذه الرجال يقتلها فما بال الولدان و الله ما كانوا يقتلون في جاهليه و لا إسلام و الله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الضرع الضعيف و الشيخ الكبير و رفع الرحمه و قطع الأرحام لسultan سوء فقال بسر و الله لهممت أن أضع فيكن السيف قالت و الله إنه لأحب إلى إن فعلت. قال إبراهيم و خرج بسر من الطائف فأتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان و ابنه مالكا و كان عبد الله هذا صبها لعبيد الله بن العباس ثم جمعهم و قام فيهم و قال

ص: ١٤

١-١) الدرج: الطريق.

٢-٢) المصلى: المجرد سيفه.

يا أهل نجران يا معشر النصارى و إخوان القروذ أما و الله إن بلغنى عنكم ما أكره لأعودن عليكم بالتي تقطع النسل و تهلك
الحرث و تخرب الديار.

و تهددهم طويلا ثم سار حتى بلغ أرحب فقتل أبا كرب و كان يتشيع و يقال إنه سيد من كان بالبادية من همدان فقدمه فقتله.

و أتى صنعاء و قد خرج عنها عبيد الله بن العباس و سعيد بن نمران و قد استخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكه الثقفي فممنع
بسرا من دخولها و قاتله فقتله بسر و دخل صنعاء فقتل منها قوما و أتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد و رجع إلى
قومه فقال لهم أنعى قتلانا شيوخا و شبانا.

قال إبراهيم و هذه الأبيات المشهورة لعبد الله بن أراكه الثقفي يرثي بها ابنه عمرا (١) لعمرى لقد أردى ابن أراطه فارسا

قال

١٩٥

١- وَ رَوَى نُمَيْرُ بْنُ وَعْلَةَ عَنْ أَبِي وَدَّائِكِ (٢) قَالَ كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ ع لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَيِّعِيْدُ بْنُ نَمْرَانَ الْكُوفَةَ فَعَتَبَ عَلَيْهِ وَ عَلَى عُبَيْدِ
اللَّهِ أَلَّا يَكُونَا قَاتِلًا بُسْرًا

ص: ١٥

١- ١) الأبيات في الكامل- بشرح المرصفي ١٥٧:٨، و قبلهما في روايته: لعمرى لئن أتبت عينك ما مضى به الدهر أوساق الحمام
إلى القبر لتستنفدن ماء الشئون بأسره و لو كنت تمرهين من ثبج البحر.
٢- ٢) في الكامل: «أبى أجر»، و أجر: جمع جرو؛ و هو هنا اسم لولد الأسد؛ و يجمع على أجراء أيضا.

فَقَالَ سَيُعِيدُ قَدَّ وَاللَّهِ قَاتَلْتُ وَ لَكِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ خَذَلَنِي وَ أَبِي أَنْ يُقَاتِلَ وَ لَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ حِينَ دَنَا مِنَّا بُشَيْرٌ فَقُلْتُ إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ لَا يَرْضَى مِنِّي وَ مِنْكَ بَعْدُونَ الْجِدِّ فِي قِتَالِهِمْ قَالَ لَا وَ اللَّهُ مَا لَنَا بِهِمْ طَاقَةٌ وَ لَا يَدَانِ فَقُمْتُ فِي النَّاسِ فَحَمِدْتُ اللَّهَ ثُمَّ قُلْتُ يَا أَهْلَ الْيَمَنِ مَنْ كَانَ فِي طَاعَتِنَا وَ عَلَيَّ بِيَعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ فَإِنِّي إِلَيَّ فَأَجَابَنِي مِنْهُمْ عَصَابَةٌ فَاسْتَقَدَّمْتُ بِهِمْ فَقَاتَلْتُ قِتَالًا ضَعِيفًا وَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِّي وَ انصَرَفْتُ

قال ثم خرج بسر من صنعاء فأتى أهل جيشان (١) و هم شيعة لعلي ع فقاتلهم و قاتلوه فهزمهم و قتلهم قتلا ذريعا ثم رجع إلى صنعاء فقتل بها مائه شيخ من أبناء فارس لأن ابني عبيد الله بن العباس كانا مستترين في بيت امرأه من أبنائهم تعرف بابنه بزرج .

١٩٦

١- وَ قَالَ الْكَلْبِيُّ وَ أَبُو مَخْنَفٍ فَدَبَّ عَلَيَّ عَ أَصْحَابَهُ لِبَعْثِ سِيرِيهِ فِي إِثْرِ بُشَيْرٍ فَتَتَاقَلُّوا وَ أَحَابَهُ جَارِيَهُ بَنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ فَبَعَثَهُ فِي الْفَيْنِ فَشَخَّصَ إِلَى الْبُصْرَةِ ثُمَّ أَخَذَ طَرِيقَ الْحِجَازِ حَتَّى قَدِمَ الْيَمْنَ وَ سَأَلَ عَنْ بُشَيْرٍ فَقِيلَ أَخَذَ فِي بِلَادِ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ أَخَذَ فِي دِيَارِ قَوْمٍ يَمْنَعُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ بَلَغَ بُشَيْرًا مَسِيرًا جَارِيَهُ فَانْحَدَرَ إِلَى الْيَمَامَةِ وَ أَعَدَّ جَارِيَهُ بَنُ قُدَامَةَ السَّيْرِ مَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَدِينِهِ مَرَّ بِهَا وَ لَا أَهْلَ حِصْنٍ وَ لَا يَعْزُجُ عَلَيَّ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يُزْمَلَ (٢) بَعْضُ أَصْحَابِهِ مِنَ الزَّادِ فَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِمُؤَاسَاتِهِ أَوْ يَشْقُطُ بَعِيرُ رَجُلٍ أَوْ تَحْفَى دَابَّتَهُ فَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِأَنْ يُعْقِبُوهُ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ فَهَرَبَتْ شَيْعَةُ عُثْمَانَ حَتَّى لَحِقُوا بِالْجِبَالِ وَ اتَّبَعَهُمْ شَيْعَةُ عَلِيَّ عَ وَ تَدَاعَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَ أَصَابُوا مِنْهُمْ وَ صَمَدَ (٣) نَحْوَ بُشَيْرٍ وَ بُشَيْرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَفُزُّ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ أَعْمَالِ عَلِيَّ عَ كُلِّهَا.

فَلَمَّا قَعِلَ بِهِ ذَلِكَ أَقَامَ جَارِيَهُ بِحَرَسٍ نَحْوًا مِنْ شَهْرِ حَتَّى اسْتَرَاخَ وَ أَرَاخَ أَصْحَابُهُ وَ وَثَبَ النَّاسُ بِبُشَيْرٍ فِي طَرِيقِهِ لَمَّا انصَرَفَ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ جَارِيَهُ لِسُوءِ سَيْرَتِهِ وَ فَظَاطَتِهِ وَ ظُلْمِهِ وَ غَشْمِهِ وَ أَصَابَ بَنُو تَمِيمٍ ثِقْلًا مِنْ ثِقَلِهِ فِي بِلَادِهِ وَ صَحِبَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِيُبَايِعَهُ عَلَيَّ الطَّاعَةَ ابْنُ مُجَاعَةَ

ص: ١٦

١-١) جيشان:مخلاف باليمن،شمال لحج.

٢-٢) يقال:أرمل القوم؛إذا نفذ زادهم.

٣-٣) صمد:قصد.

رئيس اليمامة فلما وصل بسير إلى معاوية قال يا أمير المؤمنين هذا إن مجاعة قد أتيتك به فاقته فقال معاوية تركته لم تقتله ثم جئتني به فقلت اقته لا لعمرى لا أقته ثم بايعه ووصله وأعادته إلى قومه.

وقال بسير أحمد الله يا أمير المؤمنين أني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جانيا لم ينكب رجل منهم نكبه فقال معاوية الله قد فعل ذلك لا أنت-

وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا و حرق قوما بالنار فقال يزيد بن مفرغ تعلق من أسماء ما قد تعلقا

و روى أبو الحسن المدائني قال اجتمع عبيد الله بن العباس و بسر بن أرطاه يوما عند معاوية بعد صلح الحسن ع فقال له ابن عباس أنت أمرت اللعين السيئ الفدم أن يقتل ابني فقال ما أمرته بذلك و لوددت أنه لم يكن قتلها فغضب بسر و نزع سيفه فألقاه و قال لمعاوية اقبض سيفك قلدتنيه و أمرتني أن أخبط به الناس ففعلت حتى إذا بلغت ما أردت قلت لم أهو و لم أمر فقال خذ سيفك إليك فلعمري

إنك ضعيف مائق حين تلقى السيف بين يدي رجل من بني عبد مناف قد قتلت أمس ابنه.

فقال له عبيد الله أ تحسبني يا معاوية قاتلا بسرا بأحد ابني هو أحقر وألم من ذلك ولكني والله لا أرى لي مقنعا ولا أدرك ثارا إلا أن أصيب بهما يزيد وعبد الله .

فتبسم معاوية وقال وما ذنب معاوية وابني معاوية والله ما علمت ولا أمرت ولا رضيت ولا هويت واحتملها منه لشرفه وسؤده.

١٩٧

١- قَالَ وَ دَعَا عَلِيَّ ع عَلَى بُشِيرٍ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ بُشِيرًا بَاعَ دِينَهُ بِالْدُنْيَا وَ انْتَهَكَ مَحَارِمَكَ وَ كَانَتْ طَاعَهُ مَخْلُوقٍ فَاجِرٍ آتَرَ عِنْدَهُ مِمَّا عِنْدَكَ اللَّهُمَّ فَلَا تَمُتْهُ حَتَّى تَسْلُبَهُ عَقْلَهُ وَ لَا تُوجِبَ لَهُ رَحْمَتَكَ وَ لَا سَاعَهُ مِنْ نَهَارِ اللَّهُمَّ الْعَنُ بُشِيرًا وَ عَمْرًا وَ مُعَاوِيَةَ وَ لِيَحِلَّ عَلَيْهِمْ غَضَبُكَ وَ تُنَزِّلَ بِهِمْ نِقَمَتَكَ وَ لِيَصِجَّ بِهِمْ بِأُسُكَ وَ رَجُزُكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ فَلَمْ يَلْبَثْ بُشَيْرٌ بَعِيدَ ذَلِكَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى وَسَّوَسَ وَ ذَهَبَ عَقْلُهُ فَكَانَ يَهْدِي بِالسَّيْفِ وَ يَقُولُ أَعْطُونِي سَيْفًا أَقْتُلُ بِهِ لَا يَزَالُ يُرَدُّ ذَلِكَ حَتَّى اتَّخَذَ لَهُ سَيْفٌ مِنْ خَشَبٍ وَ كَانُوا يُدْنُونَ مِنْهُ الْمِرْفَقَةَ فَلَا يَزَالُ يَضْرِبُهَا حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ فَلَبِثَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ مَاتَ

قلت كان مسلم بن عقبه ليزيد و ما عمل بالمدينة في وقعه الحرة كما كان بسر لمعاوية و ما عمل في الحجاز و اليمن و من أشبه أباه فما ظلم نبي كما كانت أوائلنا تبني و نفع مثل ما فعلوا (١)

ص: ١٨

١- (١) قبله: إنا و إن كرمت أوائلنا لسنا على الأحساب تتكل و ينسب البيتان للمتوكل الليثي؛ و هما في العقد ٣:٤١١.

إِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى]

بَعَثَ مُحَمَّدًا صَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَ أَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارِهِ خُشْنٌ وَ حَيَاتٍ صُمٌّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامَ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَ الْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ

يجوز أن يعنى بقوله بين حجاره خشن و حيات صم الحقيقه لا-المجاز و ذلك أن الباديه بالحجاز و نجد و تهامه و غيرها من أرض العرب ذات حيات و حجاره خشن و قد يعنى بالحجاره الخشن الجبال أيضا أو الأصنام فيكون داخلا فى قسم الحقيقه إذا فرضناه مرادا و يكون المعنى بذلك وصف ما كانوا عليه من البؤس و شظف العيشه و سوء الاختيار فى العباده فأبدلهم الله تعالى بذلك الريف (١) و لين المهاد و عباده من يستحق العباده.

و يجوز أن يعنى به المجاز و هو الأ-حسن يقال للأعداء حيات و الحيه الصماء أدهى من التى ليست بصماء لأنها لا- تنزجر بالصوت و يقال للعدو أيضا إنه لحجر خشن المس إذا كان ألد الخصام .

و الجشب من الطعام الغليظ الخشن.

ص: ١٩

(١-١) الريف: أرض فيها زرع و خصب وسعه فى المأكل و المشرب.

وقال أبو البختري وهب بن وهب القاضى كنت عند الرشيد يوما و استدعى ماء مبردا بالثلج فلم يوجد فى الخزانه ثلج فاعتذر إليه بذلك و أحضر إليه ماء غير مثلوج فضرب وجه الغلام بالكوز و استشاط غضبا فقلت له أقول يا أمير المؤمنين و أنا آمن فقال قل قلت يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من الغير بالأمس يعنى زوال دوله بنى أميّه و الدنيا غير دائمه و لا موثوق بها و الحزم ألا- تعود نفسك الترفه و النعمه بل تأكل اللين و الجشب و تلبس الناعم و الخشن و تشرب الحار و القار فنحنى بيده و قال لا و الله لا أذهب إلى ما تذهب إليه بل ألبس النعمه ما لبستنى فإذا نابت نوبه الدهر عدت إلى نصاب غير خوار (١).

و قوله و الآثام بكم معصوبه استعاره كأنها مشدوده إليهم .

و عنى بقوله تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم ما كانوا عليه فى الجاهليه من الغارات و الحروب و مِنْهَا صِهْ فَتُهُ قَبْلَ الْبَيْعَةِ لَهُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَعْنَتْ بِهِمُ عَنِ الْمَوْتِ وَ أَعْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى وَ شَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَ صَبَرْتُ عَلَى أَخَذِ الْكُظْمِ وَ عَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ [حُزْنِ]

الْعَلْقَمِ.

ص: ٢٠

الكظم بفتح الظاء مخرج النفس و الجمع أكظام و ضننت بالكسر بخلت و أغضيت على كذا غضضت طرفى و الشجا ما يعترض فى الحلق

حديث السقيفه

اختلفت الروايات فى قصه السقيفه فالذى تقوله الشيعة

١٩٨

١١٥- وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ بَعْضُهُمْ وَرَوَوْا كَثِيرًا مِنْهُ أَنَّ عَلِيًّا عَامَّتْهُ مِنَ النَّبِيِّ حَتَّى أُخْرِجَ كَرَاهًا وَ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ امْتَنَعَ مِنَ النَّبِيِّ وَ قَالَ لَا أَبِيعُ إِلَّا عَلِيًّا وَ كَذَلِكَ أَبُو سَيْفِيَانِ بْنُ حَزْبٍ وَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ بَنُوهُ وَ أَبُو سَيْفِيَانِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَ جَمِيعُ بَنِي هَاشِمٍ وَ قَالُوا إِنَّ الزُّبَيْرَ شَهَرَ سَيْفَهُ فَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ وَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ غَيْرِهِمْ قَالَ فِي جُمْلِهِ مَا قَالَ خُذُوا سَيْفَ هَذَا فَاضْرِبُوا بِهِ الْحَجَرَ وَ يُقَالُ إِنَّهُ أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ الزُّبَيْرِ فَضْرَبَ بِهِ حَجْرًا فَكَسَّرَهُ وَ سَاقَهُمْ كُلَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَحَمَلَهُمْ عَلَى بَيْعَتِهِ وَ لَمْ يَتَخَلَّفْ إِلَّا عَلِيُّ ع وَ وَحْدَهُ فَإِنَّهُ اعْتَصَمَ بِنَيْتِ فَاطِمَةَ ع فَتَحَى أَمْوًا إِخْرَاجَهُ مِنْهُ قَسِيرًا وَ قَامَتْ فَاطِمَةُ ع إِلَى بَابِ الْبَيْتِ فَأَسْمَعَتْ مَنْ جَاءَ يَطْلُبُهُ فَتَفَرَّقُوا وَ عَلِمُوا أَنَّهُ بِمُفْرَدِهِ لَا يَضُرُّ شَيْئًا فَتَرَكُوهُ.

وَ قِيلَ إِنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ فِيمَنْ أُخْرِجَ وَ حُمِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ

. و قد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيرا من هذا (١).

فأما حديث التحريق و ما جرى مجراه من الأمور الفظيعة و قول من قال إنهم أخذوا عليا ع يقاد بعمامته و الناس حوله فأمر بعيد و الشيعة تنفرد به على أن جماعه من أهل الحديث قد رووا نحوه و سند ذكر ذلك.

ص: ٢١

وقال أبو جعفر إن الأنصار لما فاتها ما طلبت من الخلافة قالت أو قال بعضها لا نبايع إلا عليا و ذكر نحو هذا علي بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصلي في تاريخه (١).

فأما قوله لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت فقول ما زال علي ع يقوله و لقد قاله عقيب وفاه رسول الله ص قال لو وجدت أربعين ذوى عزم .

ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين و ذكره كثير من أرباب السير.

و أما الذى

١٩٩

١،١٥- يَقُولُهُ جُمُهورُ الْمُحَدِّثِينَ وَ أَعْيَانُهُمْ فَإِنَّهُ عِ امْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَ لَزِمَ بَيْتَهُ فَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ عِ فَلَمَّا مَاتَتْ بَايَعَ طَوْعًا .

٢٠٠

١،١٥- وَ فِي صِيحِيحِي مُسْلِمٍ وَ الْبُخَارِيِّ كَانَتْ وَجُوهُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَ فَاطِمَةُ بَاقِيَهُ بَعْدَ مَاتَتْ فَاطِمَةَ عِ انْصَرَفَتْ وَجُوهُ النَّاسِ عَنْهُ وَ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَبَايَعَ أَبَا بَكْرٍ وَ كَانَتْ مُدَّةُ بَقَائِهَا بَعْدَ أَبِيهَا عِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ

(٢)

٢٠١

١،١٤،١٥- وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ (٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَ قَدْ حَجَجْنَا مَعَ عُمَرَ (٤) شَهِدْتُ الْيَوْمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَنَى وَ قَالَ لَهُ رَجُلٌ (٥) إِنِّي سَمِعْتُ فُلَانًا يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَبَايَعْتُ فُلَانًا فَقَالَ عُمَرُ (٦) إِنِّي لَقَائِمُ الْعَشِيَّةِ فِي النَّاسِ أَحَدُهُمْ هُوَ لَاءِ الرَّهْطِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ

ص: ٢٢

(١-١) الكامل ٢:٢٢٠ و ما بعدها.

(٢-٢) صحيح البخاري بسنده عن عائشه في كتاب المغازي، و صحيح مسلم بسنده أيضا عن عائشه، في كتاب الجهاد و السير.

(٣-٣-٣) صدر الخبر في الطبري: «عن ابن عباس، قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف، قال: فحجج عمر و حججنا معه، قال: فإنني لفي منزل بمعنى إذ جاءني عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت.»

٤-٣-٣) صدر الخبر فى الطبرى: «عن ابن عبياس، قال: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف، قال: فحج عمر و حججنا معه، قال: فإنى لفى منزل بمعنى إذ جاءنى عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت».

٥-٥) الطبرى: «فقال أمير المؤمنين».

-٦-

يَغْتَصِبُوا النَّاسَ أَمْرَهُمْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوَّاءَهُمْ (١) وَهُمْ الَّذِينَ يَقْرُبُونَ مِنْ مَجْلِسِكَ وَيَغْلِبُونَ عَلَيْهِ وَ أَخَافُ أَنْ تَقُولَ مَقَالَهُ لَا يَعُونَهَا وَلَا يَحْفَظُونَهَا فَيَطِيرُوا بِهَا (٢) وَ لَكِنْ أَمْهَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ (٣) وَ تَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَتَقُولَ مَا قُلْتَ [مُتَمَكِّنًا]

(٤) فَيَسْمَعُوا (٥) مَقَالَتَكَ فَقَالَ وَ اللَّهُ لَأَقُومَنَّ بِهَا أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (٦) فَلَمَّا قَدِمْنَا هَجَرْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِحَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَمَّا جَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ حَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ (٧) بَعِيدٌ أَنْ ذَكَرَ الرَّجْمَ وَ حَيْدَ الزَّنَاءِ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ لَوْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَايَعْتُ فَلَانًا فَلَا يَعْرُونَ أَمْرًا أَنْ يَقُولَ إِنَّ بَيْعَهُ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَهُ فَلَقَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَ لَكِنَّ (٨) اللَّهَ وَفَى شَرَّهَا وَ لَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تَقَطَّعَ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ كَأَبِي بَكْرٍ وَ إِنَّهُ كَانَ مِنْ خَبْرِنَا حِينَ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ص أَنْ عَلِيًّا وَ الزُّبَيْرُ تَخَلَّفَا عَنَّا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ وَ مَيْنَ مَعَهُمَا وَ تَخَلَّفَتْ عَنَّا الْأَنْصَارُ وَ اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْطَلَقْنَا نَحْوَهُمْ فَلَقِينَا رَجُلَانِ صَالِحَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ شَهَدَا بِدِرًا أَحَدُهُمَا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ وَ الثَّانِي مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ فَقَالَا لَنَا ارْجِعُوا فَأَقْضُوا أَمْرَكُمْ بَيْنَكُمْ (٩) فَأَتَيْنَا الْأَنْصَارَ وَ هُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي سَقِيْفِهِ

ص: ٢٣

١-١-١) عبارته الطبري: «وإنهم الذين يغلبون مجلسك، وإنني لخائف إن قلت اليوم مقاله ألا يعوها ولا يحفظوها، ولا يضعوها على مواضعها، وأن يطيروا بها كل مطير».

١-١-٢) عبارته الطبري: «وإنهم الذين يغلبون مجلسك، وإنني لخائف إن قلت اليوم مقاله ألا يعوها ولا يحفظوها، ولا يضعوها على مواضعها، وأن يطيروا بها كل مطير».

٣-٣) تكمله من تاريخ الطبري.

٤-٤) الطبري: «فيعوا».

٥-٥-٥) الطبري: «فلما قدمنا المدينة و جاء يوم الجمعة هجرت للحديث الذي حدثني عبد الرحمن فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير، فجلست».

٦-٦-٦) عبارته الطبري: «فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير، فجلست إلى جنبه عند المنبر، ركبتي إلى ركبته، فلما زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرج، فقلت لسعيد و هو مقبل: ليقولن أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقاله لم تقل قبله، فغضب و قال: فأى مقاله يقول لم تقل قبله! فلما جلس عمر على المنبر أذن المؤذنون، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر، فحمد الله و أثنى عليه و قال...».

٧-٧) الطبري: «غير أن».

٨-٨) بعدها في الطبري: «فقلنا و الله لنا تينهم».

٩-

وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ مُرْمَلٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا (١) قَالُوا سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَجَع (٢) فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَتْنِي عَلَيْهِ فَقَالَ أَمَا بَعْدُ فَنَحْنُ الْأَنْصَارُ وَ كَتَبْتَهُ الْأَسْلَامَ وَ أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ رَهْطٌ نَبِيْنَا قَدْ دَفَّتْ إِلَيْنَا دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ (٣) فَإِذَا أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَغْصِبُونَا الْأَمْرَ.

فَلَمَّا سَكَتَ (٤) وَ كُنْتُ قَدْ زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَهُ أَقُولُهَا بَيْنَ يَدَيَّ أَبِي بَكْرٍ (٥) فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَتَكَلَّمْتُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَلَيَّ رِسْلِكَ فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَتْنِي عَلَيْهِ فَمَا تَرَكَ شَيْئًا كُنْتُ زَوَّرْتُ (٦) فِي نَفْسِي إِلَّا حِيَاءً بِهِ أَوْ بِأَحْسَنَ مِنْهُ وَ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنْكُمْ لَا تَذَكُرُونَ فَضْلًا إِلَّا- وَ أَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ وَ إِنْ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِقُرَيْشٍ أَوْسَطِ الْعَرَبِ دَارًا وَ نَسَبًا وَ قَدْ رَضِيَتْ لَكُمْ أَحَدَ هَيْدِينَ الرَّجْلَيْنِ وَ أَخَذَ بِيَدِي وَ يَدَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَ اللَّهَ مَا كَرِهْتُ مِنْ كَلَامِهِ غَيْرَهَا إِنْ كُنْتُ لَأَقْدَمُ فَتَضْرِبُ عُنُقِي فِيمَا لَا يُقَرَّبُنِي إِلَيَّ إِلَّا مِنْ أَنْ أُؤَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ. فَلَمَّا قَضَى أَبُو بَكْرٍ كَلَامَهُ قَامَ رَجُلٌ (٧) مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا جَدِّيُّهَا الْمُحَكِّكُ وَ عَدِيْقُهَا الْمَرْجَبُ (٨) مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ

ص: ٢٤

١-١-١) عبارہ الطبری «فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع».

١-١-٢) عبارہ الطبری «فقلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع».

٣-٣-٣) الطبری: «قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا و يغصبونا الأمر، و قد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر».

٤-٤) زورت في نفسي كلاماً، أي هيأت و أصلحت، و التزوير: إصلاح الشيء.

٤-٥) زورت في نفسي كلاماً، أي هيأت و أصلحت، و التزوير: إصلاح الشيء.

٦-٦) الجذيل في الأصل: تصغير الجذل؛ و هو عود ينصب للابل الجربي تستشفى بالاحتكاك به. و المحكك: الذي كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا. و العديق: تصغير العدق، و هو النخلة. و المرجب: المدعوم بالرجبه؛ و هي خشبه ذات شعبتين؛ و ذلك إذا كثر و طال حملة؛ و المعنى أني ذو رأي يشفى بالاستضاءه به كثيرا في مثل هذه الحادته، و أنا في كثره التجارب و العلم بموارد الأحوال فيها و في أمثالها و مصادرها كالنخلة الكثيره الحمل الفائق. ١٨٢، ١٨١: ١.

-٧

-٨

وَازْتَفَعَتِ الْمَأْصُوتُ وَاللَّغَطُ فَلَمَّا خِفْتُ الْإِخْتِلَافَ قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ ثُمَّ نَزَوْنَا عَلَى سَيْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلُهُمْ قَتَلْتُمْ سَيِّدًا فَقُلْتُ أَقْتُلُوهُ قَتَلَهُ اللَّهُ وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَحَدَّنَا أَمْرًا هُوَ أَقْوَى مِنْ بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ خَشِيْتُ إِنْ فَارَقْتُ الْقَوْمَ وَ لَمْ تَكُنْ بَيْعَهُ أَنْ يُحَدِّثُوا بَعْدَنَا بَيْعَهُ فَمَا أَنْ نُبَايَعَهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى أَوْ نَخَالِفَهُمْ فَيَكُونُ فِسَادًا

. هذا حديث متفق عليه من أهل السيره و قد وردت الروايات فيه بزيادات

٢٠٢

رَوَى الْمَدَائِنِيُّ قَالَ لَمَّا أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِ عُمَرَ وَ أَبِي عُبَيْدَةَ وَ قَالَ لِلنَّاسِ قَدْ رَضِيْتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ لِعُمَرَ امْدُدْ يَدَكَ تُبَايَعُكَ فَقَالَ عُمَرُ مَا لَكَ فِي الْإِسْلَامِ فَهِيَ (١) غَيْرُهَا أ تَقُولُ هَذَا وَ أَبُو بَكْرٍ حَاضِرٌ (٢) ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ أَيُّكُمْ يَطِيبُ نَفْسًا أَنْ يَتَقَدَّمَ قَدَمَيْنِ قَدَمَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ص لِلصَّلَاةِ رَضِيكَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِإِدْبِينَا أ فَلَا نَرْضَاكَ لِإِدْبِينَا ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَبَايَعَهُ.

و هذه الروايه هي التي ذكرها قاضي القضاة رحمه الله تعالى في كتاب المغنى .

٢٠٣

وَ قَالَ الْوَأَقِدِيُّ فِي رِوَايَتِهِ فِي حِكَايَةِ كَلَامِ عُمَرَ وَ اللَّهِ لَأَنْ أُقَدَّمَ فَأُنْحَرَ كَمَا يُنْحَرُ الْبَعِيرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُنْقَدَّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ .

و قال شيخنا أبو القاسم البلخي قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ إن الرجل الذي قال لو قد مات عمر لبايعت فلانا عمار بن ياسر قال لو قد مات عمر لبايعت عليا ع فهذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به.

و قال غيره من أهل الحديث إنما كان المعزوم على بيعته لو مات عمر طلحه بن عبيد الله .

ص: ٢٥

١- (١) الفهه:السقطه و الجهله و نحوها.

٢- (٢) في روايه اللسان-فهه-:«أ تبايعنى و فيكم الصديق ثانى اثنين!».

فأما حديث الفلته فقد كان سبق من عمر أن قال إن بيعه أبي بكر كانت فلتته وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

و هذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس و عبد الرحمن بن عوف فيه حديث الفلته و لكنه منسوق على ما قاله أولاً أ لا تراه يقول فلا يغرن امرأ أن يقول إن بيعه أبي بكر كانت فلتته فلقد كانت كذلك فهذا يشعر بأنه قد كان قال من قبل إن بيعه أبي بكر كانت فلتته.

و قد أكثر الناس فى حديث الفلته و ذكرها شيوخنا المتكلمون فقال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى الفلته ليست الزله و الخطيئه بل هى البغته و ما وقع فجأه من غير رويه و لا مشاوره و استشهد بقول الشاعر من يأمن الحدثان بعد

يعنى بغته.

و قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى ذكر الرياشى أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتته من حيث إن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته لأنهم كانوا إذا دخلوا فى الأشهر الحرم لا يطلبون الثأر و ذو القعدة من الأشهر الحرم فسموا ذلك اليوم فلتته لأنهم إذا أدركوا فيه ثأرهم فقد أدركوا ما كان يفوتهم فأراد عمر أن بيعه أبي بكر تداركها بعد أن كادت تفوت.

و قوله وقى الله شرها دليل على تصويب البيعه لأن المراد بذلك أن الله تعالى دفع شر الاختلاف فيها.

ص: ٢٤

فأما قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فالمراد من عاد إلى أن يبايع من غير مشاوره و لا عدد يثبت صحه البيعه به و لا ضروره داعيه إلى البيعه ثم بسط يده على المسلمين يدخلهم فى البيعه قهرا فاقتلوه (١).

قال قاضى القضاة رحمه الله تعالى و هل يشك أحد فى تعظيم عمر لأبى بكر و طاعته إياه و معلوم ضروره من حال عمر إعظامه له و القول بإمامته و الرضا بالبيعه و الثناء عليه فكيف يجوز أن يترك ما يعلم ضروره لقول محتمل ذى وجوه و تأويلات و كيف يجوز أن تحمل هذه اللفظه من عمر على الذم و التخطئه و سوء القول.

و اعلم أن هذه اللفظه من عمر مناسبة للفظات كثيره كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينه و جفاء الطبيعه و لا- حيله له فيها لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها و لا ريب عندنا أنه كان يتعاطى أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه (٢) مخارج حسنه لطيفه فينزح به الطبع الجاسى و الغريزه الغليظه إلى أمثال هذه اللفظات (٣) و لا- يقصد بها سوءا و لا يريد بها ذما و لا تخطئه كما قدمنا من قبل فى اللفظه التى قالها فى مرض رسول الله ص و كاللفظات التى قالها عام الحديبيه و غير ذلك و الله تعالى لا يجازى المكلف إلا بما نواه و لقد كانت نيته من أظهر النيات و أخلصها لله سبحانه و للمسلمين و من أنصف علم أن هذا الكلام حقّ و أنه يغنى عن تأويل شيخنا أبى على .

و نحن من بعد نذكر ما قاله المرتضى رحمه الله تعالى فى كتاب الشافى (٤) لما تكلم فى هذا الموضوع قال أما ما ادعى من العلم الضرورى برضا عمر ببيعه أبى بكر و إمامته فالمعلوم ضروره بلا شبهه أنه كان راضيا بإمامته و ليس كل من رضى شيئا

ص: ٢٧

١- ١) نقله المرتضى فى الشافى ٢٤١.

٢- ٢) الجزء الأول ص ١٤١.

٣- ٣) انظر سيره ابن هشام ٣:٣٦٥.

٤- ٤) كتاب الشافى فى الإمامه و النقض على كتاب المغنى للقاضى عبد الجبار، و قد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠، و طبع الكتاب و المختصر فى العجم سنة ١٣٠١ فى جزأين.

كان متدينا به معتقدا لصوابه فإن كثيرا من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعه لما هو أضر منها وإن كانوا لا يرونها صوابا و لو ملكوا الاختيار لاختاروا غيرها و قد علمنا أن معاوية كان راضيا ببيعه يزيد و ولايه (١) العهد له من بعده و لم يكن متدينا بذلك و معتقدا صحته و إنما رضى عمر ببيعه أبى بكر من حيث كانت حاجزه عن بيعه أمير المؤمنين ع و لو ملك الاختيار لكان مصير الأمر إليه (٢) أسرفى نفسه و أقر عينه و إن ادعى أن المعلوم ضروره تدين عمر بإمامه أبى بكر و أنه أولى بالإمامه منه فهذا مدفوع أشد دفع مع أنه قد كان ييدر من عمر (٣) فى وقت بعد آخر ما يدل على ما أوردناه.

٢٠٤

رَوَى الْهَيْثَمُ (٤) بِنُ عِدَىٍّ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشِ الْهَمْدَانِيِّ (٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَانَا وَاللَّهِ شَمْسِي هَذِهِ الْأُمَّةُ وَنُورِيهَا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَمَا يُدْرِيكَ قَالَ الرَّجُلُ أَوَلَيْسَ قَدْ ائْتَلَفَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ بَلِ ائْتَلَفَا لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَشْهَدُ أَنِّي كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يَوْمًا وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَحْبَسَ النَّاسَ عَنْهُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ عُمَرُ دُوبَيْبُهُ سَوْءٌ وَ لَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ فَأَوْحَشَنِي ذَلِكَ مِنْهُ فَقُلْتُ يَا أَبَتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ فَقَالَ وَمَنْ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيهِ لَا أُمَّ لَكَ إِئِذَنْ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَهُ فِي الْحُطَيْيَةِ الشَّاعِرِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ وَقَدْ كَانَ عُمَرُ حَبَسَهُ فِي شِعْرٍ قَالَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ فِي الْحُطَيْيَةِ أَوْدًا (٦) فَدَعْنِي أَقَوْمَهُ بِطُولِ حَبْسِهِ فَأَلْحَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَ أَبِي عُمَرَ

ص: ٢٨

١- (١) الشافى: «و ولايته».

٢- (٢) الشافى: «آثر».

٣- (٣) الشافى: «منه-أعنى عمر».

٤- (٤) هو الهيثم بن عدى الطائى المنبجى الكوفى؛ كان أخباريا روى عن هشام بن عروه و عبد الله بن عياش و مجالد؛ قال ابن عدى: إنما هو صاحب أخبار. و قال ابن المدينى: هو أوثق من الواقدى و لا أرضاه فى شىء، و قال النسائى: متروك الحديث. و قال أبو نعيم: يوجد فى حديثه المناكير. توفى سنة ٢٠٦-لسان الميزان ٤:٢١٠.

٥- (٥) فى الأصول و الشافى: «عباس»، تصحيف؛ و هو عبد الله بن عياش بن عبد الله الهمدانى الكوفى؛ كان راويه للأخبار و الآداب؛ و يقع فى أخباره المناكير. مات سنة ١٥٨، لسان الميزان ٣:٣٢٢.

٦- (٦) الشافى: «إن الحطية لبدىء».

فَخَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَقْبَلَ عَلِيَّ أَبِي وَقَالَ أ فِي غَفْلَةٍ أَنْتَ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا عَمَّا كَانَ مِنْ تَقَدُّمِ أَحْمِقِ بِنِي تَيْمِ عَلِيٍّ وَظُلْمِهِ لِي فَقُلْتُ لَا- عَلِمَ لِي بِمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ يَا بُنَيَّ فَمَا عَسَيْتَ أَنْ تَعْلَمَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ النَّاسِ مِنْ ضِيَاءِ أَبْصَارِهِمْ قَالَ إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ عَلَيَّ رَغِمَ أَبِيكَ وَسَيْخِطُهُ قُلْتُ يَا أَبَتِ أ فَلَا تُجَلِّيَ عَنِّي فِعْلُهُ (١) بِمَوْقِفِي فِي النَّاسِ تُبَيِّنُ ذَلِكَ لَهُمْ قَالَ وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ مَعَ مَا ذَكَرْتَ أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ النَّاسِ مِنْ ضِيَاءِ أَبْصَارِهِمْ إِذْ يُرْضَخُ (٢) رَأْسُ أَبِيكَ بِالْجَنْدَلِ قَالَ ابْنُ عُمَرَ ثُمَّ تَجَاسَرَ وَاللَّهِ فَجَسَرَ فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فِي النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَهُ وَقِيَ اللَّهُ شَرَّهَا فَمَنْ دَعَاكُمْ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ.

٢٠٥

وَ رَوَى الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ عَن مُجَالِدٍ (٣) بِنِ سَعِيدٍ قَالَ عَدَوْتُ يَوْمًا إِلَى الشَّعْبِيِّ وَ أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَن شَيْءٍ بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ فَاتَيْتُهُ وَ هُوَ فِي مَسْجِدِ حَيْهٍ وَ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمٌ يَنْتَظِرُونَهُ فَخَرَجَ فَتَعَرَّفْتُ إِلَيْهِ وَ قُلْتُ أَصِلِحَكَ اللَّهُ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ مَا كُنْتُ مُحَدِّثًا قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فَتَنَةٌ قَالَ نَعَمْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ ذَلِكَ وَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُهُ أَيْضًا وَ كَانَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ دَفَائِنُ عِلْمٍ يُعْطِيهَا أَهْلَهَا وَ يَصْرِفُهَا عَن غَيْرِهِمْ فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ فَجَلَسَ إِلَيْنَا فَأَخَذَنَا فِي ذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَصَحَّحَكَ الشَّعْبِيُّ وَ قَالَ لَقَدْ كَانَ فِي صَدْرِ عُمَرَ ضَبٌّ (٤) عَلَيَّ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ الْأَزْدِيُّ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِرَجُلٍ قَطُّ كَانَ أَسْلَسَ قِيَادًا لِرَجُلٍ

ص: ٢٩

١- (١) الشافعي: «أ فلا تحكى عن فعله».

٢- (٢) الرضخ: كسر الرأس بالحجر.

٣- (٣) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني الكوفي قال البخاري: كان يحيى بن سعيد يضعفه، و كان ابن مهدي لا يروى عنه، و

كان أحمد بن حنبل لا يراه شيئا. و قال ابن معين: ضعيف واهى الحديث. مات سنة ١٤٤. تهذيب التهذيب ٣٩: ١٠.

٤- (٤) الضب: الحقد و العداوة؛ و جمعه ضباب؛ قال الشاعر: فما زالت رقاك تسلّ ضغنى و تخرج من مكانها ضبابي..

وَلَا أَقُولُ فِيهِ بِالْجَمِيلِ مِنْ عُمَرَ فِي أَبِي بَكْرٍ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ الشَّعْبِيُّ وَقَالَ هَذَا مِمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ الرَّجُلُ وَقَالَ يَا أَخَا الْأَزْدِ فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالْفَلْتَةِ الَّتِي وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا أَمْ تَرَى عِدْوًا يَقُولُ فِي عِدْوٍ يُرِيدُ أَنْ يَهْدِمَ مَا بَنَى لِنَفْسِهِ فِي النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ فِي أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ الرَّجُلُ سُبْحَانَ اللَّهِ أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَمْرٍو فَقَالَ الشَّعْبِيُّ أَنَا أَقُولُهُ قَالَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَيَّ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ فَلَمْهُ أَوْ دَعُ فَتَهَضَّ الرَّجُلُ مُغْضَبًا وَهُوَ يُهَمُّهُمْ فِي الْكَلَامِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمُهُ قَالَ مُجَالِدٌ فَقُلْتُ لِلشَّعْبِيِّ مَا أَحْسَبُ هَذَا الرَّجُلَ إِلَّا سَيَنْقُلُ عَنْكَ هَذَا الْكَلَامَ إِلَى النَّاسِ وَيَبْتُئُهُ فِيهِمْ قَالَ إِذَنْ وَاللَّهِ لَا أَحْفَلُ بِهِ وَشَيْءٌ لَمْ يَحْفَلُ بِهِ عُمَرُ حِينَ قَامَ عَلَيَّ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَحْفَلُ بِهِ أَنَا أَذِيعُوهُ أَنْتُمْ عَنِّي أَيْضًا مَا بَدَأَ لَكُمْ.

٢٠٦

وَرَوَى شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيُّ (١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ حَجَجْتُ مَعَ عُمَرَ فَلَمَّا نَزَلْنَا وَاعْظَمَ النَّاسُ خَرَجْتُ مِنْ رَحْلِي أُرِيدُهُ فَلَقِينِي الْمَغِيرَةَ بْنُ شُعْبَةَ فَرَأَفَقَنِي ثُمَّ قَالَ آئِنَ تُرِيدُ فَقُلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَلْ لَكَ قَالَ نَعَمْ فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُ رَحْلَ عُمَرَ فَإِنَّا لَفِي طَرِيقِنَا إِذْ ذَكَرْنَا تَوَلَّى عُمَرَ وَقِيَامَهُ بِمَا هُوَ فِيهِ وَحَيَاتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَنُهْوَهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى ذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ لِلْمَغِيرَةَ يَا لَكَ الْخَيْرُ لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مُسَدِّدًا فِي عُمَرَ لَكَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى قِيَامِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَجِدِّهِ وَاجْتِهَادِهِ وَغَنَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ كَرِهُوا وَلَا يَهْتَدُونَ لِيَزُوُّوْهَا عَنْهُ وَمَا كَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ حِطٍّ فَقُلْتُ لَهُ لَا أَبَا لَكَ وَمَنْ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَرِهُوا ذَلِكَ لِعُمَرَ فَقَالَ الْمَغِيرَةُ لِلَّهِ أَنْتَ كَأَنَّكَ

ص: ٣٠٠

١-١) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي؛ قال ابن معين: شريك صدوق ثقة؛ إلا أنه إذا خالف غيره أحب إلينا منه. وقال ابن المبارك: شريك أعلم بحديث الكوفيين من الثوري. وقال الجوزجاني: شريك سيئ الحفظ مضطرب الحديث مائل. مات سنة ١٧٧. تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٥.

لَا تَعْرِفُ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ وَ مَا خُصُّوا بِهِ مِنَ الْحَسَدِ فَوَ اللَّهُ لَوْ كَانَ هَذَا الْحَسَدُ يُدْرِكُ بِحِسَابٍ لَكَانَ لِقُرَيْشٍ تِسْعَةَ أَعْشَارِهِ وَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ عَشْرٌ فَقُلْتُ مَهْ يَا مُغِيرَةَ فَإِنَّ قُرَيْشًا يَا نَتْ بِفَضْلِهَا عَلَى النَّاسِ فَلَمْ نَزَلْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَحْلِ عُمَرَ فَلَمْ نَجِدْهُ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ قَدْ خَرَجَ آتِنَا فَمَضَيْنَا نَقْفُو أَتْرُهُ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا عُمَرُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَطُفْنَا مَعَهُ فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ بَيْنِي وَ بَيْنَ الْمُغِيرَةَ فَتَوَكَّأَ عَلَى الْمُغِيرَةَ وَ قَالَ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمَا فَقُلْنَا خَرَجْنَا نُرِيدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَتَيْنَا رَحْلَكَ فَقِيلَ لَنَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَاتَّبَعْنَاكَ فَقَالَ اتَّبَعَكُمَا الْخَيْرُ ثُمَّ نَظَرَ الْمُغِيرَةَ إِلَيَّ وَ تَبَسَّمَ فَرَمَقَهُ عُمَرُ فَقَالَ مِمَّ تَبَسَّمْتَ أَيُّهَا الْعَبِيدُ فَقَالَ مِنْ حَدِيثِ كُنْتُ أَنَا وَ أَبُو مُوسَى فِيهِ آتِنَا فِي طَرِيقِنَا إِلَيْكَ قَالَ وَ مَا ذَاكَ الْحَدِيثُ فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ الْخَبَرَ حَتَّى بَلَّغْنَا ذِكْرَ حَسَدِ قُرَيْشٍ وَ ذِكْرَ مَنْ أَرَادَ صَرْفَ أَبِي بَكْرٍ عَنِ السِّتْرِ فَتَنَفَسَ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَ ثَكَلْتُكَ أُمَّكَ يَا مُغِيرَةَ وَ مَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَسَدِ بَلْ وَ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْعُشْرِ وَ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ عَشْرُ الْعُشْرِ بَلْ وَ قُرَيْشٌ شَرُّ كَاؤُهُمْ أَيْضًا فِيهِ وَ سَيِّئَاتٌ مَلِيًّا وَ هُوَ يَتَهَادَى بَيْنَنَا ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحْسَدِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا قُلْنَا بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَ عَلَيْكُمَا ثِيَابُكُمَا قُلْنَا نَعَمْ قَالَ وَ كَيْفَ بِذَلِكَ وَ أَنْتُمَا مُلْبَسَانِ ثِيَابِكُمَا قُلْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَا بِيَالِ الثِّيَابِ قَالَ خَوْفُ الْإِذَاعَةِ مِنْهَا قُلْنَا لَهُ أَ تَخَافُ الْإِذَاعَةَ مِنَ الثِّيَابِ أَنْتَ وَ أَنْتَ مِنْ مَلْبَسِ الثِّيَابِ أَخَوْفُ وَ مَا الثِّيَابُ أَرَدْتَ قَالَ هُوَ ذَاكَ ثُمَّ انْطَلَقَ وَ انْطَلَقْنَا مَعَهُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَحْلِهِ فَحَلَى أَيْدِينَا مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَا تَرِيْمَا وَ دَخَلَ فَقُلْتُ لِلْمُغِيرَةَ لَا أَبَا لَكَ لَقَدْ عَثَرْنَا (١) بِكَلَامِنَا مَعَهُ وَ مَا كُنَّا فِيهِ وَ مَا نَرَاهُ حَبَسْنَا إِلَّا لِيَذَاكِرْنَا إِيَّاهَا قَالَ فَإِنَّا لَكَذَلِكَ إِذْ أَخْرَجَ إِذْنَهُ إِلَيْنَا فَقَالَ ادْخُلَا فَدَخَلْنَا فَوَجَدْنَاهُ مُسْتَلْقِيًّا عَلَى بَرْدَعِيهِ بِرَحْلِ فَلَمَّا رَأَيْنَا تَمَثَّلَ بِقَمُولِ كَعِيبِ بَيْنَ زُهَيْرٍ لِأَنَّ تَفْسَ سِرَّكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي ثِقَمِهِ أَوْلَى وَ أَفْضَلُ مَا اسْتُودِعْتَ أَسْرَارًا (٢)

ص: ٣١

١- ١) كذا في الشافى و هو الصواب، و فى الأصول: «أثرنا».

٢- ٢) ملحق ديوانه ٢٥٧، و غرر الخصائص ١٨١.

فَعَلِمْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ نَضْمَنَ لَهُ كِتْمَانَ حَدِيثِهِ فَقُلْتُ أَنَا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الزَّمْنَا وَ حُصْنَا وَ صِلْنَا قَالَ بِمَا ذَا يَا أَخَا الْأَشْعَرِينَ (١) فَقُلْتُ بِإِفْشَاءِ سِرِّكَ وَ أَنْ تُشْرِكَنَا فِي هِمَّتِكَ فَنَعْمَ الْمُسْتَشَارَانِ نَحْنُ لَكَ قَالَ إِنَّكُمْ كَذَلِكَ فَاسْأَلَا عَمَّا بَدَا لَكُمْ ثُمَّ قَامَ إِلَى الْبَابِ لِيُعْلِقَهُ فَإِذَا الْأَذُنُ الَّتِي لَنَا عَلَيْهِ فِي الْحَجْرَةِ فَقَالَ امْضِ عَنَّا لَا أُمَّ لَكَ فَخَرَجَ وَ أَعْلَقَ الْبَابَ حَلْفَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَجَلَسَ مَعَنَا وَ قَالَ سَلَا تُخْبِرُنَا قُلْنَا نُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَحْسَدِ قُرَيْشِ الَّذِي لَمْ يَأْمَنْ ثِيَابِنَا عَلَى ذِكْرِهِ لَنَا فَقَالَ سَأَلْتُمَا عَنْ مُعْضِدِهِ وَ سَأَخْبِرُكُمْ فَليَكُنْ عِنْدَكُمْ فِي ذِمَّةِ مَنِيعِهِ وَ حِرْزِ مَا بَقِيَتْ فَإِذَا مِتُّ فَشَأْنُكُمْ مَا شِئْتُمَا مِنْ إِظْهَارٍ أَوْ كِتْمَانٍ قُلْنَا فَإِنَّ لَكَ عِنْدَنَا ذَلِكَ قَالَ أَبُو مُوسَى وَ أَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي مَا يُرِيدُ إِلَّا الَّذِينَ كَرِهُوا اسْتِخْلَافَ أَبِي بَكْرٍ لَهُ كَطَلْحَةَ وَ غَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ أَسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا فَظًا غَلِيظًا وَ إِذَا هُوَ يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِ مَا فِي نَفْسِي فَعَادَ إِلَى التَّنْفُسِ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَرَيَانِهِ قُلْنَا وَ اللَّهُ مَا نَدْرِي إِلَّا ظَنًّا قَالَ وَ مَا تَظُنَّانِ قُلْنَا عَسَاكَ تُرِيدُ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَبَا بَكْرٍ عَلَى صِرْفِ هَذَا الْأَمْرِ عَنكَ قَالَ كَلَّا وَ اللَّهُ بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعَقَّ وَ هُوَ الَّذِي سَأَلْتُمَا عَنْهُ كَانَ وَ اللَّهُ أَحْسَدُ قُرَيْشٍ كُلِّهَا ثُمَّ أَطْرَقَ طَوِيلًا فَنَظَرَ الْمُعْزِرَةَ إِلَى وَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَ أَطْرَقْنَا مَلِيًّا لِإِطْرَاقِهِ وَ طَالَ السُّكُوتُ مِنَّا وَ مِنْهُ حَتَّى ظَنْنَا أَنَّهُ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا بَدَا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ وَ أَلَهْفَاهُ عَلَى ضَمِيلِ بَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةٍ لَقَدْ تَقَدَّمَنِي ظَالِمًا وَ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْهَا آثِمًا فَقَالَ الْمُعْزِرَةُ أَمَا تَقْدُمُهُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمًا فَصَدَّ عَرْفَانَهُ كَيْفَ خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْهَا آثِمًا قَالَ ذَاكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ إِلَيَّ مِنْهَا إِلَّا بَعِيدَ يَأْسٍ مِنْهَا أَمَا وَ اللَّهُ لَوْ كُنْتُ أَطَعْتُ يَزِيدَ بْنِ الْخَطَّابِ وَ أَصِيحَابَهُ لَمْ يَتَلَمَّظْ مِنْ حَلَاوَتِهَا بِشَيْءٍ أَبَدًا وَ لَكِنِّي قَدَّمْتُ وَ أَحْرْتُ وَ صَعِدْتُ وَ صَوَّبْتُ وَ نَقَضْتُ وَ أَبْرَمْتُ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْإِغْضَاءَ عَلَى مَا نَشَبَ بِهِ مِنْهَا وَ التَّلَهُّفَ عَلَى نَفْسِي وَ أَمَلْتُ إِنْ أَبَتَهُ وَ رُجِعَهُ فَوَ اللَّهُ مَا فَعَلَ حَتَّى نَعَرَ (٢) بِهَا بَشْمًا

١- (١) في اللسان: «تقول العرب: جاء بك الأشعرون، بحذف ياء النسب».

٢- (٢) نَعَرَ؛ أي امتلأ.

قَالَ الْمَغِيرَةُ فَمَا مَنَعَكَ مِنْهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ قَدْ عَرَضَكَ لَهَا يَوْمَ السَّقِيْفَةِ بِدَعَائِكَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَنْتَ الْآنَ تَنْقَمُ وَ تَتَأَسَّفُ قَالَ ثَكَلْتُكَ
 أُمُّكَ يَا مَغِيرَةُ إِنِّي كُنْتُ لَأَعِدُّكَ (١) مِنْ دُهِابِ الْعَرَبِ كَأَنَّكَ كُنْتَ غَائِبًا عَمَّا هُنَاكَ إِنَّ الرَّجُلَ مَا كَرِنِي فَمَا كَرِنْتُهُ وَ أَلْفَانِي أَخِيذُرُ
 مِنْ قَطَاهُ إِنَّهُ لَمَّا رَأَى شَغَفَ النَّاسِ بِهِ وَ إِقْبَالَهُمْ بِوُجُوهِهِمْ عَلَيْهِ أَيَقَنَ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِهِ بَدَلًا فَأَحَبَّ لَمَّا رَأَى مِنْ حِرْصِ النَّاسِ عَلَيْهِ
 وَ مَيْلِهِمْ إِلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ مَا عِنْدِي وَ هَلْ تُنَازِعُنِي نَفْسِي إِلَيْهَا وَ أَحَبَّ أَنْ يَبْلُغَنِي بِأَطْمَاعِي فِيهَا وَ التَّغْرِيبُ لِي بِهَا وَ قَدْ عَلِمَ وَ عَلِمْتُ
 لَوْ قَبِلْتُ مَا عَرَضَهُ عَلَيَّ لَمْ يُجِبِ النَّاسُ إِلَيَّ ذَلِكَ فَأَلْفَانِي قَائِمًا عَلَى أَخْمِصَتِي مُسْتَوْفِرًا حَذْرًا وَ لَوْ أَجَبْتُهُ إِلَى قَبُولِهَا لَمْ يُسَلِّمِ النَّاسُ
 إِلَيَّ ذَلِكَ وَ اخْتَبَأَهَا ضِعْمًا عَلَيَّ فِي قَلْبِهِ وَ لَمْ آمَنْ غَائِلَتُهُ وَ لَوْ بَعِدَ حِينَ مَعَ مَا بَدَأَ لِي مِنْ كَرَاهَةِ النَّاسِ لِي أَمَا سَمِعْتَ نِدَاءَهُمْ مِنْ
 كُلِّ نَاحِيَةٍ عِنْدَ عَرَضِهَا عَلَيَّ لَا تُرِيدُ سِوَاكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَنْتَ لَهَا فَرَدَدْتَهَا إِلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ التَّمَعَّ وَجْهَهُ لِذَلِكَ سُرُورًا وَ لَقَدْ
 عَاتَبَنِي مَرَّةً عَلَى كَلَامِ بَلَّغَهُ عَنِّي وَ ذَلِكَ لَمَّا قُدِّمَ عَلَيْهِ بِالْأَشْعَثِ أَسِيرًا فَمَنْ عَلَيْهِ وَ أَطْلَقَهُ وَ زَوَّجَهُ أُخْتَهُ أُمَّ فَرْوَةَ فَقُلْتُ لِلْأَشْعَثِ وَ هُوَ
 قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَا عِدُّوْ اللَّهِ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِسْلَامِكُمْ وَ ارْتَدَدْتُمْ نَاكِصًا عَلَى عَقْبَيْكُمْ فَنَظَرُ إِلَيَّ نَظْرًا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُكَلِّمَنِي
 بِكَلَامٍ فِي نَفْسِهِ ثُمَّ لَقِيَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَكِّكَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ لِي أَنْتَ صَاحِبُ الْكَلَامِ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ نَعَمْ يَا عِدُّوْ اللَّهِ وَ لَكَ
 عِنْدِي شَرٌّ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ بِشَسِّ الْجَزَاءِ هَذَا لِي مِنْكَ قُلْتُ وَ عَلَامَ تُرِيدُ مِنِّي حُسْنَ الْجَزَاءِ قَالَ لِأَنْفَتِي لَكَ مِنْ اتِّبَاعِ هَذَا الرَّجُلِ وَ
 اللَّهُ مَا جَزَّأَنِي عَلَى الْخِلَافِ عَلَيْهِ إِلَّا تَقَدُّمُهُ عَلَيْكَ وَ تَخَلُّفُكَ عَنْهَا وَ لَوْ كُنْتَ صَاحِبَهَا لَمَّا رَأَيْتَ مِنِّي خِلَافًا عَلَيْكَ قُلْتُ لَقَدْ كَانَ
 ذَلِكَ فَمَا تَأْمُرُ الْآنَ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بِوَقْتِ أَمْرِ بَلْ وَقْتُ صَبْرٍ وَ مَضَى وَ مَضَيْتُ وَ لَقِيَ الْأَشْعَثُ الزُّبَيْرَانَ بْنَ بَدْرِ فَذَكَرَ لَهُ مَا جَزَى بَيْنِي
 وَ بَيْنَهُ فَنَقَلَ ذَلِكَ إِلَيَّ أَبِي بَكْرٍ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ بِعِتَابٍ مُؤَلِّمٍ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَمَا وَ اللَّهُ

لَتَكْفَنَنَّ أَوْ لَمَّا قَوْلَنَّ كَلِمَةً يَبَالِغُهُ بِي وَبِعَكَ فِي النَّاسِ تَحْمِلُهَا الرُّكْبَانُ حَيْثُ سَارُوا وَإِنْ شِئْتِ اسْتَدْمَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ عَفْوًا فَقَالَ بَلْ نَسِيَتْ تَدِيمُهُ وَإِنَّهَا لَصَيَّرَتْهُ إِلَيْكَ بَعِيدًا أَيَّامٍ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ جُمُعَةٌ حَتَّى يَرُدَّهَا عَلَيَّ فَتَغَافَلَ وَاللَّهِ مَا ذَاكَرَنِي بَعِيدًا ذَلِكَ حَزْفًا حَتَّى هَلَكَ.

وَ لَقَدْ مُدَّ فِي أَمْدِهَا عَاضًا عَلَى نَوَاجِذِهِ حَتَّى حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَ أَيْسَ مِنْهَا فَكَانَ مِنْهُ مَا رَأَيْتُمَا فَانْكُتُمَا مَا قُلْتُمْ لَكُمْ عَنِ النَّاسِ كَافَّةً وَ عَنْ بَنِي هِرَاشِمٍ خَاصَّةً وَ لِيَكُنْ مِنْكُمْ بِحَيْثُ أَمَرْتُمَا قَوْمًا إِذَا شِئْتُمَا عَلَى بَرَكَهِ اللَّهِ فَتَقَمْنَا وَ نَحْنُ نَعَجَبُ مِنْ قَوْلِهِ فَوَ اللَّهُ مَا أَفْشَيْنَا سِرَّهُ حَتَّى هَلَكَ (١).

قال المرتضى و ليس فى طعن عمر على أبى بكر ما يؤدى إلى فساد خلافته إذ له أن يثبت إمامه نفسه بالإجماع لا بنص أبى بكر عليه و أمّا الفلته فإنها و إن كانت محتملة للبعثه كما قاله أبو على رحمه الله تعالى إلاّ أن قوله و قى الله شرها يخصصها بأن مخرجها مخرج الدم و كذلك قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و قوله المراد و قى الله شر الاختلاف فيها عدول عن الظاهر لأن الشر فى الكلام مضاف إليها دون غيرها و أبعد من هذا التأويل قوله إن المراد من عاد إلى مثلها من غير ضروره و أكره المسلمين عليها فاقتلوه لأن ما جرى هذا المجرى لا يكون مثلا لبيعه أبى بكر عندهم لأن كل ذلك ما جرى فيها على مذاهبهم و قد كان يجب على هذا أن يقول فمن عاد إلى خلافها فاقتلوه.

و ليس له أن يقول إنما أراد بالمثل وجها واحدا و هو وقوعها من غير مشاوره لأن ذلك إنما تم فى أبى بكر خاصه بظهور أمره و اشتهاى فضله و لأنهم بادروا إلى العقد خوفا من الفتنة و ذلك لأنه غير منكر أن يتفق من ظهور فضل غير أبى بكر و اشتهاى أمره و خوف الفتنة ما اتفق لأبى بكر فلا يستحق قتلا و لا ذما على أن قوله مثلها يقتضى وقوعها على الوجه الذى وقعت عليه فكيف يكون ما وقع من غير مشاوره لضروره داعيه و أسباب موجه مثلا لما وقع بلا مشاوره و من غير ضروره و لا أسباب و الذى رواه عن أهل اللغة

ص: ٣٤

من أن آخر يوم من شوال يسمى فلتته من حيث إن من لم يدرك فيه الثأر فإنه قول لا نعرفه و الذى نعرفه أنهم يسمون الليله التى ينقضى بها آخر الأشهر الحرم و يتم فلتته و هى آخر ليله من ليالى الشهر لأنه ربما رأى الهلال قوم لتسع و عشرين و لم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك و هم غارون (١) فلهذا سميت تلك الليله فلتته على أنا قد بينا أن مجموع الكلام يقتضى ما ذكرناه من المعنى لو سلم له ما رواه عن أهل اللغة فى احتمال هذه اللفظه.

قال و قد ذكر صاحب كتاب العين أن الفلته الأمر الذى يقع على غير إحكام فقد صح أنها موضوعه فى اللغة لهذا و إن جاز ألا تختص به بل تكون لفظه مشتركه.

و بعد فلو كان عمر لم يرد بقوله توهين بيعه أبى بكر بل أراد ما ظنه المخالفون لكان ذلك عائدا عليه بالنقص لأنه وضع كلامه فى غير موضعه و أراد شيئا فعبير عن خلافه فليس يخرج هذا الخبر من أن يكون طعنا على أبى بكر إلا بأن يكون طعنا على عمر (٢).

و اعلم أنه لا يبعد أن يقال إن الرضا و السخط و الحب و البغض و ما شاكل ذلك من الأخلاق النفسانية و إن كانت أمورا باطنه فإنها قد تعلم و يضطر الحاضرون إلى تحصيلها بقرائن أحوال تفيدهم العلم الضرورى كما يعلم خوف الخائف و سرور المبتهج و قد يكون الإنسان عاشقا لآخر فيعلم المخالطون لهما ضروره أنه يعشقه لما يشاهدونه من قرائن الأحوال و كذلك يعلم من قرائن أحوال العابد المجتهد فى العباده و صوم الهواجر و ملازمه الأوراد و سهر الليل أنه يتدين بذلك فغير منكر أن يقول قاضى القضاة رحمه الله

ص: ٣٥

١-١) غارون: غافلون.

٢-٢) كتاب الشافى ٢٤٤ مع اختصار و تصرف.

تعالى إن المعلوم ضروره من حال عمر تعظيم أبى بكر و رضاه بخلافته و تدينه بذلك فالذى اعترضه رحمه الله تعالى به غير وارد عليه و أما الأخبار التى رواها عن عمر فأخبار غريبه ما رأيناها فى الكتب المدونه و ما وقفنا عليها إلا من كتاب المرتضى و كتاب آخر يعرف بكتاب المسترشد (١) لمحمّد بن جرير الطبرى و ليس هو محمّد بن جرير صاحب التاريخ بل هو من رجال الشيعة و أظن أن أمه من بنى جرير من مدينه آمل طبرستان و بنو جرير الآمليون شيعة مستهترون بالتشيع فنسب إلى أخواله و يدلّ على ذلك شعر مروى له و هو بآمل مولدى و بنو جرير

و أنت تعلم حال الأخبار الغريبه التى لا توجد فى الكتب المدونه كيف هى فأما إنكاره ما ذكره شيخنا أبو على رحمه الله تعالى من أن الفلته هى آخر يوم من شوال و قوله إنا لا نعرفه فليس الأمر كذلك بل هو تفسير صحيح ذكره الجوهرى فى كتاب الصحاح قال الفلته آخر ليله من كل شهر و يقال هى آخر يوم من الشهر الذى بعده الشهر الحرام (٢) و هذا يدلّ على أن آخر يوم من شوال يسمى فلتة و كذلك آخر يوم من جمادى الآخرة و إنّما التفسير الذى ذكره المرتضى غير معروف عند أهل اللغه .

و أقميا ما ذكره من إفساد حمل الفلته فى الخبر على هذه الوجوه المتأوله فجيّد إلا أن الإنصاف أن عمر لم يخرج الكلام مخرج الدم لأمر أبى بكر و إنّما أراد باللفظه محض حقيقتها فى اللغه ذكر صاحب الصحاح أن الفلته الأمر الذى يعمل فجأه من

ص: ٣٦

-
- ١- ١) كتاب المسترشد فى الإمامه، طبع فى النجف و فى الأصول: «المستبشر» و هو خطأ، راجع النجاشى ٢٦٦.
٢- ٢) نسبهما ياقوت فى معجم البلدان (١: ٦٣) إلى أبى بكر الخوارزمى، و ظنّ أنّه قالهما فى خاله الطبرى المؤرخ؛ و حققه محمّد باقر، و ذكر أن الأمر اشتبه على ياقوت. و انظر روضات الجنّات ٦٧٣.

غير تردد و لا- تدبر و هكذا كانت بيعه أبي بكر لأن الأمر لم يكن فيها شورى بين المسلمين و إنما وقعت بغته لم تمحص فيها الآراء و لم يتناظر فيها الرجال و كانت كالثشيء المستلب المنتهب و كان عمر يخاف أن يموت عن غير وصيه أو يقتل قتلا فيبايع أحد من المسلمين بغته كبيعته أبي بكر فخطب بما خطب به و قال معتذرا إلا أنه ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبي بكر .

و أيضا قول المرتضى قد يتفق (1) من ظهور فضل غير أبي بكر و خوف الفتنة مثل ما اتفق لأبي بكر فلا يستحق القتل فإن لقائل أن يقول إن عمر لم يخاطب بهذا إلا أهل عصره و كان هو رحمه الله يذهب إلى أنه ليس فيهم كأبي بكر و لا من يحتمل له أن يبايع فلتة كما احتمل ذلك لأبي بكر فإن اتفق أن يكون في عصر آخر بعد عصره من يظهر فضله و يكون في زمانه كأبي بكر في زمانه فهو غير داخل في نهى عمر و تحريمه.

و اعلم أن الشيعة لم تسلم لعمر أن بيعه أبي بكر كانت فلتة قال محمّد بن هانئ المغربي و لكن أمرا كان أبرم بينهم و إن قال قوم فلتة غير مبرم (2) .

و قال آخر زعموها فلتة فاجئه

٢٠٧

١٤- وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ أَيْضاً فِي (٣) التَّارِيخِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قُبِضَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ فِي سَيْقِيْفِهِ بَيْنِي سَاعِدَةَ وَ أَخْرَجُوا سَيْعِدَةَ بِنَ عُبَادَةَ لِيُوَلُّوهُ الْخِلَافَةَ وَ كَانَ

ص: ٣٧

١- ١) ب: «سبق»، تحريف صوابه من ج و الشافى.

٢- ٢) ديوانه ٦٨٩ (طبع المعارف).

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٣: ٢١٨ و ما بعدها مع اختصار و تصرف.

مَرِيضاً فَخَطَبَهُمْ وَ دَعَاهُمْ إِلَى إِعْطَائِهِ الرَّئَاسَةَ وَ الْخِلَافَةَ فَأَجَابُوهُ ثُمَّ تَرَادُوا الْكَلَامَ فَقَالُوا فَإِنَّ أَبِي الْمُهَاجِرُونَ وَ قَالُوا نَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَ عِثْرَتُهُ فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ نَقُولُ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْكُمْ أَمِيرٌ فَقَالَ سَيَعُدُّ فَهَذَا أَوَّلُ الْوَهْنِ وَ سَيَجْعَلُ عُمَرَ الْخَيْرَ فَأَتَى مَنْزِلَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ اخْرُجْ إِلَيَّ فَأَرْسَلَ أَنِّي مَشْغُولٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ اخْرُجْ فَقَدْ حَدَّثَ أَمْرٌ لَا بُدَّ أَنْ تَحْضُرَهُ فَخَرَجَ فَأَعْلَمَهُ الْخَيْرَ فَمَضَى مُسْرِعِينَ نَحْوَهُمْ وَ مَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَذَكَرَ قُرْبَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَ عِثْرَتُهُ ثُمَّ قَالَ نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَ أَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ لَا نَفْتَاتُ عَلَيْكُمْ بِمَشُورِهِ وَ لَا نَقْضِي دُونَكُمْ الْأُمُورَ.

فَقَامَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْدَرِ بْنِ الْجَمُوحِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ امْلِكُوا عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ فَإِنَّ النَّاسَ فِي ظِلِّكُمْ وَ لَنْ يَجْتَرِي مُجْتَرِيٌّ عَلَيَّ خِلَافِكُمْ وَ لَا يَصْدُرُ أَحَدٌ إِلَّا عَن رَأْيِكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْعِزَّةِ وَ الْمَنْعَةِ وَ أَوْلُو الْعَدَدِ وَ الْكَثْرَةِ وَ ذُوو النَّبَاسِ وَ النَّجْدِ وَ إِنَّمَا يَنْظُرُ النَّاسُ مَا تَصْعُقُونَ فَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَفْسُدَ عَلَيْكُمْ أُمُورُكُمْ فَإِنَّ أَبِي هُوَ لَأَبِي إِلَّا مَا سَمِعْتُمْ مِنَّا أَمِيرٌ وَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ.

فَقَالَ عُمَرُ هَيْهَاتَ لَا يَجْتَمِعُ سَيِّفَانِ فِي غَمِيدٍ وَ اللَّهُ لَا تَرْضَى الْعَرَبُ أَنْ تُؤَمَّرَكُمْ وَ نَبِيَّهَا مِنْ غَيْرِكُمْ وَ لَا تَمْتَنِعَ (١) الْعَرَبُ أَنْ تُوَلَّى أَمْرَهَا مَنْ كَانَتِ السُّبُوَّةُ مِنْهُمْ مَنْ يُنَازِعُنَا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ وَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُهُ وَ عَشِيرَتُهُ.

فَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْدَرِ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ امْلِكُوا أَيْدِيَكُمْ وَ لَا تَسِمِعُوا مَقَالَهَ هَذَا وَ أَصْحَابِهِ فَيَذْهَبُوا بِنَصِيْبِكُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنْ أَبَوْا عَلَيْكُمْ فَأَجْلُوهُمْ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ فَانْتُمْ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ بِأَسْيَافِكُمْ دَانَ النَّاسُ بِهَذَا الدِّينِ أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَ عُدَيْقُهَا الْمَرْجَبُ

ص: ٣٨

(١-١) كذا في ج و تاريخ الطبري، و في اب،: «تمنع».

أَنَا أَبُو شَيْبَلٍ فِي عَرِيْسِهِ الْأَسَدِ وَاللَّهِ إِنْ شِئْتُمْ لَنُعِيدَنَّهَا جَدْعَهُ.

فَقَالَ عُمَرُ إِذْ ذُنَّ يُقْتُلُكَ اللَّهُ قَالَ بَلْ إِيَّاكَ يُقْتَلُ.

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ إِنَّكُمْ أَوْلُ مَنْ نَصَرَ وَآزَرَ فَلَا تُكُونُوا أَوْلَ مَنْ بَدَلَ وَغَيَّرَ.

فَقَامَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَالْإِمْدُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ وَقَوْمُهُ أَوْلَى بِهِ وَ أَيْمُ اللَّهِ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَنَا زَعُومُهُمْ هَذَا الْأَمْرَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا عُمَرُ وَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَا بَعْثُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ فَقَالَ- وَاللَّهِ لَا- نَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ وَ أَنْتَ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ وَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي الصَّلَاةِ وَ هِيَ أَفْضَلُ الدِّينِ ابْسُطْ يَدَكَ فَلَمَّا بَسَطَ يَدَهُ لِيُبَايِعَاهُ سَبَقَهُمَا إِلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ فَبَايَعَهُ فَنَادَاهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْدَرِ يَا بَشِيرُ عَقَّقْتَ (١) عَقَاقِ أَنْفَسْتَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ الْإِمَارَةَ (٢).

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ (٣) رَيْسُ الْأَوْسِ لِأَصْحَابِهِ وَ اللَّهُ لَئِنْ لَمْ تُبَايِعُوا لَيَكُونَنَّ لِلْخَزْرَجِ عَلَيْكُمْ الْفَضِيلَةُ أَيْدًا فَقَامُوا فَبَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ فَانْكَسَرَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَ الْخَزْرَجِ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَ أَقْبَلَ النَّاسُ يُبَايِعُونَ أَبَا بَكْرٍ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ثُمَّ حَمِلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ إِلَى دَارِهِ فَبَقِيَ أَيَّامًا وَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ لِيُبَايِعَ فَقَالَ لَا وَ اللَّهُ حَتَّى أَرْمِيَكُمْ بِمَا فِي كِنَانَتِي وَ أَخْضَبَ سِنَانُ رُمُحِي وَ أَضْرَبَ بِسَيْفِي مَا أَطَاعَنِي وَ أَقَاتِلُكُمْ بِأَهْلِ بَيْتِي وَ مَنْ تَبِعَنِي وَ لَوْ اجْتَمَعَ مَعَكُمْ الْجِنُّ وَ الْإِنْسُ مَا بَايَعْتُكُمْ حَتَّى أُعْرَضَ عَلَيَّ رَبِّي.

فَقَالَ عُمَرُ لَا تَدْعُهُ حَتَّى يُبَايِعَ فَقَالَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ إِنَّهُ قَدْ لَجَّ وَ لَيْسَ بِمُبَايِعٍ لَكُمْ

ص: ٣٩

١- ١) عقاق: مبنية على الكسر، مثل حذام و في الطبري «عقتك عقاق».

٢- ٢) بعدها كما في التاريخ: «فقال: لا والله، ولكني كرهت أن أنزع قوما حقا جعله الله لهم».

٣- ٣) في الطبري: «و لما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد و ما تدعو إليه قريش؛ و ما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة؛ فقال بعضهم لبعض، و فيهم أسيد بن حضير...» ثم ذكر كلام أسيد.

حَتَّى يُقْتَلَ وَ لَيْسَ بِمَقْتُولٍ حَتَّى يُقْتَلَ مَعَهُ أَهْلُهُ وَ طَائِفَةٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَ لَا يَضُرُّكُمْ تَرْكُهُ إِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَرَكُوهُ.

وَ جَاءَتْ أَسْلَمُ فَبَايَعَتْ فَقَوَى بِهِمْ جَانِبَ أَبِي بَكْرٍ وَ بَايَعَهُ النَّاسُ.

وَ فِي كُتُبِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ فِي تَتِمَّةِ كَلَامِ عُمَرَ فَأَيُّمَا رَجُلٍ بَايَعَ رَجُلًا بَغَيْرِ مَشُورِهِ مِنَ النَّاسِ فَلَا يُؤَمَّرُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا تَغَرَّهُ أَنْ يُقْتَلَ

(١)

قالوا غرر تغريرا و تغره كما قالوا حلل تحليلا و تحله و علل تعليلا و تعله و انتصب تغره هاهنا لأنه مفعول له و معنى الكلام أنه إذا بايع واحد لآخر بغته عن غير شورى فلا يؤمر واحد منهما لأنهما قد غررا بأنفسهما تغره و عرضاهما لأن تقتلا.

٢٠٨

١٤- وَ رَوَى جَمِيعُ أَصْحَابِ السِّيَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص لَمَّا تُوفِّيَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ فِي مَنْزِلِهِ (٢) بِالسُّنْحِ فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُظْهَرَ دِينُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لِيُوجِعَنَّ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالِهِ وَ أَرْجُلَهُمْ مِمَّنْ أَرْجَفَ بِمَوْتِهِ لَا أَسْتَمِعُ رَجُلًا يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا ضَرْبَتُهُ بِسَيْفِي فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَ كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَالَ بِأَبِي وَ أُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَ مَيِّتًا وَ اللَّهُ لَا يُدْبِقُكَ اللَّهُ الْمُؤْتِنِينَ أَبَدًا ثُمَّ خَرَجَ وَ النَّاسُ حَوْلَ عُمَرَ وَ هُوَ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَ يَخْلِفُ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْخَالِفُ عَلَى رِسَالِكَ ثُمَّ قَالَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣) وَ قَالَ أَيْضًا مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ (٤) قَالَ عُمَرُ فَوَ اللَّهُ

ص: ٤٠

١-١) النهاية لابن الأثير ٣:١٥٦.

٢-٢) السنح؛ بالضم ثم السكون: إحدى محال المدينة؛ كان بها منزل أبي بكر؛ هي منازل بني الحارث ابن الخزرج بعو إلى المدينة.

٣-٣) سورة الزمر ٣٠.

٤-٤) سورة آل عمران ١٤٤.

مَا مَلَكَتْ نَفْسِي حَيْثُ سَمِعْتُهَا أَنْ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ وَ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ مَاتَ

و قد تكلمت الشيعة فى هذا الموضوع و قالوا إنه بلغ من قله علمه أنه لم يعلم أن الموت يجوز على رسول الله ص و أنه أسوه الأنبياء فى ذلك و قال لما تلا أبو بكر الآيات أيقنت الآن بوفاته كأننى (١) لم أسمع هذه الآية فلو كان يحفظ القرآن أو يتفكر فيه ما قال ذلك و من هذه حالة لا يجوز أن يكون إماما.

و أجب قاضى القضاة رحمه الله تعالى فى المغنى عن هذا فقال إن عمر لم يمنع من جواز موته ع و لا نفى كونه ممكنا و لكنه تأول فى ذلك قوله تعالى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ (٢) و قال كيف يموت و لم يظهر ص على الدين كله فقال أبو بكر إذا ظهر دينه فقد ظهر هو و سيظهر دينه بعد وفاته.

فحمل عمر قوله تعالى أَفَبِأَنْ مَّاتَ عَلَى تَأخِرِ الْمَوْتِ لَا عَلَى نَفْيِهِ بِالْكَلِمَةِ قَالَ وَلَا يَجِبُ فِيمَنْ ذَهَلَ عَنْ بَعْضِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ أَلَّا يَحْفَظَ الْقُرْآنَ لِأَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَوْجِبَ أَلَّا يَحْفَظَ الْقُرْآنَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ عَلَى أَنْ حَفِظَ جَمِيعَ الْقُرْآنِ غَيْرَ وَاجِبٍ وَ لَا يَقْدَحُ الْإِخْلَالَ بِهِ فِي الْفَضْلِ (٣) .

و اعترض المرتضى رحمه الله تعالى فى كتاب الشافى هذا الكلام فقال لا يخلو خلاف عمر فى وفاه رسول الله ص من أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كل حال و الاعتقاد أن (٤) الموت لا يجوز عليه على كل وجه أو يكون منكرا لموته فى

ص: ٤١

١-١) الشافى: «و كأنى».

٢-٢) سورة التوبة ٣٣.

٣-٣) نقله المرتضى فى الشافى ٢٥٢ ص مع اختلاف فى الروايتين.

٤-٤) ب: «لأن»، و الأصواب ما أثبتته من أ.

تلك الحال من حيث لم يظهر عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فَهُوَ مِمَّا لَا يَجُوزُ خِلَافَ عَاقِلٍ فِيهِ وَ الْعِلْمُ بِجَوَازِ الْمَوْتِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ ضَرُورِيٌّ وَ لَيْسَ يَحْتَاجُ فِي حُصُولِ هَذَا الْعِلْمِ إِلَى تَلَاوُهِ الْآيَاتِ الَّتِي تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ وَ إِنْ كَانَ الثَّانِي فَأَوَّلُ مَا فِيهِ أَنَّ هَذَا الْاِخْتِلَافَ لَا - يَلِيقُ بِمَا احْتَجَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّكَ مَيِّتٌ لِأَنَّ عَمْرَ لَمْ يَنْكُرْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ جَوَازَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ وَ صِحَّتَهُ وَ إِنَّمَا خَالَفَ فِي وَقْتِهِ فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ لِأَبِي بَكْرٍ وَ أَى حُجَّةٍ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى فَإِنِّي لَمْ أَمْنَعُ جَوَازَ مَوْتِهِ وَ إِنَّمَا مَنَعْتُ وَقُوعَ مَوْتِهِ الْآنَ وَ جَوَازَتَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَ الْآيَاتِ إِنَّمَا تَدَلُّ عَلَى جَوَازِ الْمَوْتِ فَقَطْ لَا عَلَى تَخْصِيصِهِ بِحَالٍ مَعِينِهِ.

و بعد فكيف دخلت هذه الشبهة البعيده على عمر من بين سائر الخلق و من أين زعم أنه سيعود فيقطع أيدي رجال و أرجلهم و كيف لم يحصل له من اليقين لما رأى من الواقعيه (١) و كآبه الخلق و إغلاق الباب و صراخ النساء ما يدفع به ذلك الوهم و الشبهة البعيده فلم يحتج إلى موقف.

و بعد فيجب إن كانت هذه شبهته أن يقول في مرض النبي ص و قد رأى جزع أهله و خوفهم عليه الموت و قول أسامه صاحب الجيش لم أكن لأرحل و أنت هكذا و أسأل عنك الركب يا هؤلاء لا تخافوا و لا تجزعوا و لا تخف أنت يا أسامه فإن رسول الله ص لا يموت الآن لأنه لم يظهر عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .

و بعد فليس هذا من أحكام الكتاب التي يعذر من لا يعرفها على ما ظنَّ المعتذر له (٢).

و نحن نقول إن عمر كان أجل قدرا من أن يعتقد ما ظهر عنه في هذه الوقعه

ص: ٤٢

١-١) الواقعيه: الصراخ على الميت.

٢-٢) الشافى ٢٥٢ مع اختصار و تصرف.

و لكنه لما علم أن رسول الله ص قد مات خاف من وقوع فتنه فى الإمامه و تقلب أقوام عليها إّما من الأنصار أو غيرهم و خاف أيضا من حدوث رده و رجوع عن الإسلام فإنه كان ضعيفا بعد لم يتمكن و خاف من ترات تشن و دماء تراق فإن أكثر العرب كان موتورا فى حياه رسول الله ص لقتل من قتل أصحابه منهم و فى مثل ذلك الحال تنتهز الفرصه و تهتبل الغره فاقتضت المصلحه عنده تسكين الناس بأن أظهر ما أظهره من كون رسول الله ص لم يمت و أوقع تلك الشبهه فى قلوبهم فكسر بها شره كثير منهم و ظنوها حقا فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه تخيلا منهم أن رسول الله ص ما مات و إنّما غاب كما غاب موسى عن قومه و هكذا كان عمر يقول لهم إنه قد غاب عنكم كما غاب موسى عن قومه و ليعودن فليقطعن أيدي قوم أرجفوا بموته.

و مثل هذا الكلام يقع فى الوهم فيصد عن كثير من العزم ألا ترى أن الملك إذا مات فى مدينه وقع فيها فى أكثر الأمر نهب و فساد و تحريق و كل من فى نفسه حقد على آخر بلغ منه غرضه إّما بقتل أو جرح أو نهب مال إلى أن تتمهد قاعده الملك الذى يلى بعده فإذا كان فى المدينه وزير حازم الرأى كتم موت الملك و سجن قوما ممن أرجف نداء بموته و أقام فيهم السياسه و أشاع أن الملك حى و أن أوامره و كتبه نافذه و لا يزال يلزم ذلك الناموس إلى أن يمهد قاعده الملك للوالى بعده و كذلك عمر أظهر ما أظهر حراسه للدين و الدوله إلى أن جاء أبو بكر و كان غائبا بالسنح و هو منزل بعيد عن المدينه فلما اجتمع بأبى بكر قوى به جأشه و اشتد به أزره و عظم طاعه الناس له و ميلهم إليه فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التى كان ادعاها لأنه قد أمن بحضور أبى بكر من خطب يحدث أو فساد يتجدد و كان أبو بكر محببا إلى الناس لا سيما المهاجرين .

و يجوز عند الشيعة و عند أصحابنا أيضا أن يقول الإنسان كلاما ظاهر الكذب على جهة المعارض فلا وصمه على عمر إذا كان حلف أن رسول الله ص لم يمت و لا وصمه عليه في قوله بعد حضور أبي بكر و تلاوه ما تلا كأتى لم أسمعها أو قد تيقنت الآن وفاته ص لأنه أراد بهذا القول الأخير تشييد القول الأوّل و كان هو الصواب و كان من سيئ الرأى و قبيحه أن يقول إنما قلته تسكينا لكم و لم أقله عن اعتقاد فالذى بدا به حسن و صواب و الذى ختم به أحسن و أصوب.

٢٠٩

١٤,١- وَ رَوَى أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحِوَهْرِيُّ فِي كِتَابِ السَّقِيفَةِ عَنْ عُمَرَ بْنِ شَبَّهٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ص قَدْ بَعَثَ أَبَا سَيْفِيَانَ سَاعِيًا (١) فَرَجَعَ مِنْ سِعَاتِيهِ وَ قَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَلَقِيَهُ قَوْمٌ فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا مَيِّتَ رَسُولُ اللَّهِ ص فَقَالَ مَنْ وُلِّيَ بَعْدَهُ قِيلَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَبُو فَصَّيْلٍ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَمَا فَعَلَ الْمُسْتَضْعَفَانِ عَلِيٌّ وَ الْعَبَّاسُ أَمَا وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَرْفَعَنَّ لَهُمَا مِنْ أَعْضَادِهِمَا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ ذَكَرَ الزَّوَايَ وَ هُوَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ أَبَا سَيْفِيَانَ قَالَ شَيْئًا آخَرَ لَمْ تَحْفَظْهُ الزُّوَاهُ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ قَالَ إِنِّي لَأَرَى عَجَاجَهُ لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا الدَّمُّ قَالَ فَكَلَّمَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ إِنَّ أَبَا سَيْفِيَانَ قَدْ قَدِمَ وَ إِنَّا لَا نَأْمَنُ شَرَّهُ فَدَعَّ لَهُ مَا فِي يَدِهِ فَتَرَكَهُ فَرَضِي

٢١٠

وَ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ أَبَا سَيْفِيَانَ قَالَ لَمَّا بُوِيعَ عُثْمَانُ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي تَيْمٍ وَ أَنِّي لَتَيْمٍ هَذَا الْأَمْرُ ثُمَّ صَارَ إِلَيَّ عَدِيٌّ فَأَبْعُدُ وَ أَبْعُدُ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيَّ مَنَازِلَهَا وَ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ قَرَارَهُ فَتَلَقَّفُوهَا تَلَقَّفَ الْكُرْهَ.

ص: ٤٤

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ حَدَّثَنِي الْمَغْبِرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ قَالَ ذَاكَرْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ الْقَاضِي بِهَذَا الْحَدِيثِ وَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لِعُثْمَانَ بِأَبِي أَنْتَ أَنْفَقَ وَ لَا تَكُنْ كَأَبِي حُجْرٍ وَ تَدَاوُلُوهَا يَا بِنِي أُمَّيَّةَ تَدَاوُلَ الْوَلَدَانَ الْكُفْرَةَ فَوَ اللَّهُ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَ لَا نَارٍ وَ كَمَا أَنَّ الزُّبَيْرُ حَاضِرًا فَقَالَ عُثْمَانُ لِأَبِي سُفْيَانَ اعْزُبْ فَقَالَ يَا بِنِي أَهَاهُنَا أَحَدٌ قَالَ الزُّبَيْرُ نَعَمْ وَ اللَّهُ لَا كَتَمْتَهَا عَلَيْكَ. قَالَ فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ هَذَا بَاطِلٌ قُلْتُ وَ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ مَا أَنْكَرَ هَذَا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ وَ لَكِنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ سَمِعَهُ عُثْمَانَ وَ لَمْ يَضْرِبْ عُنُقَهُ.

٢١١

١- وَ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ وَ لَيْتُمْ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرَ أَذَلَّ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ أَمَا وَ اللَّهُ لَئِنْ شِئْتُ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيَّ أَبِي فَصَبِيْلٌ خَيْلًا وَ رَجُلًا فَقَالَ عَلِيٌّ ع طَالَ مَا عَشَشْتَ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلُهُ فَمَا ضَرَرَتْهُمْ شَيْئًا لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى خَيْلِكَ وَ رَجُلِكَ لَوْ لَا أَنَا رَأَيْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلًا لَمَا تَرَكْنَاهُ .

٢١٢

١٥،١- وَ رَوَى أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ لَمَّا بُوِيعَ لِأَبِي بَكْرٍ كَانَ الزُّبَيْرُ وَ الْمِقْدَادُ يَخْتَلِفَانِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى عَلِيٍّ وَ هُوَ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ فَيَتَشَاوَرُونَ وَ يَتَرَاوَعُونَ أُمُورَهُمْ فَخَرَجَ عُمَرُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيَّ فَاطِمَةَ ع وَ قَالَ يَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِيكَ وَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْكَ بَعْدَ أَبِيكَ وَ أَيُّمَ اللَّهُ مَا ذَاكَ بِمَانِعِي إِنْ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ عِنْدَكَ أَنْ أَمَرَ بِتَحْرِيقِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا خَرَجَ عُمَرُ جَاءُوهَا فَقَالَتْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَرَ جَاءَنِي وَ حَلَفَ لِي بِاللَّهِ إِنْ عُدْتُمْ لِيُحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ الْبَيْتَ وَ أَيُّمَ اللَّهُ لِيَمْضِينَ لِمَا حَلَفَ لَهُ فَأَنْصَرِفُوا عَنَّا رَاشِدِينَ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَيَّ بِبَيْتِهَا وَ ذَهَبُوا فَبَايَعُوا لِأَبِي بَكْرٍ

٢١٣

١٥- وَ رَوَى أَحْمَدُ وَ رَوَى الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ صَدَرَ هَذَا الْخَبَرِ (١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ص: ٤٥

١- (١) وَ الْخَبَرُ أَيْضًا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ: (٣: ٢٣٤) وَ مَا بَعْدَهَا.

بْنِ عَوْفٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ أَعُوذُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَسَلَّمْتُ وَ سَأَلْتُهُ كَيْفَ بِهِ فَاسْتَوَى جَالِسًا فَقُلْتُ لَقَدْ أَصِيبَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِئًا فَقَالَ أَمَا إِنِّي عَلَى مَا تَرَى لَوْجِعٌ وَ جَعَلْتُمْ لِي مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ شُغْلًا مَعَ وَجَعِي وَ جَعَلْتُمْ لَكُمْ عَهْدًا مِنِّي مِنْ بَعْدِي وَ اخْتَرْتُ لَكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي فَكُلُّكُمْ وَرِمَ (١) لِذَلِكَ أَنْفُهُ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ لَهُ وَ رَأَيْتُمُ الدُّنْيَا قَدْ أَقْبَلَتْ وَ اللَّهُ لَتَتَّخِذَنَّ سُتُورَ الْحَرِيرِ وَ نَضَائِدَ الدِّيَابِجِ (٢) وَ تَأَلَّمُونَ ضَجَائِعَ الصُّوفِ الْأَذْرَبِيِّ (٣) كَمَا أَنَّ أَحَدَكُمْ عَلَى حَسَبِكِ (٤) السَّعِيدَانَ وَ اللَّهُ لَأَنْ يُقَدَّمَ أَحَدُكُمْ فَتَضْرِبَ عُقُقَهُ فِي غَيْرِ حَدِّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْبَحَ فِي عَمْرِهِ الدُّنْيَا وَ إِنَّكُمْ غَدًا لَأَوَّلُ ضَالِّ بِالنَّاسِ يَجُورُونَ عَنِ الطَّرِيقِ يَمِينًا وَ شِمَالًا- يَا هَادِيَ الطَّرِيقِ جُرْتُ إِنَّمَا هُوَ الْبَجْرُ أَوْ الْفَجْرُ (٥) فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا تُكْتَبُ عَلَيَّ مَا بِكَ فِيهِضُكَ (٦) وَ اللَّهُ مَا أَرَدْتُ إِلَّا خَيْرًا (٧) وَ إِنَّ صَاحِبَيْكَ لَعَدُو خَيْرٍ وَ مَيَا النَّاسِ إِلَّا رَجُلَانِ رَجُلٌ رَأَى مَا رَأَيْتُ فَلَا خِلَافَ عَلَيْكَ مِنْهُ وَ رَجُلٌ رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ وَ إِنَّمَا يُشِيرُ عَلَيْكَ بِرَأْيِهِ فَسَيَكُنْ وَ سَيَكْتُ هُنَيْهَةً فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَا أَرَى بِكَ بَأْسًا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الدُّنْيَا فَوَ اللَّهُ إِنْ عَلِمْنَاكَ إِلَّا صَالِحًا مُصْلِحًا فَقَالَ أَمَا إِنِّي لَا آسِي إِلَّا عَلَى ثَلَاثٍ فَعَلْتُهُنَّ وَ دِدْتُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْهُنَّ وَ ثَلَاثٌ لَمْ أَفْعَلْهُنَّ وَ دِدْتُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْهُنَّ وَ ثَلَاثٌ لَمْ أَفْعَلْهُنَّ فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي فَعَلْتُهُنَّ وَ دِدْتُ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْهُنَّ فَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ كَشَفْتُ

ص: ٤٦

- ١-١) ورم أنفه: أى امتلأ من ذلك غضبا.
- ٢-٢) نضائد الديباج: واحدتها نضيدة؛ وهى الوساده و ما ينضد من المتاع.
- ٣-٣) الأذربى: منسوب إلى أذربيجان.
- ٤-٤) السعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه.
- ٥-٥) قال فى الكامل: «و قوله: و الله هو الفجر أو البجر، يقول: إن انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك، و إن خبطت الظلماء و ركبت العشواء هجما بك على المكروه».
- ٦-٦) يهيضك: أى يعتك و يؤذيك؛ و أصله فى العظم إذا كسر بعد الجبور؛ فإنه يكون أشد وجعا.
- ٧-٧) هذه آخر روايه المبرد- مع تصرف كثير فى العبارة- فى الكامل ٥٥، ٥٤:١- بشرح المرصفى.

عَنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ وَ تَرَكَتُهُ وَ لَوْ أَغْلِقَ عَلَى حَرْبٍ وَ وَدِدْتُ أَنِّي يَوْمَ سَقَيْفِهِ بَيْنِي سَاعِدَهُ كُنْتُ قَدَفْتُ الْأَمْرَ فِي عُنُقِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ عُمَرَ أَوْ أَبِي عُبَيْدَةَ فَكَانَ أَمِيرًا وَ كُنْتُ وَزِيرًا وَ وَدِدْتُ أَنِّي إِذْ أُتَيْتُ بِالْفَجَاءِ (١) لَمْ أَكُنْ أَحْرَقْتَهُ وَ كُنْتُ قَتَلْتُهُ بِالْحَدِيدِ أَوْ أَطَلَقْتُهُ.

وَ أَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي تَرَكَتُهَا وَ وَدِدْتُ أَنِّي فَعَلْتُهَا فَوَدِدْتُ أَنِّي يَوْمَ أُتَيْتُ بِاللَّشْعَثِ كُنْتُ ضَرَبْتُ عَنْقَهُ فَإِنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يَرَى شَرًّا إِلَّا أَعَانَ عَلَيْهِ وَ وَدِدْتُ أَنِّي حَيْثُ وَجَّهْتُ خَالِدًا إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ أَقَمْتُ بِذِي الْقَصَبِ فَإِنْ ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ وَ إِلَّا كُنْتُ رِذَاءَ لَهُمْ وَ وَدِدْتُ حَيْثُ وَجَّهْتُ خَالِدًا إِلَى الشَّامِ كُنْتُ وَجَّهْتُ عُمَرَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَكُونَ قَدْ بَسَطْتُ كِلْتَا يَدَيَّ الْيَمِينَ وَ الشَّمَالَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَ أَمَّا الثَّلَاثُ اللَّوَاتِي وَ دِدْتُ أَنِّي كُنْتُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص عَنْهُنَّ فَوَدِدْتُ أَنِّي سَأَلْتُهُ فِيمَنْ هَذَا الْأَمْرُ فَكُنَّا لَا نُنَازِعُهُ أَهْلَهُ [وَ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ سَأَلْتُهُ هَلْ لِلنَّصَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصِيبٌ]

(٢) وَ وَدِدْتُ أَنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ مِيرَاثِ الْعَمَّةِ وَ ابْنَةِ الْأُخْتِ فَإِنَّ فِي نَفْسِي مِنْهُمَا حَاجَةٌ

٢١٤

١،١٥،٢،٣- وَ مِنْ كِتَابِ مُعَاوِيَةَ الْمُشْهُورِ إِلَى عَلِيٍّ ع وَ أَعْتَمِدُكَ أَمْسَ تَحْمِلُ قَعِيدَةَ بَيْتِكَ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ وَ يَدَاكَ فِي يَدَيَّ ابْنَيْكَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ يَوْمَ بُوَيْعِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ فَلَمْ تَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَ السَّوَابِقِ إِلَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَى نَفْسِكَ وَ مَشَيْتَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرَاتِكَ وَ أَذَلَيْتَ إِلَيْهِمْ بِابْنَيْكَ وَ اسْتَنْصَرْتَهُمْ عَلَى صِيَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يُجِبْكَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَهُ أَوْ خَمْسَهُ وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنْتُ مُحِقًّا لَأَجَابُوكَ وَ لَكِنَّكَ أَدْعَيْتَ بَاطِلًا وَ قُلْتَ مَا لَا تَعْرِفُ وَ رُمْتَ مَا لَا يُدْرِكُ وَ مَهْمَا نَسَيْتَ فَلَا أَنْسِي قَوْلَكَ لِأَبِي سَيْفِيَانِ لَمَّا حَرَّكَكَ وَ هَيَّجَكَ لَوْ وَجِدْتُ أَرْبَعِينَ ذَوِي عَزْمٍ مِنْهُمْ لَنَاهَضْتُ الْقَوْمَ فَمَا يَوْمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِوَاحِدٍ وَ لَا بَعِيكَ عَلَى الْخُلَفَاءِ بِطَرِيفٍ وَ لَا مُسْتَبَدِعٍ

ص: ٤٧

١- ١) هو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل السلمى، و كان قد استعرض الناس يقتلهم و يأخذ أموالهم، فأمر أبو بكر بإحراقه. و انظر

تفصيل الخبر فى الطبرى ٣: ٢٣٤.

٢- ٢) زياده من الطبرى يقتضيهما السياق.

١- وَ رَوَى أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ وَ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَ عَلِيٍّ مُبَاعَدَةٌ فَلَقِيَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلِيًّا فَقَالَ إِنْ كَانَ لَكَ فِي النَّظَرِ إِلَيَّ عَمَّكَ حَاجَةٌ فَأْتِهِ وَ مَا أَرَاكَ تَلْقَاهُ بَعْدَهَا فَوَجَمَ (١) لَهَا وَ قَالَ تَقَدَّمَنِي وَ اسْتَأْذِنَ فَتَقَدَّمْتُهُ وَ اسْتَأْذِنْتُ لَهُ فَأَذِنَ فَدَخَلَ فَاعْتَنَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَ أَقْبَلَ عَلِيًّا عَ عَلَى يَدِهِ وَ رَجَلِهِ يُقْبَلُهُمَا وَ يَقُولُ يَا عَمُّ ارْضِ عَنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ قَالَ قَدْ رَضِيْتُ عَنْكَ.

ثُمَّ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي قَدْ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِأَشْيَاءِ ثَلَاثَةٍ فَلَمْ تَقْبَلْ وَ رَأَيْتَ فِي عَاقِبَتِهَا مَا كَرِهْتَ وَ هَا أَنَا ذَا أُشِيرُ عَلَيْكَ بِرَأْيٍ رَابِعٍ فَإِنْ قَبِلْتَهُ وَ إِلَّا نَالَكَ مَا نَالَكَ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ قَالَ وَ مَا ذَاكَ يَا عَمُّ قَالَ أَشْرْتُ عَلَيْكَ فِي مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ص أَنْ تَسْأَلَهُ فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِينَا أَعْطَانَاهُ وَ إِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا أَوْصَى بِنَا فَقُلْتُ أَخْشَى إِنْ مَنَعَنَاهُ لَا يُعْطِينَاهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ (٢) فَمَضَتْ تِلْكَ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص أَتَانَا أَبُو سَيْفِيَانُ بْنُ حَزْبٍ تِلْكَ السَّاعَةَ فَدَعَوْنَاكَ إِلَيَّ أَنْ تُبَايِعَكَ وَ قُلْتُ لَكَ ابْسُطْ يَدَكَ أَبَايِعَكَ وَ يُبَايِعُكَ هَذَا الشَّيْخُ فَإِنَّا إِنْ بَايَعْنَاكَ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَ إِذَا بَايَعَكَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ أَحَدٌ (٣) مِنْ قُرَيْشٍ وَ إِذَا بَايَعْتَكَ قُرَيْشٌ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَنَا بِجَهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ص شُغْلٌ وَ هَذَا الْأَمْرُ فَلَيْسَ نَخْشَى عَلَيْهِ فَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ سَمِعْنَا التَّكْبِيرَ مِنْ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقُلْتُ يَا عَمُّ مَا هَذَا قُلْتُ مَا دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ فَأَبَيْتَ قُلْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ يَكُونُ هَذَا قُلْتَ نَعَمْ قُلْتَ أَفَلَا يَرُدُّ قُلْتَ لِمَكَ وَ هَيْلٌ رَدٌّ مِثْلُ هَذَا قَطُّ ثُمَّ أَشْرْتُ عَلَيْكَ حِينَ طَعَنَ عُمَرُ فَقُلْتُ لَا تَدْخُلْ نَفْسِيكَ فِي الشُّورَى فَإِنَّكَ إِنْ اعْتَرَلْتَهُمْ قَدَّمُوكَ وَ إِنْ سَاوَيْتَهُمْ تَقَدَّمُوكَ فَدَخَلْتَ مَعَهُمْ فَكَانَ مَا رَأَيْتَ

ص: ٤٨

١-١ (١) ساقطه من ب.

١-٢ (١) ساقطه من ب.

ثُمَّ أَنَا الْآنَ أَشَدُّ بِرَأْيِ رَابِعٍ فَإِنْ قَبِلْتَهُ وَإِلَّا نَالَكَ مَا نَالَكَ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ إِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَغْنِي عُثْمَانَ قَدْ أَخَذَ فِي
 أُمُورٍ وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِالْعَرَبِ قَدْ سَارَتْ إِلَيْهِ حَتَّى يُنْحَرَ فِي بَيْتِهِ كَمَا يُنْحَرُ الْجَمَلُ وَاللَّهُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَ أَنْتَ بِالْمَدِينَةِ أَلْزَمَكَ النَّاسُ
 بِهِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ لَمْ تَنْلِ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ شَرِّ لَا خَيْرَ مَعَهُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجَمَلِ عَرَضَتْ لَهُ وَقَدْ
 قَتَلَ طَلْحَةَ وَقَدْ أَكْثَرَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي سَبِّهِ وَغَمَصِهِ فَقَالَ عَلِيُّ عَ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قَالُوا ذَلِكَ لَقَدْ كَانَ كَمَا قَالَ أَخُو جَعْفَرِي (١) فَتَنِي
 كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَتَعْنَى وَيُعِدُّهُ الْفَقْرُ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَمِّي كَانَ يَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَفِيقِي وَاللَّهُ مَا نِلْتُ
 مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ شَرِّ لَا خَيْرَ مَعَهُ

٢١٦

١- وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ حِيَابِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ الْمُغِيرَةِ أَنَّ سَلْمَانَ وَ الزُّبَيْرِ وَالْأَنْصَارِ كَانَ هَوَاهُمْ أَنْ
 يُبَايَعُوا عَلِيًّا بَعْدَ النَّبِيِّ ص فَلَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ سَلْمَانُ أَصَبْتُمْ الْخَبْرَةَ وَ أَخْطَأْتُمْ الْمَعْدِنَ

٢١٧

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهَ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ قَالَ
 سَلْمَانُ يَوْمَئِذٍ أَصَبْتُمْ ذَا السِّنِّ مِنْكُمْ وَ أَخْطَأْتُمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لَوْ جَعَلْتُمُوهَا فِيهِمْ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ وَ لَأَكَلْتُمُوهَا رَغَدًا.

٢١٨

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّهَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا عَسَانُ

ص: ٤٩

(١- ١) هو سلمه بن يزيد بن مشجعه الجعفي، من كلمه له يرثي فيها أخاه لأمه قيس بن سلمه. أمالي القالي ٢: ٧٣.

بُنْ عَبِيدِ الْحَمِيدِ قَالَ لَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي تَخَلْفِ عَلِيٍّ عَ عَنْ بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ وَ اشْتَدَّ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ خَرَجَتْ أُمُّ مَسِيحٍ
بُنْ أَثَاثَهُ فَوَقَفَتْ عِنْدَ الْقَبْرِ وَ قَالَتْ كَانَتْ أُمُورٌ وَ أَبْنَاءٌ وَ هُنْبَيْتُهُ

٢١٩

١١٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهَ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْدَرِ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ لَهِيْعَةَ
عَنْ أَبِي الْمَسُودِ قَالَ غَضِبَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ بِغَيْرِ مَشُورِهِ وَ غَضِبَ عَلِيٌّ وَ الزُّبَيْرُ فَدَخَلَا بَيْتَ فَاطِمَةَ عَ مَعَهُمَا
السَّلَاحُ فَجَاءَ عُمَرُ فِي عِصَابِهِ مِنْهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ وَ هُمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَصَاحَتْ فَاطِمَةُ عَ وَ
نَاشَدَتْهُمُ اللَّهُ فَأَخَذُوا سَيْفِي عَلِيٍّ وَ الزُّبَيْرِ فَضَرَبُوا بِهِمَا الْجِدَارَ حَتَّى كَسَرُوهُمَا ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا عُمَرُ يَسُوقُهُمَا حَتَّى بَايَعَا ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ
فَخَطَبَ النَّاسَ وَ اعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ وَ قَالَ إِنَّ بَيْعِي كَانَتْ فَلَئِنَّ وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا وَ خَشِيتُ الْفِتْنَةَ وَ أَيُّمُ اللَّهُ مَا حَرَضْتُ عَلَيْهَا يَوْمًا قَطُّ وَ لَقَدْ
قُلِدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ طَاقَةٌ وَ لَا يَدَانِ وَ لَوِ دِدْتُ أَنْ أَقْوَى النَّاسَ عَلَيْهِ مَكَانِي وَ جَعَلَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ عُذْرَهُ وَ قَالَ
عَلِيٌّ وَ الزُّبَيْرُ مَا غَضِبْنَا إِلَّا فِي الْمَشُورَةِ وَ إِنَّا لَنَرَى أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ وَ إِنَّا لَنَعْرِفُ لَهُ سِنَّتَهُ وَ لَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَ هُوَ حَتَّى

٢٢٠

١٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ قَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ ذَكَرَهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ كَانَ مَعَ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ حَضَرُوا مَعَ عُمَرَ فِي بَيْتِ
فَاطِمَةَ عَ وَ ثَابِتٌ هَذَا أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ .

ص: ٥٠

١٤،١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيَّ عَ عَلَى النَّاسِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي مَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَا أَبَا حَسَنِ قَالَ أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَارِتًا قَالَ فَأَخَذَ الْعَبَّاسُ بِيَدِ عَلِيٍّ ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ أَنْتَ عَبْدُ الْعَصَا بَعْدَ ثَلَاثِ أَخْلَافٍ لَقَدْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ فِي وَجْهِهِ وَ إِنِّي لَمَأْغِرُفُ الْمَوْتِ فِي وَجْهِهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَانْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص فَادْكُرْ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ إِنْ كَانَ فِيْنَا أَعْلَمْنَا وَ إِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا أَوْصَى بِنَا فَقَالَ لَا أَفْعَلُ وَ اللَّهُ إِنْ مَنَعَنَاهُ الْيَوْمَ لَا يُؤْتِينَاهُ النَّاسُ بَعْدَهُ قَالَ فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ

١٤،١- وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنِي الْمُغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ حِفْظِهِ وَ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ مِنْ كِتَابِهِ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَمْرٍاءَ يَقُولُ لَمْ أَزَلْ لِبَنِي هَاشِمٍ مُحِبًّا فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص تَخَوَّفْتُ أَنْ تَتَمَلَّأَ قُرَيْشٌ عَلَيَّ إِخْرَاجَ هَذَا الْأَمْرِ عَنْ بَنِي هَاشِمٍ فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الْوَالَةَ الْعَجُولَ.

ثُمَّ ذَكَرَ مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ نَحْنُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ (١) فِي شَرْحِ قَوْلِهِ عَ أَمَّا وَ اللَّهُ لَقَدْ تَقَمَّصَ بِهَا فُلَانٌ وَ زَادَ فِيهِ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ فَمَكَّنْتُ أَكَابِدُ مَا فِي نَفْسِي فَلَمَّا كَانَ بِلَيْلٍ خَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمَّا صَرَوْتُ فِيهِ تَذَكَّرْتُ أَنِّي كُنْتُ أَسْمِعُ هَمَّهُمَ رَسُولِ اللَّهِ ص بِالْقُرْآنِ فَاثْتَنَعْتُ مِنْ مَكَانِي فَخَرَجْتُ إِلَى الْفَضَاءِ فَضَاءِ بَنِي بِيَاضَةَ وَ أَجِدُ نَفْرًا يَتَنَاجُونَ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُمْ سَكَتُوا فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُمْ فَعَرَفُونِي وَ مَا أَعْرَفُهُمْ فَدَعَوْنِي إِلَيْهِمْ فَأَتَيْتُهُمْ فَأَجِدُ الْمَقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ وَ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَ سَيْلَمَانَ الْفَارِسِيَّ وَ أَبَا ذَرٍّ وَ حُدَيْفَةَ وَ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنَ التَّيْهَانِ وَ إِذَا حُدَيْفَةُ يَقُولُ لَهُمْ وَ اللَّهُ لَيَكُونَنَّ مَا أَخْبَرْتُكُمْ

بِهِ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كَذَبْتُ وَإِذَا الْقَوْمُ يُرِيدُونَ أَنْ يُعِيدُوا الْأَمْرَ سُورَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ .

ثُمَّ قَالَ اتَّبُوا أَبِي بْنَ كَعْبٍ فَقَدْ عَلِمَ كَمَا عَلِمْتُ قَالَ فَاذْهَبْنَا إِلَى أَبِي فَصَدَرْنَا عَلَيْهِ بَابُهُ حَتَّى صَارَ خَلْفَ الْبَابِ فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ فَكَلَّمَهُ الْمِقْدَادُ فَقَالَ مَا حَاجَتُكُمْ فَقَالَ لَهُ افْتَحْ (١) عَلَيْكَ بَابَكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُجْرَى مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ قَالَ مَا أَنَا بِفَاتِحِ بَابِي وَقَدْ عَرَفْتُ مَا جِئْتُمْ لَهُ كَأَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ النَّظَرَ فِي هَذَا الْعَقْدِ فَقُلْنَا نَعَمْ فَقَالَ أَيْكُمْ حُذِنْفَهَ فَقُلْنَا نَعَمْ قَالَ فَالْقَوْلُ مَا قَالَ وَاللَّهِ مَا أَفْتَحُ عَنِّي بَابِي حَتَّى يُجْرَى عَلَى مَا هِيَ جَارِيَةٌ وَلَمَّا يَكُونُ بَعْدَهَا شَرٌّ مِنْهَا وَإِلَى اللَّهِ الْمُسْتَكِي .

قَالَ وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَرْسَلَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ فَسَأَلَاهُمَا عَنِ الرَّأْيِ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ أَنْ تَلْقُوا الْعَبَّاسَ فَتَجْعَلُوا لَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ نَصَبًا فَيَكُونَ لَهُ وَلِعَقْبِهِ فَتَقْطَعُوا بِهِ مِنْ نَاحِيَةِ عَلِيٍّ وَيَكُونَ لَكُمْ حُجَّةٌ عِنْدَ النَّاسِ عَلَى عَلِيٍّ إِذَا مَالَ مَعَكُمْ الْعَبَّاسُ فَانْطَلِقُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى الْعَبَّاسِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ص

. ثم ذكر خطبه أبي بكر و كلام عمر و ما أجابهما العباس به و قد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب فى الجزء الأول

٢٢٣

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ لَمَّا تُوفِّيَ النَّبِيُّ ص اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَقَالَ الْحُبَابُ

ص: ٥٢

(١ - ١) ب: «ما يفتح».

بْنِ الْمُؤَدِّرِ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُنْفُسُ (١) هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ وَ لَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَلِيَهُ بَعْدَكُمْ مَنْ قَتَلْنَا أَبْنَاءَهُمْ وَ آيَاءَهُمْ وَ إِخْوَانَهُمْ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ قُمْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ فَتَكَلَّمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَ أَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ وَ الْأَمْرُ بَيْنَنَا نِصْفَانِ كَشِيقِ الْأُبْلَمَةِ (٢) فَبُيْعَ وَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ بِشِيرُ بْنُ سَعْدٍ وَ الدُّ النَّعْمَانِ بْنِ بِشِيرٍ .

فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ قَسَمَ قَسِمًا (٣) بَيْنَ نِسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فَبَعَثَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ قَسِيمًا مَعَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالَتْ مَا هَذَا قَالَ قَسَمَ قَسِمَهُ أَبُو بَكْرٍ لِلنِّسَاءِ قَالَتْ أ تُرَاشُونِي عَنْ دِينِي وَ لِلَّهِ لَا أَقْبَلُ مِنْهُ شَيْئًا فَرَدَّتْهُ عَلَيْهِ .

قلت قرأت هذا الخبر على أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي الحسيني المعروف بابن أبي زيد نقيب البصره رحمه الله تعالى في سنه عشر و ستمائه من كتاب السقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال لقد صدقت فراسه الحباب فإن الذى خافه وقع يوم الحره و أخذ من الأنصار ثأر المشركين يوم بدر ثم قال لى رحمه الله تعالى و من هذا خاف أيضا رسول الله ص على ذريته و أهله فإنه كان ع قد وتر الناس و علم أنه إن مات و ترك ابنته و ولدها سوقه و رعيه تحت أيدي الولاه كانوا بعرض خطر عظيم فما زال يقرر لابن عمه قاعده الأمر بعده حفظا لدمه و دماء أهل بيته فإنهم إذا كانوا و لاه الأمر كانت دماؤهم أقرب إلى الصيانه و العصمه ممّا إذا كانوا سوقه تحت يد وال من غيرهم فلم يساعده القضاء و القدر و كان من الأمر ما كان ثم أفضى أمر ذريته فيما بعد إلى ما قد علمت .

ص: ٥٣

(١ - ١) نفس: نحسد.

(٢ - ٢) فى اللسان: (١٤:٣٢٠) و فى حديث السقيفه: «الأمر بيننا و بينكم كقعد الأيلمه»، و الأيلمه، بضم الهمزة و اللام و فتحهما و كسرهما: خوصه المقل، و همزتها زائده، يقول: نحن و إياكم فى الحكم سواء، لا فضل لأمير على مأمور، كالخوصه إذا شقت اثنتين متساويتين .

(٣ - ٣) القسم هنا: العطاء.

١٤,١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ قُلْتُ لِهَذَا بِنِ شُرْحَيْبِلَ إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَوْصَى إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَمَّرُ عَلَى وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَدَّ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ وَجِدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ عَهْدًا فَخُزِمَ أَنْفُهُ

قلت

٢٢٥

١٤- هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ خَرَّجَهُ الشَّيْخَانِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيُّ فِي صِيحِيهِمَا عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى أَوْصَى (١) رَسُولَ اللَّهِ صَ قَالَ لَا قُلْتُ فَكَيْفَ كَتَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةَ (٢) أَوْ كَيْفَ أَمَرَ بِالْوَصِيَّةِ وَ لَمْ يُوصِ قَالَ (٣) أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ (٤) قَالَ طَلْحَةُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَوْفَى مَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَمَّرُ عَلَى وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَدَّ أَبُو بَكْرٍ أَنَّهُ وَجِدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَ عَهْدًا فَخُزِمَ أَنْفُهُ بِخِزَامِهِ

٢٢٦

١٤- وَ رَوَى الشَّيْخَانِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا ذَكَرَتْ عِنْدَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ أَوْصَى قَالَتْ وَ مَتَى أَوْصَى وَ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ قِيلَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ قَالَتْ مَنْ يَقُولُهُ لَقَدْ دَعَا بِطَسْتٍ لِيُبُولَ وَ إِنَّهُ بَيْنَ سَحْرَى وَ نَحْرَى فَانْخَنَثَ (٥) فِي صَدْرِي فَمَاتَ وَ مَا شَعَرْتُ

(٦)

٢٢٧

١٤- وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا خَرَّجَاهُ مَعًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ الْخَمِيسِ وَ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَيَّلَ دَمْعُهُ الْخَصِيَّ فَقُلْنَا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَ مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ

ص: ٥٤

١- (١) لفظ مسلم: «هل أوصى؟».

٢- (٢) لفظ مسلم: «فلم كتب على المسلمين الوصية؟».

٣-٣) لفظ مسلم: «أو فلم أمروا بالوصيه؟».

٣-٤) صحيح مسلم ١٢٥٦:٣.

٥-٥) انخث: مال و سقط.

٦-٦) لفظ مسلم ١٢٥٧:٣ بسنده عن الأسود بن يزيد: «ذكروا عند عائشه أن عليا كان وصيا، فقالت: متي أوصى إليه؟ فقد كنت مسنده إلى صدرى-أو قالت حجرى-فدعا بالطست، فلقد انخث في حجرى، و ما شعرت أنه مات، فمتي أوصى إليه؟».

قَالَ اشْتَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ص وَجَعُهُ فَقَالَ ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُهُ لَكُمْ (١) لَا تَضَعُوا بَعْدِي أَيْدَاءً فَتَنَازَعُوا فَقَالَ إِنَّهُ لَا يَبْتَغِي عِنْدِي تَنَازُعَ
فَقَالَ قَاتِلْ مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهَمُوهُ فَذَهَبُوا يُعِيدُونَ عَلَيْهِ فَقَالَ دَعُونِي وَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ ثُمَّ أَمَرَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ
فَقَالَ أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَاجْبُزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِزُهُمْ وَ سَيِّئِلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ الثَّالِثَةِ فَقَالَ إِمَّا أَلَّا يَكُونَ
تَكَلَّمَ بِهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَالَهَا فَنَسِيَتْ

(٢)

٢٢٨

١٤- وَ فِي الصَّحِيحِينَ أَيْضًا خَرَجَاهُ مَعًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَمَّا اخْتَصِرَ (٣) رَسُولُ اللَّهِ ص وَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ مِنْهُمْ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ النَّبِيُّ ص هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضَعُوا بَعْدِي بَعْدَهُ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَ عِنْدَكُمْ
الْقُرْآنُ حَسْبُ بِنَا كِتَابُ اللَّهِ فَاخْتَلَفَ الْقَوْمُ وَ اخْتَصِمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا إِلَيْهِ يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضَعُوا بَعْدَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ
الْقَوْلُ مَا قَالَهُ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَ الْإِخْتِلَافَ عِنْدَهُ ع قَالَ لَهُمْ قَوْمُوا فَقَامُوا فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ
بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ بَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَكُمْ (٤) ذَلِكَ الْكِتَابَ

(٥)

٢٢٩

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ وَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُعَاذٍ عَنِ ابْنِ
عَوْنٍ قَالَ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ زُرَيْقٍ

ص: ٥٥

١- ١) لفظ مسلم: «ائتوني أكتب لكم كتابا».

٢- ٢) لفظ مسلم: «قال: و سكت عن الثالثة أو قال: فأنسيتهما»، و الحديث في صحيحه ٣: ١٢٥٧-١٢٥٨.

٣- ٣) لفظ مسلم: «حضر»، و هما بمعنى حضره الموت.

٤- ٤) لفظ مسلم: «لهم».

٥- ٥) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩.

أَنَّ عَمَرَ كَانَ يَوْمَئِذٍ قَالَ يَعْنِي يَوْمَ بُوعِ أَبُو بَكْرٍ مُحْتَجِزاً (١) يُهْرَوِلُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ وَيَقُولُ أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ قَالَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى جَلَسَ عَلَى مِثْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي وُلِّيتُكُمْ وَ لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَ لَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَ سَيِّئَتِ الشُّنُنُ وَ عَلَّمْنَا فَتَعَلَّمْنَا إِنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِ التُّقَى وَ أَحَمَقَ الْحُمَقِ الْفُجُورُ وَ إِنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخَذَ لَهُ بِالْحَقِّ وَ أضعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخَذَ مِنْهُ الْحَقُّ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَ لَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ إِذَا أَحْسِنْتَ فَأَعِينُونِي وَ إِذَا زِغْتَ فَقَوِّمُونِي.

٢٣٠

١٥، ١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ حَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ سَيْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ لَمَّا جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِثْبَرِ كَانَ عَلِيُّ ع وَ الزُّبَيْرُ وَ نَاسٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ فَجَاءَ عُمَرُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَخْرُجَنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ أَوْ لِأُخْرِقَنَّ الْبَيْتَ عَلَيْكُمْ فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ مُضِلِّتاً سَيْفَهُ فَاعْتَنَقَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ فَبَدَرَ السَّيْفَ فَصَاحَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَ هُوَ عَلَى الْمِثْبَرِ اضْرِبْ بِهِ الْحَجَرَ فَدُقَّ بِهِ قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حِمَّاسٍ فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَجَرَ فِيهِ تِلْكَ الضَّرْبَةُ وَ يُقَالُ هَذِهِ ضَرْبَةُ سَيْفِ الزُّبَيْرِ ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرٍ دَعَوْهُمْ فَسَيَّأَتِي اللَّهُ بِهِمْ قَالَ فَخَرَجُوا إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَبَايَعُوهُ

٢٣١

١٥، ١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ قَدْ رُوِيَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ مَعَهُمْ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ ع وَ الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ أَيْضاً وَ أَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُبَايَعُوا عَلِيّاً فَاتَاهُمْ عُمَرُ لِيُحْرِقَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ بِالسَّيْفِ وَ خَرَجَتْ فَاطِمَةُ ع تَبْكِي وَ تَصِيحُ فَنَهَيْتُ مِنَ النَّاسِ وَ قَالُوا لَيْسَ عِنْدَنَا مَعْصِيَةٌ لَهُ وَ لَا خِلَافٌ فِي خَيْرٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَ إِنَّمَا اجْتَمَعْنَا لِنُؤَلِّفَ الْقُرْآنَ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ ثُمَّ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ فَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ وَ اطمأنَّ النَّاسُ

ص: ٥٦

١,١٥- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ عُمَرُ بْنُ شَبَّهٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ سَأَلَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ أَيْنَ الزُّبَيْرُ فَقِيلَ عِنْدَ عَلِيٍّ وَقَدْ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ فَقَالَ قُمْ يَا عُمَرُ قُمْ يَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ انْطَلِقَا حَتَّى تَأْتِيَانِي بِهِمَا فَانْطَلَقَا فَدَخَلَ عُمَرُ وَقَامَ خَالِدٌ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ مِنْ خَارِجٍ فَقَالَ عُمَرُ لِلزُّبَيْرِ مَا هَذَا السَّيْفُ فَقَالَ تَبَايَعُ عَلِيًّا فَأَخَّرَ طُهُ عُمَرُ فَضَرَبَ بِهِ حَجْرًا فَكَسَرَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ الزُّبَيْرِ فَأَقَامَهُ ثُمَّ دَفَعَهُ وَقَالَ يَا خَالِدُ دُونَكَ فَأَمْسَكَهُ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ قُمْ فَبَايَعُ لَأَبِي بَكْرٍ فَتَلَّكَأَ وَ احْتَبَسَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ قُمْ فَأَبَى أَنْ يَقُومَ فَحَمَلَهُ وَ دَفَعَهُ كَمَا دَفَعَ الزُّبَيْرُ فَأَخْرَجَهُ وَ رَأَتْ فَاطِمَةُ مَا صَبَحَ بِهِمَا فَقَامَتْ عَلَى بَابِ الْحُجْرَةِ وَقَالَتْ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَسْرَعَ مَا أَغْرَثْتُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَ اللَّهِ لَا أَكَلُّمُ عُمَرَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ قَالَ فَمَشَى إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَ شَفَعَ لِعُمَرَ وَ طَلَبَ إِلَيْهَا فَوَضِعَتْ عَنْهُ

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَرَامِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ عُمَرُ بِعَلِيٍّ وَ عِنْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ بِفَنَاءِ دَارِهِ فَسَلَّمَ فَسَأَلَاهُ أَيْنَ تُرِيدُ فَقَالَ مَالِي يَبْتَاعُ قَالَ عَلِيٌّ أَ فَلَا نَصَلَ جَنَاحَكَ وَ نَقُومَ مَعَكَ فَقَالَ بَلَى فَقَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ قُمْ مَعَهُ قَالَ فَسَبَّكَ أَصَابِعُهُ فِي أَصَابِعِي وَ مَضَى حَتَّى إِذَا خَلَّفْنَا الْبَيْعَ قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ أَمَا وَ اللَّهِ إِنْ كَانَ صَاحِبُكَ هَذَا أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ بَعِيدٌ وَفَاهِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا خِفْنَا عَلَى اثْنَيْنِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَجَاءَ بِمَنْطِقٍ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مَعَهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا هُمَا قَالَ حَشِينَاهُ عَلَى حَدَاثِهِ سَنَّهُ وَ حُبَّهُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عُمَرَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ تَفَرَّقَ النَّاسُ لِيَلَهُ الْجَابِيَةِ (١) عَنْ عُمَرَ فَسَارَ

كُلِّ وَاحِدٍ مَعَ إِلْفِهِ ثُمَّ صَادَفَتْ عُمَرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي مَسِيرِنَا فَحَادَثْتُهُ فَشَكَا إِلَيَّ تَخَلَّفَ عَلِيٌّ عَنْهُ فَقُلْتُ أَلَمْ يَعْتَذِرْ إِلَيْكَ قَالَ بَلَى فَقُلْتُ هُوَ مَا اعْتَذَرَ بِهِ قَالَ يَا ابْنَ عَبَّاسِ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ رَيْتُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ أَبُو بَكْرٍ إِنْ قَوْمَكُمْ كَرِهُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَكُمْ الْخِلَافَةَ وَالسُّبُوَّةَ قُلْتُ لِمَ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ نُنْهِهُمْ خَيْرًا قَالَ بَلَى وَ لَكِنَّهُمْ لَوْ فَعَلُوا لَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ جَحْفًا جَحْفًا

(١)

٢٣٥

١- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ مَرْفُوعًا إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَتَادَةَ قَالَ لَقِيَ عَلِيٌّ عَ عُمَرَ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَ أَنْشُدَكَ اللَّهَ هَلِ اسْتَخْلَفَكَ رَسُولُ اللَّهِ ص قَالَ لَا قَالَ فَكَيْفَ تَصْنَعُ أَنْتَ وَ صَاحِبُكَ قَالَ أَمَّا صَاحِبِي فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَمَّا أَنَا فَسَأَخْلَعُهَا مِنْ عُنُقِي إِلَى عُنُقِكَ فَقَالَ جِدَّعَ اللَّهُ أَنْفَ مَنْ يُنْقِذُكَ مِنْهَا لَا وَ لَكِنْ جَعَلَنِي اللَّهُ عِلْمًا فَإِذَا قُمْتُ فَمَنْ خَالَفَنِي ضَلَّ

٢٣٦

١٤- قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَ أَخْبَرَنَا أَبُو زَيْدٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ عُمَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الْخُزَاعِيِّ قَالَ كَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعِيَّاصِ مِنْ عُمَّالِ رَسُولِ اللَّهِ ص عَلَى الْيَمَنِ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ص حَيَاءَ الْمَدِينَةِ وَ قَدْ بَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَاحْتَبَسَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يُبَايِعْهُ أَيَّامًا وَ قَدْ بَايَعَ النَّاسُ وَ أَتَى بِنِي هَاشِمٍ فَقَالَ أَنْتُمْ الظُّهْرُ وَ الْبَطْنُ وَ الشُّعَارُ دُونَ الدُّنَارِ (٢) وَ الْعَصِيَا دُونَ اللَّحَا (٣) فَإِذَا رَضِيْتُمْ رَضِيْنَا وَ إِذَا سَخِطْتُمْ سَخِطْنَا حَدَّثُونِي إِنْ كُنْتُمْ قَدْ بَايَعْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ عَلِيٌّ بَرِّدِ وَ رِضًا مِنْ جَمَاعَتِكُمْ قَالُوا نَعَمْ قَالَ

ص: ٥٨

١- (١) جحفا جحفا، أي فخرا فخرا و شرفا شرفا. النهاية لابن الأثير ١: ١٤٥.

٢- (٢) الشعار: ما يلي شعر الجسد؛ و هو تحت الدثار.

٣- (٣) اللحا: ما على العصا من قشرها، يمد و بقصر؛ و في خطبه الحجاج: «لألحونكم لحو العصا».

فَأَنَا أَرْضَى وَ أَيْبُوعُ إِذَا بَايَعْتُمْ أَمَا وَ اللَّهُ يَا بَنِي هَاشِمٍ إِنَّكُمْ الطَّوَالُ الشَّجَرِ الطَّيْبُو (١) الثَّمَرِ ثُمَّ إِنَّهُ يَبَايَعُ أَيَا بَكْرٍ وَ بَلَغَتْ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ يَحْفَلُ بِهَا وَ اضْطَغَنَهَا عَلَيْهِ عُمَرُ فَلَمَّا وَلَّاهُ أَبُو بَكْرٍ الْجُنْدَ الَّذِي اسْتَنْفَرَ إِلَى الشَّامِ قَالَ لَهُ عُمَرُ أ تُوَلَّى خَالِدًا وَ قَدْ حَبَسَ عَلَيْكَ بَيْعَتَهُ وَ قَالَ لِبَنِي هَاشِمٍ مَا قَالَ وَ قَدْ جَاءَ بَوْرِقٍ مِنَ الْيَمَنِ وَ عَيْدٍ وَ حُبْشَانٍ وَ ذُرُوعٍ وَ رِمَاحٍ مَا أَرَى أَنْ تُوَلِّيَهُ وَ مَا آمَنُ خِلَافَهُ فَانْصِرَفَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ وَ وَلى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَ شَرْحِبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ

و اعلم أن الآثار و الأخبار في هذا الباب كثيره جدا و من تأملها و أنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح و مقطوع به لا تختلفه الشكوك و لا- تتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الإماميه فإنهم يقولون إن الرسول ص نص على أمير المؤمنين ع نصا صريحا جليا ليس بنص يوم الغدير (٢) و لا خبر المنزله (٣) و لا- ما شابههما من الأخبار الوارده من طرق العامه و غيرها بل نص عليه بالخلافه و بإمره المؤمنين و أمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك فسلموا عليه بها و صرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفه عليهم من بعده و أمرهم بالسمع و الطاعه له و لا- ريب أن المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاه رسول الله ص يعلم قطعا أنه لم يكن هذا النص و لكن قد سبق إلى النفوس و العقول أنه قد كان هناك تعريض و تلويح و كنايه و قول غير صريح و حكم غير مبتوت و لعله ص كان يصدده عن التصريح بذلك أمر يعلمه و مصلحه يراعيها أو وقوف مع إذن الله تعالى في ذلك.

فأما امتناع على ع من البيعه حتى أخرج على الوجه الذي أخرج عليه فقد

ص: ٥٩

١- ١) كذا في ج، و في ا، ب: «الطيب».

٢- ٢) هو غدير خم، موضع بين مكه و المدينه، نقل المحب الطبري في الرياض النضرة (٢: ١٦٩) أن الرسول عليه السلام قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

٣- ٣) يشير إلى حديث: «أنت مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

ذكره المحمّدون و رواه أهل السير و قد ذكرنا ما قاله الجوهريّ في هذا الباب و هو من رجال الحديث و من الثقات المأمونين و قد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثره.

فأما الأمور الشيعه المستهجنه التي تذكرها الشيعه

٢٣٧

١٤،٣،٢،١،١٥- مِنْ إِرسَالِ قُنُودٍ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ عَ وَ أَنَّهُ ضَرَبَهَا بِالسَّوِطِ فَصَارَ فِي عَضِدِهَا كَالدَّمْلَجِ وَ بَقِيَ أَثَرُهُ إِلَى أَنْ مَاتَتْ وَ أَنَّ عُمَرَ أَضْغَطَهَا بَيْنَ الْبَابِ وَ الْجِدَارِ فَصَاحَتْ يَا أَبَتَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ أَلْقَتْ جَنِينًا مَيِّتًا وَ جُعِلَ فِي عُنُقِي عَلِيٌّ عَ حَبْلٌ يُقَادُ بِهِ وَ هُوَ يَعْتَلُّ وَ فَاطِمَةُ خَلْفَهُ تَضِيرُخُ وَ تَنَادَى بِالْوَيْلِ وَ التُّبُورِ وَ ابْنَاهُ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ مَعَهُمَا يَبْكِيَانِ وَ أَنَّ عَلِيًّا لَمَّا أَحْضَرَ سَأَلُوهُ الْبَيْعَةَ فَامْتَنَعَ فَتَهَدَّدَ بِالْقَتْلِ فَقَالَ إِذْنُ تَقْتُلُونِ عِبْدَ اللَّهِ وَ أَخَا رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا أَمَّا عِبْدُ اللَّهِ فَنَعْمَ وَ أَمَّا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ فَلَا وَ أَنَّهُ طَعَنَ فِيهِمْ فِي أَوْجُهِهِمْ بِالنِّفَاقِ وَ سَطَرَ صَحِيفَةَ الْغُدْرِ الَّتِي اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا وَ بَانَتْهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ

. فكله لا أصل له عند أصحابنا و لا يثبت أحد منهم و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه و إنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله و منها و لم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعة ثمناً فلا ظفرت يد البائع و خزيت أمانه المبتاع فخذوا للحرب أهبتها و أعدوا لها عدتها فقد شب لظاها و علا سناها و استشعروا الصبر فإنه أذعى إلى النصر.

هذا فصل من كلام يذكر فيه ع عمرو بن العاص و قوله فلا ظفرت يد البائع يعني معاويه و قوله و خزيت أمانه المبتاع يعني عمرا و خزيت أي

ص: ٦٠

خسرت و هانت و فى أكثر النسخ فلا ظفرت يد المبايع بميم المفاعله و الظاهر ما رويناه .

و فى بعض النسخ فإنه أحزم للنصر من حزمت الشيء إذا شدته كأنه يشد النصر و يوثقه و الروايه التى ذكرناها أحسن .

و الأهبه العده و شب لظاها استعاره و أصله صعود طرف النار الأعلى و السنا بالقصر الضوء و استشعروا الصبر اتخذه شعارا و الشعار ما يلى الجسد فى الثياب و هو ألزم الثياب للجسد يقول لازموا الصبر كما يلزم الإنسان ثوبه الذى يلى جلده لا بد له منه و قد يستغنى عن غيره من الثياب

قدوم عمرو بن العاص على معاويه

٢٣٨

١- لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ عِ الْكُوفَةَ بَعِيدَ فَرَاغِهِ مِنْ أَمْرِ الْبَصِيرَةِ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ كِتَابًا يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ أَرْسَلَ فِيهِ (١) جَرِيرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فَقَدِمَ عَلَيْهِ بِهِ الشَّامَ فَقَرَأَهُ وَ اغْتَمَّ بِمَا فِيهِ وَ ذَهَبَتْ بِهِ أَفْكَارُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ وَ طَاوَلَ جَرِيرًا بِالْجَوَابِ عَنِ الْكِتَابِ حَتَّى كَلَّمَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي الطَّلَبِ بِعَدَمِ عُثْمَانَ فَأَجَابُوهُ وَ وَثِقُوا لَهُ وَ أَحَبَّ الزِّيَادَةَ فِي الْإِسْطِظْهَارِ فَاسْتَشَارَ أَحَاهُ عُثْبَةَ بْنَ أَبِي سَيْفِيَانَ فَقَالَ لَهُ اسْتَيْعِنَ بِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَإِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ فِي دَهَائِهِ وَ رَأْيِهِ وَ قَدْ اعْتَرَلَ عُثْمَانَ فِي حَيَاتِهِ وَ هُوَ لِأَمْرِكَ أَشَدُّ اعْتِرَالًا إِلَّا أَنْ يُثْمَنَ لَهُ دِينُهُ فَسَيَبْعُكَ فَإِنَّهُ صَاحِبُ دُنْيَا.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ مَا قَدْ بَلَغَكَ وَ قَدْ سَقَطَ إِلَيْنَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ (٢) وَ قَدِمَ عَلَيْنَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي بَيْعِهِ عَلِيٍّ وَ قَدْ حَبَسْتُ نَفْسِي عَلَيْكَ (٣) فَأَقْبَلُ أَذَاكَرَكَ أُمُورًا لَا تَعْدَمُ صِلَاحَ مَعْتَبَتِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٤)

ص: ٦١

(١-١) ساقطه من ب.

(٢-٢) فى كتاب صفين: «فى رافضه أهل البصره».

(٣-٣-٣) فى صفين: «حتى تأتيني، أقبل أذاكرك أمرا».

(٤-٣-٣) فى صفين: «حتى تأتيني، أقبل أذاكرك أمرا».

فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى عَمْرٍو اسْتَشَارَ ابْنَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو فَقَالَ لَهُمَا مَا تَرَيَانِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ص قَبِضَ وَ هُوَ عِنْدَكَ رَاضٍ وَ الْخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِهِ وَ قَبِلَ عُثْمَانُ وَ أَنْتَ عَنْهُ غَائِبٌ فَقَرَّ فِي مَنْزِلِكَ فَلَسْتَ مَجْعُولًا خَلِيفَةً وَ لَا تَزِيدُ
عَلَى (١) أَنْ تَكُونَ حَاشِيَةً لِمَعَاوِيَةَ عَلَى دُنْيَا قَلِيلَةٍ أَوْ شَكْتَمًا أَنْ تَهْلِكَ فَتَسْتَوِيَا (٢) فِي عِقَابِهَا وَ قَالَ مُحَمَّدٌ أَرَى أَنَّكَ شَيْخُ قُرَيْشٍ وَ
صَاحِبُ أَمْرِهَا وَ إِنْ تَصَيَّرَمَ هَذَا الْأَمْرُ وَ أَنْتَ فِيهِ غَافِلٌ (٣) تَصَاغَرَ أَمْرُكَ فَالْحَقُّ بِجَمَاعِهِ أَهْلُ الشَّامِ وَ كُنْ يَدًا مِنْ أَيْدِيهَا طَالِبًا بِدَمِ
عُثْمَانَ فَإِنَّهُ سَيَقُومُ بِذَلِكَ بَنُو أُمَّيَّةَ (٤) .

فَقَالَ عَمْرٍو أَمَا أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ فَأَمْرَتَنِي بِمَا هُوَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ فَأَمْرَتَنِي بِمَا هُوَ خَيْرٌ لِي فِي دُنْيَايَ وَ أَنَا نَاطِرٌ فَلَمَّا
جَنَّهُ اللَّيْلُ رَفَعَ صَوْتَهُ وَ أَهْلُهُ يَسْمَعُونَ (٥) فَقَالَ تَطَاوَلَ لَيْلِي بِالْهُمُومِ الطَّوَارِقِ

ص: ٦٢

١-١) في كتاب صفين و الإمامه السياسه ١٥٨: «و لا تريد أن تكون».

٢-٢) كذا في ا، و الإمامه و السياسه، و في ب. «فتسويا»، و في كتاب صفين «أوشك أن تهلك فتشقى فيها».

٣-٣) في صفين و الإمامه و السياسه: «و أنت غافل».

٤-٤) في الإمامه و السياسه: «فإنك به تستميل بنى أميّه».

٥-٥) كتاب صفين: «ينظرون».

أَمْ أَقْعُدُ فِي بَيْتِي وَ فِي ذَاكَ رَاحَهُ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَحَلَ الشَّيْخُ (١) وَ دَعَا عَمْرُو غُلَامَهُ وَرَدَانُ وَ كَانَ دَاهِيًا مَارِدًا فَقَالَ ارْحَلْ يَا وَرَدَانُ ثُمَّ قَالَ اخْطُطْ يَا وَرَدَانُ ثُمَّ قَالَ ارْحَلْ يَا وَرَدَانُ اخْطُطْ يَا وَرَدَانُ فَقَالَ لَهُ وَرَدَانُ خَلَطْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا إِنَّكَ إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِمَا فِي قَلْبِكَ قَالَ هَاتِ وَيْحَكَ قَالَ اعْتَرَكِ الدُّنْيَا وَ الْمَآخِرَةُ عَلَى قَلْبِكَ فَقُلْتُ عَلَيَّ مَعَهُ الْمَآخِرَةُ فِي غَيْرِ دُنْيَا وَ فِي الْمَآخِرَةِ عَوْضٌ مِنَ الدُّنْيَا وَ مُعَاوِيَةَ مَعَهُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ آخِرِهِ وَ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا عَوْضٌ مِنَ الْمَآخِرَةِ وَ أَنْتَ (٢) وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا قَالِ قَاتَلَكُ اللَّهُ مَا أَخْطَأْتُ مَا فِي قَلْبِي فَمَا تَرَى يَا وَرَدَانُ قَالَ أَرَى أَنْ تُقِيمَ فِي بَيْتِكَ فَإِنْ ظَهَرَ أَهْلُ الدِّينِ عِشْتَ فِي عَفْوِ دِينِهِمْ (٣) وَ إِنْ ظَهَرَ أَهْلُ الدُّنْيَا لَمْ يَسْتَعْنُوا عَنْكَ قَالَ الْآنَ لَمَّا أَشْهَرْتُ الْعَرَبَ سِيرِي إِلَى مُعَاوِيَةَ (٤) فَارْتَحَلْ وَ هُوَ يَقُولُ يَا قَاتِلَ اللَّهِ وَرَدَانًا وَ قَدَحْتَهُ

ص: ٦٣

١-١) في صفين: «أو اقعده».

٢-٢) في صفين: «إن لم يعتلقني».

٣-٣) الحقائق: ما يجب على المرء حمايته من عرض أو مال.

٤-٤) في صفين: «ترحل».

فَاخْتَرْتُ مِنْ طَمَعِي دُنْيَا عَلَى بَصَرٍ

فَسَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ عَرَفَ حَاجَةَ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ فَبَاعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَ كَايَدَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ طَرَفْتَنَا فِي لَيْلَتِنَا ثَلَاثَةَ أَخْبَارٍ لَيْسَ فِيهَا وَرْدٌ وَ لَا صِدْرٌ قَالَ وَ مَا ذَاكَ قَالَ مِنْهَا أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ كَسَرَ سِجْنَ مِصْرَ فَخَرَجَ هُوَ وَ أَصْحَابُهُ وَ هُوَ مِنْ آفَاتِ هَذَا الدِّينِ وَ مِنْهَا أَنَّ قَيْصَرَ زَحَفَ بِجَمَاعِهِ الرُّومَ لِيَغْلِبَ عَلَى الشَّامِ وَ مِنْهَا أَنَّ عَلِيًّا نَزَلَ الْكُوفَةَ وَ تَهَيَّأَ لِلْمَسِيرِ إِلَيْنَا.

فَقَالَ عَمْرُو لَيْسَ كُلُّ مَا ذَكَرْتَ عَظِيمًا أَمَا ابْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ فَمَا يَتَعَاطَمُكَ مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ فِي أَشْبَاهِهِ أَنْ تَبَعْتَ إِلَيْهِ رَجُلًا يَقْتُلُهُ أَوْ يَأْتِيكَ بِهِ وَ إِنْ قَاتَلَ لَمْ يَضْرَكَ (١) وَ أَمَا قَيْصِرٌ فَأَهْدِ لَهُ الْوَصَائِفَ وَ آتِيهِ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ سِلِّ لَهُ الْمَوَادِعَ فَإِنَّهُ إِلَيْهَا سَرِيعٌ وَ أَمَا عَلِيُّ فَلَا- وَ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةُ مَا يُسَوِّي الْعَرَبُ (٢) بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَ إِنْ لَهُ فِي الْحَرْبِ لِحِطًّا مَا هُوَ لِأَحَدٍ مِنَ قُرَيْشٍ وَ إِنَّهُ لَصَاحِبٌ مَا هُوَ فِيهِ إِلَّا أَنْ تَظْلَمَهُ هَكَذَا فِي رِوَايَةِ نَصْرِ بْنِ مُرَاحِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ

(٣)

٢٣٩

وَ رَوَى نَصْرٌ (٤) أَيْضًا عَنْ عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى جِهَادِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي عَصَى اللَّهَ وَ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَ قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَ أَظْهَرَ الْفِتْنَةَ وَ فَرَّقَ

ص: ٦٤

١-١) في وقعه صفين: «و إن فاتك لا يضرك» و في الإمامه و السياسة: «و إن يقتل فلا يضرك».

٢-٢) كذا في ا، و صفين، و في ب: «ما يسوى العربى».

٣-٣) وقعه صفين ٣٩-٤٠، و في ب: «عبد الله»، و صوابه من ا.

٤-٤) وقعه صفين ٤٢-٥٢.

الْجَمَاعَةَ وَ قَطَعَ الرَّحِمَ فَقَالَ عُمَرُو مَنْ هُوَ قَالَ عَلِيٌّ قَالَ وَ اللَّهُ يَا مُعَاوِيَةَ مَا أَنْتَ وَ عَلِيٌّ بِحِمْلِي (١) بَعِيرٌ لَيْسَ لَكَ (٢) هِجْرَتُهُ وَ لَا سِيَابِقَتُهُ وَ لَا- صِيحْبَتُهُ وَ لَا جِهَادُهُ وَ لَا فِقْهُهُ وَ لَا عِلْمُهُ (٣) وَ وَ اللَّهُ إِنَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ لَحِطًا فِي الْحَرْبِ لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ وَ لَكِنِّي قَدْ تَعَوَّذْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِحْسَانًا وَ بِلَاءً جَمِيلًا (٤) فَمَا تَجْعَلُ لِي إِنْ شَايَعْتُكَ عَلَى حَرْبِهِ وَ أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِيهِ مِنَ الْغَرْرِ وَ الْخَطَرِ قَالَ حُكْمَكَ فَقَالَ مِصْرَ طُعْمَهُ فَتَلَكَّا عَلَيْهِ مُعَاوِيَةَ .

قَالَ نَضِيرٌ وَ فِي حَدِيثٍ غَيْرِ عُمَرُو بْنِ سَعْدٍ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي أَكْرَهُ لَكَ أَنْ تَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ عَنْكَ أَنَّكَ إِنَّمَا دَخَلْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِعَرَضِ الدُّنْيَا قَالَ عُمَرُو دَعْنِي عَنْكَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنِّي لَوْ شِئْتُ أَنْ أُمَّتِيكَ وَ أَخْدَعَكَ لَفَعَلْتُ قَالَ عُمَرُو لَا لَعَمْرُ اللَّهِ مَا مِثْلِي يُخْدَعُ لِأَنَا (٥) أَكْمِسُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ مُعَاوِيَةُ أَدْنُ مِنِّي أَسَارَكَ فَمَدْنَا مِنْهُ عُمَرُو لِيَسَارَهُ فَعَضَّ مُعَاوِيَةَ أُذُنَهُ وَ قَالَ هَيْدِهِ خُذْهُ هَلْ تَرَى فِي الْبَيْتِ أَحَدًا لَيْسَ غَيْرِي وَ غَيْرُكَ.

قلت قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى قول عمرو له دعني عنك كناية عن الإلحاد بل تصريح به أي دع هذا الكلام لا أصل له فإن اعتقاد الآخرة و أنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات.

و قال رحمه الله تعالى و ما زال عمرو بن العاص ملحدا ما تردد قط في الإلحاد و الزندقه و كان معاويه مثله و يكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروي و أن معاويه عض أذن عمرو أين هذا من سيره عمر و أين هذا من أخلاق علي ع و شدته في ذات الله و هما مع ذلك يعيبانه بالدعابه.

ص: ٦٥

١- ١) في كتاب صفين: «بعكمي بعير»، و العكمان: عدلان يشدان على جانبي اليهودج.

٢- ٢) في صفين: «ما لك هجرته».

٣- ٣- ٣) وقعه صفين: «و الله إن له مع ذلك حدا و جدا، و حطا و حظوه، و بلاء من الله حسنا».

٤- ٣- ٣) وقعه صفين: «و الله إن له مع ذلك حدا و جدا، و حطا و حظوه، و بلاء من الله حسنا».

قَالَ نَصْرٌ فَأَنْشَأَ عَمْرُو يَقُولُ مُعَاوِيَ لَا أُعْطِيكَ دِينِي وَ لَمْ أَنْلُ

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ كانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشره من الهجرة في خلافه عمر فكان لعظمها في نفسه و جلالتها في صدره و ما قد عرفه من أموالها و سعه الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمنا من دينه و هذا معنى قوله و إنني بذا الممنوع قدما لمولع.

قَالَ نَصِيرٌ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ أَمَا نَعْلَمُ أَنَّ مِصْرَ مِثْلَ الْعِرَاقِ قَالَ بَلَى وَ لَكِنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ لِي إِذَا كَانَتْ لَكَ وَ إِنَّمَا تَكُونُ لَكَ إِذَا عَلَبْتَ عَلَيَّ عَلَى الْعِرَاقِ .

قَالَ وَ قَدْ كَانَ أَهْلُ مِصْرَ بَعَثُوا بِطَاعَتِهِمْ إِلَى عَلِيٍّ ع .

فَلَمَّا حَضَرَ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَشْتَرِيَ عَمْرًا بِمِصْرَ

إِنْ هِيَ صَيِّفَتْ لِمَكَ لَيْتَيْكَ لَا تَغْلِبُ عَلَيَّ الشَّامِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا عْتَبَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ عَلَيَّ عْتَبَةُ رَفَعَتْ صَوْتَهُ لِيَسْمَعَ مُعَاوِيَةَ وَقَالَ أَيُّهَا الْمَانِعُ سَيِّفًا لَمْ يَهْزُ

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ مُعَاوِيَةُ قَوْلَ عْتَبَةَ أَرْسَلَ إِلَى عَمْرٍو فَأَعْطَاهُ مِضِرَّ فَقَالَ عَمْرٍو لِي اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ قَالَ نَعَمْ لَكَ اللَّهُ عَلَيَّ بِذَلِكَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْكُوفَةَ فَقَالَ عَمْرٍو وَاللَّهِ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ (١).

فَخَرَجَ عَمْرٍو مِنْ عِنْدِهِ فَقَالَ لَهُ ابْنَاهُ مَا صَيَّغْتَ قَالَ أَغْطَانَا مِضِرَّ طُعْمَهُ قَالَا وَمَا مِضِرُّ فِي مُلْكِكَ الْعَرَبِ قَالَ لَا أَشْبَعُ اللَّهُ بُطُونَكُمْ إِنْ لَمْ تُشْبِعْكُمْ [مِضِرُّ]

(٢).

قَالَ (٣) وَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ لَهُ بِمِضِرِّ كِتَابَهُ وَكَتَبَ (٤) عَلَيَّ أَلَّا يَنْقُضَ شَرْطَ طَاعَةٍ فَكَتَبَ عَمْرٍو عَلَيَّ أَلَّا تَنْقُضَ طَاعَةَ شَرْطًا فَكَأَيْدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ.

قلت قد ذكر هذا اللفظ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه الكامل

ص: ٦٧

١-١) الفوق هنا: الطريق الأول.

٢-٢) الكزاز: داء يأخذ من شدة البرد، وتعتري منه رعدة.

٣-٣) سورة القصص ٢٨.

٣-٤) سورة القصص ٢٨.

و لم يفسره (١) و تفسيره أن معاويه قال للكاتب اكتب على ألا ينقض شرط طاعه يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعه بيعه مطلقه غير مشروطه بشيء و هذه مكايده له لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاويه أن يرجع في إعطائه مصر و لم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته و يحتج عليه برجوعه عن إعطائه مصر لأن مقتضى المشارطه المذكوره أن طاعه معاويه واجبه عليه مطلقا سواء أ كانت مصر مسلمه إليه أم لا.

فلما انتبه عمرو إلى هذه المكايده منع الكاتب من أن يكتب ذلك و قال بل اكتب على ألا تنقض طاعه شرطاً يريد أخذ إقرار معاويه له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه و هذا أيضا مكايده من عمرو لمعاويه و منع له من أن يغدر بما أعطاه من مصر

٢٤٢

١- قَالَ نَصْرٌ وَ كَانَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ عَمٌّ مِنْ بَنِي سَهْمٍ أَرِيْبٌ (٢) فَلَمَّا جَاءَ عَمْرٌو بِالْكِتَابِ مَسْرُورًا عَجِبَ الْفَتَى وَ قَالَ أَلَا تُخْبِرُنِي يَا عَمْرٌو بِأَيِّ رَأْيٍ تَعِيشُ فِي قُرَيْشٍ أَعْطَيْتَ دِينَكَ وَ تَمَنَيْتَ دُنْيَا غَيْرِكَ أَمْ تَرَى أَهْلَ مِصْرَ وَ هُمْ قَتَلَهُ عُثْمَانُ يَدْفَعُونَهَا إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ وَ عَلَيَّ حَتَّى وَ أَرَاهَا إِنْ صَارَتْ لِمُعَاوِيَةَ لَا يَأْخُذُهَا بِالْحَرْفِ الَّذِي قَدَّمَهُ فِي الْكِتَابِ فَقَالَ عَمْرٌو يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ دُونَ عَلِيٍّ وَ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ الْفَتَى أَلَا يَا هِنْدُ أُخْتُ بَنِي زِيَادٍ

ص: ٦٨

١- ١) الكامل ٢١٠:٣-شرح المرصفي.

٢- ٢) في كتاب صفين: «و كان مع عمرو ابن عم له، فتى شاب، و كان داهيه حليما»، و في كتاب الإمامه و السياسه ١٦٠ «و كان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر»، و هو ما يناسب ما يجيء بعد.

وَ أُثْبِتَ مِثْلَهُ عَمْرُو عَلَيْهِ

فَقَالَ عَمْرُو يَا ابْنَ أَخِي لَوْ كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ لَوَسَّعِنِي وَ لَكِنِّي الْآنَ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ (١) قَالَ الْفَتَى إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُرِدْ مُعَاوِيَةَ لَمْ يُرِدْكَ وَ لَكِنَّكَ تُرِيدُ دُنْيَاهُ وَ هُوَ يُرِيدُ دِينَكَ وَ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ قَوْلُ الْفَتَى فَطَلَبَهُ فَهَرَبَ فَلَحِقَ بِعَلِيٍّ ع فَحَدَّثَهُ أَمْرَهُ فَسَرَّ بِهِ وَ قَرَّبَهُ.

قَالَ وَ غَضِبَ مَرْوَانُ وَ قَالَ مَا بَالِي لَا أُشْتَرَى [كَمَا اشْتَرَى عَمْرُو]

(٢) فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّمَا يُشْتَرَى الرَّجَالُ لَكَ فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا ع مَا صَنَعَ مُعَاوِيَةُ قَالَ يَا عَجَبًا لَقَدْ سَمِعْتُ مُنْكَرًا

ص: ٦٩

١-١ الخدب: الضخم. و في صفين: «أن تراه».

٢-٢ كذا في ج و كتاب صفين، و في اب: «و لكنني الآن عنده».

قَالَ نَضِيرٌ فَلَمَّا كَتَبَ الْكِتَابَ (١) قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو مَا تَرَى الْإِمَانَنَ قَالَ امْضِ الرَّأْيَ الْأَوَّلَ فَبَعَثَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْكِنْدِيَّ فِي طَلَبِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ فَأَدْرَكَهُ فَقَتَلَهُ وَ بَعَثَ إِلَى قَيْصَرَ بِالْهَدَايَا فَوَادَعَهُ ثُمَّ قَالَ مَا تَرَى فِي عَلِيٍّ قَالَ [أَرَى فِيهِ

ص: ٧٠

(١ - ١) الأخرز: الذي ينظر بمؤخر عينه.

(١) إِنَّهُ قَدْ أَتَاكَ فِي طَلَبِ الْبَيْعَةِ خَيْرٌ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ وَ دَعْوَاكَ أَهْلَ الشَّامِ إِلَى رَدِّ هَذِهِ الْبَيْعَةِ حَظْرٌ شَدِيدٌ وَ رَأْسُ أَهْلِ الشَّامِ شُرْحَيْلُ بْنُ السَّمْطِ الْكِنْدِيُّ وَ هُوَ عَدُوٌّ لِجَرِيرِ الْمُرْسَلِ إِلَيْكَ فَابْعَثْ إِلَيْهِ وَ وَطِّنْ لَهُ ثِقَاتَكَ فَلْيَنْفُسُوا فِي النَّاسِ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ وَ لِيَكُونُوا أَهْلَ رِضَا عِنْدَ شُرْحَيْلٍ فَإِنَّهَا كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لَكَ أَهْلَ الشَّامِ عَلَى مَا تُحِبُّ وَ إِنْ تَعَلَّقَتْ بِقَلْبِ شُرْحَيْلٍ لَمْ تَخْرُجْ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا.

فَكَتَبَ إِلَى شُرْحَيْلٍ أَنَّ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِأَمْرِ مُفْطِحٍ فَأَقْدَمَ.

وَ دَعَا مُعَاوِيَةَ يَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ وَ بُسَيْرَ بْنَ أَرْطَاهُ وَ عَمْرُو بْنَ سُفْيَانَ وَ مُخَارِقَ بْنَ الْحَارِثِ الزُّبَيْدِيَّ وَ حَمْرَةَ بْنَ مَالِكٍ وَ حَابِسَ بْنَ سَعْدِ الطَّائِيَّ وَ هُوَ لَاءٌ رُءُوسُ قَحْطَانَ وَ الْيَمَنِ وَ كَانُوا ثِقَاتِ مُعَاوِيَةَ وَ خَاصَّتَهُ وَ بَنَى عَمَّ شُرْحَيْلِ بْنِ السَّمْطِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَلْقَوْهُ وَ يُخْبِرُوهُ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ فَلَمَّا قَدِمَ كِتَابُ مُعَاوِيَةَ عَلَى شُرْحَيْلٍ وَ هُوَ بِحِمصِ اسْتَشَارَ أَهْلَ الْيَمَنِ فَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَنَمِ الْمَأْزُودِيُّ وَ هُوَ صَاحِبُ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَ خَتْنُهُ وَ كَانَ أَفْقَهُ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ يَا شُرْحَيْلُ بْنُ السَّمْطِ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ يَزِيدُكَ خَيْرًا مُنْذُ هَاجَرْتَ إِلَى الْيَوْمِ وَ إِنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ النَّاسِ وَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِنَفْسِهِمْ إِنَّهُ قَدْ أَلْقَى إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ (٢) وَ لِهَذَا يُرِيدُكَ فَإِنْ كَانَ قَتَلَهُ فَقَدْ بَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارُ وَ هُمُ الْحُكَّامُ عَلَى النَّاسِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَتَلَهُ فَعَلَامٌ تُصِدِّقُ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِ لَا تُهْلِكُنَّ نَفْسَكَ وَ قَوْمَكَ فَإِنْ كَرِهْتَ أَنْ يَذْهَبَ بِحِظِّهَا جَرِيرٌ فَسِرْ إِلَى عَلِيٍّ فَبَايَعُهُ عَنْ (٣) شَامِكَ وَ قَوْمِكَ فَابْيَ شُرْحَيْلٍ إِلَّا أَنْ يَسِيرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عِيَاضُ الثَّمَالِيُّ وَ كَانَ نَاسِكًا

١-١) من كتاب صفين.

٢-٢) في كتاب صفين: «إنه قد ألقى إلينا قتل عثمان، و أن عليا قتل عثمان».

٣-٣) صفين: «على شامك و قومك».

يَا شُرْحُ يَا ابْنَ السَّمِطِ إِنَّكَ بَالِغٌ

قَالَ فَلَمَّا قَدِمَ شُرْحِيْلُ عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ وَيَعْظُمُوهُ فَلَمَّا

ص: ٧٢

دَخَلَ عَلِيٌّ مُعَاوِيَةَ تَكَلَّمَ مُعَاوِيَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا سُرْحَبِيلُ إِنَّ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدِمَ عَلَيْنَا يَدْعُونَا إِلَى يَتَّبِعَهُ عَلِيٌّ وَ عَلِيٌّ خَيْرُ النَّاسِ لَوْ لَا أَنَّهُ قَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَ قَدْ حَبَسْتُ نَفْسِي عَلَيْكَ وَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَرْضِي مَا رَضُوا وَ أَكْرَهُ مَا كَرَهُوا.

فَقَالَ سُرْحَبِيلُ أَخْرَجُ فَمَا نَظَرُ فَلَقِيَهُ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الْمُوْطُونِ لَهُ فَكُلُّهُمْ أَخْبَرَهُ (١) أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ فَرَجَعَ مُغْضَبًا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ يَا مُعَاوِيَةُ أَبِي النَّاسِ إِلَّا أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ وَ اللَّهُ إِنْ بَايَعْتَ لَهُ لَنُخْرِجَنَّكَ مِنْ شَامِنَا أَوْ لَنَقْتُلَنَّكَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَا كُنْتُ لِأُخَالِفَ عَلَيْكُمْ مَيَّا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ فَرَدَّ هَذَا الرَّجُلَ إِلَى صَاحِبِهِ إِذْ نَفَرَ مُعَاوِيَةُ أَنَّ سُرْحَبِيلَ قَدْ نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ فِي حَرْبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ أَنَّ الشَّامَ كُلَّهُ مَعَ سُرْحَبِيلَ وَ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ عَ مَا سَنُورِدُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

ص: ٧٣

(١- ١) كتاب صفين يخبره: (١).

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصِّهِ أَوْلِيَائِهِ وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِيَّةِ بَيْنَهُ وَ جُنَّتَهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ الذُّلَّ وَ شِمْلَةَ الْبَلَاءِ وَ دُيِّتَ بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءِ وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ [الأسدَادِ]

وَ أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سِيَمِ الْخُسْفِ وَ مُعِ النَّصْفِ أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ [حَرْبِ]

هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلَاءً وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَ إِعْلَاناً وَ قُلْتُ لَكُمْ اغْزَوْهُمْ فَبَيْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَوَ اللَّهُ مَيَا غَزَى قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا دَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانُ (١) [فَهَذَا]

وَ هَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبِيَارَ وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبُكْرِيَّ وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَاجِدِهَا وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قَلْبَهَا وَ قَلَانِدَهَا وَ رُعْثَهَا مَا تَمْتَنِعُ [تَمْنَعُ]

مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِزْجَاعِ وَ الْإِسْتِزْحَامِ ثُمَّ انْصَبُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ وَ لَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً فَيَا عَجَباً عَجَباً وَ اللَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ يَجْلِبُ لَهُمْ مِنَ اجْتِمَاعِ هؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَتُبْحَا لَكُمْ وَ تَرَحَّأ حِينَ صِرْتُمْ غَرْضاً يُرْمَى يُعَارُ

عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ وَلَا تَغْرُبُونَ وَلَا تُغْزُونَ وَ يُعْصَى اللَّهُ وَ تَرْضُونَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ [الصَّيْفِ]

قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ أَمَهَلْنَا يَسِيْبُخَ عَنَا الْحَرُّ وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صِيْبَارَةٌ الْقُرِّ أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخَ عَنَا الْبُرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنْ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ تَفْرُونَ فَانْتُمْ وَ اللَّهُ مِنْ السَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لَا رِجَالَ حُلُومِ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولِ رِبَاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرُكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَ اللَّهُ جَرَّتْ نَدْمًا وَ أَعَقَبَتْ سَدْمًا [ذَمًّا]

فَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي فَيْحًا وَ شَحَنْتُمْ صِدْرِي غَيْظًا وَ جَرَعْتُمُونِي نَغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَ أفسِدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيَانِ وَ الْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَ لَكِنَّ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا [مُقَامًا]

وَ أَقْدَمُ فِيهَا مُقَامًا مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِينَ وَ لَكِنَّ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

هذه الخطبه من مشاهير خطبه ع قد ذكرها كثير من الناس

٢٤٣

١- وَ رَوَاهَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ فِي أَوَّلِ الْكَامِلِ (١) وَ أَسَقَطَ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَلْفَاظًا وَ زَادَ فِيهَا أَلْفَاظًا وَ قَالَ فِي أَوَّلِهَا إِنَّهُ انْتَهَى إِلَى عَلِيٍّ عَ أَنَّ خَيْلًا وَرَدَتْ الْأَنْبَارَ لِمُعَاوِيَةَ فَقَتَلُوا عَامِلًا لَهُ

ص: ٧٥

(١- ١) الكامل ٢١، ٢٠؛ يرويها عن عبيد الله بن حفص التيمي المعروف بابن عائشه.

يُقَالُ لَهُ حَسَانٌ بِنُ حَسَّانٍ فَخَرَجَ مُغْضَبًا يُجْرُ رِدَاءَهُ (١) حَتَّى أَتَى النُّخَيْلَةَ (٢) وَاتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَقِيَ رَبَاوَةَ (٣) مِنَ الْأَرْضِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَ
أَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ص ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعِيدٌ فَإِنَّ الْجِهَادَ يَأْبُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ الذُّلَّ وَ سَيِّمًا
الْخُسْفِ .

و قال فى شرح ذلك قوله و سيما الخسف هكذا حدثونا به و أظنه سيم الخسف من قوله تعالى يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ (٤) و
قال فإن نصرنا ما سمعناه فسيما الخسف (٥) تأويله علامه الخسف قال الله تعالى سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ (٦) و قال يُعْرَفُ
الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاهُمْ (٧) و سيما مقصور و فى معناه سيمياء ممدود قال الشاعر (٨) غلام رماه الله بالحسن يافعاله سيمياء لا تشق
على البصر.

و نحن نقول إن السماع الذى حكاه أبو العباس غير مرضى و الصحيح ما تضمنه نهج البلاغه و هو سيم الخسف فعل ما لم يسم
فاعله و الخسف منصوب لأنه مفعول و تأويله أولى الخسف و كلف إياه و الخسف الذل و المشقه.

و أيضا فإن فى نهج البلاغه لا يمكن أن يكون إلا كما اخترناه لأنه بين أفعال متعدده بنيت للمفعول به و هى ديث و ضرب و
أدبل و منع

ص: ٧٦

١- ١) فى الكامل: «ثوبه».

٢- ٢) النخيله: اسم موضع خارج الكوفه.

٣- ٣) الرباوه: اسم لكل ما ارتفع من الأرض، كالرباه و الربوه و الرابيه.

٤- ٤) سورة البقره ٤٩.

٥- ٥) كذا فى الأصول، و عباره الكامل فيما لدينا من نسخه: «و معنى قوله: «سيما الخسف»، تأويله علامه، هذا أصل هذا».

٦- ٦) سورة الفتح ٢٩.

٧- ٧) سورة الرحمن ٤١.

٨- ٨) فى زيادات الكامل: «هو ابن عنقاء الفزارى فى عميله الفزارى»؛ و ذكر بعده: كأن الثريا علقت فى جبينه و فى أنفه الشعرى و
فى جيده القمر .

و لا يمكن أن يكون ما بين هذه الأفعال معطوفا عليها إلا مثلها و لا يجوز أن يكون اسما .

و أما قوله ع و هو لباس التقوى فهو لفظه مأخوذه من الكتاب العزيز قال الله سبحانه قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشًا
وَ لِبَاسُ التَّقْوَى (١) .

و الجنة ما يجتن به أى يستتر كالدرع و الحجفه (٢) .

و تركه رغبه عنه أى زهدا فيه رغبته عن كذا ضد رغبته فى كذا .

و ديث بالصغار أى ذلل بعير مديث أى مذلل و منه الديوث الذى لا غيره له كأنه قد ذلل حتى صار كذلك.

و الصغار الذل و الضيم.

و القماء بالمد مصدر قمؤ الرجل قماء و قماء أى صار قميئا و هو الصغير الذليل فأما قماً بفتح الميم فمعناه سمن و مصدره
القموء و القموءه.

و روى الراوندى و ديث بالصغار و القما بالقصر و هو غير معروف .

و قوله ع و ضرب على قلبه بالإسهاب فالإسهاب هاهنا هو ذهاب العقل و يمكن أن يكون من الإسهاب الذى هو كثره الكلام
كأنه عوقب بأن يكثر كلامه فيما لا فائده تحته .

قوله و أديل الحق منه بتضييع الجهاد قد يظن ظان (٣) أنه يريد ع و أديل الحق منه بأن أضيع جهاده كالباءات المتقدمه و هى
قوله و ديث بالصغار و ضرب على قلبه بالإسهاب و ليس كما ظن بل المراد و أديل الحق منه

ص: ٧٧

١-١) سورة الأعراف ٢٦.

٢-٢) الحجفه: ضرب من الترسه، وقيل: هى من الجلود خاصه.

٣-٣) ب،ج: «فلان»، و ما أثبتته عن ا.

لأجل تضييعه الجهاد فالباء هاهنا للسببيه كقوله تعالى ذَلِكُمْ جَزَاءُ الَّذِينَ يَبْغِيهِمْ (١).

و النصف الإنصاف و عقر دارهم بالضم أصل دارهم و العقر الأصل و منه العقار للنخل كأنه أصل المال و تواكلتم من و كلت الأمر إليك و وكلته إلى أى لم يتوله أحد منا و لكن أحال به كل واحد على الآخر و منه رجل و كل أى عاجز يكل أمره إلى غيره و كذلك و كله.

و تخاذلتم من الخذلان.

و شنت عليكم الغارات فرقت و ما كان من ذلك متفرقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعه بعد دفعه فهو بالشين المعجمه و ما كان أرسالا غير متفرق فهو بالسين المهمله و يجوز شن الغاره و أشنها .

و المسالِح جمع مسلحه و هى كالنغر و المرقب

٢٤٤

وَ فِي الْحَدِيثِ كَانَ أَذْنَى مَسَالِحِ فَارِسَ إِلَى الْعَرَبِ الْعُذَيْبِ (٢).

و المعاهده ذات العهد و هى الذميه و الحجل الخلخال و من هذا قيل للفرس محجل و سمي القيد حجلا لأنه يكون مكان الخلخال و رعثها شئونها جمع رعاث بكسر الراء و رعاث جمع رعته فالأول مثل خمار و خمر و الثانى مثل جفنه و جفان و القلب جمع قلب و هو السوار المصمت و الاسترجاع قوله إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٣) و الاسترحام أن تناشده الرحم و انصرفوا و افرين أى تامين و فر الشىء نفسه أى تمّ فهو وافر و وفرت الشىء متعد أى أتممته.

و فى روايه المبرد موفورين قال من الوفر أى لم ينل أحد منهم بأن يرزأ (٤) فى بدن أو مال.

ص: ٧٨

١-١) سورة الأنعام ١٤٦.

٢-٢) ذكره ابن الأثير فى النهاية ١٧٤:٢.

٣-٣) سورة البقره ١٥٦.

٤-٤) لم يرزأ؛ من الرزء و هو المصيبه.

و فى روايه المبرد أيضا فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولى وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا قَالَ أَى رَمَيْتُمْ بِهِ وَرَاءَ ظَهْرِكُمْ أَى لَمْ تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ لَا- تَجْعَلْ حَاجَتِي مِنْكَ بَظَهْرٍ أَى لَا تَطْرَحْهَا غَيْرَ نَازِرٍ إِلَيْهَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ تَمِيمُ بْنُ مَرْثَدَةَ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بَظَهْرٍ وَلَا يَعْيا عَلَيْكَ جَوَابُهَا (١).

و الكلم الجراح و فى روايه المبرد أيضا مات من دون هذا أسفا و الأسف التحسر و فى روايه المبرد أيضا من تصافر هؤلاء القوم على باطلهم أى من تعاونهم و تظاهرهم و فى روايه المبرد أيضا و فشلكم عن حنكم الفشل الجبن و النكول عن الشىء فقبحا لكم و ترحا دعاء بأن ينحيهم الله عن الخير و أن يخزيهم و يسوءهم .

و الغرض الهدف و حماره القيظ بتشديد الراء شده حره و يسبخ عنا الحر أى يخف

٢٤٥

١٤- وَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ عَائِشَةَ أَكْثَرَتْ مِنَ الدُّعَاءِ عَلَى سَارِقٍ سَرَقَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ص لَا تُسَبِّخِي عَنْهُ بِدُعَائِكَ .

و صباره الشتاء بتشديد الراء شده برده و لم يرو المبرد هذه اللفظه و روى إذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلت هذا أوان قر و صر و إن قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلت هذه حماره القيظ أنظرنا ينصرم عنا الحر الصر شده البرد قال تعالى كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ (٢).

و لم يرو المبرد حلوم الأطفال و روى عوضها يا طعام الأحلام و قال الطعام من لا معرفه عنده و منه قولهم طعام أهل الشام .

و رباب الحجال النساء و الحجال جمع حجله و هى بيت يزين بالستور و الثياب و الأسره

ص: ٧٩

١-١) اللسان ١٩٥:٦ و روايته: «تميم بن قيس»، و روايه الديوان ٩٥: تميم بن زيد لا تهونن حاجتى لديك، و لا يعيا على جوابها و بهذه الروايه لا شاهد فيه لهذا الموضوع.

٢-٢) سوره آل عمران ١١٧.

و السدم الحزن و الغيظ و القيح ما يكون في القرحة من صديدها و شحنتم ملأتم .

و النغب جمع نغبه و هى الجرعه و التهمام بفتح التاء الهم و كذلك كل تفعال كالترداد و التكرار و التجوال إلا التبيان و التلقاء فإنهما بالكسر .

و أنفاسا أى جرعه بعد جرعه يقال أكرع فى الإناء نفسين أو ثلاثه .

و ذرفت على الستين أى زدت و رواها المبرد نيفت .

٢٤٤

١- وَ رَوَى الْمُبَرِّدُ فِي آخِرِهَا فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَ مَعَهُ أَخُوهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي وَ أَخِي هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي (١) فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ فَوَاللَّهِ لَنَنْتَهِيَنَّ إِلَيْهِ وَ لَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ جَمْرُ الْغَضَا وَ شَوْكُ الْقِتَادِ فَدَعَا لَهُمَا بِخَيْرٍ وَ قَالَ وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ ثُمَّ نَزَلَ

استطراد بذكر كلام لابن نباته فى الجهاد

و اعلم أن التحريض على الجهاد و الحضض عليه قد قال فيه الناس فأكثرُوا و كلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين ع فمن جيد ذلك ما قاله ابن نباته (٢) الخطيب أيها الناس إلى كم تسمعون الذكر فلا- تعون و إلى كم تفرعون بالزجر فلا- تفلعون كأن أسماعكم تمج و دائع الوعظ و كأن قلوبكم بها استكبار عن الحفظ و عدوكم يعمل

ص : ٨٠

١- ١) سورة المائدة ٢٥.

٢- ٢) هو أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل الفارقي؛ كان خطيب حلب، و بها اجتمع مع أبي الطيب المتنبى فى خدمه سيف الدوله، و كان سيف الدوله كثير الغزوات؛ فكثرت خطبه فى الجهاد ليحضض الناس على نصر سيف الدوله، توفى سنة ٣٧٤. و نباته، بضم النون و فتح الباء. ابن خلكان ١: ٢٨٣-٢٨٤.

فى دياركم عمله و يبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله و صرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه و ندبكم الرحمن إلى حقه فخالتموه و هذه البهائم تناضل عن ذمارها و هذه الطير تموت حميه دون أوكارها بلا كتاب أنزل عليها و لا رسول أرسل إليها و أنتم أهل العقول و الأفهام و أهل الشرائع و الأحكام تندون من عدوكم نديد الإبل و تدرعون له مدارع العجز و الفشل و أنتم و الله أولى بالغزو إليهم و أحرى بالمغار عليهم لأنكم أمناء الله على كتابه و المصدقون بعقابه و ثوابه خصكم الله بالنجده و البأس و جعلكم خيراً أمه أخرجت للناس فأين حميه الإيمان و أين بصيره الإيقان و أين الإشفاق من لهب النيران و أين الثقة بضمان الرحمن فقد قال الله عز و جل فى القرآن بلى إن تصبروا و تتقوا (١) فاشترط عليكم التقوى و الصبر و ضمن لكم المعونه و النصر أفتتهمونه فى ضمانه أم تشكون فى عدله و إحسانه فسابقوا رحمكم الله إلى الجهاد بقلوب نقيه و نفوس أبيه و أعمال رضيه و وجوه مضيه و خذوا بعزائم التشمير و اكشفوا عن رءوسكم عار التقصير و هبوا نفوسكم لمن هو أملك بها منكم و لا تركنوا إلى الجزع فإنه لا يدفع الموت عنكم لا تكونوا كالذين كفروا و قالوا لاخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا و ما قتلوا (٢) فالجهاد الجهاد أيها الموقنون و الظفر الظفر أيها الصابرون و الجنه الجنه أيها الراغبون و النار النار أيها الراهبون فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان و أوسع أبواب الرضوان و أرفع درجات الجنان و إن من ناصح الله ليين منزلتين مرغوب فيهما مجمع على تفضيلهما إما السعاده بالظفر فى العاجل و إما الفوز بالشهادة فى الآجل و أكره المنزلتين إليكم أعظمهما نعمه

ص: ٨١

١-١) سورة آل عمران ١٢٥.

٢-٢) سورة آل عمران ١٥٦.

عليكم فانصروا الله فإن نصره حرز من الهلكات حريز و لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (١).

هذا آخر خطبه ابن نباته فانظر إليها و إلى خطبته ع بعين الإنصاف تجدها بالنسبه إليها كمنخث بالنسبه إلى فحل أو كسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد و انظر ما عليها من أثر التوليد و شين التكلف و فجاجه كثير من الألفاظ ألا ترى إلى فجاجه قوله كأنّ أسمعكم تمج و دائع الوعظ و كأنّ قلوبكم بها استكبار عن الحفظ و كذلك ليس يخفى نزول قوله تندون من عدوكم نديد الإبل و تدرعون له مدارع العجز و الفشل.

و فيها كثير من هذا الجنس إذا تأمله الخبير عرفه و مع هذا فهي مسروقه من كلام أمير المؤمنين ع ألا ترى أن قوله ع أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجهنه قد سرقه ابن نباته فقال فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان و أوسع أبواب الرضوان و أرفع درجات الجنان و قوله ع من اجتماع هؤلاء على باطلهم و تفرقكم عن حقكم سرقه أيضا فقال صرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه و ندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه و قوله ع قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم إلى آخره سرقه أيضا فقال كم تسمعون الذكر فلا تعون و تفرعون بالزجر فلا تعلقون و قوله ع حتى شنت عليكم الغارات و ملكت عليكم الأوطان سرقه أيضا و قال و عدوكم يعمل في دياركم عمله و يبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله و أمّا باقى خطبه ابن نباته فمسروق من خطب لأمير المؤمنين ع آخر سيأتي ذكرها.

ص: ٨٢

واعلم أنى أضرب لك مثلاً- تتخذة دستوراً فى كلام أمير المؤمنين ع و كلام الكتاب و الخطباء بعده كابين نباته و الصابى و غيرهما انظر نسبه شعر أبى تمام و البحترى و أبى نواس و مسلم إلى شعر إمرئ القيس و النابغه و زهير و الأعشى هل إذا تأملت أشعار هؤلاء و أشعار هؤلاء تجد نفسك حاكمه بتساوى القبيلين أو بتفضيل أبى نواس و أصحابه عليهم ما أظن أن ذلك ممّا تقول أنت و لا قاله غيرك و لا يقوله إلا من لا يعرف علم البيان و ماهيه الفصاحه و كنه البلاغه و فضيله المطبوع على المصنوع و مزيه المتقدم على المتأخر فإذا أقررت من نفسك بالفرق و الفضل و عرفت فضل الفاضل و نقص الناقص فاعلم أن نسبه كلام أمير المؤمنين ع إلى هؤلاء هذه النسبه بل أظهر لأنك تجد فى شعر إمرئ القيس و أصحابه من التعجرف و الكلام الحوشى و اللفظ الغريب المستكره شيئاً كثيراً و لا- تجد من ذلك فى كلام أمير المؤمنين ع شيئاً و أكثر فساد الكلام و نزوله إنما هو باستعمال ذلك.

فإن شئت أن تزداد استبصاراً فانظر القرآن العزيز و اعلم أن الناس قد انفقوا على أنه فى أعلى طبقات الفصاحه و تأمله تأملاً شافياً و انظر إلى ما خص به من مزيه الفصاحه و البعد عن التعجير و التقييب (1) و الكلام الوحشى الغريب و انظر كلام أمير المؤمنين ع فإنك تجده مشتقاً من ألفاظه و مقتضياً من معانيه و مذاهبه و محذواً به حذوه و مسلوفاً به فى منهجته فهو و إن لم يكن نظيراً و لا ندا يصلح أن يقال إنه ليس بعده كلام أفصح منه و لا أجزل و لا أعلى و لا أفخم و لا أنبل إلا أن يكون كلام ابن عمه ع و هذا أمر لا يعلمه إلا من ثبت له قدم راسخه فى علم هذه الصناعات و ليس كل الناس يصلح لانتقاد الجوهر بل و لا لانتقاد الذهب و لكل صناعه أهل و لكل عمل رجال.

و من خطب ابن نباته التى يحرض فيها على الجهاد

ص: ٨٣

١-١) التقييب: التعمق فى الكلام و التشديق به، و مثله التقييب.

ألا وإن الجهاد كنز وفر الله منه أقسامكم و حرز طهر الله به أجسامكم و عزّ أظهر الله به إسلامكم ف إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَ يُبَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ فانفروا رحمكم الله جميعا و ثبات (١) و شنوا على أعدائكم الغارات و تمسكوا بعصم الإقدام و معاقل الثبات و أخلصوا في جهاد عدوكم حقائق النيات فإنّه و الله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا و لا قعدوا عن صون ديارهم إلا اضمحلوا و اعلّموا أنّه لا- يصلح الجهاد بغير اجتهاد كما لا يصلح السفر بغير زاد فقدموا مجاهدته القلوب قبل مشاهدته الحروب و مغالبه الأهواء قبل محاربه الأعداء و بادروا بإصلاح السرائر فإنها من أنفس العدد و الذخائر و اعتاضوا من حياه لا بدّ من فنائها بالحياه التي لا ريب في بقائها و كونوا ممن أطاع الله و شمر في مرضاته و سابقوا بالجهاد إلى تملك جناته فإن للجنه بابا حدوده تطهير الأعمال و تشييده إنفاق الأموال و ساحته زحف الرجال و طريقه غمغمه الأبطال و مفتاحه الثبات في معترك القتال و مدخله من مشرعه الصوارم و النبال.

فلينظر الناظر في هذا الكلام فإنّه و إن كان قد أخذ من صناعه البديع بنصيب إلا أنّه في حضيض الأرض و كلام أمير المؤمنين ع في أوج السماء فإنّه لا- ينكر لزومه فيه لما لا يلزمه اقتدارا و قوه و كتابه نحو قوله كنز فإنّه بإزاء حرز و عزّ و قوله مشاهدته بإزاء قوله مجاهدته و مغالبه بإزاء محاربه و حدوده بإزاء تشييده لكن مثله بالقياس إلى كلام أمير المؤمنين ع كدار مبنيه من اللبن و الطين مموهه الجدران بالنقوش و التصاوير مزخرفه بالذهب من فوق الجص و الإسفيداج (٢) بالقياس إلى دار مبنيه بالصخر الأصمّ الصلد المسبوك بينه عمد الرصاص و النحاس المذاب و هي مكشوفه غير مموهه و لا مزخرفه فإن بين هاتين الدارين بونا بعيدا و فرقا عظيما و انظر قوله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا كيف تصيح من بين الخطبه صياحا و تنادى على نفسها نداء فصيحاً و تعلم سامعها أنّها ليست من المعدن

ص: ٨٤

١-١) ثبات: جماعه بعد جماعه.

٢-٢) الإسفيداج: رماد الرصاص.

الذى خرج باقى الكلام منه و لا من الخاطر الذى صدر ذلك السجع عنه و لعمر الله لقد جملت الخطبه و حسنيتها وزانتها و ما مثلها فيها إلا- كآيه من الكتاب العزيز يتمثل بها فى رساله أو خطبه فإنها تكون كاللؤلؤه المضيئه تزهر و تنير و تقوم بنفسها و تكتسى الرساله بها رونقا و تكتسب بها ديباجه.

و إذا أردت تحقيق ذلك فانظر إلى السجعه الثانيه التى تكلفها ليوازنها بها و هى قوله و لا قعدوا عن صون ديارهم إلا اضمحلوا فإنك إذا نظرت إليها وجدت عليها من التكلف و الغثائه ما يقوى عندك صدق ما قلته لك.

على أن فى كلام ابن نباته فى هذا الفصل ما ليس بجيد و هو قوله و حرز طهر الله به أجسامكم فإنه لا يقال فى الحرز إنه يطهر الأجسام و لو قال عوض طهر حصن الله به أجسامكم لكان أليق لكنه أراد أن يقول طهر ليكون يازاء وفر و يازاء أظهر فأداه حبّ التقابل إلى ما ليس بجيد

غارہ سفیان بن عوف الغامدى على الأنبار

فأما أخو غامد الذى وردت خيله الأنبار فهو سفیان بن عوف بن المغفل الغامدى و غامد قبيله من اليمن و هى من الأزد أزد شنوءه و اسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد و سمي غامدا لأنه كان بين قومه شر فأصلحه و تغمدهم بذلك.

٢٤٧

١- رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ هَلَالِ الثَّقَفِيِّ (١) فِي كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنْ أَبِي الْكَنُودِ قَالَ حَدَّثَنِي سَفْيَانُ بْنُ عَوْفِ الْغَامِدِيِّ قَالَ دَعَانِي مُعَاوِيَةُ فَقَالَ إِنِّي بَاعْتُكَ فِي جَيْشِ كَثِيفِ ذِي أَدَاهِ وَ جَلَادِهِ فَالزَّمْ لِي جَانِبَ الْفَرَاتِ حَتَّى تَمُرَّ بِهِتَ (٢)

ص: ٨٥

١- (١) إبراهيم بن محيّد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد الثقفي؛ من علماء أصبهان، ذكره أبو نعيم فى تاريخه و قال: كان غالباً فى الرفض، مات سنة ٢٨٠هـ. لسان الميزان ١: ١٠٢.

٢- (٢) هيت: بلد على الفرات فوق الأنبار.

فَتَقَطَّعَهَا فَإِنْ وَجِدْتَ بِهَا جُنْدًا فَأَعِزْ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا فَاْمُضْ حَتَّى تُغَيِّرَ عَلَى الْأَنْبَارِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بِهَا جُنْدًا فَاْمُضْ حَتَّى تُوْغَلَ فِي الْمَدَائِنِ ثُمَّ أَقْبِلْ إِلَيَّ وَاتَّقِ أَنْ تَقْرَبَ الْكُوفَةَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ أَغْرَتَ عَلَى أَهْلِ الْأَنْبَارِ وَأَهْلِ الْمَدَائِنِ فَكَأَنَّكَ أَغْرَتَ عَلَى الْكُوفَةِ إِنْ هِيَ مِنَ الْغَارَاتِ يَا سُفْيَانَ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ تَرَعِبْ قُلُوبَهُمْ وَتَفَرِّحْ كُلُّ مَنْ لَهٗ فِيْنَا هَوَى مِنْهُمْ وَتَدْعُو إِلَيْنَا كُلُّ مَنْ خَافَ الدَّوَائِرَ فَاقْتُلْ مَنْ لَقِيْتَهُ مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِكَ وَأَخْرِبْ كُلَّ مَيَا مَرَزَتْ بِهِ مِنَ الْقَرْيِ وَاحْرِبِ الْأَمْوَالَ فَإِنَّ حَرْبَ الْأَمْوَالِ شَبِيهُ بِالْقَتْلِ وَهُوَ أَوْجَعُ لِلْقَلْبِ.

قَالَ فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ فَعَسَيْ كَرُتٌ وَ قَامَ مُعَاوِيَةُ فِي النَّاسِ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ انْتَدِبُوا (١) مَعَ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ وَجْهٌ عَظِيمٌ فِيهِ أَجْرٌ سَرِيعٌ فِيهِ أَوْبَتُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَزَلَ.

قَالَ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مَرَّتْ ثَالِثُهُ حَتَّى خَرَجْتُ فِي سِتِّتِهِ آلَافٍ ثُمَّ لَزِمْتُ شَاطِئَ الْفُرَاتِ فَأَعْمَدْتُ السَّيْرَ حَتَّى أَمَرَ بِهَيْتٍ فَبَلَّغَهُمْ أَنِّي قَدْ غَشِيَتْهُمْ فَقَطَّعُوا الْفُرَاتَ فَمَرَزْتُ بِهَا وَمَا بِهَا عَرِيبٌ (٢) كَأَنَّهَا لَمْ تُحْلَلْ قَطُّ فَوَطِئْتُهَا حَتَّى أَمَرَ بِصِيَّةٍ نَدَوْدَاءَ (٣) فَفَرَّوْا فَلَمْ أَلْقَ بِهَا أَحَدًا فَاْمُضَى حَتَّى أَفْتَسِحَ الْأَنْبَارَ وَقَدْ نَذَرُوا بِي فَخَرَجَ صَاحِبُ الْمَسِيْلِحَةِ إِلَيَّ فَوَقَفَ لِي فَلَمْ أَقْدَمْ عَلَيْهِ حَتَّى أَخَذْتُ غِلْمَانًا مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَقُلْتُ لَهُمْ أَخْبِرُونِي كَمْ بِالْأَنْبَارِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ ع قَالُوا عِدَّةُ رِجَالِ الْمَسِيْلِحَةِ خَمْسِيَّةٌ مَائَةٌ وَ لَكِنَّهُمْ قَدْ تَبَدَّدُوا وَ رَجَعُوا إِلَيَّ الْكُوفَةَ وَ لَا نَدْرِي الَّذِي يَكُونُ فِيهَا قَدْ يَكُونُ مَائَتِي رَجُلٌ فَنَزَلْتُ فَكَتَبْتُ أَصْحَابِي كِتَابًا ثُمَّ أَخَذْتُ أِبْعَثُهُمْ إِلَيْهِ كَتَبْتُهُ بَعْدَ كَتَبْتِهِ فَيَقَاتِلُهُمْ وَ اللَّهُ وَ يَصْبِرُ لَهُمْ وَ يُطَارِدُهُمْ وَ يُطَارِدُونَهُ فِي الْأَزَقَةِ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَنْزَلْتُ إِلَيْهِمْ نَحْوًا مِنْ مَائَتَيْنِ

ص: ٨٦

١- (١) انتدبوا: خفوا للقتال.

٢- (٢) عريب: أي ما بها أحد.

٣- (٣) صندوداء: قريه كانت في غربي الفرات فوق الأنبار.

وَ اتَّبَعْتُهُمُ الْخَيْلَ فَلَمَّا حَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَ أَمَامَهَا الرِّجَالُ تَمَشَّى لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ حَتَّى تَفَرَّقُوا وَ قُتِلَ صَاحِبُهُمْ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا وَ حَمَلْنَا مَا كَانَ فِي الْأَنْبَارِ مِنَ الْأَمْوَالِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَوَ اللَّهُ مَا غَزَوْتُ غَزَاهُ كَانَتْ أَسْلَمَ وَ لَا أَقَرَّ لِلْعُيُونِ وَ لَا أَسْرَ لِلنُّفُوسِ مِنْهَا وَ بَلَغَنِي وَ اللَّهُ أَنَّهَا أُرْعَبَتِ النَّاسَ فَلَمَّا عُمِدْتُ إِلَى مُعَاوِيَةَ حَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ كُنْتُ عِنْدَ ظَنِّي بِكَ لَا تَنْزِلُ فِي بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِي إِلَّا قَضَيْتَ فِيهِ مِثْلَ مَا يَقْضِي فِيهِ أَمِيرُهُ وَ إِنْ أَحْبَبْتَ تَوَلَّيْتَهُ وَ لَيْتَكَ وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَمْرٌ دُونِي.

قَالَ فَوَ اللَّهُ مَا لَبِثْنَا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى رَأَيْتُ رِجَالَ أَهْلِ الْعِرَاقِ يَأْتُونَنَا عَلَى الْإِبِلِ هُرَابًا مِنْ عَشْكَرٍ عَلِيٍّ ع .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ كَانَ اسْمُ عَامِلٍ عَلِيٍّ ع عَلَى مَسْلَحِهِ الْأَنْبَارِ أَشْرَسَ بِنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ

٢٤٨

١،٢،٣- وَ رَوَى إِبْرَاهِيمُ عَنْ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ عَفِيفٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ أَشْرَسَ بْنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ بِالْأَنْبَارِ عَلَى مَسْلَحَتِهَا إِذْ صَبَحْنَا سُفْيَانَ بْنَ عَوْفٍ فِي كِتَابِ تَلْمَعِ الْأَبْصَارِ مِنْهَا فَهَالُونَا وَ اللَّهُ وَ عَلِمْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا طَاقَةٌ بِهِمْ وَ لَا يَدٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ صَاحِبِنَا وَ قَدْ تَفَرَّقْنَا فَلَمْ يَلْقَهُمْ نِصْفُنَا وَ أَيُّمُ اللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْنَاهُمْ فَأَحْسَنَّا قِتَالَهُمْ حَتَّى كَرِهُونَا ثُمَّ نَزَلَ صَاحِبِنَا وَ هُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (١) ثُمَّ قَالَ لَنَا مَنْ كَانَ لَا يُرِيدُ لِقَاءَ اللَّهِ وَ لَا يُطِيبُ نَفْسًا بِالْمَوْتِ فَلْيَخْرُجْ عَنِ الْقَرْيَةِ مَا دُمْنَا نُقَاتِلُهُمْ فَإِنَّ قِتَالَنَا إِيَّاهُمْ شَاغِلٌ لَهُمْ عَنْ طَلَبِ هَارِبٍ وَ مَنْ أَرَادَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْإِبْرَارِ ثُمَّ نَزَلَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا فَهَمَمْتُ بِالنُّزُولِ مَعَهُ ثُمَّ أَبَتِ نَفْسِي وَ اسْتَقَدَمَ هُوَ وَ أَصْحَابُهُ فَقَاتَلُوا حَتَّى قُتِلُوا رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَ انْصَرَفْنَا نَحْنُ مِنْهُمْ مِينًا.

ص: ٨٧

(١-١) سورة الأحزاب ٢٣.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَقَدِيمٌ (١) عَلِمْتُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى عَلِيِّ ع فَأَخْبِرَهُ الْخَبَرَ فَصَيَّ عِدَّ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ إِنَّ أَخَاكُمْ الْبَكْرِيَّ قَدْ أَصَيْبَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ مُعْتَرٌّ لَّا يَخَافُ مَيَّا كَانَ وَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا فَانْتَدِبُوا إِلَيْهِمْ حَتَّى تُلَاقَوْهُمْ فَإِنْ أَصَيْبْتُمْ مِنْهُمْ طَرْفًا أَنْكَلْتُمُوهُمْ عَنِ الْعِرَاقِ أَبَدًا مَا بَقُوا.

ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُمْ رَجَاءً أَنْ يُجِيبُوهُ أَوْ يَتَكَلَّمُوا مِنْهُمْ مُتَكَلِّمٌ فَلَمْ يُنْبَسْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِكَلِمَةٍ فَلَمَّا رَأَى صِيَمْتَهُمْ نَزَلَ وَخَرَجَ يَمْشِي رَاجِلًا حَتَّى أَتَى النَّخِيلَةَ وَالنَّاسُ يَمْشُونَ خَلْفَهُ حَتَّى أَحْاطَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَقَالُوا ارْجِعْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحْنُ نَكْفِيكَ فَقَالَ مَا تَكْفُونَنِي وَلَا تَكْفُونَ أَنْفُسَكُمْ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى صَرَفُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَرَجَعَ وَهُوَ وَاجِمٌ كَثِيبٌ وَدَعَا سَيِّعِيدَ بْنَ قَيْسِ الْهَمْدَانِيَّ فَبَعَثَهُ مِنَ النَّخِيلَةِ فِي ثَمَانِيَةِ آلَافٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ خُبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ جَاءُوا فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ.

فَخَرَجَ سَيِّعِيدُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ فِي طَلَبِ سَيِّفِيَانَ بْنِ عَوْفٍ حَتَّى إِذَا بَلَغَ عَانَاتٍ (٢) سَيَّرَحَ أَمِيَامَهُ هَانِيَّ بْنَ الْخَطَّابِ الْهَمْدَانِيَّ فَاتَّبَعَ آثَارَهُمْ حَتَّى دَخَلَ أَدَانِيَّ أَرْضِ قَيْسَرِينَ وَقَدْ فَاتُوهُ فَأَنْصَرَفَ.

قَالَ وَ لَبَّثَ عَلِيُّ ع تُرَى فِيهِ الْكَأَبُ وَالْحُزْنُ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَكَانَ تِلْكَ الْأَيَّامَ عَلِيًّا فَلَمْ يَقْوِ عَلَى الْقِيَامِ فِي النَّاسِ بِمَا يُرِيدُهُ مِنَ الْقَوْلِ فَجَلَسَ بِنَابِ الشُّدَّةِ الَّتِي تَصِلُ إِلَى الْمَسِيدِ جِدًّا وَمَعَهُ ابْنَاهُ حَسَنٌ وَحَسَيْنٌ ع وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَدَعَا سَيِّعِيدًا مَوْلَاهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ فَقَامَ سَيِّعِيدٌ بِحَيْثُ يَسْتَمِعُ عَلِيُّ ع صَوْتَهُ وَيَسْمَعُ مَا يَرُدُّ النَّاسُ عَلَيْهِ ثُمَّ قرَأَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي نَحْنُ فِي شَرْحِهَا.

ص: ٨٨

١-١) العالج: الرجل من كفار العجم.

٢-٢) عانات: بلد بين الرقة و هيت قريه من الأنبار.

وَذَكَرَ أَنَّ الْقَائِمَ إِلَيْهِ الْعَارِضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ جُنْدَبُ بْنُ عَفِيفٍ الْأَزْدِيُّ هُوَ وَابْنُ أَخٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَفِيفٍ .

قَالَ ثُمَّ أَمَرَ الْحَارِثَ الْأَعْوَرَ الْهَمْدَانِيَّ فَنَادَى فِي النَّاسِ أَيْنَ مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ لِرَبِّهِ وَيَبِيعُ دُنْيَاهُ بِأَخْرَجَتْهُ أَصِيبُوا عَمْدًا بِالرَّحْبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يَحْضُرُ إِلَّا صَادِقُ النَّيِّهِ فِي السَّيْرِ مَعَنَا وَ الْجِهَادِ لِعَدُوِّنَا فَأَصِيبِحْ وَ لَيْسَ بِالرَّحْبَةِ إِلَّا دُونَ ثَلَاثِمِائَةٍ فَلَمَّا عَرَضَهُمْ قَالَ لَوْ كَانُوا أَلْفًا كَانَ لِي فِيهِمْ رَأْيٌ .

وَ أَتَاهُ قَوْمٌ يَعْتَدِرُونَ فَقَالَ وَ جَاءَ الْمُعَدِّرُونَ (١) وَ تَخَلَّفَ الْمُكَدَّبُونَ وَ مَكَثَ أَيَّامًا بَادِيًا حُزْنُهُ شَدِيدَ الْكُتَابَةِ ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ أَمَا بَعِيدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَوَ اللَّهُ لَأَهْلُ مِصْرٍ رُكْمٌ فِي الْأَمْصَارِ أَكْثَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْعَرَبِ وَ مَا كَانُوا يَوْمَ أُعْطُوا رَسُولَ اللَّهِ صَ أَنْ يَمْنَعُوهُ وَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُتَهَاجِرِينَ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ إِلَّا قَبِيلَتَيْنِ قَرِيبًا مَوْلَاهُمَا مَا هُمَا بِأَقْدَمِ الْعَرَبِ مِثْلًا وَلَا بِأَكْثَرِهِمْ عِدَدًا فَلَمَّا آوُوا إِلَى النَّبِيِّ صَ وَ أَصْحَابِهِ وَ نَصَرُوا اللَّهَ وَ دِينَهُ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَتَحَالَفَتْ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَ عَزَّتْهُمْ الْقَبَائِلُ قَبِيلَةَ بَعْدَ قَبِيلَةٍ فَتَجَرَّدُوا لِنُضِيرِهِ دِينَ اللَّهِ وَ قَطَعُوا مَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْعَرَبِ مِنَ الْحَبَائِلِ وَ مَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْيَهُودِ مِنَ الْحَلْفِ وَ نَصَبُوا لِأَهْلِ نَجْدٍ وَ تِهَامَةٍ وَ أَهْلِ مَكَّةَ وَ الْيَمَامَةِ وَ أَهْلِ الْحَزْنِ وَ السَّهْلِ وَ أَقَامُوا قَنَاءَ الدِّينِ وَ صَبَرُوا تَحْتَ حِمَاسِ الْجِلَادِ حَتَّى دَانَتْ الْعَرَبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَ وَ رَأَى مِنْهُمْ قُرَّةَ الْعَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ وَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي النَّاسِ أَكْثَرُ مِنْ أَوْلِيكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فِي الْعَرَبِ .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آدَمٌ طَوَالَ فَقَالَ مَا أَنْتَ بِمُحَمَّدٍ وَلَا نَحْنُ بِأَوْلِيكَ الدِّينِ

ص: ٨٩

ذَكَرَتْ فَقَالَ عَ أَحْسِنُ سَمِعًا تُحَسِّنُ إِحْيَابَهُ ثَكَرْتَكُمُ الثَّوَاكِلُ مَا تَزِيدُونَنِي إِلَّا- عَمَّا هَلْ أَخْبَرْتَكُمُ أَنِّي مُحَمَّدٌ وَ أَنْكُمُ الْأَنْصَارُ إِنَّمَا
ضَرَبْتُ لَكُمْ مَثَلًا وَ إِنَّمَا أَرْجُو أَنْ تَتَأَسَّوْا بِهِمْ .

ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ مَا أَحْوَجَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ وَ أَضِيحَابَهُ إِلَى أَصْحَابِ النَّهْرَوَانَ ثُمَّ تَكَلَّمَ النَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَ لَعَطُوا وَ قَامَ
رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ اسْتَبَانَ فَقَدْ الْأَشْتَرِ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ أَشْهَدُ لَوْ كَانَ حَيًّا لَقَلَّ اللَّعْطُ وَ لَعَلِمَ كُلُّ امْرِئٍ مَا يَقُولُ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَ هَبْلَتَكُمُ الْهَوَابِلُ أَنَا أَوْجِبُ عَلَيْكُمْ حَقًّا مِنَ الْأَشْتَرِ وَ هَلْ لِلْأَشْتَرِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ .

فَقَامَ حُجْرُ بْنُ عَيْدِيٍّ الْكِنْدِيُّ وَ سَعِيدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيُّ فَقَالَا لَا يَسُوؤُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُرْنَا بِأَمْرِكَ نَتَّبِعُهُ فَوَ اللَّهُ مَا نُعْظِمُ
جَزَعًا عَلَى أَمْوَالِنَا إِنْ نَفَدَتْ وَ لَا عَلَى عَشَائِرِنَا إِنْ قُتِلَتْ فِي طَاعَتِكَ فَقَالَ تَجَهَّزُوا لِلْمَسِيرِ إِلَى عَدُونَا .

فَلَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ وَ دَخَلَ عَلَيْهِ وَجْهُهُ أَضِيحَابَهُ قَالَ لَهُمْ أَشِيرُوا عَلَيَّ بِرَجُلٍ صَلِيبٍ نَاصِحٍ يَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ السَّوَادِ فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ
قَيْسٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشِيرُ عَلَيْكَ بِالنَّاصِحِ الْأَرِيبِ الشُّجَاعِ الصَّلِيبِ مَعْقِلِ بْنِ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ قَالَ نَعَمْ .

ثُمَّ دَعَاهُ فَوَجَّهَهُ فَسَارَ فَلَمْ يَقْدَمْ حَتَّى أَصِيبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ وَ آذَنْتْ بِوَدَاعٍ وَ إِنَّ الأَخْرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ (١) أَلَا وَ إِنَّ اليَوْمَ المِضْمَارَ وَ غَدَا السَّبَاقَ وَ السُّبْقَةَ الأَجْنَهُ وَ الغَمَايَةَ النَّارُ أ فَلَا- تَتَائِبُ مِنْ حُطِيئَتِهِ قَبْلَ مَبِيَّتِهِ أ لَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ أَلَا وَ إِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ وَ مَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضُرَّهُ أَجَلُهُ أَلَا- فاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ أَلَا وَ إِنِّي لَمْ أَرَ كالأَجْنَهُ نَامَ طَالِبِهَا وَ لَا كالأَنْارِ نَامَ هَارِبِهَا أَلَا وَ إِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الحَقُّ يَضُرُّهُ الباطِلُ وَ مَنْ لَا يَسْتَقِيمُ [يَسْتَقِيمُ]

بِهِ الأُهدَى يَجْرُ [يَجْرُهُ]

بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى أَلَا وَ إِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ بِالظَّنِّ وَ دُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ إِنَّ الأَخُوفَ مَا أَحَافُ [عَلَيْكُمْ]

عَلَيْكُمْ ائْتِنَانِ اتِّبَاعِ الأَهْوَى وَ طُولِ الأَمَلِ فَتَرَوُدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ [تَحُوزُونَ]

بِهِ أَنفُسَكُمْ غَدَاً.

ص: ٩١

قال الرضى رحمه الله و أقول إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد فى الدنيا و يضطر إلى عمل الآخره لكان هذا الكلام و كفى به قاطعا لعلائق الآمال و قادحا زناد الانعاط و الازدجار و من أعجبه قوله ع ألا و إن اليوم المضمار و غدا السباق و السبقه الجنه و الغايه النار فإن فيه مع فخامه اللفظ و عظم قدر المعنى و صادق التمثيل و واقع التشبيه سرا عجيبا و معنى لطيفا و هو قوله ع و السبقه الجنه و الغايه النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين و لم يقل السبقه النار كما قال السبقه الجنه لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب و غرض مطلوب و هذه صفه الجنه و ليس هذا المعنى موجودا فى النار نعوذ بالله منها فلم يجوز أن يقول و السبقه النار بل قال و الغايه النار لأن الغايه قد ينتهى إليها من لا يسره الانتهاء إليها و من يسره ذلك فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا فهى فى هذا الموضع كالمصير و المآل قال الله تعالى قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (١) و لا يجوز فى هذا الموضع أن يقال فإن سبقتكم إلى النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب و غوره بعيد لطيف و كذلك أكثر كلامه ع.

و فى بعض النسخ و قد جاء فى روايه أخرى و السبقه الجنه (٢) بضم السين و السبقه عندهم اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض و المعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود

ص: ٩٢

١-١) سورة إبراهيم ٣٠.

٢-٢) و هى روايه مخطوطه النهج.

أعلمت و المضممار منصوب لأتته اسم إن و اليوم ظرف و موضعه رفع لأتته خبر إن و ظرف الزمان يجوز أن يكون خبرا عن الحدث و المضممار و هو الزمان الذى تضرمر فيه الخيل للسباق و الضمر الهزال و خفه اللحم و إعراب قوله و غدا السباق على هذا الوجه أيضا.

و يجوز الرفع فى الموضوعين على أن تجعلهما خبر إن بأنفسهما .

و قوله ع أ لا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه أخذه ابن نباته مصالته (١) فقال فى بعض خطبه أ لا عامل لنفسه قبل حلول رسمه .

قوله أ لا- فاعملوا فى الرغبة يقول لا- ريب أن أحدكم إذا مسه الضر من مرض شديد أو خوف مقلق من عدو قاهر فإنه يكون شديد الإخلاص و العبادة و هذه حال من يخاف الغرق فى سفينه تتلاعب بها الأمواج فهو ع أمر بأن يكون المكلف عاملا أيام عدم الخوف مثل عمله و إخلاصه و انقطاعه إلى الله أيام هذه العوارض .

قوله لم أر كالجنه نام طالبها يقول إن من أعجب العجائب من يؤمن بالجنه كيف يطلبها و ينام و من أعجب العجائب من يوقن بالنار كيف لا يهرب منها و ينام أى لا ينبغى أن ينام طالب هذه و لا الهارب من هذه.

و قد فسر الرضى رحمه الله تعالى معنى قوله و السبقه الجنه

نبد من أقوال الصالحين و الحكماء

و نحن نورد فى هذا الفصل نكتا من مواعظ الصالحين يرحمهم الله تناسب هذا المأخذ فمما يؤثر عن أبى حازم الأعرج كان فى أيام بنى أمية قوله لعمر بن عبد العزيز

ص: ٩٣

(١- ١) المصالته عند الشعراء، أن يأخذ الشاعر بيتا لغيره لفظا و معنى؛ و هى من أقبح السرقات الشعريه، من الصلت بمعنى اللص.

و قد قال له يا أبا حازم إني أخاف الله ممّا قد دخلت فيه فقال لست أخاف عليك أن تخاف و إنّما أخاف عليك ألا تخاف.

و قيل له كيف يكون الناس يوم القيامة قال أما العاصي فأبق قدم به على مولاه و أمّا المطيع فغائب قدم على أهله.

و من كلامه إنّما بيني و بين الملوک يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته و لا أجد شدته و أمّا غدا فإنني و إياهم منه على خطر و إنّما هو اليوم فما عسى أن يكون.

و من كلامه إذا تتابعت عليك نعم ربك و أنت تعصيه فاحذره.

و قال له سليمان بن عبد الملك عظمي فقال عظم ربك أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك.

و قيل له ما مالک قال شيثان لا عدم بي معهما الرضا عن الله و الغنى عن الناس.

و من كلامه عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحله و يتركون أن يعملوا لدار يرحلون إليها كل يوم مرحله.

و من كلامه إن عوفينا من شر ما أعطانا لم يضرنا فقد ما زوى عنا.

و من كلامه نحن لا نريد أن نموت حتّى نتوب و نحن لا نتوب حتّى نموت.

و لما ثقل عبد الملك رأى غسالا يلوى بيده ثوبا فقال وددت أني كنت غسالا مثل هذا أعيش بما أكتسب يوما فيوما فذكر ذلك لأبي حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه و لا نتمنى عند الموت ما هم فيه.

و من كلام غيره من الصالحين دخل سالم بن عبد الله بن عمر على هشام بن عبد الملك

فى الكعبه فكلمه هشام ثم قال له سل حاجتك قال معاذ الله أن أسأل فى بىء الله غير الله.

وقىل لرابعه القىسىه لو كلمت أهلك أن يشءروا لك خادما يكفىك مءونه بىءك قالت إنى لأسءءى أن أسأل الدنيا من ىملكها فكىف من لا ىملكها.

وقال بكر بن عبد الله أطفءوا نار الغضب بذكر نار جهنم .

عامر بن عبد القىس الدنيا والده للموء ناقضه للمبرم مرءءعه للعطىه و كل من فىها ىجرى إلى ما لا ىدرى و كل مسءقر فىها غير راض بها و ذلك شهىء على أنها لىسء بءار قرار.

باع عءبه بن عبد الله بن مسعود أرضا له بثمانىن ألفا فءصءق بها فقىل له لو جعلء هذا المال أو بعضه ذءرا لولدك قال بل أءعل هذا المال ذءرا لى و أءعل الله ءعالى ذءرا لولءى.

رأى إىاس بن قءاده شىبه فى لءىءه فقال أرى الموء ىطلبنى و أرانى لا- أفوءه فلزم بىءه و ءرك الاكءساب فقال له أهله ءموء هزالا قال لأن أموء مؤمنا مهزولا أحب إلى من أن أعىش منافقا سمنىنا.

بكر بن عبد الله المزنى ما الدنيا لىء شعرى أما ما مضى منها فءلم و أمّا ما بقى فأمانى.

مورق العءلّى خىر من العءب بالطاعه ألا ءأى بالطاعه.

و من كلامه ضاحك معءرف بءنبه خىر من باك مدل على ربه.

و من كلامه أوحى الله إلى الدنيا من خءمنى فاخدمىه و من خءمك فاسءءمىه.

قيل لرابعه هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك قالت إن كان فخوفى أن يرد على.

نظر حبيب إلى مالك بن دينار و هو يقسم صدقته علانيه فقال يا أخى إن الكنوز لتستر فما بال هذا يجهر به.

قال عمرو بن عبيد للمنصور إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها و إن هذا الذى أصبح اليوم فى يدك لو كان ممّا يبقى على الناس لبقى فى يد من كان قبلك و لم يصر إليك فاحذر ليله تمخض بيوم لا ترى بعده إلا يوم القيامة فبكى المنصور و قال يا أبا عثمان سل حاجه قال حاجتى ألا تعطينى حتى أسألك و لا تدعنى حتى أجيئك قال إذن لا نلتقى أبدا قال فذاك أريد.

كان يقال الدنيا جاهله و من جهلها أنها لا تعطى أحدا ما يستحقه إمّا أن تزيده و إمّا أن تنقصه.

قيل لخالد بن صفوان من أبلغ الناس قال الحسن لقوله فضح الموت الدنيا.

قيل لبعض الزهاد كيف سخط نفسك على الدنيا قال أيقنت أنى خارج منها كرها فأحببت أن أخرج منها طوعا.

مر إبراهيم بن أدهم بباب أبى جعفر المنصور فنظر السلاح و الحرس فقال المريب خائف.

قيل لزاهد ما أصبرك على الوحده قال كلا أنا أجالس ربي إذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه و إذا شئت أن أناجيه صليت.

كان يقال خف الله لقدرته عليك و استح منه لقربه منك

قال الرشيد (١) للفضيل بن عياض ما أزهذك قال أنت يا هارون أزهد منى لأنى زهدت فى دنيا فانيه و زهدت فى آخره باقيه.

و قال الفضيل يا ربى إنى لأستحيى أن أقول توكلت عليك لو توكلت عليك ما خفت إلا منك و لا رجوت إلا إياك.

عوتب بعض الزهاد على كثره التصديق بماله فقال لو أراد رجل أن ينتقل من دار إلى دار ما أظنه كان يترك فى الدار الأولى شيئاً.

قال بعض الملوك لبعض الزهاد ما لك لا تغشى بابى و أنت عبدى قال لو علمت أيها الملك لعلمت أنك عبد عبدى لأنى أملك الهوى و الهوى يملكك.

دخل متظلم على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الأذان قال و ما يوم الأذان قال اليوم الذى قال تعالى فيه فَأَذِّنْ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٢) فبكى سليمان و أزال ظلامته.

سئل الفضيل بن عياض عن الزهد فقال يجمعه حرفان فى كتاب الله لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ (٣).

كتب يحيى بن خالد من الحبس إلى الرشيد ما يمر يوم من نعيمك إلا و يمر يوم من بؤسى و كلاهما إلى نفاذ.

قيل لحاتم الأصمّ علام بنيت أمرك قال على أربع خصال علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فلم أهتم به و علمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به و علمت أن الموت يأتينى بغته فأنا أبادره و علمت أنى بعين الله فى كل حال فاستحييت منه.

ص: ٩٧

١- (١) ب: «قال بعض الملوك»، و ما أثبتته من، ج.

٢- (٢) سورة الأعراف ٤٤.

٣- (٣) سورة الحديد ٢٣.

نظر بعض الصالحين إلى رجل يفحش في قوله فقال يا هذا إنما تملئ على حافظيك كتابا إلى ربك فانظر ما تودعه.

كان يقال مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين لبعل واحد إن أرضى هذه أسخط الأخرى.

قيل لبعضهم ما مثل الدنيا قال هي أقل من أن يكون لها مثل.

دخل لص على بعض الزهاد الصالحين فلم ير في داره شيئا فقال له يا هذا أين متاعك قال حولته إلى الدار الأخرى.

قيل للربيع بن خيثم يا ربيع ما نراك تدم أحدا فقال ما أنا عن نفسي براض فأتحول من ذمي إلى ذم الناس إن الناس خافوا الله على ذنوب العباد و أمنوه على ذنوبهم.

قال عيسى بن موسى لأبي شيبه القاضي لم لا تأتينا قال إن قربتني ففتنتني و إن أقصيتني أحزنتني و ليس عندي ما أخافك عليه و لا عندك ما أرجوك له.

من كلام بعض الزهاد تأمل ذا الغنى ما أشدّ نصبه و أقلّ راحته و أخس من ماله حظه و أشدّ من الأيام حذره هو بين سلطان يتهضمه و عدو يبغى عليه و حقوق تلزمه و أكفاء يحسدونه و ولد يود فراقه قد بعث عليه غناه من سلطانه العنت و من أكفائه الحسد و من أعدائه البغى و من ذوى الحقوق الدم و من الولد الملاله.

و من كلام سفيان الثوري يا ابن آدم جوارحك سلاح الله عليك بأيتها شاء قتلك.

ميمون بن مهران في قوله تعالى وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ (١) قال إنها لتعزيه للمظلوم و وعيد للظالم.

ص: ٩٨

دخل عبد الوارث بن سعيد على مريض يعوده فقال له ما نمت منذ أربعين ليله فقال يا هذا أحصيت ليالى البلاء فهل أحصيت ليالى الرخاء.

بعضهم وا عجاه لمن يفرح بالدنيا فإنما هي عقوبه ذنب.

ابن السماك خف الله حتى كأنك لم تطعه قط و ارجه حتى كأنك لم تعصه قط.

بعضهم العلماء أطباء هذا الخلق و الدنيا داء هذا الخلق فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره.

قيل لمحمّد بن واسع فلان زاهد قال و ما قدر الدنيا حتى يحمد من يزهد فيها رثى عبد الله بن المبارك واقفا بين مقبره و مزبله فقيل له ما أوقفك قال أنا بين كنزين من كنوز الدنيا فيهما عبره هذا كنز الأموال و هذا كنز الرجال.

قيل لبعضهم أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب.

دخل الإسكندر مدينه فتحها فسأل عمن بقى من أولاد الملوك بها فقيل رجل يسكن المقابر فدعا به فقال ما دعاك إلى لزوم هذه المقابر فقال أحببت أن أميز بين عظام الملوك و عظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال هل لك أن تتبعني فأحيا شرفك و شرف آبائك إن كانت لك هممه قال همته عظيمه قال و ما همتك قال حياه لا موت معها و شباب لا هرم معه و غنى لا فقر معه و سرور لا مكروه معه فقال ليس هذا عندي قال فدعني ألتسمه ممن هو عنده.

مات ابن لعمر بن ذر فقال لقد شغلني الحزن لك يا بنى عن الحزن عليك.

كان يقال من هوان الدنيا على الله ألا يعصى إلا فيها و لا ينال ما عنده إلا بتركها.

و من كلام عبد الله بن شداد أرى دواعى الموت لا تقلع و أرى من مضى لا يرجع

فلا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب قد كان مرغوبا إليه و الزمان ذو ألوان من يصحب الزمان ير الهوان و إن غلبت يوما على المال فلا- تغلبن على الحيله على كل حال و كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مآلا.

كان يقال إن ممّا يعجل الله تعالى عقوبته الأمانه تخان و الإحسان يكفر و الرحم تقطع و البغى على الناس.

الربيع بن خيثم لو كانت الذنوب تفوح روائحها لم يجلس أحد إلى أحد.

قيل لبعضهم كيف أصبحت قال آسفا على أمسى كارها ليومى متّهما لغدى.

و قيل لآخر لم تركت الدنيا قال أنفت من قليلها و أنف منى كثيرها و هذا كما قال بعضهم و قد قيل له لم لا تقول الشعر قال يابانى جیده و أبى رديئه.

بعض الصالحين لو أنزل الله تعالى كتابا أنى معذب رجلا واحدا خفت أن أكونه أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه.

مطرف بن الشخير خير الأمور أوساطها و شر السير الحقيقه (1) و هذا الكلام قد روى مرفوعا.

يحيى بن معاذ أن لله عليك نعمتين في السراء التذكر و فى الضراء التصبر فكن فى السراء عبدا شكورا و فى الضراء حرا صبورا.

دخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظمى ثم دعا بماء ليشربه فقال له ناشدتك الله لو منعك الله من شربه ما كنت فاعلا قال كنت أفتديه بنصف ملكى قال فاشربه فلما شرب قال ناشدتك الله لو منعك الله من خروجه ما كنت فاعلا قال كنت أفتديه بنصف ملكى قال إن ملكا يفتدى به شربه ماء لخليق ألا ينافس عليه.

قال المنصور لعمر بن عبيد رحمه الله تعالى عظمى قال بما رأيت أم بما سمعت

ص: ١٠٠

(١-١) الحقيقه: أرفع السير و أتعبه للظهر.

قال بما رأيت قال رأيت عمر بن عبد العزيز و قد مات فخلف أحد عشر ابنا و بلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسه
دنانير و اشترى موضع قبره بدينارين و أصاب كل واحد من ولده دون الدينار ثم رأيت هشام بن عبد الملك و قد مات و خلف
عشره ذكور فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار و رأيت رجلا من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل فى يوم واحد على
مائة فرس فى سبيل الله و رأيت رجلا من ولد هشام يسأل الناس ليتصدقوا عليه.

حسان بن أبى سنان ما شىء أهون من ورع إذا رابك شىء فدعه.

مورق العجلىّ لقد سألت الله حاجه أربعين سنه ما قضاها و لا يثست منها قيل و ما هى قال ترك ما لا يعينى.

قتاده إن الله ليعطى العبد على نيه الآخرة ما يسأله من الدنيا و لا يعطيه على نيه الدنيا إلا الدنيا.

من كلام محمّد بن واسع ليس فى النار عذاب أشدّ على أهلها من علمهم بأنّه ليس لكربهم تنفيس و لا- لضيقهم ترفيه و لا
لعذابهم غايه و ليس فى الجنة نعيم أبلغ من علم أهلها بأن ذلك الملك لا يزول عنهم.

قال بعض الملوك لبعض الزهاد أذمم لى الدنيا قال أيها الملك هى الآخذة لما تعطى المورثه بعد ذلك الندم السالبه ما تكسو
المورثه بعد ذلك الفضوح تسد بالأراذل مكان الأفاضل و بالعجزه مكان الحزمه تجد فى كل من كل خلفا و ترضى بكل من
كل بدلا تسكن دار كل قرن قرنا و تطعم سؤر كل قوم قوما.

و من كلام الحجاج و كان مع غشمه و إلحاده واعظا بليغا مفوها خطب فقال اللهم أرنى الغى غيا فأتجنبه و أرنى الهدى هدى
فأتبعه و لا تكلىنى إلى نفسى فأضل

ضلالاً بعيداً والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه و لما بقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء و قال مالك بن دينار غدوت إلى الجمعة فجلست قريباً من المنبر فصعد الحجاج فسمعته يقول امرؤ زور عمله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقرؤه فى صحيفته و يراه فى ميزانه امرؤ كان عند قلبه زاجر و عند همه أمر امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة فإن قاده إلى طاعه الله تبعه و إن قاده إلى معصيه الله كفه إننا و الله ما خلقنا للفناء و إنما خلقنا للبقاء و إنما نتقل من دار إلى دار.

و خطب يوماً (١) فقال إن الله أمرنا بطلب الآخرة و كفانا مئونه الدنيا فليته كفانا مئونه الآخرة و أمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن ضاله المؤمن خرجت من قلب المنافق.

و من الكلام المنسوب إليه و أكثر الناس يروونه

٢٤٩

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

أَيُّهَا النَّاسُ اقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا أَسْأَلُ شَيْءٍ إِذَا أُعْطِيَتْ وَ أَبْخَلُ لَشَيْءٍ إِذَا سُرِّبَتْ فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا جَعَلَ لِنَفْسِهِ خِطَامًا وَ زِمَامًا فَقَادَهَا بِخِطَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ عَطَفَهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ .

و من كلامه إن امرأ أتت عليه ساعه من عمره لم يذكر فيها ربّه و يستغفر من ذنبه و يفكر فى معاده لجدير أن يطول حزنه و يتضاعف أسفه إن الله كتب على الدنيا الفناء و على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء و لا فناء لما كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة و اقهروا طول الأمل بقصر الأجل.

ص: ١٠٢

(١- ١) أى الحجاج.

و نقلت من أمالي أبي أحمد العسكري رحمه الله تعالى قال خطب الحجاج يوماً فقال أيها الناس قد أصبحتم في أجل منقوص و عمل محفوظ ربّ دائب مضيع و ساع لغيره و الموت في أعقابكم و النار بين أيديكم و الجنة أمامكم خذوا من أنفسكم لأنفسكم و من غناكم لفقركم و ممّا في أيديكم لما بين أيديكم فكان ما قد مضى من الدنيا لم يكن و كان الأموات لم يكونوا أحياء و كل ما ترونه فإنّه ذاهب هذه شمس عاد و ثمود و قرون كثيره بين ذلك هذه الشمس التي طلعت على التبابعة و الأكاسره و خزائنهم السائره بين أيديهم و قصورهم المشيده ثم طلعت على قبورهم أين الملوك الأولون أين الجبابره المتكبرون المحاسب الله و الصراط منصوب و جهنم تزفر و تتوقد و أهل الجنة ينعمون هم في رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ جعلنا الله و إياكم من الذين إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (١).

قَالَ فَكَانَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ أَلَا تَعَجَّبُونَ مِنْ هَذَا الْفَاجِرِ يَرْقَى عَتَبَاتِ الْمُنْتَهَى فَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَ يَنْزِلُ فَيَفْتِكُ فَتَكَ الْجَبَّارِينَ يُوَافِقُ اللَّهَ فِي قَوْلِهِ وَ يُخَالِفُهُ فِي فِعْلِهِ

استطراد بلاغي في الكلام على المقابله

و أمّا ما ذكره الرضى رحمه الله تعالى من المقابله بين السبقه و الغايه فنكته جيده من علم البيان و نحن نذكر فيها أبحاثا نافعه فنقول إمّا أن يقابل الشىء ضده أو ما ليس بضده.

فالأول كالسواد و البياض و هو قسمان أحدهما مقابله في اللفظ و المعنى.

ص: ١٠٣

و الثاني مقابله فى المعنى لا فى اللفظ.

أما الأول فكقوله تعالى فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيرًا (١) لضحكك ضد البكاء و القليل ضد الكثير و كذلك قوله تعالى لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ (٢)

٢٥٠

وَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَ خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ.

٢٥١

وَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ لِعُثْمَانَ

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَ إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ وَ أَنْتَ رَجُلٌ إِنْ صَدَقْتَ سَخِطَتْ وَ إِنْ كَذَبْتَ رَضِيَتْ .

٢٥٢

وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ عِ لَمَّا قَالَتْ الْخَوَارِجُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ كَلِمَهُ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ .

و قال الحجاج لسعيد بن جبير لما أراد قتله ما اسمك فقال سعيد بن جبير فقال بل شقى بن كسير.

و قال ابن الأثير فى كتابه المسمى بالمثل السائر إن هذا النوع من المقابله غير مختص بلغه العرب فإنه لما مات قباذ أحد ملوك الفرس قال وزيره حر كنا بسكونه.

و فى أول كتاب الفصول لبقرات فى الطبّ العمر قصير و الصنائه طويله و هذا الكتاب على لغه اليونان (٣).

قلت أى حاجه به إلى هذا التكلف و هل هذه الدعوى من الأمور التى يجوز أن يعترى الشك و الشبهه فيها ليأتى بحكاية مواضع من غير كلام العرب يحتج بها أليس كل قبيله و كل أمه لها لغه تختص بها أليس الألفاظ دلالات على ما فى الأنفس

ص: ١٠٤

١-١) سورة التوبه ٨٢.

٢-٢) سورة الحديد ٢٣.

٣-٣) المثل السائر ٢:٢٨٠، من فصل عقده للتناسب بين المعانى.

من المعانى فإذا خطر فى النفس كلام يتضمن أمرين ضدّين فلا بدّ لصاحب ذلك الخاطر سواء أ كان عربيا أم فارسيا أم زنجيا أم حبشيا أن ينطق بلفظ يدلّ على تلك المعانى المتضاده و هذا أمر يعم العقلاء كلهم على أن تلك اللفظه التى قالها ما قيلت فى موت قباذ و إنّما قيلت فى موت الإسكندر لما تكلمت الحكماء و هم حول تابوته بما تكلموا به من الحكم.

و ممّا جاء من هذا القسم من المقابله فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى صفه الواقعه [□]خَافِضَةً [□]رَافِعَةً (١) لأنّها تخفض العاصيين و ترفع المطيعين.

و قوله تعالى فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ [□]بَابٌ [□]بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (٢).

و قوله أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٣).

و من هذا الباب

٢٥٣

قَوْلُ النَّبِيِّ ص لِلْأَنْصَارِ إِنَّكُمْ لَتَكْتُمُونَ عِنْدَ الْفِرْعِ وَ تَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ.

و ممّا جاء من ذلك فى الشعر قول الفرزدق يهجو قبيله جرير يستيقظون إلى نهيق حميرهم و تنام أعينهم عن الأوتار (٤).

و قال آخر فلا الجود يفنى المال و الجد مقبل و لا البخل يبقى المال و الجد مدبر (٥).

ص: ١٠٥

١-١ (١) سورة الواقعه ٣.

١٣-٢ (٢) سورة الحديد ١٣.

٥٤-٣ (٣) سورة المائده ٥٤.

٤-٤ (٤) ديوانه: ٤٥، و روايته: «إلى نهاق حميرهم».

٥-٥ (٥) فى المثل السائر ٢: ٢٨٣ من غير نسبه.

و قال أبو تمام ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا إلا بحيث ترى المنايا سودا (١).

و كذلك قال من هذه القصيدة أيضا (٢) شرف على أولى الزمان و إنما خلق المناسب ما يكون جديدا (٣).

و أما القسم الثاني من القسم الأول و هو مقابله الشيء بضده بالمعنى لا باللفظ فكقول المقنع الكندي لهم جل مالى إن تتابع لى غنى و إن قل مالى لا أكلفهم رفدا (٤).

فقوله إن تتابع لى غنى فى قوه قوله إن كثر مالى و الكثره ضد القله فهو إذن مقابل بالمعنى لا باللفظ بعينه.

و من هذا الباب قول البحترى تقيض لى من حيث لا أعلم النوى و يسرى إلى الشوق من حيث أعلم (٥).

فقوله لا أعلم ليس ضدا لقوله أعلم لكنه نقيض له و فى قوه قوله أجهل و الجهل ضد العلم.

و من لطيف ما وقعت المقابله به من هذا النوع قول أبى تمام مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل (٦).

ص: ١٠٦

١-١) ديوانه ١:٤٢٢.

٢-٢) تكمله من كتاب المثل السائر.

٣-٣) ديوانه ١:٤١٩.

٤-٤) ديوان الحماسه-بشرح المرزوقى ٢:١١٨٠.

٥-٥) ديوانه ٢:٢٢٩.

٦-٦) ديوانه ٣:١١٦، قال الصولى فى شرحه يقول: «هن كبقر الوحش فى تهاديهن و حسن عيونهن؛ و هن كقنا الخط فى القد، إلا أن القنا ذوابل؛ و هن طراء. و قيل للقنا: ذوابل؛ لأنها تلين عند الطعن فلا تنكسر».

فقابل بين هاتا و بين تلك و هى مقابله معنويه لا لفظيه لأن هاتا للحاضره و تلك للغائبه و الحضور ضد الغيبه.

و أما مقابله الشىء لما ليس بضده فإما أن يكون مثلا أو مخالفا.

و الأول على ضربين مقابله المفرد بالمفرد و مقابله الجملة بالجملة.

مثال مقابله المفرد بالمفرد قوله تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ (١) و قوله وَ مَكَرُوا مَكَرًا وَ مَكَرُوا مَكَرًا (٢) هكذا قال نصر الله بن الأثير (٣).

قال و هذا مراعى فى القرآن الكريم إذا كان جوابا كما تقدم من الآيتين و كقوله وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا (٤) و قوله مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ (٥).

قال و قد كان يجوز أن يقول من كفر فعليه ذنبه لكن الأحسن هو إعادته اللفظ فأما إذا كان غير جواب لم تلزم فيه هذه المراعاة اللفظيه بل قد تقابل اللفظه بلفظه تفيده معناها و إن لم تكن هى بعينها نحو قوله تعالى وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٦) فقال يفعلون و لم يقل يعملون.

و كذلك قوله تعالى فَفَرِحَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ (٧) و لم يقل قالوا لا تفرح.

و كذلك قوله تعالى إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٨) و لم يقل كنتم تخوضون و تلعبون.

ص: ١٠٧

١-١) سورة الحشر ١٩.

٢-٢) سورة النمل ٥٠.

٣-٣) المثل السائر ٢٩٨، ٢٩٧: ٢.

٤-٤) سورة الشورى ٤٠.

٥-٥) سورة الروم ٤٤.

٦-٦) سورة الزمر ٧٠.

٧-٧) سورة ص ٢٢.

٨-٨) سورة التوبه ٦٥.

قال و نحو ذلك من الأبيات الشعرية قول أبي تمام بسط الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال (١).

فقال الآمال عوض الرجاء قال أبو الطيب إنى لأعلم و اللبيب خبير أن الحياه و إن حرصت غرور (٢) فقال خبير و لم يقل عليم.

قال و إنما حسن ذلك لأنه ليس بجواب و إنما هو كلام مبتدأ.

قلت الصحيح أن هذه الآيات و هى قوله تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ و ما شابهها ليست من باب المقابلة التى نحن فى ذكرها و أنها نوع آخر و لو سميت المماثلة أو المكافأة لكان أولى و الدليل على ذلك أن هذا الرجل حدّ المقابلة فى أول الباب الذى ذكر هذا البحث فيه فقال إنها ضد التجنيس لأن التجنيس أن يكون اللفظ واحدا مختلف المعنى و هذه لا بد أن تتضمن معنيين ضدتين و إن كان التضاد مأخوذا فى حدها فقد خرجت هذه الآيات من باب المقابلة و كانت نوعا آخر.

و أيضا فإن قوله تعالى وَ مَكْرُوهًا مَكْرًا وَ مَكْرُوهًا مَكْرًا ليس من سلك الآيات الأخرى لأنه بالواو و الآيات الأخرى بالفاء و الفاء جواب و الواو ليست بجواب.

و أيضا فإننا إذا تأملنا القرآن العزيز لم نجد ما ذكره هذا الرجل مطردا قال تعالى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَأَنَّىٰ لَهُ تَصَدَّىٰ وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ وَ أَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَ هُوَ يَخْشَىٰ فَأَنَّىٰ عَنْهُ تَلْهَىٰ (٣) فلم يقل فى الثانيه و أمّا من جاءك يسعى و هو فقير.

و قال تعالى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَ اتَّقَىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَ أَمَّا مَنْ

ص: ١٠٨

١-١ (١) ديوانه ١٥١:٣.

٢-٢ (٢) ديوانه ١٢٨:٢.

٣-٣ (٣) سورة عبس ٥-١٠.

بِخُلِّ وَاسْتِغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسَيْنِ فَسَيُسَّرُهُ لِلْعُسْرَى (١) فقابل بين أعطى و بخل و لم يقابل بين اتقى و استغنى و مثل هذا فى القرآن العزيز كثير و أكثر من الكثير.

و قد بان الآن أن التقسيم الأول فاسد و أنه لا مقابله إلا بين الأضداد و ما يجرى مجراها.

و أمّا مقابله الجملة بالجملة فى تقابل المتماثلين فإنه إذا كانت إحداهما فى معنى الأخرى وقعت المقابلة و الأغلب أن تقابل الجملة الماضيه بالماضيه و المستقبليه بالمستقبليه.

و قد تقابل الجملة الماضيه بالمستقبليه فمن ذلك قوله تعالى قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي (٢) فإن هذا تقابل من جهه المعنى لأنه لو كان من جهه اللفظ لقال و إن اهتديت فإنما أهتدى لها.

و وجه التقابل المعنوى هو أن كل ما على النفس فهو بها أعنى كل ما هو عليها وبال و ضرر فهو منها و بسببها لأنها الأماره بالسوء و كل ما لها ممّا ينفعها فهو بهدايه ربها و توفيقه لها.

و من ذلك قوله تعالى أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسًا كُنُوفِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا (٣) فإنه لم يراع التقابل اللفظى و لو راعاه لقال و النهار ليصروا فيه و إنما المراعاة لجانب المعنى لأن معنى مبصرا ليصروا فيه طرق القلب فى الحاجات.

و أمّا مقابله المخالف فهو على وجهين.

أحدهما أن يكون بين المقابل و المقابل نوع مناسبه و تقابل كقول القائل يجوزون من ظلم أهل الظلم مغفره و من إساءه أهل السوء إحسانا (٤).

ص: ١٠٩

١-١ (١) سورة الليل ٥-١٠.

٢-٢ (٢) سورة سبأ ٥٠.

٣-٣ (٣) سورة النمل ٨٦.

٤-٤ (٤) لأنيف بن قريط العنبرى من أبيات فى ديوان الحماسه-بشرح المرزوقى ١:٢٢.

فقابل الظلم بالمغفرة و هي مخالفه له ليست مثله و لا ضده و إنما الظلم ضد العدل إلا أنه لما كانت المغفرة قريبه من العدل حسنت المقابله بينها و بين الظلم و نحو هذا قوله تعالى أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ (١) فإن الرحمه ليست ضدا للشده و إنما ضد الشده اللين إلا أنه لما كانت الرحمه سببا للين حسنت المقابله بينها و بين الشده.

و كذلك قوله تعالى إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنَّ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا (٢) فإن المصيبه أخص من السيئه فالتقابل هاهنا من جهه العموم و الخصوص.

الوجه الثانى ما كان بين المقابل و المقابل بعد و ذلك ممّا لا يحسن استعماله كقول امرأه من العرب لابنها و قد تزوج بامرأه غير محموده تربص بها الأيام عل صروفها

فمذومه ليست فى مقابله واسعه و لو كانت قالت بضيقه الأخلاق كانت المقابله صحيحه و الشعر مستقيما و كذلك قول المتنبي لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محبّ أو مساءه مجرم (٣).

فالمقابله الصحيحه بين المحب و المبغض لا بين المحب و المجرم.

قلت إن لقائل أن يقول هلا قلت فى هذا ما قلت فى السيئه و المصيبه أ لست القائل إن التقابل حسن بين المصيبه و السيئه لكنه تقابل العموم و الخصوص و هذا الموضع مثله أيضا لأن كل مبغض لك مجرم إليك لأن مجرد البغضه جرم ففيهما عموم و خصوص.

بل لقائل أن يقول كل مجرم مبغض و كل مبغض مجرم و هذا صحيح مطرد

ص: ١١٠

١-١) سورة الفتح ٢٩.

٢-٢) سورة التوبه ٥٠.

٣-٣) من أبيات نسبها أبو تمام فى الحماسه بشرح التبريزى (٤:٣٤) إلى أم القحيف. و الجاحم: النار الشديده التأجج.

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَيْدَانُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ كَلَامُهُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصَّلَابَ وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ
[مَجَالِسِكُمْ]

كَيْتَ وَ كَيْتَ فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حَيْدِي حَيْدِي مَا عَزَّتْ دَعْوُهُ مِنْ دَعَاكُمْ وَ لَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلَ وَ سَأَلْتُمُونِي
التَّطْوِيلَ دِفَاعِ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ لَا- يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلَ وَ لَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ أَيْ دَارِ بَعِيدِ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ
بَعِيدِي تُقَاتِلُونَ الْمَعْرُورَ وَ اللَّهُ مِنْ غَرَزْتُمُوهُ وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَ اللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ
أَصِيبِحْتُ وَ اللَّهُ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَ لَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَ لَا أُوْعِدُ الْعُدُوَّ بِكُمْ مَا بِالْكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ أ
قَوْلًا بَغْيِرِ عِلْمٍ [عَمَلٍ]

وَ عَفْلِهِ مِنْ غَيْرِ وَرِعٍ [عِفِّهِ]

وَ طَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ .

حيدى حياذ

كلمه يقولها الهارب الفار و هي نظيره قولهم فيحي فياح (١)

ص: ١١١

(١- ١) في اللسان: فياح مثل قظام: اسم للغاره، و كان يقال للغاره في الجاهليه: فيحي فياح، و ذلك إذا دفعت الخيل المغيره فاتسعت.

أى اتسعى و صمى صمام للدهيه (١) و أصلها من حاد عن الشىء أى انحرف و حياذ مبنيه على الكسر و كذلك ما كان من بابها نحو قولهم بدار أى ليأخذ كل واحد قرنه و قولهم خراج فى لعبه للصبيان أى اخرجوا .

و الباء فى قوله بأضاليل متعلقه بأعاليل نفسها أى يتعللون بالأضاليل التى لا جدوى لها .

و السهم الأفوق المكسور الفوق و هو مدخل الوتر و الناصل الذى لا نصل فيه يخاطبهم فيقول لهم أبدانكم مجتمعه و أهواؤكم مختلفه متكلمون بما هو فى الشده و القوه يوهى الجبال الصم الصلبه و عند الحرب يظهر أن ذلك الكلام لم يكن له ثمره .

تقولون فى المجالس كيت و كيت

أى سنفعل و سنفعل و كيت و كيت كناية عن الحديث كما كنى بفلان عن العلم و لا تستعمل إلا مكرره و هما مخففان من كيه و قد استعملت على الأصل و هى مبنيه على الفتح و قد روى أئمه العربيه فيها الضم و الكسر أيضا .

فإذا جاء القتال فررتهم و قلتهم الفرار الفرار .

ثم أخذ فى الشكوى فقال من دعاكم لم تعز دعوته و من قاساكم لم يسترح قلبه دأبكم التعلل بالأمور الباطله و الأمانى الكاذبه و سألتمونى الإرجاء و تأخر الحرب كمن يمطل بدين لازم له و الضيم لا يدفعه الدليل و لا يدرك الحق إلا بالجد فيه و الاجتهاد و عدم الانكماش .

و باقى الفصل ظاهر المعنى .

ص : ١١٢

١-١) صمى صمام، أى زيدى.

و قوله القوم رجال أمثالكم مثل قول الشاعر قاتلوا القوم يا خزاع ولا

و هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين ع في غاره الضحّاك بن قيس و نحن نقصها هنا

غاره الضحّاك بن قيس و تنف من أخباره

٢٥٤

١- روى إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى في كتاب الغارات قال كانت غاره الضحّاك بن قيس بعيد الحكمين و قبل قتال النهروان و ذلك أن معاوية لما بلغه أن علياً ع بعيد واقعه الحكمين تحمّل إليه مقبلاً هاله ذلك فخرج من دمشق معسكراً و بعث إلى كور الشام فصاح بها (١) أن علياً قد سار إليكم و كتب إليهم نسخته واحده فقرئت على الناس.

أما بعد فإننا كنا كتبنا كتاباً بيننا و بين علي و شرطنا فيه شروطاً و حكمنا رجلين يحكمان علينا و عليه بحكم الكتاب لا يعدوانه و جعلنا عهد الله و ميثاقه على من نكث العهد و لم يمتص الحكم و إن حكمته أثبتني و إن حكمه خلعه و قد أقبل إليكم ظالماً فمن نكث فإيما ينكث على نفسه (٢) تجهزوا للحرب بأحسن الجهاز و أعدوا آله القتال و أقبلوا خفافاً و ثقلاً يسرنا الله و إياكم لصالح الأعمال

ص: ١١٣

١- ١) ب: «فيها».

٢- ٢) سورة الفتح ١٠.

فاجتمع إليه الناس من كل كوره (١) و أرادوا المسير إلى صغين فاستشارهم وقال إن علينا قد خرج من الكوفه و عهد العاهد به أنه فارق النخيله (٢).

فقال حبيب بن مسلمة فإني أرى أن نخرج حتى نزل منزلنا الذي كنا فيه فإنه منزل مبارك و قد متعنا الله به و أعطانا من عِدونا فيه النصف.

و قال عمرو بن العاص إني أرى لك أن تسيير بالجنود حتى توغلاها في سيطانهم من أرض الجزيره فإن ذلك أقوى لجنيدك و أدل لأهل حربه فقال معاوية و الله إني لأعرف أن الذي تقول كما تقول و لكن الناس لا يطيقون ذلك قال عمرو إنها أرض ريفه فقال معاوية إن جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذي كانوا به يعني صغين فمكثوا يجبلون الرأى يومين أو ثلاثه حتى قدمت عليهم عيونهم أن علينا اختلف عليه أصحابه ففارقته منهم فرقه أنكرت أمر الحكومه و أنه قد رجع عنكم إليهم.

فكبر الناس سروراً لأنصه رافه عنهم و ما ألقى الله عز و جل من الخلاف بينهم فلم يرل معاوية معسكراً في مكانه منتظراً لما يكون من على و أصحابه و هيل يقبل بالناس أم لا- فما برح حتى جاء الخبر أن علينا قد قتل أولئك الخوارج و أنه أراد بعيد قتلهم أن يقبل بالناس و أنهم استنظروه و دافعوه فسرى بذلك هو و من قبله من الناس

٢٥٥

١- قال و روى ابن أبي سيف (٣) عن يزيد بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن مسعده الفزاري قال جاءنا كتاب عمارة بن عتبة بن أبي معيط و كان بالكوفه مقيماً و نحن معسكرون مع معاوية نتخوف أن يفرغ على من الخوارج ثم يقبل إلينا و نحن نقول إن أقبيل إلينا كان أفضل المكان الذي نسي قبله به المكان الذي لقيناه فيه العام الماضي فكان في كتاب عمارة بن عتبة أما بعيد فإن علينا خرج عليه قواء

ص: ١١٤

١- (١) الكوره: كل صقع يشتمل على عدة قرى، و لا بد لتلك القرى من قصبه أو مدينه أو نهر، يجمع اسمها. معجم البلدان ٣٦: ١.

٢- (٢) النخيله: موضع قرب الكوفه.

٣- (٣) كذا في ا، ج، و في ب: «سفيان».

أَصْحَابِهِ وَنَسَاكُهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَاتَلَهُمْ وَقَدْ فَسِدَ عَلَيْهِ جُنْدَهُ وَ أَهْلَ مِصْرِهِ وَ وَقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَ تَفَرَّقُوا أَشَدَّ الْفُرْقَةِ وَ أَحْبَبْتُ
إِعْلَامَكَ لِتَحْمَدَ اللَّهَ وَ السَّلَامَ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَسْعَدَةَ فَقَرَأَهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى وَجْهِ أَخِيهِ عُتْبَةَ وَ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَ عَلَى أَبِي الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَخِيهِ
عُتْبَةَ وَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ وَ قَالَ لِلْوَلِيدِ لَقَدْ رَضِيَ أَخُوكَ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَيْنًا فَضَحِكَ الْوَلِيدُ وَ قَالَ إِنَّ فِي ذَلِكَ أَيْضًا لِنُفْعًا

٢٥٦

١- وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ قَالَ كَانَ عُمَارَةُ مُقِيمًا بِالْكُوفَةِ بَعِيدًا قَتَلَ عُثْمَانَ لَمْ يَهْجُهُ عَلِيٌّ ع وَ لَمْ يُدْعِرْهُ وَ كَانَ يَكْتُبُ إِلَى مُعَاوِيَةَ
بِالْأَخْبَارِ سِرًّا .

و من شعر الوليد لأخيه عماره يحرضه إن يك ظني في عماره صادقاً

قال فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة (١) أ تطلب ثأرا لست منه و لاله و ما لابن ذكوان الصفوري و الوتر (٢)

ص: ١١٥

١-١) تاريخ الطبري ٤:٤٢٦؛ مع اختلاف في الرواية و ترتيب الأبيات. و الوتر و الذحل: الثأر.

٢-٢) لم يذكره في الطبري، و مستشزر القوي: مستحکم، و أصله في الجبل المفتول.

أما معنى قوله و ما لابن ذكوان الصفورى فإن الوليد هو ابن عقبه بن أبى معيط بن أبى عمرو و اسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس و قد ذكر جماعه من النسابين أن ذكوان كان مولى لأميه بن عبد شمس فتبناه و كناه أبا عمرو فبنوه موال و ليسوا من بنى أمية لصلبه و الصفورى منسوب إلى صفوريه قريه من قرى الروم .

٢٥٧

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الثَّقَفِيُّ فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا مُعَاوِيَةَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ وَقَالَ لَهُ سِرَّ حَتَّى تَمُرَّ بِنَاحِيَةِ الْكُوفَةِ وَ تَزْتَفِعَ عَنْهَا مَا اسْتِطَعْتَ فَمَنْ وَجَدْتَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ فِي طَاعِهِ عَلَيَّ فَأَعِزَّ عَلَيْهِ وَإِنْ وَجَدْتَهُ لَهُ مَسْلَحَهُ (١) أَوْ خَيْلًا فَأَعِزَّ عَلَيْهَا وَإِذَا أَصْبَحْتَ فِي بَلَدِهِ فَأَمْسِ فِي أُخْرَى وَلَا تُفَيِّمَنَّ لِخَيْلٍ بَلَّغَكَ أَنَّهَا قَدْ سِيرَتْ إِلَيْكَ لِتَلْقَاهَا فَتُقَاتِلَهَا فَسِرَّ حَهُ فِيمَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ.

فَأَقْبَلَ الضَّحَّاكَ فَنَهَبَ الْأَمْوَالَ وَ قَتَلَ مَنْ لَقِيَ مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى مَرَّ بِالثُّغَلْبِيِّهِ (٢)

ص: ١١٦

١- ١) روايه الطبري: كما اتصلت بنت الحمار بأُمها و تنسى أباها إذ تسامى أولى الفخر.

٢- ٢) الطبري: «بعد محمد».

فَأَعَارَ عَلَى الْحِجَّاجِ فَأَخَذَ أُمَّعَتَهُمْ ثُمَّ أَقْبَلَ فَلَقِيَ عَمْرُو بْنَ عُمَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ الْهَذَلِيِّ وَهُوَ ابْنُ أُخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَفَتَلَهُ فِي طَرِيقِ الْحِجَّاجِ عِنْدَ الْقَطُطَانِهِ (١) وَ قَتَلَ مَعَهُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ

٢٥٨

١- قَالَ فَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُبَارَكِ الْبَجَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَيْسَى عَنْ أَبِي رَوْقٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع وَ قَدْ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَهُوَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ اخْرُجُوا إِلَى الْعَبِيدِ الصَّالِحِ عَمْرُو بْنِ عُمَيْسٍ وَ إِلَى جُيُوشِ لَكُمْ قَدْ أَصَيْبَ مِنْهُمْ طَرَفٌ اخْرُجُوا فَقاتَلُوا عَدُوَّكُمْ وَ امْنَعُوا حَرِيمَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ .

فَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا ضَعِيفًا وَ رَأَى مِنْهُمْ عَجْزًا وَ فَسَلًا فَقَالَ وَ اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُلِّ تَمَانِيَةٍ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْهُمْ وَ يَحْكُمُ اخْرُجُوا مَعِيَ ثُمَّ فَرُّوا عَنِّي مَا بَدَا لَكُمْ فَوَ اللَّهُ مَا أَكْرَهُ لِقَاءَ رَبِّي عَلَى بَيْتِي وَ بَصِيْرَتِي وَ فِي ذَلِكَ رَوْحٌ لِي عَظِيمٌ وَ فَرُوحٌ مِنْ مُنَاجَاتِكُمْ وَ مَقَاسَاتِكُمْ ثُمَّ نَزَلَ.

فَخَرَجَ يَمْشِي حَتَّى بَلَغَ الْغُرَيْبِينَ ثُمَّ دَعَا حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ الْكِنْدِيَّ فَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ .

٢٥٩

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكَلِينِيُّ قَالَ اسْتَضَى رَحَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع النَّاسَ عَقِيبَ (٢) عَازِهِ الصَّحَاكِ بَيْنَ قَيْسِ الْفَهْرِيِّ عَلَى أَطْرَافِ أَعْمَالِهِ فَتَقَاعَدُوا عَنْهُ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَ لَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ الْفَضْلُ إِلَى آخِرِهِ .

٢٦٠

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ فَخَرَجَ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ حَتَّى مَرَّ بِالسَّمَاوَةِ وَ هِيَ أَرْضٌ كَلْبٌ

ص: ١١٧

١- ١) قال في المصباح: «و أمّا عقيب مثال كريم فاسم فاعل من قولهم: عاقبه معاقبه و عقبه تعقيبا، فهو معاقب و معقب و عقيب».

١- ٢) قال في المصباح: «و أمّا عقيب مثال كريم فاسم فاعل من قولهم: عاقبه معاقبه و عقبه تعقيبا، فهو معاقب و معقب و عقيب».

فَلَقِيَ بِهَا إِمْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَوْسِ بْنِ جَابِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَلِيمِ الْكَلْبِيِّ وَ هُمْ أَصْحَابُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع فَكَانُوا
أَدْلَاءَهُ فِي الطَّرِيقِ وَ عَلَى الْمِيَاهِ فَلَمْ يَزَلْ مُعْتَدًّا فِي أَثَرِ الضَّحَّاكِ حَتَّى لَقِيَهُ بِنَاحِيَةِ تَدْمُرَ فَوَاقَعَهُ فَمَا قَتَلُوا سِإَعَهُ فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ
الضَّحَّاكِ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ حُجْرٍ رَجُلَانِ وَ حَجَزَ اللَّيْلَ بَيْنَهُمْ فَمَضَى الضَّحَّاكُ فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَجِدُوا لَهُ وَ
لِأَصْحَابِهِ أَثْرًا وَ كَانَ الضَّحَّاكُ يَقُولُ بَعْدَ أَنَا ابْنُ قَيْسٍ أَنَا أَبُو أَنَيْسٍ أَنَا قَاتِلُ عَمْرِو بْنِ عَمَيْسٍ .

قَالَ وَ كَتَبَ فِي أَثَرِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع حِينَ بَلَغَهُ خِذْلَانُ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَ تَقَاعُدُهُمْ بِهِ.

لَعَبِدِ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع مِنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ
حَارِسُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَ عَاصِمُكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنِّي قَدْ خَرَجْتُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا فَلَقَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ
أَبِي سَرْحٍ فِي نَحْوِ مَنْ أَرْبَعِينَ شَأْبًا مِنْ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ فَعَرَفْتُ الْمُنْكَرَ فِي وُجُوهِهِمْ فَقُلْتُ إِلَى أَيِّنَ يَا أَبْنَاءَ الشَّائِنِينَ أِبْمَعَاوِيَةَ تَلْحَقُونَ
عِدَاوَةَ وَ اللَّهِ مِنْكُمْ قَدِيمًا غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ تُرِيدُونَ بِهَا إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ وَ تَبْدِيلَ أَمْرِهِ فَأَسْأَلُكُمْ عَنْ الْقَوْمِ وَ أَسْأَلُكُمْ فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ
سَمِعْتُ أَهْلَهَا يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ أَعَارَ عَلَى الْحَبِيرَةَ فَاحْتَمَلَ مِنْ أَمْوَالِهَا مَا شَاءَ ثُمَّ انْكَفَأَ رَاجِعًا سَالِمًا فَأُفِّ لِحَيَاةِ فِي
دَهْرٍ جَزَاءً عَلَيْكَ الضَّحَّاكُ وَ مَيَا الضَّحَّاكُ فَفَقِعُ بِقَرْقَرٍ (١) وَ قَدْ تَوَهَّمْتُ حَيْثُ بَلَغَنِي ذَلِكَ أَنَّ شَيْعَتَكَ وَ أَنْصِيَارَكَ خَذَلُوكَ
فَاكْتُبْ إِلَيَّ يَا ابْنَ أُمِّي بِرَأْيِكَ فَإِنْ كُنْتَ الْمَوْتَ تُرِيدُ تَحَمَّلْتُ إِلَيْكَ بِنِي أَخِيكَ

ص: ١١٨

(١-١) القرقرة: الأرض المستوية، و الفقع: ضرب من أردأ الكماه، يقال للرجل الذليل: هو فقع قرقرة؛ لأن الدواب تنجسه بأرجلها.

وَوُلِدِ أَيْبِكَ فَعِشْنَا مَعَكَ مَا عِشْتَ وَ مِثْنَا مَعَكَ إِذَا مِتَّ فَوَ اللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى فِي الدُّنْيَا بَعْدَكَ فُوقًا.

وَأَقْسَمُ بِالْمَاعِزِ الْأَجَلِّ أَنَّ عَيْشًا نَعِيشُهُ بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ لَعَيْزٌ هَيْئًا وَلَا مَرِيءٍ وَلَا نَجِيعٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (١)
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
أَمَّا بَعْدُ كَلَّانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ كَلَاءَةً مَنْ يَخْشَاهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ قَدْ وَصَلَ إِلَيَّ كِتَابُكَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْأَزْدِيِّ تَذَكُّرٌ
فِيهِ أَنَّكَ لَقِيتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ مُقْبِلًا مِنْ قُدَيْدٍ (٢) فِي نَحْوِ مِنْ أَرْبَعِينَ فَارِسًا مِنْ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى جِهَةِ
الْعَرَبِ وَأَنَّ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ طَالَ مَا كَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَكِتَابُهُ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَبَعَاها عَوْجًا فَدَعَا ابْنَ أَبِي سَرْحٍ وَدَعَا عَنْكَ قُرَيْشًا وَ
خَلَّيْهُمْ وَتَرَكَاهُمْ فِي الضَّلَالِ وَتَجَوَّاهُمْ فِي الشُّقَاقِ أَلَا وَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ أَجْمَعَتْ عَلَى حَرْبِ أَخِيكَ الْيَوْمَ إِجْمَاعَهَا عَلَى حَرْبِ
رَسُولِ اللَّهِ ص قَبْلَ الْيَوْمِ فَأَصْرِبُ بَحْرًا قَدْ جَهِلُوا حَقَّهُ وَجَحَدُوا فَضْلَهُ وَبَادَرُوهُ الْعَدَاوَةَ وَنَصَبُوا لَهُ الْحَرْبَ وَجَهِدُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجَهْدِ وَ
جَرُّوا إِلَيْهِ جَيْشَ الْأَخْزَابِ اللَّهُمَّ فَاجْزِ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي (٣) فَتَقَدَّ قَطَعَتْ رَحِمِي وَتَظَاهَرَتْ عَلَيَّ وَدَفَعْتَنِي عَنْ حَقِّي وَسَيِّئْتَنِي
سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي وَسَلَّمْتَ ذَلِكَ إِلَيَّ مِنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي قَرَابَتِي مِنَ الرَّسُولِ وَسَابَقْتَنِي فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ يَدْعَى مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا
أُظُنُّ اللَّهُ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَهُ مِنْ غَارِهِ الضَّحَاكِ عَلَى أَهْلِ الْحَيْرَةِ فَهُوَ أَقْلٌ وَأَزَلٌّ مِنْ أَنْ يَلْمَ بِهَا

ص: ١١٩

١-١) الفواق: قدر ما بين الحلبتين.

٢-٢) الأغاني ٢٠٣، ٢٠٢: ١٦-بيروت.

٣-٣) الجوازي: جمع جازيه؛ وهي المكافأة على الشيء.

أَوْ يَدْنُو مِنْهَا وَ لَكِنَّهُ قَدْ كَانَ أَقْبَلَ فِي جَرِيدِهِ خَيْلٍ فَأَخَذَ عَلَى السَّمَاءِ حَتَّى مَرَّ بِوَاقِصِهِ (١) وَ شَرَّافٍ (٢) وَ الْقَطُّطُ أَنَّهُ مِمَّا وَالِي ذَلِكَ الصُّقْعَ فَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ جُنْدًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ فَرَّ هَارِبًا فَاتَّبَعُوهُ فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَ قَدْ أَمَعَنَ وَ كَانَ ذَلِكَ حِينَ طَفَلَتْ (٣) الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ فَتَنَّاوَشُوا الْقِتَالَ قَلِيلًا كَلَا وَ لَا (٤) فَلَمْ يَصْبِرْ لَوُقُوعِ الْمَشْرِفِيهِ (٥) وَ وَلَّى هَارِبًا وَ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِضَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا وَ نَجَا جَرِيضًا (٦) بَعِيدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَقِ فَلَأْيَا بِلَأْيٍ مَا نَجَا فَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ بِرَأْيِي فِيمَا أَنَا فِيهِ فَإِنَّ رَأْيِي جِهَادُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ مَعِيَ عِزَّهُ وَ لَا تَفَرُّهُمْ عَنِّي وَ حَشَهُ لِأَنِّي مُحِقٌّ وَ اللَّهُ مَعَ الْمُحِقِّ وَ وَ اللَّهِ مَا أَكْرَهُ الْمَوْتَ عَلَى الْحَقِّ وَ مَا الْخَيْرُ كُلُّهُ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ لِمَنْ كَانَ مُحِقًّا وَ أَمَّا مَا عَرَضْتَ بِهِ مِنْ مَسِيرِكَ إِلَيَّ بَيْنِكَ وَ بَيْنِي أَيْبِكَ فَلَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ فَأَقِمِ رَاشِدًا مَحْمُودًا فَوَ اللَّهُ مَا أَحْبُّ أَنْ تَهْلِكُوا مَعِيَ إِنْ هَلَكْتُ وَ لَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أُمِّكَ وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَخَشِّعًا وَ لَا مُتَضَرِّعًا إِنَّهُ لَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ (٧) فَإِنْ تَسَأَلْتَنِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الثَّقَفِيُّ وَ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَخْنَفٍ أَنَّهُ سَمِعَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ يَخْطُبُ عَلَى مِثْبَرِ الْكُوفَةِ وَ قَدْ كَانَ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِهَا يَشْتُمُونَ عَثْمَانَ

-
- ١-١) واقصه: منزل في طريق مكة.
 - ٢-٢) شراف، بفتح أوله: موضع قريب من واقصه في طريق مكة أيضا.
 - ٣-٣) طفلت الشمس: مالت إلى المغرب.
 - ٤-٤) قال في اللسان: العرب إذا أرادوا تقليل مده فعل قالوا: كان فعله كلا، و ربما كرروا فقالوا: كلا ولا (٣٧٥: ٢٠).
 - ٥-٥) المشرفية: السيوف؛ منسوبه إلى مشارف الشام، قري من أرض العرب تدنو من الريف.
 - ٦-٦) جريضا: مجهودا يكاد يقضى.
 - ٧-٧) هو صخر بن الشريد السلمى.

وَيَبْرءُونَ مِنْهُ قَالَ فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ بَلْغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ ضَلَّالًا يَشْتُمُونَ أُمَّةَ الْهُدَى وَ يَعْبُونَ أَصْلَافَنَا الصَّالِحِينَ أَمَا وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ نِدٌّ وَلَا شَرِيكٌ لَيْنُ لَمْ تَنْتَهُوا عَمَّا يَبْلُغُنِي عَنْكُمْ لِأَضَعَنَّ فِيكُمْ سَيْفَ زِيَادٍ ثُمَّ لَا تَجِدُونَنِي ضَعِيفَ السَّوْرَةِ (١) وَلَا كَلِيلَ الشَّفْرَةِ أَمَا إِنِّي لَصَاحِبُكُمْ الَّذِي أَغْرَتُ عَلَى بِلَادِكُمْ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ غَزَاهَا فِي الْإِسْلَامِ وَ شَرِبَ مِنْ مَاءِ الثَّلْجِيِّهِ وَ مِنْ شَاطِئِ الْفَرَاتِ أُعَاقِبُ مَنْ شِئْتُ وَ أَعْفُو عَمَّنْ شِئْتُ لَقَدْ دَعَرْتُ الْمُخَدَّرَاتِ (٢) فِي خُدُورِهِنَّ وَ إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَيَبْكِي ابْنَهَا فَلَا تُرْهِبُهُ وَ لَا تُسَبِّحْتُهُ إِلَّا بِذِكْرِ اسْمِي فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ أَنَا أَبُو أَنَيْسٍ أَنَا قَاتِلُ عَمْرِو بْنِ عَمَيْسٍ فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبِيدٍ فَقَالَ صَدَقَ الْأَمِيرُ وَ أَحْسَنَ الْقَوْلَ مَا أَعْرَفْنَا وَ اللَّهُ بِمَا ذَكَرْتَ وَ لَقَدْ لَقِينَاكَ بِغَرْبِي تَدْمُرُ فَوْجَدَنَاكَ شَجَاعًا مُجَرَّبًا صَبُورًا ثُمَّ جَلَسَ وَ قَالَ أَيْفَحْرُ عَلَيْنَا بِمَا صَنَعَ بِلَادِنَا أَوَّلَ مَا قَدِمَ وَ أَيُّمَ اللَّهُ لَأَذْكُرَنَّهُ أَبْغَضَ مَوَاطِنِهِ إِلَيْهِ قَالَ فَسَبَّكَ الضَّحَّاكُ قَلِيلًا وَ كَانَتْ خَزِي وَ اسْتَحْيَا ثُمَّ قَالَ نَعَمْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَأَخَذَهُ بِكَلَامٍ ثَقِيلٍ ثُمَّ نَزَلَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ لِعَبِيدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبِيدٍ أَوْ قِيلَ لَهُ لَقَدْ اجْتَرَأْتَ حِينَ تَذْكُرُهُ هَذَا الْيَوْمَ وَ تُخْبِرُهُ أَنَّكَ كُنْتَ فِيمَنْ لَقِيَهُ فَقَالَ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا .

قَالَ وَ سَأَلَ الضَّحَّاكُ عَبِيدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبِيدٍ حِينَ قَدِمَ الْكُوفَةَ فَقَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمْ بِغَرْبِي تَدْمُرُ رَجُلًا مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ حَمَلَ عَلَيْنَا فَمَا كَذَبَ حَتَّى ضَرَبَ الْكُتَيْبَةَ الَّتِي أَنَا فِيهَا فَلَمَّا ذَهَبَ لِيُوَلِّيَ حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَطَعَنَتْهُ فَوَقَعَ ثُمَّ قَامَ

ص: ١٢١

١- (١) السورة: الشده.

٢- (٢) المخدره: المرأة في الخدر؛ هو ستر يمد في ناحية البيت.

فَلَمْ يَضْرِبْهُ شَيْئًا ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا فِي الْكَيْتِيهِ الَّتِي أَنَا فِيهَا فَصَرَخَ رَجُلًا ثُمَّ ذَهَبَ لِيُنْصَرِفَ فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ فَضْرَبْتُهُ عَلَى رَأْسِهِ بِالسَّيْفِ فَخِيلَ إِلَيَّ أَنْ سَيِّفِي قَدْ ثَبَتَ فِي عَظْمِ رَأْسِهِ فَضْرَبْتَنِي فَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ سَيِّفُهُ شَيْئًا ثُمَّ ذَهَبَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَنْ يَعُودَ فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنِي إِلَّا وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِمَامَتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَنَا فَقُلْتُ تَكَلِّثُكَ أُمُّكَ أَمْ مَا نَهَيْتُكَ الْأُولِيَانِ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَيْنَا قَالَ إِنَّهُمَا لَمْ تَنْهِيَانِي إِنَّمَا أَحْتَسِبُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ حَمَلَ لِيُطْعِنَنِي فَطَعَنْتُهُ وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ عَلَيْنَا فَاَنْفَصَلْنَا وَحَالَ اللَّيْلُ بَيْنَنَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا يَوْمٌ شَهِدَهُ هَذَا يَعْنِي رَبِيعَةَ بِنَ مَاجِدٍ وَهُوَ فَارِسُ الْحَيِّ وَ مَا أَظُنُّهُ يَخْفَى أَمْرٌ هَذَا الرَّجُلِ فَقَالَ لَهُ أَ تَعْرِفُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَنْ هُوَ قَالَ أَنَا قَالَ فَارِسُ الضَّرْبَةِ الَّتِي بِرَأْسِكَ فَأَرَاهُ فَإِذَا هِيَ ضَرْبُهُ قَدْ بَرَتِ الْعَظْمَ مُنْكَرَةً فَقَالَ لَهُ فَمَا رَأَيْكَ الْيَوْمَ أَمْ هُوَ كَرَأَيْكَ يَوْمَئِذٍ قَالَ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رَأَى الْجَمَاعَةَ قَالَ فَمَا عَلَيْكُمْ مِنْ بَأْسٍ أَنْتُمْ آمِنُونَ مَا لَمْ تُظْهِرُوا خِلَافًا وَ لَكِنَّ الْعَجَبَ كَيْفَ نَجَوْتَ مِنْ زِيَادٍ لَمْ يَقْتُلْكَ فِيمَنْ قَتَلَ أَوْ يَسِيْرُكَ فِيمَنْ سَيَّرَ فَقَالَ أَمَّا التَّسْيِيرُ فَقَدْ سَيَّرَنِي وَ أَمَّا الْقَتْلُ فَقَدْ عَافَانَا اللَّهُ مِنْهُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ وَ أَصَابَ الضَّحَّاكَ فِي هَرْبِهِ مِنْ حُجْرٍ عَطَشٌ شَدِيدٌ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَمِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِائَةٌ ضَلَّ فَعَطَشَ وَ خَفِقَ بِرَأْسِهِ خَفَقَتَيْنِ لِنِعَاسٍ أَصَابَهُ فَتَرَكَ الطَّرِيقَ وَ انْتَبَهَ وَ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَ لَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ مَعَهُ مِائَةٌ فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْهُمْ فِي جَانِبٍ يَلْتَمِسُونَ الْمَاءَ وَ لَا أُنَيْسَ فَكَانَ الضَّحَّاكَ بَعْدَ ذَلِكَ يَحْكِي قَالَ فَرَأَيْتُ جَادَةً فَلَزِمْتُهَا فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ دَعَانِي الْهَوَى فَازْدَدْتُ شَوْقًا وَ رُبَّمَا

فَإِنْ أَكَّ قَدْ أَحْبَبْتُمْ وَرَأَيْتُمْ

فَإِنِّي بَدَارِي عَامِرٍ لَعْرِبٍ.

قَالَ وَ أَشْرَفَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَقُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ اسْقِنِي مَاءً فَقَالَ لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِنِي ثَمَنَهُ قُلْتُ وَمَا ثَمَنُهُ قَالَ دِينَكَ قُلْتُ أَمَا تَرَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَقْرَى الضَّيْفَ فَتُطْعِمَهُ وَ تَسْقِيَهُ قَالَ رُبَّمَا فَعَلْنَا وَ رُبَّمَا بَخِلْنَا قَالَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ فَعَلْتَ خَيْرًا قَطُّ اسْقِنِي قَالَ مَاءً أُطِيقُ قُلْتُ فَإِنِّي أَحْسِنُ إِلَيْكَ وَ أَكْسُوكَ قَالَ لَا- وَاللَّهِ لَا- أَنْقُصُ شَرْبَهُ مِنْ مِائِهِ دِينَارٍ فَقُلْتُ لَهُ وَيْحَكَ اسْقِنِي فَقَالَ وَيْحَكَ أَعْطِنِي قُلْتُ لَا- وَاللَّهِ مَاءٌ هِيَ مَعِيَ وَ لَكِنَّكَ تَسْقِينِي ثُمَّ تَنْطَلِقُ مَعِيَ أُعْطِيكَهَا قَالَ لَا- وَاللَّهِ قُلْتُ اسْقِنِي وَ أُرْهِنْكَ فَرَسِي حَتَّى أُوفِيكَهَا قَالَ نَعَمْ ثُمَّ خَرَجَ بَيْنَ يَدَيَّ وَ اتَّبَعْتُهُ فَأَشْرَفْنَا عَلَى أَحْبَبِهِ وَ نَاسٍ عَلَى مَاءٍ فَقَالَ لِي مَكَانَكَ حَتَّى آتِيكَ فَقُلْتُ بَلْ أَجِيءُ مَعَكَ قَالَ وَ سَاءَهُ حَيْثُ رَأَيْتَ النَّاسَ وَ الْمَاءَ فَمَذْهَبَ يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ بَيْتًا ثُمَّ جَاءَ بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَقَالَ اشْرِبْ فَقُلْتُ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ثُمَّ دَنَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ اسْقِنُونِي مَاءً فَقَالَ شَيْخٌ لِابْنَتِهِ اسْقِيهِ فَصَامَتِ ابْنَتُهُ فَجَاءَتْ بِمَاءٍ وَ لَبِنٍ فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ نَجَّيْتُكَ مِنَ الْعَطَشِ وَ تَذَهَبُ بِحَقِّي وَاللَّهِ لَا- أَفَارِقُكَ حَتَّى اسْقِيَنِي مِنْكَ حَقِّي فَقُلْتُ اجْلِسْ حَتَّى أُوفِيكَ فَجَلَسَ فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُ الْمَاءَ وَ اللَّبْنَ مِنْ يَدِ الْفَتَاهِ فَشَرِبْتُ وَ اجْتَمَعَ إِلَى أَهْلِ الْمَاءِ فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا أَلَامُ النَّاسِ فَعَلَّ بِي كَذَا وَ كَذَا وَ هَذَا الشَّيْخُ خَيْرٌ مِنْهُ وَ أَسَدِي اسْتَسْقَيْتُهُ فَلَمْ يُكَلِّمْنِي وَ أَمَرَ ابْنَتَهُ فَسَقَتْنِي وَ هُوَ الْبَانُ يَلْزُمُنِي بِمِائِهِ دِينَارٍ فَشَتَمَهُ أَهْلُ الْحَيِّ وَ وَقَعُوا بِهِ وَ لَمْ يَكُنْ بِأَشِيرَعٍ مِنْ أَنْ لِحِقْنِي قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِي فَسَلَّمُوا عَلَيَّ بِالْإِمْرَةِ فَارْتَابَ الرَّجُلُ وَ جَزَعَ وَ ذَهَبَ يُرِيدُ أَنْ يَقُومَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا تَبْرُحْ حَتَّى أُوفِيكَ الْمِائَةَ فَجَلَسَ مَا يَدْرِي مَا الَّذِي أُرِيدُ بِهِ فَلَمَّا كَثُرَ جُنْدِي عِنْدِي سَرَّحْتُ إِلَى ثَقَلِي (١) فَاتَّيْتُ بِهِ ثُمَّ أَمَرْتُ بِالرَّجُلِ فَجَاءَ بِمِائِهِ جَلْمَدِهِ وَ دَعَوْتُ الشَّيْخَ وَ ابْنَتَهُ فَأَمَرْتُ لَهُمَا بِمِائِهِ دِينَارٍ وَ كَسَوْتُهُمَا وَ كَسَوْتُ أَهْلَ الْمَاءِ

ص: ١٢٣

(١-١) الثقل: متاع المسافر.

ثُوبًا ثُوبًا وَ حَزَمْتُهُ فَقَالَ أَهْلُ الْمَاءِ كَانَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَهْلًا لِدَلِيكَ وَ كُنْتُ لِمَا أَتَيْتَ مِنْ خَيْرِ أَهْلًا.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ حَدَّثْتُهُ عَجَبَ وَ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتَ فِي سَفَرِكَ هَذَا عَجَبًا.

يَذُكُرُ أَهْلَ النَّسَبِ أَنَّ فَيْسًا أَبَا الصَّحَّاحِ بْنِ فَيْسٍ كَانَ يَبِيعُ عَسْبَ الْفُحُولِ (١) فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

٢٤٢

١،٢- وَ رَوَوْا أَنَّ عَقِيلًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدِيمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي صِيْحِنِ الْمَسْجِدِ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ وَ كَانَ عَقِيلٌ قَدْ كُفَّ بَصْرُهُ فَقَالَ وَ عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا يَزِيدَ ثُمَّ التُّفَّتْ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ ع فَقَالَ ثُمَّ فَأَنْزَلَ عَمَّكَ فَقَامَ فَأَنْزَلَهُ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ إِذْهَبْ فَاشْتَرِ لِعَمِّكَ قَمِيصًا جَدِيدًا وَ رِدَاءً جَدِيدًا وَ إِزَارًا جَدِيدًا وَ نَعْلًا جَدِيدًا فَذَهَبَ فَاشْتَرَى لَهُ فَعَدَا عَقِيلٌ عَلَى عَلِيٍّ ع فِي الثِّيَابِ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَ عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا يَزِيدَ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَرَاكَ أَصَبْتَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا وَ إِنِّي لَا تَرْضَى نَفْسِي مِنْ خِلَافَتِكَ بِمَا رَضِيتَ بِهِ لِنَفْسِكَ فَقَالَ يَا أَبَا يَزِيدَ يَخْرُجُ عَطَائِي فَأَذْفَعُهُ إِلَيْكَ .

فَلَمَّا ارْتَحَلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَتَى مُعَاوِيَةَ فَنَصَبَتْ لَهُ كُرَاسِيَّهُ وَ أَجْلَسَتْ جُلَسَاءَهُ حَوْلَهُ فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَقَبَضَهَا ثُمَّ عَدَا عَلَيْهِ يَوْمًا بَعِيدًا ذَلِكُكَ وَ بَعِيدَ وَفَاهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع وَ بَيَّعَهُ الْحَسَنَ لِمُعَاوِيَةَ وَ جُلَسَاءَهُ مُعَاوِيَةَ حَوْلَهُ فَقَالَ يَا أَبَا يَزِيدَ أَخْبِرْنِي عَنْ عَسْكَرِي وَ عَسْكَرِ أَخِيكَ فَقَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِمَا قَالَ أَخْبِرْكَ مَرَرْتُ وَ اللَّهُ

ص: ١٢٤

(١-١) العسب هنا: ماء الفحل.

بِعَسِيكَرٍ أَخِي فَإِذَا لَيْلٌ كَلِيلٌ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ نَهَارٌ كَنَهَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَ إِلَّا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَ لَيْسَ فِي الْقَوْمِ مَا رَأَيْتُ إِلَّا مُصَلِّيًا وَ لَا سَمِعْتُ إِلَّا قَارِنًا وَ مَرَرْتُ بِعَسِيكَرِكَ فَاسْتَقْبَلَنِي قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِمَّنْ نَفَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ لَيْلَهُ الْعَقَبَةِ ثُمَّ قَالَ مَنْ هَذَا عَنْ يَمِينِكَ يَا مُعَاوِيَةَ قَالَ هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعِيَاصِ قَالَ هَذَا الَّذِي اخْتَصَمَ فِيهِ سِتِّتُهُ نَفَرَ فَعَلَبَ عَلَيْهِ جَزَارُ قُرَيْشٍ فَمَنْ الْآخِرُ قَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسِ الْفَهْرِيُّ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ أَبُوهُ جَيِّدَ الْأَخْذِ لِعَسْبِ الثُّيُوسِ فَمَنْ هَذَا الْآخِرُ قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَالَ هَذَا ابْنُ السَّرَّاقِ فَلَمَّا رَأَى مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَدْ أَغْضَبَ جُلَسَاءَهُ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ اسْتِخْبَرَهُ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ فِيهِ سُوءًا فَأَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَهُ لِيَقُولَ فِيهِ مَا يَعْلَمُهُ مِنَ الشُّوءِ فَيَذْهَبَ بِذَلِكَ غَضَبُ جُلَسَائِهِ قَالَ يَا أَبَا يَزِيدَ فَمَا تَقُولُ فِيَّ قَالَ دَعْنِي مِنْ هَذَا قَالَ لَتَقُولَنَّ قَالَ أ تَعْرِفُ حَمَامَةَ قَالَ وَ مَنْ حَمَامَةُ يَا أَيُّهَا يَزِيدَ قَالَ قَدْ أَخْبَرْتُكَ ثُمَّ قَامَ فَمَضَى فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ إِلَى النَّسَائِبَةِ فَدَعَاهُ فَقَالَ مَنْ حَمَامَةُ قَالَ وَ لِي الْأَمَانُ قَالَ نَعَمْ قَالَ حَمَامَةُ جَدَّتْكَ أُمُّ أَبِي سُفْيَانَ كَانَتْ بَغِيًّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ صَاحِبَةَ رَأْيِهِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِجُلَسَائِهِ قَدْ سَاوَيْتُكُمْ وَ زِدْتُ عَلَيْكُمْ فَلَا تَغْضَبُوا

اشاره

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا- أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَ رَهْ لَآ- يَسِيَطِيْعُ أَنْ يَقُوْلَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ وَ مَنْ خَذَلَهُ لَا يَسِيَطِيْعُ أَنْ يَقُوْلَ نَصَرَ رَهْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ اسِيَتَاثُرٌ فَاسِيَاءُ الْمَاثِرَةِ وَ جَزِعْتُمْ فَاسِيَاءُتُمْ الْجَزَعُ وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَاثِرِ وَ الْجَاذِعِ .

هذا الكلام بظاهره يقتضى أنه ما أمر بقتله و لا نهى عنه فيكون دمه عنده فى حكم الأمور المباحه التى لا يؤمر بها و لا ينهى عنها غير أنه لا يجوز أن يحمل الكلام على ظاهره لما ثبت من عصمه دم عثمان و أيضا فقد ثبت فى السير و الأخبار أنه كان ع ينهى الناس عن قتله فإذاً يجب أن يحمل لفظ النهى على المنع كما يقال الأمير ينهى عن نهب أموال الرعيه أى يمنع و حينئذ يستقيم الكلام لأنه ع ما أمر بقتله و لا منع عن قتله و إنما كان ينهى عنه باللسان و لا يمنع عنه باليد.

فإن قيل فالنهي عن المنكر واجب فهلا منع من قتله باليد.

قيل إنما يجب المنع باليد عن المنكر إذا كان حسنا و إنما يكون الإنكار حسنا

إذا لم يغلب على ظنّ الناهى عن المنكر أن نهيه لا يؤثر فإن غلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر قبح إنكار المنكر لأنّه إن كان الغرض تعريف فاعل القبيح قبح ما أقدم عليه فذلك حاصل من دون الإنكار و إن كان الغرض ألا يقع المنكر فذلك غير حاصل لأنّه قد غلب على ظنه أن نهيه و إنكاره لا- يؤثر و لذلك لا يحسن من الإنسان الإنكار على أصحاب المآصر (١) ما هم عليه من أخذ المكوس لما غلب على الظنّ أن الإنكار لا- يؤثر و هذا يقتضى أن يكون أمير المؤمنين ع قد غلب على ظنه أن إنكاره لا يؤثر فلذلك لم ينكر.

و لأجل اشتباه هذا الكلام على السامعين قال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام الأبيات التى منها (٢) أرى الشام تكره أهل العراق

ص: ١٢٧

-
- ١- ١) المآصر: المواضع المعده لحبس الماره عن المسير لأخذ العشور.
٢- ٢) الأبيات فى وقعه صفين ٦٤، ٦٣، و أورد المبرد فى الكامل (٤-٢١٢- بشرح المرصفي) الستة الأبيات الأولى منها؛ و قال: «و فى آخر هذا الشعر ذمّ لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أمسكنا عن ذكره».

و كل يسر بما عنده

و هذا شعر خبيث منكر و مقصد عميق و ما قال هذا الشعر إلا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين ع فى عثمان
يجرى هذا المجرى نحو قوله ما سرنى و لا ساءنى

٢٦٣

١- وَ قِيلَ لَهُ أَرْضِيَتْ بِقَتْلِهِ فَقَالَ لَمْ أَرْضَ فْقِيلَ لَهُ أَسَخِطْتَ قَتْلَهُ فَقَالَ لَمْ أَسَخِطْ .

٢٦٤

وَ قَوْلُهُ تَارَهُ اللَّهُ قَتْلَهُ وَ أَنَا مَعَهُ .

٢٦٥

وَ قَوْلُهُ تَارَهُ أُخْرَى مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَ لَا مَالَأْتُ فِي قَتْلِهِ .

٢٦٦

وَ قَوْلُهُ تَارَهُ أُخْرَى كُنْتُ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ أوردتُ إِذْ أُوردُوا وَ أُصدِرْتُ إِذْ أُصدِرُوا .

و لكل شىء من كلامه إذا صح عنه تأويل يعرفه أولو الألباب .

فأما قوله غير أن من نصره فكلام معناه أن خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأن الذين نصروه كان أكثرهم فساقا كمروان بن الحكم
و أضرابه و خذله المهاجرون و الأنصار .

فأما قوله و أنا جامع لكم أمره إلى آخر الفصل فمعناه أنه فعل ما لا يجوز و فعلتم ما لا يجوز أما هو فاستأثر فأساء الأثره أى استبد
بالأمور فأساء فى الاستبداد و أمّا أنتم فجزعتم ممّا فعل أى حزنتم فأسأتم الجزع لأنكم قتلتموه و قد كان الواجب عليه أن

ص: ١٢٨

يرجع عن استشاره و كان الواجب عليكم ألا تجعلوا جزاءه عما أذنب القتل بل الخلع و الحبس و ترتيب غيره فى الإمامه.

ثم قال و لله حكم سيحكم به فيه و فيكم

اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله

و يجب أن نذكر فى هذا الموضوع ابتداء اضطراب الأمر على عثمان إلى أن قتل.

و أصح ما ذكر فى ذلك

٢٦٧

مَا أوردَهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ فِي التَّارِيخِ (١).

وَ خُلَاصَةُ ذَلِكَ أَنَّ عُثْمَانَ أَحْدَثَ أَحْدَاثًا مَشْهُورَةً نَقَمَهَا النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ تَأْمِيرِ بَنِي أُمَيَّةَ وَ لَا سَيِّمًا الْفُسَّاقَ مِنْهُمْ وَ أَرْبَابَ السَّفَهَةِ وَ قَلَّهِ الدِّينَ وَ إِخْرَاجَ مَالِ الْفَيْءِ إِلَيْهِمْ وَ مَا جَرَى فِي أَمْرِ عَمَّارٍ وَ أَبِي ذَرٍّ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي جَرَتْ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَتِهِ ثُمَّ اتَّفَقَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَقْبَةَ لَمَّا كَانَ عَامِلُهُ عَلَى الْكُوفَةِ وَ شَهِدَ عَلَيْهِ بِشُرْبِ الْخَمْرِ صِرْفَهُ وَ وَلَّى سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ مَكَانَهُ فَصَدِمَ سَعِيدُ الْكُوفَةَ وَ اسْتَخْلَصَ مِنْ أَهْلِهَا قَوْمًا يَسْمُرُونَ عِنْدَهُ فَقَالَ سَعِيدٌ يَوْمًا إِنَّ السَّوَادَ بَسِيئَانٌ لِقُرَيْشٍ وَ بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ الْمَأْشُورُ النَّخَعِيُّ وَ تَزَعُمُ أَنَّ السَّوَادَ الَّذِي أَفْضَاءَهُ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَسِيئَانِ بَسِيئَانٍ لِمَكَّةَ وَ لِقَوْمِكِ فَقَالَ صَاحِبُ شُرْطَتِهِ أَ تَرُدُّ عَلَى الْأَمِيرِ مَقَالَتَهُ وَ أَغْلَظَ لَهُ فَقَالَ الْأَشْثَرُ لِمَنْ كَانَ حَوْلَهُ مِنَ النَّخَعِ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ أَلَا تَسْمَعُونَ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ سَعِيدٍ فَوَطَّئُوهُ وَ طَأَّ عَيْنِيًّا وَ جَزَّوْا بِرِجْلِهِ فَغُلِظَ ذَلِكَ عَلَى سَعِيدٍ وَ أَبْعَدَ سَيْمَارَهُ فَلَمْ يَأْذَنْ بَعْدَ لَهُمْ فَجَعَلُوا يَشْتُمُونَ سَعِيدًا فِي مَجَالِسِهِمْ ثُمَّ تَعَدَّوْا ذَلِكَ إِلَى شَتْمِ عُثْمَانَ وَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ نَاسٌ كَثِيرٌ حَتَّى غُلِظَ أَمْرُهُمْ فَكَتَبَ سَعِيدٌ إِلَى عُثْمَانَ فِي أَمْرِهِمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى الشَّامِ لِئَلَّا يُفْسِدُوا أَهْلَ الْكُوفَةِ وَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ هُوَ وَالِي الشَّامِ أَنْ نَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ

ص: ١٢٩

(١- ١) فى حوادث سنة ٣٣-٣٥، مع تصرف و اختصار فى جميع ما أورده فى هذا الفصل.

قَدْ هُمُوا بِإِسَارِهِ الْفِتْنَةِ وَقَدْ سَيَّرْتَهُمْ إِلَيْكَ فَانْتَهُمُ فَإِنْ آنَسْتَ مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَارْزُدْهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانُوا الْأَشْتَرُ وَمَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ النَّخَعِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسِ النَّخَعِيُّ وَصَعَصَةَ عَنْ بَنِي صُوحَانَ الْعَبِيدِيَّ وَغَيْرُهُمْ جَمَعَهُمْ يَوْمًا وَقَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ ذُووْ أَسِنَّةٍ وَالسِّنَّةُ وَالسِّنَّةُ وَقَدْ أَدْرَكْتُمْ بِالْإِسْلَامِ شَرَفًا وَعَلَبْتُمْ الْأُمَّةَ وَحَوَيْتُمْ مَوَارِيثَهُمْ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ دَمَمْتُمْ قُرَيْشًا وَنَقَمْتُمْ عَلَى الْوُلَاهِ فِيهَا وَلَوْ لَا قُرَيْشٌ لَكُنْتُمْ أَذَلَّهُ إِنَّ أَيْمَتَكُمْ لَكُمْ جُنَّةٌ فَلَا تَفَرَّقُوا عَيْنَ جُنَّتِكُمْ إِنَّ أَيْمَتَكُمْ لِيَصِيْبُرُونَ لَكُمْ عَلَى الْجَوْرِ وَيَحْتَمِلُونَ مِنْكُمْ (١) الْعِتَابَ وَاللَّهُ لَتَنْتَهِينَ أَوْ لِيَتَلَيْنَكُمْ اللَّهُ بِمَنْ يَسِيْرُ وَمُكْمُ الْخُسْفِ وَلَا يَحْمَدُكُمْ عَلَى الصَّبْرِ ثُمَّ تَكُونُونَ شُرَكَاءَهُمْ فِيمَا جَرَزْتُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي حَيَاتِكُمْ وَبَعْدَ وَفَاتِكُمْ.

فَقَالَ لَهُ صَعَصَةَ بْنُ صُوحَانَ أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَكْثَرَ الْعَرَبِ وَلَا أَمْنَعَهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَإِنْ غَيْرَهَا مِنَ الْعَرَبِ لَأَكْثَرَ مِنْهَا كَانَ وَ أَمْنَعُ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّكَ لَخَطِيبُ الْقَوْمِ وَلَا أَرَى لَكَ عَقْلًا وَقَدْ عَرَفْتَكُمْ الْآنَ وَ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي أَعْرَاكُمْ فَلَهُ الْعُقُولُ أُعْظِمُ عَلَيْكُمْ أَمْرَ الْإِسْلَامِ فَتَذَكَّرْنِي الْجَاهِلِيَّةَ أَخْزَى اللَّهُ قَوْمًا عَظُمُوا أَمْرُكُمْ فَقَهُّوا عَنِّي وَلَا أَطْنُكُمْ تَفْقَهُونَ إِنَّ قُرَيْشًا لَمْ تُعَزَّ فِي جَاهِلِيَّةِ وَلَا إِسْلَامِ إِلَّا بِاللَّهِ وَخِيَدُهُ لَمْ تَكُنْ بِأَكْثَرَ الْعَرَبِ وَلَا أَشَدَّهَا وَ لَكِنَّهُمْ كَانُوا أَكْرَمَهُمْ أَحْسَابًا وَ أَمْحَضَهُمْ (٢) أَنْسَابًا وَ أَكْمَلَهُمْ مَرْوَةً وَ لَمْ يَمْتَنِعُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالنَّاسُ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا بِاللَّهِ فَبِوَأَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ هَلْ تَعْرِفُونَ عَرَبًا أَوْ عَجَمًا أَوْ سُودًا أَوْ حُمْرًا إِلَّا وَقَدْ أَصَابَهُمُ الدَّهْرُ فِي بِلَادِهِمْ وَ حَرَمِهِمْ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَرُدَّهُمْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِكَيْدٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ خَدَّهُ الْأَسْفَلَ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْتَنْقِذَ مَنْ أَكْرَمَهُ بِاتِّبَاعِ دِينِهِ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا وَسُوءِ مَرَدِّ الْآخِرَةِ فَارْتَضَى لِدَلِكِ خَيْرٌ

ص: ١٣٠

(١-١) كذا في ا،ج،و في ب: «فيكم».

(٢-٢) يقال: عربي محض؛ أي خالص النسب.

خَلَقَهُ ثُمَّ ارْتَضَى لَهُ أَضِيحَابًا وَكَانَ خِيَارُهُمْ قُرَيْشًا ثُمَّ بَنَى هَذَا الْمُلْكَ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ هَذِهِ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ فَلَا يَضِيحُ الْأَمْرُ إِلَّا بِهِمْ وَ قَدْ كَانَ اللَّهُ يَحْوِطُهُمْ فِي الْحِجَاهِلِيَّةِ وَ هَيْمَ عَلَى كُفْرِهِمْ أَ فَتَرَاهُ لَا- يَحْوِطُهُمْ وَ هَيْمَ عَلَى دِينِهِ أَفْ لِمَكَ وَ لِأَضِيحَابِكَ أَمَا أَنْتَ يَا صَعْبَةَ عَهُ فَإِنَّ قَوْمَكَ شَرُّ الْقُرَى أَنْتَنَهَا نَبْتًا وَ أَعَمَّقَهَا وَادِيًا وَ الْأَمَّهَا جِيرَانًا وَ أَعْرَفَهَا بِالشَّرِّ لَمْ يَسْكُنْهَا شَرِيفٌ قَطُّ وَ لَا وَضِيحٌ إِلَّا سَبَّ بِهَا نَزَاعَ الْأَمَمِ وَ عَبِيدَ فَارِسَ وَ أَنْتَ شَرُّ قَوْمِكَ أَ حِينَ أُبْرَزَكَ الْإِسْلَامُ وَ خَلَطَكَ بِالنَّاسِ أَقْبَلْتَ تَبَغَى دِينَ اللَّهِ عَوْجًا وَ تَنَزَّعَ إِلَى الْغَوَايَةِ إِنَّهُ لَنْ يَضُرَّ ذَلِكَ قُرَيْشًا وَ لَا- يَضَعُهُمْ وَ لَا- يَمْنَعُهُمْ مِنْ تَأْدِيهِ مِمَّا عَلَيْهِمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ عَنْكُمْ لَغَيْرُ غَاذِلٍ قَدْ عَرَفَكُمْ بِالشَّرِّ فَأَعْرَاكُمْ بِالنَّاسِ وَ هُوَ صَارِعُكُمْ وَ إِنْكُمْ لَا تُدْرِكُونَ بِالشَّرِّ أَمْرًا إِلَّا فَتِحَ عَلَيْكُمْ شَرٌّ مِنْهُ وَ أَخْزَى قَدْ أَذْنَتْ لَكُمْ فَادْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ لَا يَنْفَعُ اللَّهُ بِكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ لَا يَضُرُّهُ وَ لَسْتُمْ بِرِجَالٍ مَنْفَعَةٍ وَ لَا مَضَرَّةٍ فَإِنْ أَرَدْتُمْ النَّجَاهَ فَالزَّمُوا جَمَاعَتَكُمْ وَ لَا تُبْطِرَنَّكُمْ النِّعْمَةُ فَإِنَّ الْبَطْرَ لَا يَجُزُّ خَيْرًا أَذْهَبُوا حَيْثُ شِئْتُمْ فَسَأَكْتُبُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ.

وَ كَتَبَ إِلَى عَثْمَانَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيَّ قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ عُقُولٌ وَ لَا أَدْيَانٌ أَضَجَرَهُمُ الْعَدْلُ لَا يُرِيدُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ وَ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّةٍ إِنَّمَا هُمُ الْفِتْنَةُ وَ اللَّهُ مُبْتَلِيهِمْ ثُمَّ فَاضِحُهُمْ وَ لَيْسُوا بِالَّذِينَ نَخَافُ نَكَائِيَتَهُمْ وَ لَيْسُوا بِأَكْثَرَ مِمَّنْ لَهُ شَعْبٌ وَ نَكِيرٌ.

ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الشَّامِ (١).

٢٤٨

وَ رَوَى أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ مَجَالِسٌ طَالَتْ فِيهَا الْمُحَاوِرَاتُ وَ الْمُخَاطَبَاتُ بَيْنَهُمْ وَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُمْ فِي جُمْلَةٍ مَا قَالَهُ إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ عَرَفَتْ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ

ص: ١٣١

كَانَ أَكْرَمَهَا وَابْنُ أَكْرَمِهَا إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ص فَإِنَّهُ ائْتَجَبَهُ (١) وَ أَكْرَمَهُ وَ لَوْ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَ لَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ لَكَانُوا حُلَمَاءَ (٢)

فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ بِنْتُ صُوحِرَانَ كَذَبْتَ قَدْ وَ لَدَهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَهُ فَكَانَ فِيهِمْ الْبُرُّ وَ الْفَاجِرُ وَ الْكَيْسُ وَ الْأَحْمَقُ.

قَالَ وَ مِنَ الْمَجْرَاسِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُمْ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ رُدُّوا خَيْرًا أَوْ اسْكُتُوا وَ تَفَكَّرُوا وَ انظُرُوا فِيمَا يَنْفَعُكُمْ وَ الْمُسْلِمِينَ فَاطْلُبُوهُ وَ أَطِيعُونِي.

فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ لَسْتَ بِأَهْلٍ ذَلِكَ وَ لَا كَرَامَةَ لَكَ أَنْ تُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

فَقَالَ إِنَّ أَوَّلَ كَلَامٍ ابْتَدَأْتُ بِهِ أَنْ أَمَرْتُكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَةِ رَسُولِهِ وَ أَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا .

فَقَالُوا (٣) يَلِ أَمْرَتِ بِالْفُرْقَةِ وَ خِلَافِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ص .فَقَالَ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ فَإِنِّي الْآنَ أَتُوبُ وَ أَمْرُكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ وَ لُزُومِ الْجَمَاعَةِ وَ أَنْ تُوقِرُوا أَيْمَتَكُمْ وَ تُطِيعُوهُمْ.

فَقَالَ صَعْصَعَةُ إِنْ كُنْتُ تُبِتَ فَإِنَّا نَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَرِلَ عَمَلَكَ (٤) فَإِنَّ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ مِمَّنْ كَانَ أَبُوهُ أَحْسَنَ أَثْرًا فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَبِيكَ وَ هُوَ أَحْسَنُ قَدَمًا فِي الْإِسْلَامِ مِنْكَ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّ لِي فِي الْإِسْلَامِ لَقَدَمًا وَ إِنْ كَانَ غَيْرِي أَحْسَنَ قَدَمًا مِنِّي لَكِنَّهُ

ص: ١٣٢

١-١) انتجبه: اصطفاه و اختاره، و في الطبري: «انتخبه».

٢-٢) عباره الطبري: «و لو ولد الناس لم يلد إلا حازما».

٣-٣) في الأصول: «فقال» و صوابه من الطبري.

٤-٤) كذا في ا،ج،و في ب: «أمرك».

لَيْسَ فِي زَمَانِي أَحَدٌ أَقْوَى عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ مِنِّي وَ لَقَدْ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ فَلَوْ كَانَ غَيْرِي أَقْوَى مِنِّي لَمْ يَكُنْ عِنْدَ عُمَرَ هَوَادَةً لِي وَلَا لِيغَيْرِي وَلَا لِي أَحَدٌ (١) مَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ أَعْتَرَلَ عَمَلِي فَلَوْ رَأَى ذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَكَتَبَ إِلَيَّ [بِحُطِّ يَدِهِ]

(٢) فَاعْتَرَلْتُ عَمَلَهُ فَمَهْلًا- فَإِنَّ فِي دُونِ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِمَّا يَأْمُرُ فِيهِ الشَّيْطَانُ وَيَنْهَى وَلَا عَمْرِي لَوْ كَانَتْ الْأُمُورُ تُقْضَى عَلَيَّ رَأْيِكُمْ وَأَهْوَائِكُمْ مَا اسْتَقَامَ الْأَمْرُ لِأَهْلِ الْأِسْلَامِ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً فَعَاوِدُوا الْخَيْرَ وَقُولُوا فَإِنَّ اللَّهَ ذُو سَطَوَاتٍ وَإِنِّي خَائِفٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبَعُوا إِلَيَّ مُطَاوَعَةَ الشَّيْطَانِ وَمَعْصِيَةَ الرَّحْمَنِ فَيَحِلُّكُمْ ذَلِكَ دَارَ الْهُونِ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.

فَوَثَّيُوا عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَأَخَذُوا بِرَأْسِهِ وَ لِحْيَتِهِ فَقَالَ مَهْ إِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِأَرْضِ الْكُوفَةِ وَاللَّهِ لَوْ رَأَى أَهْلُ الشَّامِ مِمَّا صَيَّرْتُمْ بِي وَأَنَا إِمَامُهُمْ]

(٣) مَا مَلَكَتُ أَنْ أَنْهَاهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فَلَعَمْرِي إِنَّ صَنِيعَكُمْ يُشْبِهُ بَعْضَهُ بَعْضًا.

ثُمَّ قَامَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَ كَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ فِي أَمْرِهِمْ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ رُدَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْكَوْفَةِ فَرَدَّهُمْ فَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِي دَمِهِ وَ دَمِ عُثْمَانَ وَ عَيْبِهِمَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ إِلَى حِمصٍ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهَا.

ص: ١٣٣

(١-١) ب. «و لا حدث».

(٢-٢) من الطبري.

(٣-٣) ذكر الطبري كتاب معاوية إلى عثمان، وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان؛ أما بعد يا أمير المؤمنين؛ فإنك بعثت إلى أقواما يتكلمون بألسنة الشياطين و ما يملون عليهم، و يأتون الناس -زعموا- من قبل القرآن، فيشبهون على الناس، و ليس كل الناس يعلم ما يريدون؛ و إنما يريدون فرقه، و يقربون فتنه، قد أثقلهم الإسلام و أضجرهم، و تمكنت رقى الشيطان من قلوبهم؛ فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرا نبيهم من أهل الكوفة، و لست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم و فجورهم؛ فارددهم إلى مصرهم؛ فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم، و السلام».

وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ قَالاً لَمَّا سَيَّرَ بِالنَّفَرِ الَّذِينَ طَرَدَهُمْ عُثْمَانُ عَنِ الْكُوفَةِ إِلَى حِمَصٍ وَ هُمْ الْأَشْتَرُ وَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيُّ وَ كَمَيْلُ بْنُ زِيَادِ النَّخَعِيُّ وَ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ وَ أَخُوهُ صَعَصَيْعٌ وَ جُنْدَبُ بْنُ زُهَيْرٍ (١) الْغَامِدِيُّ وَ جُنْدَبُ (٢) بْنُ كَعْبِ الْأَزْدِيُّ وَ عُرْوَةُ بْنُ الْجَعْدِ وَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيُّ وَ ابْنُ الْكُوَّاءِ جَمَعَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَهُمْ أَيَّاماً وَ فَرَضَ لَهُمْ طَعَاماً ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يَا بَنِي الشَّيْطَانِ لَا مَرْحَباً بِكُمْ وَ لَا أَهْلاً قَدْ رَجَعَ الشَّيْطَانُ مَحْسُوراً وَ أَنْتُمْ بَعِيدٌ فِي بَسَاطِ ضَلَالِكُمْ وَ عَيْكُمْ جَزَى اللَّهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنْ لَمْ يُؤْذِكُمْ يَا مَعْشَرَ مَنْ لَا أَدْرِي أَعَرَبٌ هُمْ أَمْ عَجَمٌ أَ تَرَاكُمْ تَقُولُونَ لِي مَا قُلْتُمْ لِمَعَاوِيَةَ أَنَا ابْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَا ابْنُ مَنْ عَجَمْتُهُ الْعَاجِمَاتُ أَنَا ابْنُ فِئَاقِي عَيْنِ الرَّدِّهِ وَ اللَّهُ يَا ابْنَ صُوحَانَ لِأَطِيرَنَّ بِكَ طَيْرَةً بَعِيدَةَ الْمَهْوَى إِنْ بَلَغَنِي أَنْ أَحِيداً مِمَّنْ مَعِيَ دَقَّ أَنْفَكَ فَأَقْنَعْتُ (٣) رَأْسَكَ.

قَالَ فَأَقَامُوا عِنْدَهُ شَهراً كُلَّمَا رَكِبَ أَمْشَاهُمْ مَعَهُ وَ يَقُولُ لِصَعَصَيْعٍ يَا ابْنَ الْخَطِيئَةِ إِنْ مِنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الْخَيْرُ أَصْلَحْهُ الشَّرُّ مَا لَكَ لَا تَقُولُ كَمَا كُنْتَ تَقُولُ لِسَيِّدِي وَمَعَاوِيَةَ فَيَقُولُونَ سَيَنْتَوُبُ إِلَى اللَّهِ أَقْلُنَا أَقَالَكَ اللَّهُ فَمَا زَالَ ذَاكَ دَابُّهُ وَ دَابُّهُمْ حَتَّى قَالَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ يَسْتَرْضِيهِ عَنْهُمْ وَ يَسْأَلُهُ فِيهِمْ فَرَدَّهُمْ إِلَى الْكُوفَةِ .

١٤، ١- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ إِنَّ سَيِّدِي بْنَ الْعِيَّاصِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ سِنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ خِلَافَتِهِ فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ اجْتَمَعَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَذَكَرُوا سَيِّدِي وَأَعْمَالَهُ وَ ذَكَرُوا قَرَابَاتِ عُثْمَانَ وَ مَا سَوَّغَهُمْ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ عَابُوا أَفْعَالَ عُثْمَانَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ وَ كَانَ مُتَأَلِّهاً (٤) وَ اسْمُ أَبِيهِ عَبْدُ اللَّهِ وَ هُوَ مِنْ تَمِيمٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي الْعُبَيْرِ فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ نَاساً مِنَ الصَّحَابَةِ

١- (١) ا،ج: «حبيب»، و ما أثبتته من ب و الطبري.

٢- (١) ا،ج: «حبيب»، و ما أثبتته من ب و الطبري.

٣- (٣) المتأله: المتعبد المتنسك.

اجْتَمَعُوا وَنَظَرُوا فِي أَعْمَالِكَ فَوَحَىٰ دُوكَ قَدْ رَكِبْتَ أُمُورًا عِظَامًا فَاتَّقِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ فَقَالَ عُثْمَانُ انظُرُوا إِلَيَّ هَذَا تَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ قَارِيٌّ ثُمَّ هُوَ يَجِيءُ إِلَيَّ فَيُكَلِّمُنِي فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ وَاللَّهِ مَا تَدْرِي أَيْنَ اللَّهُ فَقَالَ عَامِرٌ بَلَىٰ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَدْرِي إِنَّ اللَّهَ لِبِالْمِرْصَادِ (١).

فَأَخْرَجَهُ عُثْمَانُ وَ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَيْدِ بْنِ سَيْدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ وَ كَانَ قَدْ اسْتَقْدَمَ الْأَمْرَاءَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَشَاوَرَهُمْ وَ قَالَ إِنَّ لِكُلِّ أَمِيرٍ وَزَرَءَ وَ نُصِيحَاءَ وَ إِنَّكُمْ وَ زُرَائِي وَ نُصِيحَائِي وَ أَهْلُ ثِقَتِي وَ قَدْ صَنَعَ النَّاسُ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَ طَلَبُوا إِلَيَّ أَنْ أَعْزِلَ عُمَالِي وَ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ جَمِيعِ مَا يَكْرَهُونَ إِلَيَّ مَا يُحِبُّونَ فَاجْتَهَدُوا رَأْيَكُمْ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ أَرَى لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَشْغَلَهُمْ عَنْكَ بِالْجِهَادِ حَتَّى يَذِلُّوا لَكَ وَ لَا تَكُونَ هِمَّةُ أَحَدِهِمْ إِلَّا فِي نَفْسِهِ وَ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ دَبْرٍ دَابَّتِهِ (٢) وَ قَمَلٍ فَرَوْتِهِ.

وَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ احْسِبْ عَنكَ الدَّاءَ وَ اقْطَعْ عَنكَ الَّذِي تَخَافُ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ قَادَةً مَتَى يَهْلِكُوا يَتَفَرَّقُوا وَ لَا يَجْتَمِعُ لَهُمْ أَمْرٌ.

فَقَالَ عُثْمَانُ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الرَّأْيُ لَوْ لَا مَا فِيهِ وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ أُشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَ أَمْرَاءَ الْأَجْنَادِ فَيُكْفِيكَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا قَبْلَهُ فَأَنَا أَكْفِيكَ أَهْلَ الشَّامِ.

وَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ إِنَّ النَّاسَ أَهْلُ طَمَعٍ فَأَعْطِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ تَعْطِفَ عَلَيْكَ قُلُوبُهُمْ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ النَّاسَ (٣) بَيْنِي أُمَّيَّةَ فَقُلْتُ وَ قَالُوا وَ زِعْتُ وَ زَاعُوا فَأَعْتَدِلْ أَوْ اعْتَرِلْ فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَعْزِمْ عَزْمًا وَ امْضِ قُدَمَا.

ص: ١٣٥

١- ١) في الطبري: «فإن ربك بالمرصاد لك؛ فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان..».

٢- ٢) الدبره، بالتحريك: فرحه الدابة و البعير، و جمعها دبر، بفتحيتين.

٣- ٣) عبارته الطبري: «قد ركبت الناس بما يكرهون».

فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ مَا لَكَ قِمْلٌ فَزُوكَ أ هَذَا بِجِدِّ (١) مِنْكَ.

فَسَبَّكَتَ عَمْرُو حَتَّى تَفَرَّقُوا ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ وَ لَكِنِّي عَلِمْتُ أَنَّ بِالْبَابِ مَنْ يُبَلِّغُ النَّاسَ قَوْلَ كُلِّ رَجُلٍ مِمَّا فَارَدْتُ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ قَوْلِي فَيَثْقُوا بِي فَأَقُودُ إِلَيْكَ خَيْرًا وَأَدْفَعُ عَنْكَ شَرًّا.

فَرَدَّ عُثْمَانُ عَمَّالَهُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ وَ أَمَرَهُمْ بِتَجْهِيزِ النَّاسِ فِي الْبُعُوثِ وَ عَزَمَ عَلَى أَنْ يُحَرِّمَهُمْ أَعْطِيَانِهِمْ لِطَبِيعُوهُ وَ رَدَّ سَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ إِلَى الْكُوفَةِ فَتَلَقَّاهُ أَهْلُهَا بِالْجُرْعَةِ (٢) وَ كَانُوا قَدْ كَرِهُوا إِمَارَتَهُ وَ ذَمُّوا سَبِيْرَتَهُ فَقَالُوا لَهُ ارْجِعْ إِلَى صَاحِبِكَ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ فَهَمَّ بِأَنْ يَمْضِيَ لَوْجِهِ وَ لَا يَرْجِعَ فَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا هَذَا أَ تَرُدُّ السَّبِيلَ عَنْ إِدْرَاجِهِ وَ اللَّهُ لَا يَسِيْرُ كُنْ الْغَوْغَاءَ إِلَّا الْمَشْرِقِيَّةَ (٣) وَ يُوْشِكُ أَنْ تُتَّصَى بَعْدَ الْيَوْمِ ثُمَّ يَتَمَنَّوْنَ مَا هُمْ الْيَوْمَ فِيهِ فَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ فَارْجِعْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّ الْكُوفَةَ لَيْسَتْ لَكَ بِدَارٍ.

فَرَجَعَ إِلَى عُثْمَانَ فَأَخْبَرَهُ بِمَا فَعَلُوا فَأَنْفَذَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ وَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَمِيرًا وَ أَعْفَيْتُكُمْ مِنْ سَعِيدٍ وَ وَاللَّهِ لَأَفْوَضَ نَكْمَ عِرْضِي وَ لَأَبِيْدَنَّ لَكُمْ صَبْرِي وَ لَأَسْتَصِيْرَ بِحَنِّكُمْ جُهْدِي فَلَا تَدْعُوا شَيْئًا أَحَبُّنَا لَكُمْ وَ لَا يُعْصِي اللَّهَ فِيهِ إِلَّا سَأَلْتُمُوهُ وَ لَا شَيْئًا كَرِهْتُمُوهُ لَا يُعْصِي اللَّهَ فِيهِ إِلَّا اسْتَعْفَيْتُمْ مِنْهُ لِأَكُونَ فِيهِ عِنْدَ مَا أَحْبَبْتُمْ وَ كَرِهْتُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ لَكُمْ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ وَ اللَّهُ لَنَصْبِرَنَّ كَمَا أَمْوَنَّا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الصَّابِرِينَ.

ص: ١٣٦

١ - ١) الطبري: «أ هذا الجد منك!».

٢ - ٢) الجرعة، بالتحريك - و قيل بسكون الراء: موضع قرب الكوفة، بين النجف و الحيرة.

٣ - ٣) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى مشارف، قري قرب حوران.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ سِنُهُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ تَكَاتَبَ أَعْدَاءُ عُثْمَانَ وَبَنِي أُمِّيهِ فِي الْبِلَادِ وَحَرَّضَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى خَلْعِ عُثْمَانَ عَنِ الْخِلَافَةِ وَعَزَلَ عَمَالِهِ عَنِ الْأَمْصَارِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِعُثْمَانَ فَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَمَّا بَعِيدٌ فَابْنُهُ رُفِعَ إِلَيَّ أَنْ أَقْوَامًا مِنْكُمْ يَشْتُمُّهُمْ عَمَالِي وَيَضْرِبُونَهُمْ فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُؤَافِ الْمَوْسِمَ بِمَكَّةَ فَلْيَأْخُذْ بِحَقِّهِ مِنِّي أَوْ مِنْ عَمَالِي فَإِنِّي قَدْ اسْتَقْدَمْتُهُمْ أَوْ تَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ.

ثُمَّ كَاتَبَ عَمَالَهُ وَاسْتَقْدَمَهُمْ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ جَمَعَهُمْ وَقَالَ مَا شَكَايَةُ النَّاسِ مِنْكُمْ إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ تَكُونُوا مَضِيءُوقًا عَلَيْنُكُمْ وَمَا يُعْصَبُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا بِأَبِي فَقَالُوا لَهُ وَاللَّهِ مَا صَدَقَ مَنْ رَفَعَ إِلَيْكَ وَلَا بَرٌّ وَلَا نَعْلَمُ لَهُذَا الْأَمْرَ أَصِيلاً فَقَالَ عُثْمَانُ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ هَذِهِ أُمُورٌ مَصْنُوعَةٌ تَلْقَى فِي السَّرِّ فَيَتَحَدَّثُ بِهَا النَّاسُ وَدَوَاءُ ذَلِكَ السَّيْفُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ خُذْ مِنَ النَّاسِ الَّذِي عَلَيْهِمْ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ الَّذِي لَهُمْ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ الرَّأْيُ حُسْنُ الْأَدَبِ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَرَى لَكَ أَنْ تَلْزَمَ طَرِيقَ صَاحِبَيْكَ فَتَلِينَ [فِي]

(١) مَوْضِعِ اللَّيْنِ وَتَشْتَدَّ [فِي]

(٢) مَوْضِعِ الشَّدَةِ.

فَقَالَ عُثْمَانُ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتُمْ إِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يُخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ كَائِنٌ لَا بَدَّ مِنْهُ وَإِنَّ بَابَهُ الَّذِي يُغْلَقُ عَلَيْهِ لَيُفْتَحَنَّ فَكَفِّفُوهُمْ بِاللَّيْنِ وَالْمِيدَارَاهِ إِلَّا فِي حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي لَمْ آلِ النَّاسَ خَيْرًا وَإِنَّ رَحَى الْفِتْنَةِ لَدَائِرُهُ فَطُوبَى لِعُثْمَانَ إِنْ مَاتَ وَ لَمْ يُحَرِّكْهَا سَكَنُوا النَّاسَ وَ هَبُوا لَهُمْ حُقُوقَهُمْ (٤) فَإِذَا تُعْطِيَتْ حُقُوقُ اللَّهِ فَلَا تُدْهِنُوا فِيهَا (٥).

ص: ١٣٧

١-١ (١) تكمله من الطبري.

١-٢ (١) تكمله من الطبري.

٣-٣ (٣) المداهنه: المصانعه، و في الطبري و ج: «فلا تدهنوا»، و الإدهان: المصانعه.

٤-٤ (٤) في الأصول: «حقوقكم»، و ما أثبتته عن الطبري.

-٥

ثُمَّ نَفَرَ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَدَعَا عَلِيًّا وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ فَحَضَرُوا وَ عِنْدَهُ مُعَاوِيَةُ فَسَكَتَ عُثْمَانُ وَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَ تَكَلَّمَ مُعَاوِيَةُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ خَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَ وِلَاةُ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَطْمَعُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ اخْتَرْتُمْ صَاحِبَكُمْ عَنْ غَيْرِ عَلِيٍّ وَ لَا طَمَعٌ وَ قَدْ كَبِرَ (١) وَ وَلَّى عُمُرَهُ فَلَوْ ائْتَضَرْتُمْ بِهِ الْهَرَمَ كَانَ قَرِيبًا مَعَ أَنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ وَ قَدْ فَشَتْ مَقَالُهُ خِفَتَهَا عَلَيْكُمْ فَمَا عَيْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَهَذِهِ يَدِي لَكُمْ بِهِ رَهْنًا (٢) فَلَا تُطْمِعُوا النَّاسَ فِي أَمْرِكُمْ فَوَ اللَّهُ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ لَا رَأَيْتُمْ أَبَدًا مِنْهَا إِلَّا إِذْبَارًا.

فَقَالَ عَلِيُّ ع وَ مَا لَكَ وَ ذَاكَ لَا أُمَّ لَكَ فَقَالَ دَعِ أُمَّي فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرِّ أُمَّهَاتِكُمْ قَدْ أَسْلَمْتُ وَ بَايَعَتِ النَّبِيَّ ص وَ أَجِنِّي عَمَّا أَقُولُ لَكَ.

فَقَالَ عُثْمَانُ صِ دَقَ ابْنُ أَخِي أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ عَنِّي وَ عَمَّا وُلِّيتُ أَنْ صِي أَحِبِّي اللَّذِينَ كَانَا قَبْلِي ظَلَمْنَا أَنْفُسَهُمَا وَ مَنْ كَانَ مِنْهُمَا بِسَبِيلٍ احْتِسَابًا وَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ص كَانَ يُعْطِي قَرَابَتَهُ وَ أَنَا فِي رَهْطِ أَهْلِ عَيْلِهِ وَ قَلْبِهِ مَعَاشٍ فَبَسَطْتُ يَدِي فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لِمَا أَقَوْمُ بِهِ فِيهِ فَإِنْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ خَطَأً فَرُدُّوهُ فَأَمْرِي لِأَمْرِكُمْ تَبِعْ.

قَالُوا أَصِ بَتَ وَ أَحْسِنْتَ إِنَّكَ أَعْطَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ خَمْسِينَ أَلْفًا وَ أَعْطَيْتَ مَرْوَانَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا فَاسْتَعَادَهَا مِنْهُمَا فَاسْتَعَادَهَا فَخَرَجُوا رَاضِينَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعُثْمَانَ اخْرُجْ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ فَإِنَّهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ

ص: ١٣٨

١-١) الطبري: «كبرت سنه».

٢-٢) كلمه «رهنا» ساقطه من الطبري.

قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْكَ مَا لَا قِبَلَ لَكَ بِهِ فَقَالَ لَا أْبِيعُ جِوَارَ رَسُولِ اللَّهِ صِ بِشَيْءٍ وَإِنْ كَانَ فِيهِ [قَطْعُ]

(١) خَيْطُ عُنُقِي قَالَ فَأَبْعَثُ إِلَيْكَ جُنْدًا مِّنَ الشَّامِ يُقِيمُ مَعَكَ لِئَابَيْهِ إِنْ نَابَتِ الْمَدِينَةُ (٢) أَوْ إِيَّاكَ فَقَالَ لَا أَضِيقُ عَلَى جِيرَانِ رَسُولِ اللَّهِ صِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَتُعْتَالَنَّ فَقَالَ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ مِنْ عِنْدِ عُثْمَانَ فَمَرَّ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِيهِمْ عَلِيُّ عَ وَطَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ وَ عَلِيٌّ مُعَاوِيَةَ ثِيَابٌ سَفْرَهُ وَ هُوَ خَارِجٌ إِلَى الشَّامِ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ النَّاسُ يَتَغَالَبُونَ عَلَيْهِ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَتَفَاضَلُوا بِالسَّابِقِ وَالْقَدَمِ وَ الْجِهَادِ فَإِنْ أَخَذُوا بِذَلِكَ فَالْأَمْرُ أَمْرُهُمْ وَ النَّاسُ لَهُمْ تَبِعٌ وَ إِنْ طَلَبُوا الدُّنْيَا بِالتَّغَالُبِ سَيَلَبُوا ذَلِكَ وَ رَدَّ اللَّهُ إِلَى غَيْرِهِمْ وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْبَدْلِ لَقَادِرٌ وَ إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ فِيكُمْ شَيْخَنَا فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا وَ كَانِفُوهُ تَكُونُوا أَسِيْعَدَ مِنْهُ بِذَلِكَ ثُمَّ وَدَّعَهُمْ وَ مَضَى فَقَالَ عَلِيُّ عَ كُنْتُ أَرَى فِي هَذَا خَيْرًا فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَ اللَّهُ مَا كَانَ أَعْظَمَ قَطُّ فِي صَدْرِكَ وَ صُدُورِنَا مِنْهُ الْيَوْمَ

قلت من هذا اليوم أنشب معاوية أظفاره في الخلافة لأنه غلب على ظنه قتل عثمان و رأى أن الشام بيده و أن أهلها يطيعونه و أن له حجة يحتج بها عليهم و يجعلها ذريعه إلى غرضه و هى قتل عثمان إذا قتل و أنه ليس فى أمراء عثمان أقوى منه و لا أقدر على تدبير الجيوش و استتماله العرب فبنى أمره من هذا اليوم على الطمع فى الخلافة ألا ترى إلى قوله لصعصعه من قبل إنه ليس أحد أقوى منى على الإمارة و إن عمر

ص: ١٣٩

١-١) تكمله من الطبرى.

١-٢) تكمله من الطبرى.

استعملني و رضى سيرتي أ و لا ترى إلى قوله للمهاجرين الأولين إن شرعتم في أخذها بالتغالب و ملتم على هذا الشيخ أخرجها الله منكم إلى غيركم و هو على الاستبدال قادر و إنما كان يعنى نفسه و هو يكنى عنها و لهذا ترض (١) بنصره عثمان لما استنصره و لم يبعث إليه أحدا.

٢٧١

١,٢- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ الْوَاقِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لَمَّا أَجَلَبَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ وَ كَثُرَتِ الْقَالَةُ فِيهِ خَرَجَ نَاسٌ مِنْ مِصْرَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ نَيْسِ الْبَلَوِيُّ وَ كِنَانَةُ بْنُ بَشْرِ اللَّيْثِيُّ وَ سُودَانَ بْنُ حُمْرَانَ السَّكُونِيُّ وَ قَتِيرَةُ بْنُ وَهْبِ السَّكْسَكِيُّ وَ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً أَبُو حَزْبِ الْعَافِقِيُّ وَ كَانُوا فِي الْفَيْنِ وَ خَرَجَ نَاسٌ مِنَ الْكُوفَةِ مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ وَ مَالِكُ الْأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ وَ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَصَمِّ الْغَامِدِيُّ فِي الْفَيْنِ وَ خَرَجَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْهُمْ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ الْعَبْدِيُّ وَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَمْرَائِهِمْ وَ عَلَيْهِمْ حُزُقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ السَّعِيدِيُّ وَ ذَلِكَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ حَمْسٍ وَ ثَلَاثِينَ وَ أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْحِجَّ فَلَمَّا كَانُوا مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثِ تَقَدَّمَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَزَلُّوا دَا حَشَبٍ (٢) وَ كَدَانَ هَوَاهُمْ فِي طَلْحَةَ وَ تَقَدَّمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَزَلُّوا الْأَعْوَصَ (٣) وَ كَانَ هَوَاهُمْ فِي الزُّبَيْرِ وَ جَاءَ أَهْلُ مِصْرَ فَزَلُّوا الْمَرْوَةَ (٤) وَ كَدَانَ هَوَاهُمْ فِي عَلِيٍّ ع وَ دَخَلَ نَاسٌ مِنْهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ يُخْبِرُونَ مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ لِعُثْمَانَ فَلَقُوا جَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ لَقُوا أَرْوَاحَ النَّبِيِّ ص وَ قَالُوا إِنَّمَا نُرِيدُ الْحِجَّ وَ نَسْتَعْفِي مِنْ عَمَلِنَا.

ثُمَّ لَقِيَ جَمَاعَةً مِنَ الْمِصْرِيِّينَ عَلِيًّا ع وَ هُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ (٥)

ص: ١٤٠

١-١) ترض: قعد و لم ينصره.

٢-٢) ذو خشب: واد على مسيره ليله من المدينة.

٣-٣) أعوض: موضع قرب المدينة على أميال منها.

٤-٤) المروه: جبل بمكة ينتهى إليه السعى من الصفا.

٥-٥) أحجار الزيت: موضع بالمدينة.

فَسَيَلُمُوا عَلَيْهِ وَ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُمْ فَصَاحَ بِهِمْ وَ طَرَدَهُمْ وَ قَالَ لَقَدْ عَلِمَ الصَّالِحُونَ أَنَّ جَيْشَ الْمَرْوَةِ وَ ذِي خُشْبٍ وَ الْمَاعُوصِ
مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ص .فَانصَرَفُوا عَنْهُ.

وَ أَتَى الْبَصِيرِيُّونَ طَلْحِيَةَ فَتَقَالُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ وَ أَتَى الْكُوفِيُّونَ الرَّبِيعَةَ فَتَقَالُ لَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَفَرَّقُوا وَ خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ إِلَى
أَصْحَابِهِمْ.

فَلَمَّا أَمِنَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ وَ اطْمَأَنَّنُوا إِلَى رُجُوعِهِمْ لَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَ التَّكْبِيرُ فِي نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَ قَدْ نَزَلُوهَا وَ أَحَاطُوا بِعُثْمَانَ وَ
نَادَى مُنَادِيَهُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَنْ كَفَّ يَدَهُ عَنِ الْحَرْبِ فَهُوَ آمِنٌ فَحَصَّ رُوهُ فِي مَنْزِلِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَمْنَعُوا النَّاسَ مِنْ كَلَامِهِ وَ لِقَائِهِ
فَجَاءَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَ سَأَلُوهُمْ مَا شَأْنُهُمْ فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا الرَّجُلِ لِيَعْتَرِلَنَا لِنُوَلِّيَ غَيْرَهُ لَمْ يَزِيدُوهُمْ عَلَى
ذَلِكَ.

فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْتَجِدُّهُمْ وَ يَأْمُرُهُمْ بِتَعْجِيلِ الشُّخُوصِ إِلَيْهِ لِلْمَنْعِ عَنْهُ وَ يُعَرِّفُهُمْ مَا النَّاسُ فِيهِ فَخَرَجَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ
عَلَى الصَّعْبِ وَ الدَّلُولِ فَبَعَثَ مُعَاوِيَةَ حَبِيبَ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيِّ وَ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ مُعَاوِيَةَ بْنَ حُدَيْجٍ وَ خَرَجَ مِنْ
الْكُوفَةِ الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو بَعَثَهُ أَبُو مُوسَى .

وَ قَامَ بِالْكُوفَةِ نَفَرٌ يُحَرِّضُونَ النَّاسَ عَلَى نَصِيرِ عُثْمَانَ وَ إِعْيَانِهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْهُمْ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍ وَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُوْفَى وَ حَنْظَلَةُ
الْكَاتِبُ وَ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ مِنَ التَّابِعِينَ مَسْرُوقٌ وَ الْأَسْوَدُ وَ شَرِيحٌ وَ غَيْرُهُمْ.

وَ قَامَ بِالْبَصِيرَةِ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ وَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَ غَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَ مِنَ التَّابِعِينَ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ (1) وَ هَرْمٌ بَيْنَ حَيَّانَ وَ
غَيْرُهُمَا.

ص : ١٤١

(١ - ١) في الأصول: «شور»، و صوابه من الطبري و القاموس.

وَقَامَ بِالشَّامِ وَ مِصْرَ جَمَاعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ .

وَ خَرَجَ عُثْمَانُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ وَ قَامَ عَلَى الْمِثْبَرِ فَقَالَ يَا هَؤُلَاءِ اللَّهِ اللَّهُ فَوَ اللَّهُ إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ص فَامْحُوا الْخَطَأَ بِالصَّوَابِ .

فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ نَعَمْ أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ فَأَقْعِدْهُ حَكِيمُ بْنُ جَبَلَةَ وَ قَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَأَقْعِدْهُ فَتَبَّرَهُ بِنُ وَ هَبَّ وَ ثَارَ الْقَوْمُ فَحَصَّبُوا النَّاسَ حَتَّى أَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ وَ حَصَّبُوا عُثْمَانَ حَتَّى صُرِعَ عَنِ الْمِثْبَرِ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ فَأُدْخِلَ دَارَهُ وَ اسْتَقْتَلَ نَفْرًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَ عُثْمَانَ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ع وَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْصَرِفُوا فَانْصَرَفُوا .

وَ أَقْبَلَ عَلِيُّ وَ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ فَدَخَلُوا عَلَى عُثْمَانَ يَعُودُونَهُ مِنْ صَرَعَتِهِ وَ يَشْكُونَ إِلَيْهِ مَا يَجِدُونَ لِأَجْلِهِ وَ عِنْدَ عُثْمَانَ نَفْرٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ مِنْهُمْ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ فَقَالُوا لِعَلِيٍّ ع أَهْلَكُنَا وَ صَنَعْتَ هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ وَ اللَّهُ إِنْ بَلَغَتْ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تُرِيدُهُ لَنَمِرَنَّ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَقَامَ مُغْضَبًا وَ خَرَجَ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ حَضَرُوا مَعَهُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ .

وَ رَوَى الْوَائِدِيُّ قَالَ صَلَّى عُثْمَانُ بَعْدَ مَا وَثَبُوا بِهِ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا كَامِلًا ثُمَّ مَنَعُوهُ الصَّلَاةَ وَ صَلَّى بِالنَّاسِ أَمِيرُهُمُ الْعَافِيُّ

٢٧٢

وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ قَالَ كَانَ عُثْمَانُ مَحْضُورًا مُحَاطًا بِهِ وَ هُوَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي الْمَسْجِدِ وَ أَهْلُ مِصْرَ وَ الْكُوفَةِ وَ الْبَصْرَةَ الْحَاضِرُونَ لَهُ يُصَلُّونَ خَلْفَهُ وَ هُمْ أَدْقُ فِي عَيْنِهِ مِنَ التُّرَابِ .

ص : ١٤٢

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فِي التَّارِيخِ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ تَفَرَّقُوا عَنْهُ وَ لَزِمُوا بُيُوتَهُمْ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِسَيْفِهِ يَمْتَنِعُ بِهِ فَكَانَ حِصَارُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

وَ رَوَى الْكَلْبِيُّ وَ الْوَاقِدِيُّ وَ الْمَدَائِنِيُّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ كَانَا بِمِصْرَ يُحَرِّضَانِ النَّاسَ عَلَى عُثْمَانَ فَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ مَنْ سَارَ إِلَى عُثْمَانَ وَ أَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُدَيْفَةَ بِمِصْرَ ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهَا لَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عَامِلُ عُثْمَانَ عَنُهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَثَرِ الْمِصْرِيِّينَ بِإِذْنِ عُثْمَانَ لَهُ فَلَمَّا كَانَ بِأَيْلَهُ بَلَغَهُ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ قَدْ أَحَاطُوا بِعُثْمَانَ وَ أَنَّهُ مَقْتُولٌ وَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي حُدَيْفَةَ قَدْ غَلَبَ عَلَى مِصْرَ فَعَادَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى مِصْرَ فَمَنَعَ عَنْهَا فَأَتَى فِلَسْطِينَ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ عُثْمَانُ .

وَ رَوَى الْكَلْبِيُّ قَالَ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ رَسُولًا مِنْ مِصْرَ إِلَى عُثْمَانَ يُخْبِرُهُ بِنُهُوضِ مَنْ نَهَضَ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهِ وَ أَنَّهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا الْعُمَرَةَ وَ قَضَيْدَهُمْ خَلْعُهُ أَوْ قَتْلَهُ فَخَطَبَ عُثْمَانَ النَّاسَ وَ أَعْلَمَهُمْ حَالَهُمْ وَ قَالَ إِنَّهُمْ قَدْ أَسْرَعُوا إِلَى الْفِتْنَةِ وَ اسْتَطَالُوا عُمُرِي وَ اللَّهُ إِنْ فَارَقْتُهُمْ لَيَتَمَّتَيْنِ كُلُّ مِنْهُمْ أَنْ عُمُرِي كَانَ طَالَ عَلَيْهِمْ مَكَانٌ كُلُّ يَوْمٍ سِنَّةٌ مِمَّا يَرُونَ مِنَ الدَّمَاءِ الْمَسْفُوكَةِ وَ الْإِحْنِ وَ الْأَثَرِ الظَّاهِرَةِ وَ الْأَحْكَامِ الْمُعْجِرَةِ.

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِمَّنْ يُحَرِّضُ عَلَى عُثْمَانَ وَ يُغْرِي بِهِ وَ لَقَدْ خَطَبَ عُثْمَانُ يَوْمًا فِي أَوَاحِرِ خِلَافَتِهِ فَصَاحَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ اتَّقِ اللَّهَ يَا عُثْمَانُ فَإِنَّكَ قَدْ رَكِبْتَ أُمُورًا وَ رَكِبْنَاهَا مَعَكَ فَتُبَّ إِلَى اللَّهِ نَتَّبُ فَنَادَاهُ عُثْمَانُ وَ إِنَّكَ هَاهُنَا يَا ابْنَ النَّابِغَةِ قَمَلْتَ وَ اللَّهُ جُبَّتِكَ مِنْذُ نَزَعْتِكَ عَنِ الْعَمَلِ فَنُودِيَ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى تُبَّ إِلَى اللَّهِ وَ نُودِيَ مِنْ أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ التَّائِبِينَ ثُمَّ نَزَلَ.

وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ شَدِيدَ التَّحْرِيزِ وَالتَّالِبِ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يَقُولُ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَمَأَلَقَى الرَّاعِي فَأَحْرَضَهُ عَلَى عُثْمَانَ فَضَلَّ عَنِ الرُّؤْسَاءِ وَالْوُجُوهِ فَلَمَّا سِعَّرَ الشَّرُّ بِالْمَدِينَةِ خَرَجَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِفِلَسْطِينَ فَبَيْنَا هُوَ بِقَصْرِهِ وَمَعَهُ ابْنَاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَ مُحَمَّدٌ وَعِنْدَهُمْ سِيْلَامَةٌ بِنُ رُوْحِ الْحِذَامِيِّ إِذْ مَرَّ بِهِمْ رَاكِبٌ مِّنَ الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوهُ عَنْ عُثْمَانَ فَقَالَ مَحْصُورٌ فَقَالَ عَمْرُو أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْزُ وَالْمِكْوَاهُ فِي النَّارِ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ رَاكِبٌ آخَرَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ قُتِلَ عُثْمَانُ فَقَالَ عَمْرُو أَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِذَا نَكَأْتُ قَرْحَهُ أَذْمَيْتُهَا (١) فَقَالَ سِيْلَامَةُ بِنُ رُوْحِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّمَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ بَابٌ فَكَسَيْتُمُوهُ فَقَالَ نَعَمْ أَرَدْنَا أَنْ يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ خَاصِرِهِ الْبَاطِلِ لِيَكُونَ النَّاسُ فِي الْأَمْرِ شَرَعًا سَوَاءً.

١- وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَ الْقَوْمُ ذَا خُشْبٍ يُرِيدُونَ قَتْلَ عُثْمَانَ إِنْ لَمْ يَنْزِعْ عَمَّا يَكْرَهُونَ وَ عَلِمَ عُثْمَانُ ذَلِكَ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِ عَلِيٍّ عَ فَدَخَلَ وَ قَالَ يَا ابْنَ عَمِّ إِنْ قَرَأْتِي قَرِيْبَهُ وَ لِي عَلِيٌّ حَقٌّ وَ قَدْ حَيَاءَ مَا تَرَى مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَ هُمْ مُضِيْبِحِي وَ لَكَ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرٌ وَ هُمْ يَسْتَمْعُونَ مِنْكَ وَ أَحَبُّ أَنْ تَرْكَبَ إِلَيْهِمْ فَتَرُدَّهُمْ عَنِّي فَإِنَّ فِي دُخُولِهِمْ عَلَيَّ وَ هُنَا لِأَمْرِي وَ جُرْأَةُ عَلِيٍّ فَقَالَ عَ عَلِيٌّ أَيْ شَيْءٍ أَرَدْتُمْ قَالَ عَلِيٌّ أَنْ أَصِيْرَ إِلَى مَا أَشْرْتَ بِهِ وَ رَأَيْتُهُ لِي فَقَالَ عَلِيٌّ عَ إِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَكُلَّ ذَلِكَ تَخْرُجُ وَ تَقُولُ وَ تَعِدُّنَّ تَزْجِعُ وَ هَيْدَا مِنْ فَعِيلٍ مَزْوَانَ وَ مَعَاوِيَةَ وَ ابْنَ عَامِرٍ وَ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ سَعْدٍ فَإِنَّكَ أَطَعْتَهُمْ وَ عَصَيْتَنِي قَالَ عُثْمَانُ فَإِنِّي أَعْصِيْبِهِمْ وَ أَطِيْعُكَ.

فَأَمَرَ عَلِيٌّ عَ النَّاسَ أَنْ يَرْكَبُوا مَعَهُ فَرَكِبَ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ مِنْهُمْ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ وَ أَبُو جَهْمِ الْعَيْدِيُّ وَ حُبَيْبُ بْنُ مُطْعِمٍ وَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ .

وَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَبُو أَسِيدِ السَّاعِدِيُّ وَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَ غَيْرُهُمْ فَأَتَوْا الْمِضِرِّيَّ فَكَلَّمُوهُمْ فَكَانَ (١) الَّذِي يُكَلِّمُهُمْ عَلِيُّ وَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَسَمِعُوا مِنْهُمَا وَ رَجَعُوا أَصْحَابُهُمْ يَطْلُبُونَ مِصْرَ وَ رَجَعَ عَلِيُّ عَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يَسْمَعُهُ النَّاسُ مِنْهُ لِيَسْكُنُوا إِلَى مَا يَعِدُهُمْ بِهِ مِنَ النَّزْوِعِ (٢) وَ قَالَ لَهُ إِنَّ الْبِلَادَ قَدْ تَمَخَّضَتْ عَلَيْكَ وَ لَا أَمْنٌ أَنْ يَجِيءَ رَكْبٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَتَقُولَ لِي يَا عَلِيُّ ارْكَبْ إِلَيْهِمْ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ رَأَيْتَنِي قَدْ قَطَعْتُ رَحِمَكَ وَ اسْتَحْفَفْتُ بِحَقِّكَ .

فَخَرَجَ عُثْمَانُ أَنْ فَحَطَبَ الْخُطْبَةَ الَّتِي نَزَعَ فِيهَا وَ أَعْطَى النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ التَّوْبَةَ وَ قَالَ لَهُمْ أَنَا أَوَّلُ مَنْ اتَّعَظَ وَ أَسْتَتَغْفِرُ اللَّهَ عَمَّا فَعَلْتُ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ فَمِثْلِي نَزَعَ وَ تَابَ فَإِذَا نَزَلْتُ فَلْيَأْتِنِي أَشْرَافُكُمْ فَلْيَرَوْا رَأْيَهُمْ وَ لِيَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ ظُلَامَتَهُ لِأَكْشِفَهَا وَ حَاجَتَهُ لِأَقْضِيهَا فَوَ اللَّهُ لَئِنْ رَدَّنِي الْحَقُّ عَيْدًا لَأَشِيتَنَّ بِسُنَّةِ الْعَبِيدِ وَ لَأَذِلَّنَّ ذُلَّ الْعَبِيدِ وَ مَا عَنِ اللَّهِ مَذْهَبٌ إِلَّا إِلَيْهِ وَ اللَّهُ لَأَعْطِيَنَّكُمْ الرِّضَا وَ لَأُنْحِيَنَّ مَرْوَانَ وَ دَوِيهَ وَ لَا أُحْتَجِبُ عَنْكُمْ .

فَرَقَّ النَّاسُ لَهُ وَ بَكَوْا حَتَّى خَضَلُوا لِحَاهُمْ وَ بَكَى هُوَ أَيْضًا فَلَمَّا نَزَلَ وَحِيدَ مَرْوَانَ وَ سَعِيدًا (٣) وَ نَفَرًا مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ فِي مَنْزِلِهِ قُعُودًا لَمْ يَكُونُوا شَاهِدُوا خُطْبَتَهُ وَ لَكِنَّهَا بَلَغَتْهُمْ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ مَرْوَانُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَأَتَكَلَّمُ أُمَّ أَسِيدٍ فَقَالَتْ نَائِلُهُ ابْنَةُ الْفَرَاغِصَةِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ لَا بَلْ تَسْكُتُ فَأَنْتُمْ وَ اللَّهُ قَاتِلُوهُ وَ مُمِيتُوا أَطْفَالَهُ إِنَّهُ قَدْ قَالَ مَقَالَهُ لَا يَتَّبِعِي لَهُ

ص: ١٤٥

١-١ (١) ا،ج: «وكان».

٢-٢ (٢) نزاع عن الأمر نزوعاً: انتهى منه.

٣-٣ (٣) هو سعيد بن العاص.

أَنْ يَنْزِعَ عَنْهَا فَقَالَ لَهَا مَرْوَانُ وَمَا أَنْتِ وَذَاكَ وَاللَّهِ لَقَدْ مَاتَ أَبُوكَ وَمَا يُحْسِنُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَقَالَتْ مَهْلًا يَا مَرْوَانُ عَنْ ذِكْرِ أَبِي إِلَّا بِخَيْرٍ وَاللَّهِ لَوْ لَا أَنْ أَبَاكَ عَمُّ عُثْمَانَ وَ أَنَّهُ يَنَالُهُ عَمُّهُ وَعَيْنُهُ لِأَخْبِرْتُكَ مِنْ أَمْرِهِ بِمَا لَا أَكْذِبُ فِيهِ عَلَيْهِ.

فَاعْرَضَ عَنْهُ عُمَيْرَانُ ثُمَّ عَادَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْ أَتَكَلَّمُ أَمْ أَسِيكُ فَقَالَ تَكَلَّمْ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتِ وَأُمِّي وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ مَقَالَتَكَ هَيْدِهِ كَمَا أَنْتِ وَأَنْتِ مُمْتَنِعٌ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ رَضِيَ بِهَا وَأَعْيَانَ عَلَيْهَا وَ لِكِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَقَدْ بَلَغَ الْحِرَامُ الطُّبِيِّينَ وَ جَاوَزَ السَّيْلُ الرَّبِّيَ (١) وَ حِينَ أُعْطِيَ الْخَطَّةَ الدَّلِيلَةَ الدَّلِيلُ وَاللَّهِ لِأَقَامَهُ عَلَى خَطِيئَتِهِ تَسْتَعْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا أَجْمَلُ مَنْ تَوَبَّهَ تُخَوِّفُ عَلَيْهَا مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ جَرَّاتَ عَلَيْكَ النَّاسَ.

فَقَالَ عُثْمَانُ قَدْ كَانَ مِنْ قَوْلِي مَا كَانَ وَ إِنَّ الْفَائِتَ لَا يُرَدُّ وَ لَمْ آلَ خَيْرًا.

فَقَالَ مَرْوَانُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا بِبَابِكَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ قَالَ مَا شَأْنُهُمْ قَالَ أَنْتِ دَعَوْتَهُمْ إِلَى نَفْسِكَ فَهَذَا يَذُكُرُ مَظْلَمَهُ وَ هَذَا يَطْلُبُ مَالًا وَ هَذَا يَسْأَلُ نَزْعَ عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِكَ عَنْهُ وَ هَذَا مَا جَنَيْتَ عَلَى خِلَافَتِكَ وَ لَوْ اسْتَمْسَكَتَ وَ صَبَرْتَ كَانَ خَيْرًا لَكَ قَالَ فَاخْرُجْ أَنْتِ إِلَى النَّاسِ فَكَلِّمُهُمْ فَإِنِّي أَسْتَحْبِي أَنْ أَكَلِّمَهُمْ وَ أَرُدَّهُمْ.

فَخَرَجَ مَرْوَانُ إِلَى النَّاسِ وَ قَدْ رَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ قَدِ اجْتَمَعْتُمْ كَأَنَّكُمْ جِئْتُمْ لِنَهْبِ شَاهَتِ الْوُجُوهِ (٢) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْزِعُوا مُلْكَنَا مِنْ أَيْدِينَا اعْزُبُوا عَنَّا وَ اللَّهُ إِنْ رُمْتُمُونَا لَنَمِرَنَّ عَلَيْكُمْ مَيَّا حَلَا- وَ لَنَحْلَنَّ بِكُمْ مَا لَا يَسِيرُكُمْ وَ لَا تَحْمِدُوا فِيهِ غَبَّ (٣) رَأَيْكُمْ ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ فَإِنَّا وَ اللَّهُ غَيْرُ مَعْلُوبِينَ عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا

ص: ١٤٦

١- ١) جاوز الحزام الطيبين؛ مثل؛ يقال لمواضع الأخلاف من الناقه أطباء؛ واحدا طبي؛ بضم الطاء و كسرهما، فإذا بلغ الحزام الطيبين فقد انتهى في المكروه. و مثله جاوز السيل الرببي؛ و الرببي جمع زبيبه؛ و هي مصيده الأسد؛ و لا تتخذ إلا في قله أو هضبه أو راييه.

٢- ٢) شاهت الوجوه: قبحت.

٣- ٣) غب رأيكُم، أي عاقبه رأيكُم.

فَرَجَعَ النَّاسُ خَائِبِينَ يَشْتُمُونَ عُثْمَانَ وَمَرْوَانَ وَ أَتَى بَعْضُهُمْ عَلِيًّا عَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ عَ عَلِيَّ بْنَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ
يُغُوثِ الزُّهْرِيِّ فَقَالَ أ حَضَرْتَ خُطْبَةَ عُثْمَانَ قَالَ نَعَمْ قَالَ أ حَضَرْتَ مَقَالَهَ مَرْوَانَ لِلنَّاسِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ يَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ
إِنِّي إِنْ قَعِدْتُ فِي بَيْتِي قَالَ لِي تَرَكْتَنِي وَ خَذَلْتَنِي وَ إِنْ تَكَلَّمْتُ فَبَلَّغْتُ لَهُ مَا يُرِيدُ جَاءَ مَرْوَانُ فَتَلَعَبُ بِهِ حَتَّى قَدْ صَارَ سَيِّقَهُ (١) لَهُ
يَسُوقُهُ حَيْثُ يَشَاءُ بَعْدَ كِبَرِ السِّنِّ وَ صِيحْتِهِ الرَّسُولِ صَ وَ قَامَ مُغْضَبًا مِنْ فَوْرِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ- أ مَا يَرْضَى مَرْوَانُ
مِنْكَ إِلَّا- أَنْ يُحَرِّفَكَ عَنْ دِينِكَ وَ عَقْلِكَ فَأَنْتَ مَعَهُ كَجَمَلِ الطَّعِينِ يُقَادُ حَيْثُ يُسَارُّ بِهِ وَ اللَّهُ مَا مَرْوَانُ بِجَدِي رَأْيِي فِي دِينِهِ وَ لَا
عَقْلِهِ وَ إِنِّي لَأَرَاهُ يُورِدُكَ ثُمَّ لَا يُصْدِرُكَ وَ مَا أَنَا عَائِدٌ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا لِمُعَاتَبَتِكَ أَفْسَدْتَ شَرَفَكَ وَ غَلَبْتَ عَلِيَّ رَأْيِكَ ثُمَّ نَهَضَ.

فَدَخَلَتْ نَائِلُهُ بِنْتُ الْفَرَاغِصَةِ فَقَالَتْ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ عَلِيٍّ لَكَ وَ إِنَّهُ لَيْسَ بِرَاجِعِ إِلَيْكَ وَ لَا مُعَاوِدٍ لَكَ وَ قَدْ أَطَعْتَ مَرْوَانَ يَقُودُكَ
حَيْثُ يَشَاءُ قَالَ فَمَا أَصْنَعُ قَالَتْ تَتَّقِي اللَّهَ وَ تَتَّبِعُ سُنَّةَ صَاحِبَيْكَ فَإِنَّكَ مَتَى أَطَعْتَ مَرْوَانَ قَتَلَكَ وَ لَيْسَ لِمَرْوَانَ عِنْدَ النَّاسِ قَدْرٌ وَ لَا
هَيْبَةٌ وَ لَا مَحَبَّةٌ وَ إِنَّمَا تَرَكَكَ النَّاسُ لِمَكَانِهِ وَ إِنَّمَا رَجَعَ عَنْكَ أَهْلُ مِصْرَ لِقَوْلِ عَلِيٍّ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَاسْتَصْلَحَهُ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ قَدَمًا
وَ إِنَّهُ لَا يُعْصَى.

فَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ فَلَمْ يَأْتِهِ وَ قَالَ قَدْ أَعْلَمْتُهُ أَنِّي غَيْرُ عَائِدٍ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَجَاءَ عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ بِمَنْزِلِهِ لَيْلًا فَأَعْتَدَرَ إِلَيْهِ وَ وَعَدَ مِنْ نَفْسِهِ الْجَمِيلَ وَ قَالَ إِنِّي فَاعِلٌ وَ إِنِّي غَيْرُ فَاعِلٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ
عَ أ بَعْدَ مَا تَكَلَّمْتَ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِكَ ثُمَّ دَخَلْتَ بَيْتَكَ وَ خَرَجَ مَرْوَانُ

ص: ١٤٧

إِلَى النَّاسِ يَشْتِمُهُمْ عَلَى بَابِكَ فَخَرَجَ عُثْمَانُ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ خَذَلْتَنِي يَا أَبَا الْحَسَنِ وَجَزَّاتِ النَّاسَ عَلَيَّ فَقَالَ عَلِيُّ ع وَاللَّهِ
إِنِّي لَأَكْثَرُ النَّاسِ ذَبًّا عَنْكَ وَ لَكِنِّي كَلَّمَا جِئْتُ بِشَيْءٍ أَظُنُّهُ لَكَ رِضًا جَاءَ مَرْوَانَ بِغَيْرِهِ فَسَمِعَتْ قَوْلَهُ وَ تَرَكْتُ قَوْلِي .

وَ لَمْ يَعُدُّ عَلِيُّ إِلَى نَصِيرِ عُثْمَانَ إِلَى أَنْ مُبِعَ الْمَاءُ لَمَّا اشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَيْهِ فَعَضِبَ عَلِيُّ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ لِطَلْحَةَ ادْخُلُوا
عَلَيْهِ الرُّوَايَا فَكِرَهُ طَلْحَهُ ذَلِكَ وَ سَاءَهُ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيُّ ع حَتَّى أُدْخِلَ الْمَاءُ إِلَيْهِ.

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ أَيْضًا أَنَّ عَلِيًّا ع كَانَ فِي مَالِهِ بِخَيْرٍ لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ فَصَدِمَ الْمَدِينَةَ وَ النَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى طَلْحَةَ وَ كَانَ لِطَلْحَةَ
فِي حِصَارِ عُثْمَانَ أَثَرٌ فَلَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ ع أَتَاهُ عُثْمَانُ وَ قَالَ لَهُ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ لِي حَقَّ الْإِسْلَامِ وَ حَقَّ الْإِخَاءِ وَ الْقَرَابَةِ وَ الصُّهْرِ وَ لَوْ لَمْ
يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ وَ كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ لَكَانَ عَارًا عَلَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ يَبْتَزَّ بَنُو تَيْمٍ أَمْرَهُمْ يَعْنِي طَلْحَةَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ أَنَا أَكْفِيكَ
فَأَذْهَبَ أَنْتَ .

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَتَوَكَّأَ عَلَى يَدِهِ حَتَّى دَخَلَ دَارَ طَلْحَةَ وَ هِيَ مَمْلُوءَةٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ يَا طَلْحَةُ مَا هَذَا
الْمَأْمُرُ الَّذِي صَبَعْتَ بِعُثْمَانَ فَقَالَ يَا أَبَا حَسَنِ أ بَعِيدُ أَنْ مَسَّ الْحِرَامُ الطُّبْيَيْنِ فَانْصَرَفَ عَلِيُّ ع حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَالِ فَقَالَ افْتُحُوهُ فَلَمْ
يَجِدُوا الْمَفَاتِيحَ فَكَسَّرَ الْبَابَ وَ فَرَّقَ مَا فِيهِ عَلَى النَّاسِ فَانْصَرَفَ النَّاسُ مِنْ عِنْدِ طَلْحَةَ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ وَ سِيرَ عُثْمَانُ بِذَلِكَ وَ جَاءَ
طَلْحَةَ فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَرَدْتُ أَمْرًا فَحَالَ اللَّهُ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ وَ قَدْ جِئْتُكَ تَائِبًا فَقَالَ وَ اللَّهُ مَا جِئْتُ وَ لَكِن
جِئْتُ مَغْلُوبًا اللَّهُ حَسْبُكَ يَا طَلْحَةُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ كَانَ عُمَانُ مُسْتَضْعَفًا طَمِعَ فِيهِ النَّاسُ وَ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَفْعَالِهِ وَ بِاسْتِبْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ وَ كَانَ ابْتِدَاءُ الْجُزْأِ عَلَيْهِ أَنَّ
إِبِلًا مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ قُدِّمَ بِهَا عَلَيْهِ فَوَهَبَهَا لِبَعْضِ وُلْدِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَخَذَهَا وَ قَسَمَهَا بَيْنَ
النَّاسِ وَ عُمَانُ فِي دَارِهِ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ وَهْنٍ دَخَلَ عَلَى خِلَافِهِ عُمَانُ .

وَ قِيلَ بَلْ كَانَ أَوَّلَ وَهْنٍ دَخَلَ عَلَيْهِ أَنَّ عُمَانُ مَرَّ بِجَبَلِهِ بْنِ عَمْرِو السَّاعِدِيِّ وَ هُوَ فِي نَادِي قَوْمِهِ وَ فِي يَدِهِ جَامِعَةٌ فَسَلَّمَ فَرَدَّ الْقَوْمُ
عَلَيْهِ فَقَالَ جَبَلُهُ لِمَ تُرُدُّونَ عَلَى رَجُلٍ فَعِيلٌ كَذَا وَ فَعِيلٌ كَذَا ثُمَّ قَالَ لِعُثْمَانَ وَ اللَّهُ لَمَا طَرَحَنَ هَذَا الْجَامِعَةَ فِي عُنُقِكَ أَوْ لَسْتُ رُكِّنَ
بِطَانَتِكَ هَذِهِ الْخَبِيثَةَ مَرَوَانَ وَ ابْنَ عَامِرٍ وَ ابْنَ أَبِي سَرِحٍ فَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ص دَمَهُ .

وَ قِيلَ إِنَّهُ حَطَبَ يَوْمًا وَ بِيَدِهِ عَصَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ يُحْطَبُونَ عَلَيْهَا فَأَخَذَهَا جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ مِنْ يَدِهِ وَ كَسَى رِهَا
عَلَى رُكْبَتِهِ فَلَمَّا تَكَاثَرَتْ أَحْدَانُهُ وَ تَكَاثَرَ طَمَعُ النَّاسِ فِيهِ كَتَبَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَ غَيْرِهِمْ إِلَى مَنْ بِالْأَفَاقِ إِنْ
كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْجِهَادَ فَهَلُّمُوا إِلَيْنَا فَإِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ قَدْ أَفْسَدَهُ خَلِيفَتُكُمْ فَاحْلَعُوهُ فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ وَ جَاءَ الْمِصْرِيُّونَ وَ غَيْرُهُمْ
إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى حَدَّثَ مَا حَدَّثَ

١,٢- وَ رَوَى الْوَاقِدِيُّ وَ الْمَدَائِنِيُّ وَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ وَ غَيْرُهُمْ وَ ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي التَّارِيخِ وَ ذَكَرَهُ غَيْرُهُ مِنْ جَمِيعِ الْمُؤَرِّحِينَ أَنَّ عَلِيًّا ع
لَمَّا رَدَّ الْمِصْرِيِّينَ رَجَعُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَأَخْرَجُوا صَحِيفَةً فِي أَنْبُوأِهِ رِصَاصٍ وَ قَالُوا وَجَدْنَا غُلَامًا عُثْمَانَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ

عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَفَتَشْنَا مَتَاعَهُ لَأَنَّا اسْتَرَبْنَا أَمْرَهُ فَوَجَدْنَا فِيهِ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ مَضْمُونَهَا أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَيْرِحٍ بِجَلْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُدَيْسٍ وَعَمْرٍو بْنِ الْحَمِقِ وَحَلْقِ رُءُوسِهِمَا وَلِحَاهُمَا وَحَبْسِهِمَا وَصَلْبِ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ .

وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي أَخَذَتْ مِنْهُ الصَّحِيفَةُ أَبُو الْمَاعُورِ السَّلْمِيُّ وَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْهُ وَسَأَلُوهُ عَنْ مَسِيرِهِ وَهَلْ مَعَهُ كِتَابٌ فَقَالَ لَا فَسَأَلُوهُ فِي أَى شَيْءٍ هُوَ فَتَغَيَّرَ كَلَامُهُ فَأَخَذُوهُ وَفَتَشُوهُ وَأَخَذُوا الْكِتَابَ مِنْهُ وَعَادُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَاءَ النَّاسُ إِلَى عَلِيٍّ عَ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى عُثْمَانَ فَيَسْأَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْحَالِ فَقَامَ فَجَاءَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ مَا كَتَبْتَهُ وَلَا عَلِمْتُهُ وَلَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ صَدَقَ هَذَا مِنْ عَمَلِ مَرْوَانَ فَقَالَ لَا أَدْرِي وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ حُضُورًا فَقَالُوا أَفِيَجْتَرَأُ عَلَيْكَ وَيُبْعَثُ غُلَامَكَ عَلَى جَمَلٍ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ وَ يُنْقَشُ عَلَى خَاتَمِكَ وَيُبْعَثُ إِلَى عَامِلِكَ بِهِذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي قَالَ نَعَمْ قَالُوا إِنَّكَ إِمَّا صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَقَدْ اسْتَحَقَقْتَ الْخَلْعَ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنْ قَتْلِنَا وَعُقُوبَتِنَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَقَدْ اسْتَحَقَقْتَ الْخَلْعَ لِضَعْفِكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَغَفْلَتِكَ وَخُبْثِ بَطَانَتِكَ وَلَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ بِيَدِ مَنْ تَقَطَّعَ الْأُمُورَ دُونَهُ لِضَعْفِهِ وَغَفْلَتِهِ فَاخْلَعْ نَفْسَكَ مِنْهُ فَقَالَ لَا أَنْزِعُ قَمِيصاً أَلْبَسْتَنِيهِ اللَّهُ وَ لَكِنِّي أَتُوبُ وَ أَنْزِعُ قَالُوا لَوْ كَانَ هَذَا أَوَّلَ ذَنْبٍ تَبَّتْ مِنْهُ لَقَبَلْنَا وَ لَكِنَّا رَأَيْنَاكَ تَتُوبُ ثُمَّ تَعُودُ وَ لَسْنَا بِمُنْصَرِفِينَ حَتَّى نَخْلَعِيكَ أَوْ نَقْتُلِكَ أَوْ تَلْحَقَ أَرْوَاحَنَا بِاللَّهِ وَ إِنْ مَنَعَكَ أَصْحَابُكَ وَ أَهْلُكَ قَاتَلْنَاهُمْ حَتَّى نَخْلَصَ إِلَيْكَ فَقَالَ أَمَّا أَنْ أَبْرَأَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ فَالْقَتِيلُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ وَ أَمَّا قِتَالُكُمْ مَنْ يَمْنَعُ عَنِّي فَإِنِّي لَا أَمُرُّ أَحَدًا بِقِتَالِكُمْ فَمَنْ قَاتَلَكُمْ فَبِغَيْرِ أَمْرِي قَاتَلَ وَ لَوْ أَرَدْتُ قِتَالَكُمْ لَكُنْتُ إِلَى الْأَجْنَادِ فَقَدِمُوا

عَلَى أَوْ لَحِقَتْ بِبَعْضِ الْأَطْرَافِ وَ كَثُرَتْ الْأَصْوَاتُ وَ اللَّغَطُ فَقَامَ عَلِيٌّ فَأَخْرَجَ أَهْلَ مِصْرَ مَعَهُ وَ خَرَجَ إِلَى مَنْزِلِهِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ كَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ ابْنِ عَامِرٍ وَ أُمْرَاءِ الْأَجْنَادِ يَسْتَنْجِدُهُمْ وَ يَأْمُرُ بِالْعَجَلِ وَ الْبِدَارِ وَ إِزْسَالِ الْجُنُودِ إِلَيْهِ فَتَرَبَّصَ بِهِ مُعَاوِيَةُ فَقَامَ فِي أَهْلِ الشَّامِ يَزِيدُ بْنُ أَسِيدِ الْقَسِيرِيِّ حَيْدُ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدِ أَمِيرِ الْعِرَاقِ فَتَبِعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ فَسَارَ بِهِمْ إِلَى عُثْمَانَ فَلَمَّا كَانُوا بِوَادِي الْقَرَى بَلَغَهُمْ قَتْلُ عُثْمَانَ فَرَجَعُوا.

وَ قِيلَ بَلْ أَشْخَصَ مُعَاوِيَةُ مِنَ الشَّامِ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيَّ وَ سَارَ مِنَ الْبَصْرَةِ مُجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودٍ السُّلَمِيُّ فَلَمَّا وَصَلُوا الرَّبَذَةَ (١) وَ نَزَلَتْ مُقَدِّمَتُهُمُ الْمَوْضِعَ الْمُسَمَّى صِرَاراً (٢) بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ أَتَاهُمْ قَتْلُ عُثْمَانَ فَرَجَعُوا وَ كَانَ عُثْمَانُ قَدْ اسْتَشَارَ نَصِيحَاءَهُ فِي أَمْرِهِ فَأَشَارُوا أَنْ يُرْسَلَ إِلَى عَلِيٍّ عَ يَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ النَّاسَ وَ يُعْطِيَهُمْ مَا يُرِضُهُمْ لِيَطَاوِلَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُ الْأَمْدَادُ فَقَالَ إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ التَّلْعِيلَ وَ قَدْ كَانَ مِنِّي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى مَا كَانَ فَقَالَ مَرْوَانَ أَعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوكَ وَ طَاوِلَهُمْ مَا طَاوَلُوكَ فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ قَدْ بَعَوْا عَلَيْكَ وَ لَا عَهْدَ لَهُمْ.

فَدَعَا عَلِيًّا عَ وَ قَالَ لَهُ قَدْ تَرَى مَا كَانَ مِنَ النَّاسِ وَ لَسْتُ آمَنُهُمْ عَلَى دَمِي فَارْزُدْهُمْ عَنِّي فَإِنِّي أُعْطِيَهُمْ مَا يُرِيدُونَ مِنَ الْحَقِّ مِنْ نَفْسِي وَ مِنْ غَيْرِي.

فَقَالَ عَلِيٌّ إِنَّ النَّاسَ إِلَى عَدْلِكَ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى قَتْلِكَ وَ إِنَّهُمْ لَا يُرْضُونَ إِلَّا

ص: ١٥١

١-١) الربذة: من قرى المدينة، على ثلاثة أميال منها، بها قبر أبي ذر الغفاري.

٢-٢) صرار: موضع قريب من المدينة، على طريق العراق.

بِالرِّضَا وَقَدْ كُنْتَ أُعْطِيْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ عَهْدٍ فَلَمْ تَفِ بِهِ فَلَا تَغْرُزْ فِي هَيْدِهِ الْمَرْهَ فَإِنِّي مُعْطِيْتُهُمْ عَنْكَ الْحَقَّ قَالَ أُعْطِيْتُهُمْ فَوَاللَّهِ لَأَفِيْنَ لَهُمْ.

فَخَرَجَ عَلَيَّ عِ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ إِنَّكُمْ إِنَّمَا تَطْلُبُونَ الْحَقَّ وَقَدْ أُعْطِيْتُمُوهُ وَإِنَّهُ مُنْصِفُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ فَسَأَلَهُ النَّاسُ أَنْ يَسْتَوْثِقَ لَهُمْ وَقَالُوا إِنَّا لَا نَرْضَى بِقَوْلِ دُونَ فِعْلٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ فَقَالَ اضْرِبْ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ أَجْلًا فَإِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَبْدِيلِ مَا كَرِهُوا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَالَ عَلِيُّ عَ أَمَّا مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ وَ أَمَّا مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصَوْلُ أَمْرِكَ قَالَ نَعَمْ فَأَجَلْنِي فِيمَا بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَ كَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ كِتَابًا عَلَى رَدِّ كُلِّ مَظْلَمَةٍ وَ عَزَلِ كُلِّ عَامِلٍ كَرِهُوهُ فَكَفَّ النَّاسُ عَنْهُ وَ جَعَلَ يَتَأَهَّبُ سِرًّا لِلْقِتَالِ وَ يَسْتَعِدُّ بِالسَّلَاحِ وَ اتَّخَذَ جُنْدًا فَلَمَّا مَضَتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ وَ لَمْ يُعَيِّرْ شَيْئًا ثَارَ بِهِ النَّاسُ وَ خَرَجَ قَوْمٌ إِلَى مَنْ بِجِدَى خُشِبٍ مِنَ الْمَصِيرِيِّينَ فَأَعْلَمُوهُمْ الْحِيَالَ فَتَقَدَّمُوا الْمَدِينَةَ وَ تَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَ طَلَبُوا مِنْهُ عَزْلَ عَمَالِهِ وَ رَدَّ مَظَالِمِهِمْ فَكَانَ جَوَابُهُ لَهُمْ إِنِّي إِن كُنْتُ أَسِيءُ عَمَلٌ مَنْ تُرِيدُونَ لَا مَنْ أُرِيدُ فَلَسْتُ إِذْنٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخِلَافَةِ وَ الْأَمْرُ أَمْرُكُمْ فَقَالُوا وَ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَتُخْلَعَنَّ أَوْ لَتُقْتَلَنَّكَ فَأَبَى عَلَيْهِمْ وَ قَالَ لَا أَنْزِعُ سِرْبَالًا سِرْبَلِيهِ اللَّهُ فَحَصَرُوهُ وَ ضَيَّقُوا الْحِصَارَ عَلَيْهِ.

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا اشْتَدَّ عَلَى عُثْمَانَ الْحِصَارُ أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ اسْتَوْذِعْكُمْ اللَّهُ وَ أَسْأَلُهُ أَنْ يُحْسِنَ عَلَيْكُمْ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ قَالَ أَنَشِدُكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ اللَّهَ عِنْدَ مُصَابِ عُمَرَ أَنْ يَخْتَارَ لَكُمْ وَ يَجْمَعَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ وَ هُنْتُمْ عَلَيْهِ وَ أَنْتُمْ أَهْلُ حَقِّهِ وَ أَنْصَارُ نَبِيِّهِ (١) أَمْ تَقُولُونَ هَانَ عَلَى اللَّهِ

ص: ١٥٢

دِينُهُ فَلَمْ يُبَالِ مِنْ وَلِيِّ وَ الدِّينِ لَمْ يَتَفَرَّقْ أَهْلُهُ بَعْدَ أَمْ تَقُولُونَ لَمْ يَكُنْ أَخِذَ عَنْ مَشُورِهِ إِنَّمَا كَانَ مُكَابِرَةً فَوَكَّلَ اللَّهُ الْأَمَّةَ إِذْ عَصَيْتُهُ
وَلَمْ يَتَشَاوَرُوا فِي الْإِمَامَةِ إِلَى أَنْفُسِهَا أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْ عَاقِبَةَ أَمْرِي فَمَهَلًا مَهَلًا لَا تَقْتُلُونِي وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِلَّا قَتْلُ ثَلَاثِهِ زَانَ
بَعِيدٍ إِحْصَانٍ أَوْ كَافِرٍ بَعِيدٍ إِيمَانٍ أَوْ قَاتِلٍ نَفْسٍ بَغِيرِ حَقِّ أَمَّا إِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمُونِي وَضَعْتُمُ السَّيْفَ عَلَيَّ رِقَابِكُمْ ثُمَّ لَا يَرْفَعُهُ اللَّهُ عَنْكُمْ
أَبِيدًا فَقَالُوا أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ اسْتِخَارَةِ النَّاسِ بَعِيدٍ عَمْرٍ فَإِنَّ كُلَّ مَا يَصِيْبُهُ اللَّهُ الْخَيْرُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ بِلَيْتِهِ ابْتَلَى بِهَا عِبَادَهُ وَ لَقَدْ
كَانَتْ لَكَ قَدَمٌ وَ سَابِقَةٌ وَ كُنْتَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ وَ لَكِنَّ أَحَدَثْتَ مَا تَعْلَمُهُ وَ لَا تَتْرُكُ الْيَوْمَ إِقَامَةَ الْحَقِّ عَلَيْكَ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ عَامًا قَابِلًا وَ
أَمَّا قَوْلُكَ لَا يَحِلُّ دَمٌ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ فَإِنَّا نَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِبَاحَةَ دَمِ غَيْرِ الثَّلَاثَةِ دَمٌ مِنْ سَعَى فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ وَ دَمٌ مِنْ بَغْيِ
ثُمَّ قَاتَلَ عَلَى بَغْيِهِ وَ دَمٌ مِنْ حَالِ دُونَ شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ وَ مَنَعَهُ وَ قَاتَلَ دُونَهُ وَ قَدْ بَغَيْتَ وَ مَنَعْتَ الْحَقَّ وَ حُلَّتْ دُونَهُ وَ كَابَرْتَ عَلَيْهِ وَ
لَمْ تَقْدِرْ مِنْ نَفْسِكَ مِنْ ظَلَمْتَهُ وَ لَا مِنْ عَمَالِكَ وَ قَدْ تَمَسَّكَتَ بِالْإِمَارَةِ عَلَيْنَا وَ الَّذِينَ يَقُومُونَ دُونَكَ وَ يَمْنَعُونَكَ إِنَّمَا يَمْنَعُونَكَ وَ
يُقَاتِلُونَنا لِتَسْمِيَتِكَ بِالْإِمَارَةِ فَلَوْ خَلَعْتَ نَفْسَكَ لَانْصَرَفُوا عَنِ الْقِتَالِ مَعَكَ.

فَسَيَكْتُ عُثْمَانُ وَ لَزِمَ الدَّارَ وَ أَمَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِالرُّجُوعِ وَ أَقْسَمَ عَلَيْهِمْ فَرَجَعُوا إِلَّا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
الزُّبَيْرِ وَ أَشْبَاهَهُمْ وَ كَانَتْ مُدَّةُ الْحِصَارِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ إِنَّ مُحَاصِرِي عُثْمَانَ أَشْفَقُوا مِنْ وُصُولِ أَجْنَادٍ مِنَ الشَّامِ وَ الْبَصِيرَةِ تَمَنَعُهُ فَحَالُوا بَيْنَ عُثْمَانَ وَ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنَعُوهُ
كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْمَاءِ فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ سِرًّا إِلَى عَلِيٍّ ع وَ إِلَى أَرْوَاحِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُمْ قَدْ مَنَعُونَا الْمَاءَ فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ

تَزَسَّلُوا إِلَيْنَا مَاءً فَاَفْعَلُوا فَجَاءَ عَلِيٌّ ع فِي الْغَلَسِ وَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ فَوَقَفَ عَلِيٌّ ع عَلَى النَّاسِ فَوَعَّظَهُمْ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ
الَّذِي تَفْعَلُونَ لَا يُشْبِهُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَمْرَ الْكَافِرِينَ إِنَّ فَارِسَ وَ الرُّومَ لَتَأْسِرُنَّ فِتْطَعِمُ وَ تَسِدِقِي فَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَقْطَعُوا الْمَاءَ عَنِ الرَّجُلِ
فَاَغْلُظُوا لَهُ وَقَالُوا لَا نَعَمَ وَلَا نِعَمَهُ عَيْنٍ (١) فَلَمَّا رَأَى مِنْهُمْ الْجِدَّ نَزَعَ عِمَامَتَهُ عَنْ رَأْسِهِ وَ رَمَى بِهَا إِلَى دَارِ عُثْمَانَ أَنْ يَكْفُرَ أَنَّهُ قَدْ
نَهَضَ وَ عَادَ.

وَ أَمَّا أُمُّ حَبِيبَةَ وَ كَانَتْ مُشْتَمَلَةً عَلَى إِدَاوِهِ فَضَرَبُوا وَجْهَ بَعْلَتِهَا فَقَالَتْ إِنَّ وَصَايَا أَيَّتَامِ بَنِي أُمِّيهِ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ
عَنْهَا لِئَلَّا تَهْلِكَ أَمْوَالُ الْيَتَامَى فَشَتَّمُوهَا وَقَالُوا أَنْتَ كَاذِبَةٌ وَ قَطَعُوا حَبْلَ (٢) الْبُعْغَةِ بِالسَّيْفِ فَانْفَرَتْ وَ كَادَتْ تَسْقُطُ عَنْهَا فَتَلَقَّاهَا
النَّاسُ فَحَمَلُوهَا إِلَى مَنْزِلِهَا.

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ أَشْرَفَ عُثْمَانُ عَلَيْهِمْ يَوْمًا فَقَالَ أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ بَثْرَ رُومَةَ (٣) بِمَالِي أَشْتَعِدُّ بِهَا وَ
جَعَلْتُ رَشَائِي فِيهَا كَرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا نَعَمَ قَالَ فَلِمَ تَمْنَعُونَنِي أَنْ أَشْرَبَ مِنْهَا حَتَّى أُفْطِرَ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ قَالَ أَنْشُدْكُمْ اللَّهَ
هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اشْتَرَيْتُ أَرْضَ كَذَا فَزِدْتَهَا فِي الْمَسْجِدِ قَالُوا نَعَمَ قَالَ فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَحَدًا مَنَعَ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ قَبْلِي.

ص: ١٥٤

١-١) نعمه العين: قرتها.

٢-٢) الحبل للدابة: رسنها.

٣-٣) بثر رومه في عقيق المدينة، روى عن بشير الأسلمي، قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، و كان لرجل من بني
غفار بثر يقال لها بثر رومه، كان يبيع منها القربه بالمد، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: بعنيها بعين في الجنه، فقال: يا رسول
الله، ليس لي و لا- لعيالي غيرها، لا- أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان، فاشتراها بخمسه و ثلاثين ألف درهم... و تصدق بها كلها.
(معجم البلدان ١: ٤).

وَرَوَى أَبُو جَعْفَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عُثْمَانَ فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَسَدَ مَعْنَى كَلَامٍ مِنْ عَلِيٍّ بَابِهِ مِنَ النَّاسِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا تَنْتَظِرُونَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ لَا تَعْجَلُوا فَعَسَىٰ أَن يَنْزِعَ وَيُرَاجِعَ فَبَيْنَمَا نَحْنُ إِذْ مَرَّ طَلْحَةُ فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَيْدِيسِ الْبَلَوِيُّ فَتَنَاجَاهُ ثُمَّ رَجَعَ ابْنُ عُمَيْدِيسٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ لَا تَتْرُكُوا أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَى عُثْمَانَ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ لِي عُثْمَانُ هَيْدًا مَا أَمَرَ بِهِ طَلْحَةُ اللَّهُمَّ اكْفِنِي طَلْحَةَ فَإِنَّهُ حَمَلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ وَالْبَهْمَ عَلَيَّ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْهَا صَهْفَرًا وَأَنْ يُسَيِّفَكَ دَمُهُ قَالَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ فَمَنْعُونِي حَتَّىٰ أَمَرَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَتَرَكُونِي أَخْرُجُ (١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ وَعَلِمَ الْمِصْرِيُّونَ قَدْ أُجْرِمُوا إِلَيْهِ جُرْمًا كَجُرْمِ الْقَتْلِ وَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ قَتْلِهِ وَ بَيْنَ مَا أَتُوا إِلَيْهِ وَ خَافُوا عَلَىٰ نَفْسِهِمْ مِنْ تَرْكِهِ حَتَّىٰ رَامُوا الدُّخُولَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ دَارِهِ فَأَغْلَقُوا الْبَابَ وَ مَانَعَهُمُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ وَ مَرْوَانَ وَ سَعِيدَ بْنَ الْعِصَابِ وَ جَمَاعَةً مَعَهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ فَزَجَرَهُمُ عُثْمَانُ وَ قَالَ أَنْتُمْ فِي حِلٍّ مِنْ نُصِيرَتِي فَأَبَوْا وَ لَمْ يَرْجِعُوا.

وَ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمٍ يُقَالُ لَهُ نَبَارٌ بْنُ عِيَاضٍ وَ كَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَنَادَىٰ عُثْمَانُ وَ أَمَرَهُ أَنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ فَبَيْنَمَا هُوَ يُنَاشِدُهُ وَ يُسَوِّمُهُ خَلَعَ نَفْسَهُ رَمَاهُ كَثِيرٌ بْنُ الصَّلْتِ الْكِنْدِيُّ وَ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عُثْمَانَ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ بَسِيحِهِمْ فَقَتَلَهُ فَصَاحَ الْمِصْرِيُّونَ وَ غَيَّرَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ اذْفَعُوا إِلَيْنَا قَاتِلَ ابْنِ عِيَاضٍ لِنَقْتُلَهُ بِهِ فَقَالَ عُثْمَانُ لَمْ أَكُنْ لِأَدْفَعِ إِلَيْكُمْ رَجُلًا نُصِيرَنِي وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ قَتْلِي فَتَارُوا إِلَى الْبَابِ فَأَغْلَقَ دُونَهُمْ فَجَاءُوا بِنَارٍ فَأَحْرَقُوهُ وَ أَحْرَقُوا السَّقِيفَةَ الَّتِي عَلَيْهِ فَقَالَ لِمَنْ عِنْدَهُ مِنْ أَنْصَارِهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَ عَهْدَ

ص: ١٥٥

إِلَى عَهْدًا فَأَنَا صَاحِبُهُ فَأَخْرَجَ عَلِيَّ رَجُلًا يُقَاتِلُ دُونِي ثُمَّ قَالَ لِلْحَسَنِ إِنَّ أَيْمَانَكَ الْإِيمَانُ لَفِي أَمْرٍ عَظِيمٍ مِنْ أَجْلِكَ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا خَرَجْتَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ وَوَقَفَ مُحَامِيًا عَنْهُ وَخَرَجَ مَرْوَانَ بِسَيْفِهِ يُجَالِدُ النَّاسَ فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَلَى رَقَبَتِهِ فَأَثْبَتَهُ (١) وَقَطَعَ إِحْدَى عِلْبَاوَيْهِ (٢) فَعَاشَ مَرْوَانٌ بَعِيدَ ذَلِكَ أَوْقَصَ (٣) وَقَامَ إِلَيْهِ عُبَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيُّ لِيُدْفَعَ عَلَيْهِ (٤) فَقَامَتْ دُونَهُ فَاطِمَةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمِيدٍ وَكَانَتْ أَرْضَعَتْ مَرْوَانَ وَارْتَضَعَتْ لَهُ فَقَالَتْ لَهُ إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ قَتْلَهُ فَقَدْ قُتِلَ وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تُرِيدُ أَنْ تَتَلَعَّبَ بِلَحْمِهِ فَأَقْبِحْ بِذَلِكَ فَتَرَكَهُ فَخَلَصَتْهُ وَادْخَلَتْهُ بَيْتَهَا فَعَرَفَ لَهَا بَنُوهُ ذَلِكَ بَعْدَ وَاسْتَعْمَلُوا ابْنَهَا إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ لَهُ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ (٥).

وَقُتِلَ الْمُغْبِرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ وَهُوَ يُحَامِي عَنْ عُثْمَانَ بِالسَّيْفِ وَافْتَحَمَ الْقَوْمُ الدَّارَ وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الدُّورَ الْمُجَاوِرَةَ لَهَا وَتَسَوَّرُوا مِنْ دَارِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَيْهَا حَتَّى مَلَأُوهَا وَغَلَبَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ وَنَدَبُوا رَجُلًا لِقَتْلِهِ فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْبَيْتَ فَقَالَ لَهُ اخْلَعْهَا وَنَدَعُكَ فَقَالَ وَيْحَكَ وَاللَّهِ مَا كَشَفْتُ عَنْ امْرَأَةٍ فِي حِرَاهِلَيْهِ وَلَا إِسْلَامٍ وَلَا تَعَيَّنْتُ (٦) وَلَا تَمَنَيْتُ وَلَا وَضَعْتُ يَمِينِي عَلَى عَوْرَتِي مُذْ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَ لَسْتُ بِخَالِعٍ قَمِيصًا كَسَانِيهِ اللَّهُ حَتَّى يُكْرِمَ أَهْلَ السَّعَادَةِ وَيُهَيِّنَ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ.

فَخَرَجَ عَنْهُ فَصَالُوا لَهُ مَا صَيَّرْتُمْ قَالَ إِنِّي لَمْ أَشِ تَحِلَّ قَتْلُهُ فَأَدْخَلُوا إِلَيْهِ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ لَسْتُ بِصَاحِبِي إِنَّ النَّبِيَّ صَدَعَا لَكَ أَنْ يَحْفَظَكَ يَوْمَ كَذَا وَلَنْ تَضِيْعَ فَرَجَعُ عَنْهُ.

ص: ١٥٦

١- (١) أثبتته: جعله ثابتاً في مكانه لا يتحرك من أثر الجراحه.

٢- (٢) علباوان: مثني علباء؛ وهي عصب العنق.

٣- (٣) الوقص: قصر العنق.

٤- (٤) يذفف على الجريح: يجهز عليه.

٥- (٥) والخاصة: من تخصصه بنفسك.

٦- (٦) تعين الرجل: تأني ليصيب شيئاً بعينه.

فَأَذْخَلُوا إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صِ اسْتَغْفَرَ لَكَ يَوْمَ كَذَا فَلَنْ تُقَارِفَ دَمًا حَرَامًا فَرَجَعَ عَنْهُ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ وَيْحَكَ أَعَلَى اللَّهِ تَغَضَّبَ هَلْ لِي إِلَيْكَ جُزْمٌ إِلَّا أَنِّي أَخَذْتُ حَقَّ اللَّهِ مِنْكَ فَأَخَذَ مُحَمَّدٌ بِلِحْيَتِهِ وَقَالَ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا نَعْنَلُ قَالَ لَسْتُ بِنَعْنَلٍ (١) لَكِنِّي عُثْمَانُ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ مَا أَعْنَى عَنكَ مُعَاوِيَةَ وَ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ فَقَالَ عُثْمَانُ يَا ابْنَ أَخِي دَعَهَا مِنْ يَدِكَ فَمَا كَانَ أَبُوكَ لِيَقْبِضَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَوْ عَمِلْتَ مَا عَمِلْتَ فِي حَيَاةِ أَبِي لَقَبِضَ عَلَيْهَا وَ الَّذِي أُرِيدُ بِكَ أَشَدُّ مِنْ قَبْضِي عَلَيْهَا فَقَالَ اسْتَنْصِرُ اللَّهَ عَلَيْكَ وَ اسْتَعِينُ بِهِ فَتَرَكَهُ وَ خَرَجَ.

وَ قِيلَ بَلْ طَعَنَ جَبِينَهُ بِمَشَقَصٍ (٢) كَانَ فِي يَدِهِ فَتَارَ سُودَانَ بْنَ حُمْرَانَ وَ أَبُو حَرْبٍ الْعَافِقِيُّ وَ قَتِيرَةَ بْنَ وَهْبٍ السَّكْسَكِيُّ فَضَرَبَهُ الْعَافِقِيُّ بِعُمُودٍ كَانَ فِي يَدِهِ وَ ضَرَبَ الْمُضِيحَفَ بِرِجْلِهِ وَ كَانَ فِي حَجْرِهِ فَنَزَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ سَالَ عَلَيْهِ الدَّمُ وَ جَاءَ سُودَانُ لِيَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ فَأَكْبَتَ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ نَائِلَةُ بِنْتُ الْفَرَاغِصَةِ (٣) الْكَلْبِيَّةِ وَ اتَّقَتِ السَّيْفَ بِيَدَيْهَا وَ هِيَ تَصِيرُحُ فَتَضَحُّ أَصَابِعُهَا فَأَطْنَهَا (٤) فَوَلَّتْ فَعَمَزَ بَعْضُهُمْ أَوْرَاكَهَا وَ قَالَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةُ الْعُجْزِ وَ ضَرَبَ سُودَانُ عُثْمَانَ فَقَتَلَهُ.

وَ قِيلَ بَلْ قَتَلَهُ كِنْيَانَهُ بْنَ بَشِيرِ النَّجِيبِيِّ وَ قِيلَ بَلْ قَتِيرَةَ بْنَ وَهْبٍ وَ دَخَلَ غُلَمَانُ عُثْمَانَ وَ مَوَالِيَهُ فَضَرَبَ أَحَدُهُمْ عُقَّ سُودَانَ فَقَتَلَهُ فَوَثَبَ قَتِيرَةَ بْنَ وَهْبٍ عَلَى ذَلِكَ الْغُلَامِ

ص: ١٥٧

١-١) نعتل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية؛ قيل: إنه كان يشبه عثمان، قال أبو عبيد: و شاتمو عثمان رضى الله عنه يسمونه نعتلا(اللسان).

٢-٢) المشقص، كمنبر: نصل عريض.

٣-٣) الفرافصة؛ قال فى اللسان: ليس فى العرب من؟؟؟ يسمى الفرافصة بالألف و اللام غيره، و نقل ابن برى عن القالى عن ابن الأبارى عن أبيه عن شيوخه، قال: كل ما فى العرب فرافصة، بضم الفاء إلا فرافصة أبا نائلة امرأه عثمان رضى الله عنه. بفتح الفاء لا غير. تاج العروس ٤:٤١٥.

٤-٤) أطنها: قطعها.

فَقَتَلَهُ فَوْثَبُ غُلَامٌ آخَرُ عَلَى قَتِيرَةِ فَقَتَلَهُ وَنَهَبَتْ دَارُ عُثْمَانَ وَ أَخَذَ مَا عَلَى نِسَائِهِ وَ مَا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَ كَانَ فِيهِ غِرَارَتَانِ دَرَاهِمَ
وَ وَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ عَلَى صِدْرِ عُثْمَانَ وَ بِهِ رَمَقٌ فَطَعَنَهُ تِسْعَ طَعَنَاتٍ وَ قَالَ أَمَا ثَلَاثٌ مِنْهَا فَإِنِّي طَعَنْتُهُنَّ لِلَّهِ تَعَالَى وَ أَمَا سِتَّةٌ
مِنْهَا فَلَمَّا كَانَ فِي صِدْرِي عَلَيْهِ وَ أَرَادُوا قَطْعَ رَأْسِهِ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ نَائِلَةٌ بِنْتُ الْفَرَاغِصَةِ وَ أُمُّ الْبَيْنِ ابْنَةُ عُمَيْيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ
فَصَبَحْنَ وَ ضَرَبْنَ الْوُجُوهَ فَقَالَ ابْنُ عُدَيْسٍ ائْتُرُكُوهُ وَ أَقْبَلَ عَمِيرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيُّ فَوْثَبَ عَلَيْهِ فَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ أَضْلَاعِهِ وَ قَالَ لَهُ
سَجَنْتَ أَبِي حَتَّى مَاتَ فِي السَّجْنِ وَ كَانَ قَتْلُهُ يَوْمَ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسِينَ وَ ثَلَاثِينَ وَ قِيلَ بَلْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ
وَ كَانَ عُمُرُهُ سِتًّا وَ ثَمَانِينَ سَنَةً.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ بَقِيَ عُثْمَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يُدْفَنُ ثُمَّ إِنَّ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ وَ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ كَلَّمَا عَلِيَّاعَ فِي أَنْ يَأْذَنَ فِي دَفْنِهِ فَفَعَلَ فَلَمَّا
سَمِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ قَعَدَ لَهُ قَوْمٌ فِي الطَّرِيقِ بِالْحِجَارَةِ وَ خَرَجَ بِهِ نَاسٌ يَسِيرٌ مِنْ أَهْلِهِ وَ مَعَهُمُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَ أَبُو جَهْمٍ
بُنُّ حُذَيْفَةَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَ الْعِشَاءِ فَأَتَوْا بِهِ حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ يُعْرَفُ بِحُشِّ كَوْكَبٍ وَ هُوَ خَارِجُ الْبَقِيعِ فَصَلُّوا عَلَيْهِ وَ جَاءَ نَاسٌ
مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَمْنَعُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ عَ فَمَنَعَ مِنْ رَجْمِ سِرْبِرِهِ وَ كَفَّ الَّذِينَ رَأَمُوا مَنَعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَ دُفِنَ فِي حُشِّ
كَوْكَبٍ (١) فَلَمَّا ظَهَرَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْأَمْرِ أَمَرَ بِذَلِكَ الْحَائِطِ فَهَدِمَ وَ أَدْخَلَ فِي الْبَقِيعِ وَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَدْفِنُوا مَوْتَاهُمْ حَوْلَ قَبْرِهِ حَتَّى
اتَّصَلَ بِمَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْبَقِيعِ

و قيل إن عثمان لم يغسل و إنه كفن في ثيابه التي قتل فيها.

ص: ١٥٨

(١-١) حش كوكب: موضع بجانب البقيع، اشتراه عثمان و زاد فيه (مراصد الاطلاع).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَرَوَى عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ مَا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى مَلَتْهُ قُرَيْشٌ وَاسْتِطَالَتْ خِلَافَتُهُ وَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ فِتْنَتَهُمْ فَحَصَرَ رَهُمْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَيْدَةِ الْمَأْمَةِ انْتِشَارُكُمْ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ تَأْذُنُهُ فِي الْغَزْوِ فَيَقُولُ إِنَّ لَكَ فِي غَزْوِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص مَا يَكْفِيكَ وَهُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ غَزْوِكَ الْيَوْمَ وَخَيْرٌ لَكَ مِنَ الْغَزْوِ أَلَا تَرَى الدُّنْيَا وَلَا تَرَكَ فَكَانَ يَفْعَلُ هَذَا بِالْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ بغيرِهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَلَمَّا وُلِّيَ عُثْمَانُ الْخِلَافَةَ حَلَّى عَنْهُمْ فَانْتَشَرُوا فِي الْبِلَادِ وَخَالَطَهُمُ النَّاسُ وَأَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى مَا أَفْضَى إِلَيْهِ وَكَانَ عُثْمَانُ أَحَبَّ إِلَي الرِّعِيَّةِ مِنْ عُمَرَ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ أَوَّلَ مُنْكَرٍ ظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ حِينَ فَاضَتْ الدُّنْيَا عَلَى الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ طَيْرَانُ الْحَمَامِ وَالْمُسَابِقَةُ بِهَا وَالرَّمْيُ عَنِ الْجُلَاهِقَاتِ وَهِيَ قِسِيٌّ الْبُنْدُقِ فَاسْتَعْمَلَ عُثْمَانُ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ خِلَافَتِهِ فَقَصَّ الطُّيُورَ وَكَسَرَ الْجُلَاهِقَاتِ .

وَ رَوَى أَبُو جَعْفَرٍ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي حُدَيْفَةَ مَا دَعَاهُ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ كَانَ يَتِيمًا فِي حَجْرِ عُثْمَانَ وَكَانَ وَالِيَّ أَيْتَامِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَ مُحْتَمِلٌ كُلُّهُمْ فَسَأَلَ عُثْمَانَ الْعَمَلَ فَقَالَ (١) يَا بَنِي لَوْ كُنْتُ رِضًا لَأَسْتَعْمَلْتَكَ قَالَ فَأَذَنُ لِي فَأَخْرَجَ فَأَطْلَبَ الرِّزْقَ (٢) قَالَ أَذْهَبَ حَيْثُ شِئْتُ وَ جَهَّزَهُ مِنْ عِنْدِهِ وَ حَمَلَهُ وَ أَعْطَاهُ فَلَمَّا وَقَعَ إِلَى مِصْرَ كَانَ فِيْمَنْ أَعَانَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مَنَعَهُ الْإِمَارَةَ فَقِيلَ لَهُ فَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ قَالَ

ص: ١٥٩

١ - ١ - ١) عبارہ الطبری. یا بنی، لو كنت رضا، ثم سألتني العمل لاستعملتك، و لكن لست هناك، قال: فأذن لي، فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتني».

٢ - ١ - ١) عبارہ الطبری. یا بنی، لو كنت رضا، ثم سألتني العمل لاستعملتك، و لكن لست هناك، قال: فأذن لي، فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتني».

كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ كَلَامٌ فَضَرَبَهُمَا عُثْمَانُ فَأُورِثَ ذَلِكَ تَعَادِيًا بَيْنَ عَمَّارٍ وَعُثْمَانَ وَقَدْ كَانَ تَقَادُفًا قَبْلَ ذَلِكَ (١).

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَسَيِّئِلَ سَيِّئِلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَا دَعَاهُ إِلَى رُكُوبِ عُثْمَانَ فَقَالَ لَزِمَهُ حَقٌّ فَأَخَذَ عُثْمَانُ مِنْ ظَهْرِهِ فَغَضِبَ وَغَرَّهُ أَقْوَامٌ فَطَمَعَ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْأَسْلَامِ بِمَكَانٍ وَكَأَنَّ لَهُ دَالَّةً فَصَارَ مُيَذَّمًا بَعِيدًا أَنْ كَانَ مُحَمَّدًا وَكَانَ كَعْبُ بْنُ ذِي الْحَبَكَةِ النَّهْدِيُّ يَلْعَبُ بِالنَّيْرِنَجَاتِ (٢) بِالْكُوفَةِ فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى الْوَلِيدِ أَنْ يُوجِعَهُ ضَرْبًا فَضَرَبَهُ وَسَيَّرَهُ إِلَى دُبَاوَنْدٍ (٣). وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَيْهِ وَسَارَ إِلَيْهِ وَحَبَسَ ضَابِيَّ بْنَ الْحَارِثِ الْبُرْجُمِيِّ لِأَنَّهُ هَجَا قَوْمًا فَانْسَبَهُمْ إِلَى أَنْ كَلَبَهُمْ يَأْتِي أُمَّهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فَأُمَّكُمْ لَا تَتْرُكُوهَا وَكَلَبَكُمْ فَإِنَّ عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرٌ (٤).

ص: ١٦٠

١- (١) تاريخ الطبري ٣٩٩:٤.

٢- (٢) النيرنجات: أخذ تشبه السحر، وليست بحقيقته.

٣- (٣) دباوند: جبل بنواحي الري، ويقال له: دباوند.

٤- (٤) ذكر الطبري ٤٠٢:٤ أن ضابئي بن الحارث البرجمي استعار في زمان الوليد بن عقبة كلبا من قوم من الأنصار، يدعى قرحان، لصيد الطباء؛ فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريون، واستعاثوا عليه بقومه، فكاثروه فانتزعوه منه، وردوه على الأنصار، فهجاهم و قال في ذلك: تجشّم دوني وفد قرحان خطّه تطلّ لها الوجناء و هي حسير فباتوا شباعا ناعمين كأنما جباهم بيت المرزبان أمير فكلبكم لا- تتركوا فهو أممكم فإنّ عقوق الأمّهات كبير فاستعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه، فعزّره و حبسه، كما كان يصنع بالمسلمين، فاستتقل ذلك، فما زال في الحبس حتّى مات فيه، و قال في الفتك يعتذر إلى أصحابه: هممت و لم أفعل و كدت و ليتني فعلت و وليت البكاء حلاته و قائله قد مات في السّجن ضابئي ألا من لخصم لم يجد من يجادله! و قائله لا يبعد الله ضابئا فنعم الفتى تخلو به و تحاوله.

فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ عُثْمَانَ فَحَبَسَهُ فَمَاتَ فِي السَّجْنِ فَلِذَلِكَ حَقَدَ ابْنُهُ عُمَيْرٌ عَلَيْهِ وَكَسَرَ أَضْلَاعَهُ بَعْدَ قَتْلِهِ.

٢٨١

١- قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَكَانَ لِعُثْمَانَ عَلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ خَمْسُونَ أَلْفًا فَقَالَ طَلْحَةُ لَهُ يَوْمًا قَدْ تَهَيَّأَ مَالُكَ فَأَقْبِضْهُ فَقَالَ هُوَ لَكَ مَعُونَةٌ عَلَى مُرُوءَتِكَ فَلَمَّا حَصَرَ عُثْمَانَ قَالَ عَلِيٌّ ع لَطْلِحَةَ أَنْشُدْكَ اللَّهَ إِلَّا كَفَفْتَ عَنْ عُثْمَانَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُعْطِيَ بَنُو أُمَّيَّةَ الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِهَا فَكَانَ عَلِيٌّ ع يَقُولُ لِحَا اللَّهَ ابْنَ الصَّعْبِ أَعْطَاهُ عُثْمَانُ مَا أَعْطَاهُ وَفُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ .

ص: ١٦١

٣١ و من كلام له ع لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته (١)

لَا تَلْقَيْنَ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقْتَهُ تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنُهُ يَزْكُبُ الصَّعْبَ وَ يَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ وَ لَكِنَّ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنَ عَرِيكَهَ فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَ أَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا.

[قال الرضى (٢) رحمه الله و هو ع أول من سمعت منه هذه الكلمه أعنى فما عدا ممّا بدا]

ليستفيئه إلى طاعته أى يسترجهه فاء أى رجع و منه سمي الفىء للظل بعد الزوال و جاء فى روايه فإنك إن تلقه تلفه أى تجده أليفته على كذا أى وجدته.

و عاقصا قرنه أى قد عطفه تيس أعقص أى قد التوى قرناه على أذنيه و الفعل فيه عقص الثور قرنه بالفتح و قال القطب الراوندى عقص بالكسر و ليس بصحيح و إنما يقال عقص الرجل بالكسر إذا شح و ساء خلقه فهو عقص .

و قوله يركب الصعب أى يستهين بالمستصعب من الأمور يصفه بشراسه

ص: ١٦٢

١- ١) ا،ج بعد هذه الكلمه: «قال عليه السلام».

٢- ٢) مخطوطه النهج: «السيد».

الخلق و البأو (١) و كذلك كان طلحه و قد وصفه عمر بذلك و يقال إن طلحه أحدث يوم أحد عنده كبرا شديدا لم يكن و ذاك لأنه أغنى (٢) في ذلك اليوم و أبلى بلاء حسنا .

و العريكة هاهنا الطبعه يقال فلان لين العريكة إذا كان سلسا .

و قال الراوندى العريكة بقيه السنام و لقد صدق و لكن ليس هذا موضع ذاك .

و قوله ع لابن عباس قل له يقول لك ابن خالك لطيف جدا و هو من باب الاستماله و الإذكار بالنسب و الرحم ألا ترى أن له في القلب من الموقع الداعى إلى الانقياد ما ليس لقوله يقول لك أمير المؤمنين و من هذا الباب قوله تعالى في ذكر موسى و هارون وَ أَلْقَى الْأَلْوَابِحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَّ عَفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشِمْتُ بِي الْأَعْدَاءَ (٣) لما رأى هارون غضب موسى و احتداه شرع معه في الاستماله و الملاطفه فقال له ابْنُ أُمِّ و أذكره حقّ الأخوه و ذلك أدعى إلى عطفه عليه من أن يقول له يا موسى أو يا أيها النبى .

فأما قوله فما عدا ممّا بدا فعدا بمعنى صرف قال الشاعر و إنى عدانى أن أزورك محكم متى ما أحرك فيه ساقى يصخب .

و من هاهنا بمعنى عن و قد جاءت في كثير من كلامهم كذلك قال ابن قتيبه في أدب الكاتب قالوا حدّثنى فلان من فلان أى عن فلان و لهيت من كذا أى عنه (٤) و يصير ترتيب الكلام و تقديره فما صرفك عما بدا منك أى

ص: ١٦٣

١-١) البأو: الفخر و الادعاء .

٢-٢) أغنى، أى صرف الأعداء و كفهم .

٣-٣) سوره الأعراف ١٥٠ .

٤-٤) أدب الكاتب ص ٥٠٥ مع اختلاف في العبارة .

ظهر و المعنى ما الذى صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها و حذف الضمير المفعول المنصوب كثير جدا كقوله تعالى وَ سَدِّئِلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا (١) -أى أرسلناه و لا بد من تقديره كى لا يبقى الموصول بلا عائد.

و قال القطب الراوندى قوله فما عدا ممّا بدا له معنيان أحدهما ما الذى منعك ممّا كان قد بدا منك من البيعه قبل هذه الحاله و الثانى ما الذى عاقك و يكون المفعول الثانى لعدا محذوفا يدلّ عليه الكلام أى ما عداك يريد ما شغلك و ما منعك ممّا كان بدا لك من نصرتى من البدا الذى يبدو للإنسان و لقائل أن يقول ليس فى الوجه الثانى زياده على الوجه الأوّل إلا زياده فاسده أما إنّه ليس فيه زياده فلاّنه فسر فى الوجه الأوّل عدا بمعنى منع ثمّ فسره فى الوجه الثانى بمعنى عاق و فسر عاق بمنع و شغل فصار عدا فى الوجه الثانى مثل عدا فى الوجه الأوّل.

و قوله ممّا كان بدا منك فسره فى الأوّل و الثانى بتفسير واحد فلم يبق بين الوجهين تفاوت و أمّا الزياده الفاسده فظنه أن عدا يتعدى إلى مفعولين و أنّه قد حذف الثانى و هذا غير صحيح لأنّ عدا ليس من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين بإجماع النحاه و من العجب تفسيره المفعول الثانى المحذوف على زعمه بقوله أى ما عداك و هذا المفعول المحذوف هاهنا هو مفعول عدا الذى لا مفعول لها غيره فلا يجوز أن يقال إنّه أول و لا ثان.

ثمّ حكى القطب الراوندى حكاية معناها

٢٨٢

١- أَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَعْتَقَتْ عَبِيداً (٢) ثُمَّ مَاتَتْ (٣) ثُمَّ مَاتَ الْعَبِيدُ وَ لَمْ يُخْلِفُوا وَارِثاً إِلَّا مَوَالِيَهُمْ وَ طَلَبَ عَلِيٌّ ع مِيرَاثَ الْعَبِيدِ بِحَقِّ التَّعْصِيبِ وَ طَلَبَهُ الرَّبِيزِيُّ بِحَقِّ الْإِرْثِ مِنْ أُمِّهِ وَ تَحَاكَمَا إِلَى عُمَرَ فَقَضَى عُمَرُ بِالْمِيرَاثِ لِلرَّبِيزِيِّ .

ص: ١٦٤

١- ١) سورة الزخرف ٤٥.

٢- ٢) ساقط من ب.

٣- ٢) ساقط من ب.

قَالَ الْقُطْبُ الرَّائِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع أَنَّهُ قَالَ هَذَا خِلَافُ الشَّرْعِ لِأَنَّ وِلَاةَ مُعْتَقِ الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَتْ مِيتَةً يَكُونُ لِعَصَبَتِهَا وَ هُمْ الْعَاقِلَةُ لَا لِأَوْلَادِهَا

قلت هذه المسألة مختلف فيها بين الإمامية فأبو عبد الله بن النعمان المعروف بالمفيد (١) يقول إن الولاء لولدها ولا يصح هذا الخبر و يطعن في راويه و غيره من فقهاء الإمامية كأبي جعفر الطوسي (٢) و من قال بقوله يذهبون إلى أن الولاء لعصبتها لا لولدها و يصحون الخبر و يزعمون أن أمير المؤمنين ع سكت و لم ينازع على قاعدته في التقيه و استعمال المجامله مع القوم.

فأما مذاهب الفقهاء غير الإمامية فإنها متفق على أن الولاء للولد لا للعصبة كما هو قول المفيد رحمه الله تعالى.

٢٨٣

١- وَ رَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ع قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ لَهُ فَقَالَ قُلْ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ مَا تُرِيدُ كَأَنَّهُ يَقُولُ الْمَلِكُ لَمْ يَزِدْنِي عَلَى ذَلِكَ فَرَجَعْتُ إِلَيَّ عَلَى ع فَأَخْبَرْتُهُ

٢٨٤

وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَ الْكَلْبِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ الْكَلِمَةَ لِلزُّبَيْرِ فَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى أَنْ قَالَ قُلْ لَهُ إِنَّا مَعَ الْخَوْفِ الشَّدِيدِ لَنَطْمَعُ.

ص: ١٦٥

١ - ١) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي المعروف بالمفيد؛ أحد أعيان الشيعة و علمائهم؛ انتهت إليه رئاسه الإمامية في وقته. و له قريب من مائتي مصنف؛ و فيها حفظت أقوال الشيعة و آراؤهم و شرحهم و تفصيل مذاهبهم؛ و عنه تلقى الشريف المرتضى الفقه و التفسير و علم الكلام، و توفي سنة ٤١٣. روضات الجنات ٥٣٦.

٢ - ٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن محمد الطوسي المشهدي؛ أحد تلاميذ الشيخ المفيد، ثم الشريف المرتضى من بعده. و كان إماما و اعظما؛ ألف الواسطه و الفتاوى على مذهب الشيعة، و غيرها. توفي سنة ٤٠٦. روضات الجنات ٥٦٧.

قَالَ وَ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَمَّا يَعْنِي بِقَوْلِهِ هَذَا فَقَالَ يَقُولُ إِنَّا عَلَى الْخَوْفِ لَنَطْمَعُ أَنْ نَلِيَّ مِنَ الْأَمْرِ مَا وَلَيْتُمْ.

و قد فسره قوم تفسيرا (١) آخر و قالوا أراد إنا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب.

قلت و على كلا التفسيرين لم يحصل جواب المسألة

من أخبار الزبير و ابنه عبد الله

كان عبد الله بن الزبير هو الذى يصلى بالناس فى أيام الجمل لأن طلحه و الزبير تدافعا الصلاة فأمرت عائشه عبد الله أن يصلى قطعا لمنازعتهما فإن ظهروا كان الأمر إلى عائشه تستخلف من شاءت.

و كان عبد الله بن الزبير يدعى أنه أحق بالخلافه من أبيه و من طلحه و يزعم أن عثمان يوم الدار أوصى بها إليه.

و اختلفت الروايه فى كيفية السلام على الزبير و طلحه فروى أنه كان يسلم على الزبير وحده بالإمره فيقال السلام عليك أيها الأمير لأن عائشه ولته أمر الحرب.

و روى أنه كان يسلم على كل واحد منهما بذلك.

٢٨٥

١- لَمَّا نَزَلَ عَلِيٌّ ع بِالْبَصْرَةِ وَ وَقَفَ جَيْشُهُ بِإِزَاءِ جَيْشِ عَائِشَةَ قَالَ الزُّبَيْرُ وَاللَّهِ مَا كَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا عَرَفْتُ أَيْنَ أَضْعُ قَدَمِي فِيهِ إِلَّا هَذَا الْأَمْرَ فَإِنِّي لَا أَدْرِي أَمُّ مُدْبِرٌ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ كَلَّا وَ لَكِنَّكَ فَرَّقْتَ (٢) سَيْفَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ عَرَفْتَ أَنَّ الْمَوْتَ النَّاقِعَ تَحْتَ رَأْيَاتِهِ فَقَالَ الزُّبَيْرُ مَا لَكَ أَخْرَاكَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ مَا أَشَامَكَ

ص: ١٦٦

١-١) كذا فى ا،ج.و فى ب: «بتفسير».

٢-٢) فرقت: خفت.

كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع يَقُولُ

مَا زَالَ الزُّبَيْرُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى شَبَّ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ .

١١٤-١- بَرَزَ عَلِيٌّ ع بَيْنَ الصَّفَيْنِ حَاسِرًا وَقَالَ لِيُبْرُزَ إِلَيَّ الزُّبَيْرُ فَبَرَزَ إِلَيْهِ مُدَجِّجًا فَقِيلَ لِعَائِشَةَ قَمَدُ بَرَزَ الزُّبَيْرُ إِلَيَّ عَلِيٌّ ع فَصَاحَتْ وَارْتَدَّتْ زُبَيْرًا فَقِيلَ لَهَا لَا بَأْسَ عَلَيْهِ مِنْهُ إِنَّهُ حَاسِرٌ وَالزُّبَيْرُ دَارِعٌ (١) فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ قَالَ أَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمَانَ قَالَ أَنْتَ وَطَلْحَةُ وَلَيْتَمَاهُ وَإِنَّمَا نَوَيْتُكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُقِيدَ بِهِ نَفْسَكَ وَتُسَلِّمَهَا إِلَيَّ وَرَثَتِهِ ثُمَّ قَالَ نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَ تَذْكُرُ يَوْمَ مَرَرْتُ بِبَيْ وَرَسُولُ اللَّهِ ص مُتَكِيٌّ عَلَيَّ يَدُكَ وَهُوَ جَاءَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَضَجَّكَ فِي وَجْهِهِ فَضَحِكْتُ إِلَيْهِ لَمْ أَرِدْهُ عَلَيَّ ذَلِكَ فَقُلْتُ لَا- يَتْرُكُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَهْوَهُ فَقَالَ لَكَ مَهْ إِنَّهُ لَيْسَ بِذِي زَهْوٍ أَمَا إِنَّكَ سَيِّئَاتُهَا وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ فَاسْتَرْجَعَ الزُّبَيْرُ وَقَالَ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَ لَكِنَّ الدَّهْرَ أَنْسَانِيهِ وَ لَأَنْصِرِفَنَّ عَنْكَ فَرَجَعُ فَأَعْتَقَ عَبْدَهُ سَرَجَسَ تَحْلُلًا (٢) مِنْ يَمِينِ لِرَمْتِهِ فِي الْقِتَالِ ثُمَّ أَتَى عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا إِنِّي مَا وَقَفْتُ مَوْفِقًا قَطُّ وَلَا شَهِدْتُ حَرْبًا إِلَّا وَ لِي فِيهِ رَأْيٌ وَ بَصِيرَةٌ إِلَّا هَذِهِ الْحَرْبُ وَ إِنِّي لَعَلِّي شَكٌّ مِنْ أَمْرِي وَ مَا أَكَادُ أَبْصِرُ مَوْضِعَ قَدَمِي فَقَالَتْ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَطُنُّكَ فَرَقَّتْ سَيْوْفَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ إِنَّهَا وَ اللَّهُ سَيْوْفٌ حِدَادٌ مُعَدَّةٌ لِلْجَلَادِ تَحْمِلُهَا فَتَهُ أَنْجَادٌ وَ لِيَنَّ فَرَقْتَهَا لَقَدْ فَرَقَهَا الرِّجَالُ قَبْلَكَ قَالَ كَلَّا وَ لَكِنَّهُ مَا قُلْتُ لَكَ ثُمَّ انْصَرَفَ

١- وَ رَوَى فَرْوَهُ بَنُو الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ قَالَ كُنْتُ فِي مَنِّ اعْتَزَلَ عَنِ الْحَرْبِ بِوَادِي السَّبَاعِ (٣) مَعَ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ وَ خَرَجَ ابْنُ عَمِّ لِي يُقَالُ لَهُ الْجَوْنُ مَعَ عَسْكَرِ الْبَصْرَةِ فَنَهَيْتُهُ

ص: ١٦٧

١-١) الحاسر: من لا درع له ولا جنة، والدارع: لابس الدرع.

٢-٢) كذا في ا، ج، و في ب: «محللاً».

٣-٣) وادي السباع: موضع بين البصرة ومكة.

فَقَالَ لَا- أَرْغَبُ بِنَفْسِي عَنْ نُصْرِهِ أَمْ الْمُؤْمِنِينَ وَ حَوَارِي رَسُولِ اللَّهِ فَخَرَجَ مَعَهُمْ وَ إِنِّي لَجَالِسٌ مَعَ الْمَأْخُفِ يَسْتَتِئِبِي الْأَخْبَارَ إِذَا
بِالْجَوْنِ بْنِ قَتَادَةَ ابْنِ عَمِّي مُقْبِلًا- فَقُمْتُ إِلَيْهِ وَ اعْتَنَقْتُهُ وَ سَأَلْتُهُ عَنِ الْخَبْرِ فَقَالَ أَخْبِرْكَ الْعَجَبَ خَرَجْتُ وَ أَنَا لَا- أُرِيدُ أَنْ أُبْرَحَ
الْحَرْبَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فَبَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ مَعَ الزُّبَيْرِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَبَشِّرْ أَهْلَهَا الْأَمِيرُ فَإِنَّ عَلِيًّا لَمَّا رَأَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ
مِنْ هَذَا الْجَمْعِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ تَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَ أَتَاهُ آخِرُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ الزُّبَيْرُ وَيَحْكُمُ أَبُو حَسَنِ يَرْجِعُ وَ اللَّهُ لَوْ
لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْعَرَفِجَ لَدَبَّ إِلَيْنَا فِيهِ ثُمَّ أَقْبَلَ رَجُلٌ آخِرُ فَقَالَ أَهْلَهَا الْأَمِيرُ إِنَّ نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ فَارْقُوهُ لِيَدْخُلُوا مَعَنَا مِنْهُمْ عَمَّارُ بْنُ
يَاسِرٍ فَقَالَ الزُّبَيْرُ كَلَّا وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ إِنَّ عَمَّارًا لَا يُفَارِقُهُ أَبَدًا فَقَالَ الرَّجُلُ بَلَى وَ اللَّهُ مَرَارًا فَلَمَّا رَأَى الزُّبَيْرُ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ بِرَاجِعٍ عَنْ
قَوْلِهِ بَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا آخَرَ وَ قَالَ اذْهَبَا فَانظُرَا فَعَادَا وَ قَالَ إِنَّ عَمَّارًا قَدْ أَتَاكَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ صَاحِبِهِ قَالَ جَوْنٌ فَسَجَعْتُ وَ اللَّهُ الزُّبَيْرُ
يَقُولُ وَ انْقَطَاعَ ظَهْرَاهُ وَ حَيْدَعِ أَنْفَاهُ وَ سَوَادِ وَجْهَاهُ وَ يُكْرَرُ ذَلِكَ مَرَارًا ثُمَّ أَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ فَقُلْتُ وَ اللَّهُ إِنَّ الزُّبَيْرَ لَيْسَ بِجَبَانٍ
وَ إِنَّهُ لَمِنْ فُؤَسَانِ قُرَيْشِ الْمَذْكُورِينَ وَ إِنَّ لِهَذَا الْكَلَامِ لَشَأْنًا وَ لَا أُرِيدُ أَنْ أَشْهَدَ مَشْهَدًا يَقُولُ أَمِيرُهُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ فَرَجَعْتُ إِلَيْكُمْ فَلَمْ
يَكُنْ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى مَرَّ الزُّبَيْرُ بِنَا مَتَارِكًا لِلْقَوْمِ فَاتَّبَعَهُ عَمِيرُ بْنُ جَرْمُوزٍ فَقَتَلَهُ

أكثر الروايات على أن ابن جرموز قتل مع أصحاب النهر و جاء في بعضها أنه عاش إلى أيام ولاية مصعب بن الزبير العراق و أنه
لما قدم مصعب البصره خافه ابن جرموز فهرب فقال مصعب ليظهر سالما و ليأخذ عطاءه موفورا أ يظن أني أقتله بأبي عبد الله و
أجعله فداء له فكان هذا من الكبر المستحسن .

كان ابن جرّموز يدعو لدنياه فقيل له هلا دعوت لآخرتك فقال أيست من الجنه .

الزبير أول من شهر سيفه في سبيل الله قيل له في أول الدعوه قد قتل رسول الله فخرج و هو غلام يسعى بسيفه مشهورا.

٢٨٩

١- وَ رَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْمَوْفِقِيَّاتِ (١) قَالَ لَمَّا سَارَ عَلِيٌّ ع إِلَى الْبَصِيرَةِ بَعَثَ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ إِنَّتِ الزُّبَيْرُ فَأَقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَ قُلْ لَهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَيْفَ عَرَفْتَنَا بِالْمَدِينَةِ وَ أَنْكَرْتَنَا بِالْبَصِيرَةِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَ فَلَا آتِي طَلْحَةَ قَالَ لَا إِذَا تَجِدَهُ عَاقِصًا قَرْنَهُ فِي حَزَنِ يَقُولُ هَذَا سَهْلًا.

قَالَ فَاتَيْتُ الزُّبَيْرَ فَوَجِدْتُهُ فِي بَيْتٍ يَتَرَوَّحُ فِي يَوْمٍ حَارًّا وَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُهُ عِنْدَهُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ لُبَابَةَ أَ جِئْتِ زَائِرًا أَمْ سَافِرًا قُلْتُ كَلَّا إِنَّ ابْنَ خَالِكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَ يَقُولُ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ كَيْفَ عَرَفْتَنَا بِالْمَدِينَةِ وَ أَنْكَرْتَنَا بِالْبَصِيرَةِ فَقَالَ عَلِقْتُهُمْ إِنِّي خَلَقْتُ عُصْبَةَ قَتَادَةَ تَعَلَّقْتُ بِنُسْبِهِ (٢) .

لَنْ أَدَعَهُمْ حَتَّى أُولَّفَ بَيْنَهُمْ قَالَ فَأَرَدْتُ مِنْهُ جَوَابًا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ لِي ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ قُلْ لَهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ دَمٌ خَلِيفَةٍ وَ وَصِيَّةُ خَلِيفَةٍ وَ اجْتِمَاعُ اثْنَيْنِ وَ انْفِرَادُ وَاحِدٍ وَ أُمٌّ مَبْرُورَةٌ وَ مُشَاوَرَةُ الْعَشِيرَةِ قَالَ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ هَذَا الْكَلَامِ إِلَّا الْحَزْبُ فَرَجَعْتُ إِلَى عَلِيٍّ ع فَأَخْبَرْتُهُ.

ص: ١٦٩

١ - ١) كتاب الموفقيات في الأخبار؛ ألفه الزبير بن بكار للموفق بالله؛ وكان الزبير بن بكار علامه نسابه أخباريا؛ و كتبه في الأنساب عليها الاعتماد. توفي سنة ٢٥٦. معجم الأدياء ١٦١: ١١.

٢ - ٢) في اللسان: (و في حديث الزبير بن العوام لما أقبل نحو البصره و سئل عن وجهه فقال: علقتهم أنى خلقت عصبه قتاده ملوئيه بنشبهه قال شمر: و بلغنى أن بعض العرب قال: غلبتهم إنى خلقت عصبه قتاده ملوئيه بنشبهه قال: و العصبه نبات يلتوى على الشجر؛ و هو اللباب، و النشبهه من الرجال: الذى إذا علق بشيء لم يكده يفارقه. و يقال للرجل الشديد المراس: قتاده لويت بعصبه، و المعنى: خلقت عصبه لخصومى، فوضع العصبه موضع العلقه، ثم شبه نفسه فى فرط تعلقه و تشبته بهم بالقتاده إذا استظهرت فى تعلقها و استمسكت بنشبهه، أى شديد النشوب.

قَالَ الرَّبِيزِيُّ بْنُ بَكَّارٍ هَذَا الْحَدِيثُ كَانَ يَرْوِيهِ عَمِّي مُصِيبٌ ثُمَّ تَرَكَهُ وَقَالَ إِنِّي رَأَيْتُ جَدِّي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيزِيَّ بْنَ الْعَوَّامِ فِي الْمَنَامِ وَهُوَ يَعْتَدِرُ مِنْ يَوْمِ الْجَمَلِ فَقُلْتُ لَهُ كَيْفَ تَعْتَدِرُ مِنْهُ وَأَنْتَ الْقَائِلُ عَلِقْتُهُمْ إِنِّي خُلِقْتُ عَضْبَهُ فَتَادَهُ تَعَلَّقْتُ بِنُسْبِهِ.

لَنْ أَدْعَهُمْ حَتَّى أُؤَلِّفَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ لَمْ أَقُلْهُ

استطرد بلاغى فى الكلام على الاستدراج

و اعلم أن فى علم البيان بابا يسمى باب الخداع و الاستدراج يناسب ما يذكره فيه علماء البيان

٢٩٠

قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع

يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَ أَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ .

قالوا و من ذلك قول الله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون و قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ (١) فإنه أخذ معهم فى الاحتجاج بطريق التقسيم فقال هذا الرجل إما أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه و لا يتعداه و إما أن يكون صادقا فيصيبكم بعض ما يعدكم به و لم يقل كل ما يعدكم به مخادعه لهم و تطفاه و استماله لقلوبهم كى لا ينفروا منه لو أغلظ فى القول و أظهر لهم أنه يهضمه بعض حقه.

و كذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصدق كأنه رشاهم ذلك و جعله برطيلاً (٢) لهم ليطمئنوا إلى نصحه.

ص: ١٧٠:

(١-١) سورة غافر ٢٨.

(٢-٢) البرطيل هنا: الرشوه.

و من ذلك قول إبراهيم على ما حكاه تعالى عنه في قوله إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (١) فطلب منه في مبدأ الأمر السبب في عبادته الصنم و العله لذلك و نبهه على أن عباده ما لا يسمع و لا يبصر و لا يغنى عنه شيئاً قبيحه ثم لم يقل له إنني قد تبهرت في العلوم بل قال له قد حصل عندي نوع من العلم لم يحصل عندك و هذا من باب الأدب في الخطاب ثم نبهه على أن الشيطان عاص لله فلا يجوز اتباعه ثم خوفه من عذاب الله إن اتبع الشيطان و خاطبه في جميع ذلك بقوله يَا أَبَتِ استعطافاً و استدراجاً كقول علي ع يقول لك ابن خالك فلم يجبه أبوه إلى ما أراد و لا قال له يا بنى بل قال أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ فِخاطبه بالاسم و أتاه بهمزه الاستفهام المتضمنه للإنكار ثم توعدده فقال لئن لم تنته لأرجمنك و أهجرني ملياً .

قالوا و من هذا الباب

٢٩١

٣- مَا رَوَى أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ ع كَلَّمَ مُعَاوِيَةَ فِي أَمْرٍ ابْنِهِ يَزِيدَ وَ نَهَاةً عَنْ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْهِ فَأَبَى عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ حَتَّى أَغْضَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَا صَاحِبَهُ فَقَالَ الْحُسَيْنُ ع فِي غُضُونِ كَلَامِهِ أَبِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ وَ أُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَا ابْنَ أَخِي أَمَا أُؤْمِكُ فَخَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ وَ كَيْفَ تُقَاسُ امْرَأَةٌ مِنْ كَلْبٍ بِابْنِهِ رَسُولِ اللَّهِ (٢) ص وَ أَمَا أَبُوهُ فَحَاكِمٌ أَبَاكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَحَكَمَ لِأَبِيهِ عَلَى أَبِيكَ

ص: ١٧١

(١-١) سورة مريم ٤٢-٤٥.

(٢-٢) في المثل السائر: «و بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم خير من امرأه من كلب».

قالوا و هذا من باب الاستدراج اللطيف لأن معاويه علم أنه إن أجابه بجواب يتضمن الدعوى لكونه خيرا من على ع لم يلتفت أحد إليه و لم يكن له كلام يتعلق به لأن آثار على ع فى الإسلام و شرفه و فضيلته تجل أن يقاس بها أحد فعدل عن ذكر ذلك إلى التعلق بما تعلق به فكان الفلج له.

ذكر هذا الخبر نصر الله بن الأثير فى كتابه المسمى بالمثل السائر فى باب الاستدراج (١).

و عندى أن هذا خارج عن باب الاستدراج و أنه من باب الجوابات الإقناعيه التى تسميها الحكماء الجدليات و الخطايات و هى أجوبه إذا بحث عنها لم يكن وراءها تحقيق و كانت ببادئ النظر مسكته للخصم صالحه لمصادمته فى مقام المجادله.

و مثل ذلك قول معاويه لأهل الشام حيث التحق به عقيل بن أبى طالب يا أهل الشام ما ظنكم برجل لم يصلح لأخيه.

و قوله لأهل الشام إن أبا لهب المذموم فى القرآن باسمه عم على بن أبى طالب فارتاع أهل الشام لذلك و شتموا عليا و لعنوه.

و من ذلك قول عمر يوم السقيفه أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص للصلاه.

و من ذلك

٢٩٢

١- قَوْلُ عَلِيٍّ ع مُجِيبًا لِمَنْ سَأَلَهُ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ فَقَالَ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ .

ص: ١٧٢

١-١) المثل السائر ٦٨:٢-٧١.

١- وَ جَوَابُهُ أَيْضاً لِمَنْ قَالَ لَهُ كَمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَقَالَ مَسِيرُهُ يَوْمَ لِلشَّمْسِ .

و من ذلك قول أبي بكر و قد قال له عمر أقد خالدا بمالك بن نويرة سيف الله فلا أغمده.

و كقوله و قد أشير عليه أيضا بأن يقيد من بعض أمرائه أنا أقيد من وزعه (١) الله ذكر ذلك صاحب الصحاح في باب وزع (٢).

و الجوابات الإقناعية كثيرة و لعلها جمهور ما يتداوله الناس و يسكت به بعضهم بعضا

ص: ١٧٣

١-١) الوزعه: جمع وازع، و هو الذى يتقدم الصف فيصلحه، و يقدم و يؤخر الصحاح.

٢-٢) ١٢٩٧.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عُنُودٍ وَ زَمَنٍ [شَدِيدٍ]

(١) كُنُودٍ [شَدِيدٍ]

يُعِيدُ فِيهِ الْمُحْسِنُ مَسِيئًا وَ يَزِدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُورًا لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَ لَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَ لَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِنَا وَ النَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الفَسَادُ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَهَانَةً نَفْسِهِ وَ كَلَالَةً حَدِّهِ وَ نَضِيضٌ وَ فَرِهِ وَ مِنْهُمْ المُصَلِّتُ [بِسَيِّفِهِ]

لِسَيِّفِهِ وَ المُعْلِنُ بِشَرِّهِ وَ المُجَلِّبُ بِخَيْلِهِ وَ رَجُلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِينَهُ لِحَطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مُتَبِّرٍ يَفْرَعُهُ وَ لِبَيْسِ المُتَجَرِّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَ مِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَ لَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ ثُوبِهِ وَ زَحْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلآمَانَةِ وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعْصِيَةِ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ المُلْكِ ضُمُولَهُ نَفْسِهِ وَ انْقِطَاعُ سَيِّبِهِ فَقَصَصَتْهُ الحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ القِنَاعَةِ وَ تَزَيَّنَ بِلبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَ لَا مَعْدَى

ص: ١٧٤

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرَ الْمَرْجِعِ وَ أَرَأَقَ دُمُوعُهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ وَ ثَكْلَانَ مُوجِعٍ قَدْ أَحْمَلْتُهُمْ [أَحْمَلْتُهُمْ]

التَّقِيَهُ وَ شَمِلْتُهُمُ الذَّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا وَ قَهَرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَ قَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْعَرٌ مِنْ حُنَّالِهِ الْقَرِظِ وَ قُرَاضِهِ الْجَلْمِ وَ اتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَ ارْزُقُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفِضَتْ مَنْ كَانَ أَشْعَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

قال الرضى رحمه الله و هذه الخطبه ربما نسبها من لا علم له إلى معاويه و هى من كلام أمير المؤمنين ع الذى لا يشك فيه و أين الذهب من الرغام و أين العذب من الأجاج و قد دل على ذلك الدليل الخريت و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فإنه ذكر هذه الخطبه فى كتاب البيان و التبيين (1) و ذكر من نسبها إلى معاويه ثم تكلم من بعدها بكلام فى معناها جملمته أنه قال و هذا الكلام بكلام على ع

ص: ١٧٥

١-١) البيان و التبيين ٥٩:٢-٦١؛ عن شعيب بن صفوان؛ و قال: «و زاد فيها البقطرى و غيره»، و قال: «لما حضرت معاويه الوفاه قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك، فقال: ويحك! لم؟ قال: لا أدري؛ قال: فو الله ما لهم بعدى إلا الذى يسوؤهم؛ و أذن للناس فدخلوا». ثم أورد الخطبه بروايته؛ و قال فى آخرها: «و فى هذه الخطبه: -أبقاك الله- ضروب من العجب؛ منها أن الكلام لا يشبه السبب الذى من أجلهم دعاهم معاويه، و منها أن هذا المذهب فى تصنيف الناس، و فى الإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال، و من التقية و الخوف أشبه بكلام على رضى الله عنه و معانيه و حاله منه بحال معاويه، و منها أنا لم نجد معاويه فى حال من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزهاد، و لا يذهب مذاهب العباد؛ و إنما نكتب لكم و تخبر بما سمعناه؛ و الله أعلم بأصحاب الأخبار، و بكثير منهم».

أشبهه و بمذهبه فى تصنيف الناس و فى الإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال و من التقيه و الخوف أليق قال و متى وجدنا معاويه فى حال من الأحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد و مذاهب العباد

دهر عنود

جائر عند عن الطريق يعند بالضم أى عدل و جار و يمكن أن يكون من عند يعند بالكسر أى خالف و ردّ الحق و هو يعرفه إلا أن اسم الفاعل المشهور فى ذلك عاند و عنيد و أمّا عنود فهو اسم فاعل من عند يعند بالضم.

قوله و زمن شديد أى بخيل و منه قوله تعالى وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (١) أى و إنه لبخيل لأجل حبّ الخير و الخير المال و قد روى و زمن كنود و هو الكفور قال تعالى إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٢).

و القارعه الخطب الذى يقرع أى يصيب .

قوله و نضيض وفره أى قله ماله و كان الأصل و نضاضه وفره ليكون المصدر فى مقابله المصدر الأول و هو كلاله حده لكنه أخرجه على باب إضافه الصفه إلى الموصوف كقولهم عليه سحق عمامه و جرد قطيفه و أخلاق ثياب .

قوله و المجلب بخيله و رجله المجلب اسم فاعل من أجلب عليهم أى أعان عليهم.

و الرجل جمع راجل كالركب جمع راكب و الشرب جمع شارب و هذا من ألفاظ الكتاب العزيز وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ (٣).

ص: ١٧٦

١-١) سورة العاديات ٨.

٢-٢) سورة العاديات ٦.

٣-٣) سورة الإسراء ٦٤ و قراءه حفص بكسر الجيم فى «رجلك»، و باقى القراءات بسكون الجيم. اتحاف فضلاء البشر ٢٨٠.

و أشرط نفسه أى هياها و أعدةا للفساد فى الأرض.

و أوبق دينه

أهلكه و الحطام المال و أصله ما تكسر من اليبس.

ينتتهزه يختلسه.

و المقنب خيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

و يفرعه يعلوه و طامن من شخصه أى خفض و قارب من خطوه لم يسرع و مشى رويدا .

و شمر من ثوبه

قصره و زخرف من نفسه حسن و نمق و زين و الزخرف الذهب فى الأصل .

و ضئوله نفسه حقارتها و الناد المنفرد و المكعوم من كعمت البعير إذا شددت فمه و الأجاج الملح .

و أفواههم ضامزه بالزأى أى ساكنه قال بشر بن أبى خازم لقد ضمزت بجرتها سليم مخافتنا كما ضمز الحمار (١) .

و القرظ ورق السلم يدبغ به و حثالته ما يسقط منه .

و الجلم المقص تجز به أوبار الإبل و قراضته ما يقع من قرضه و قطعه.

فإن قيل بينوا لنا تفصيل هذه الأقسام الأربعة قيل القسم الأول من يقعد به عن طلب الإمره قله ماله و حقارته فى نفسه.

و القسم الثانى من يشمر و يطلب الإمارة و يفسد فى الأرض و يكاشف.

و القسم الثالث من يظهر ناموس الدين و يطلب به الدنيا.

و القسم الرابع من لا مال له أصلا و لا يكاشف و يطلب الملك و لا يطلب الدنيا

ص: ١٧٧

١- ١) ديوانه ٧٠، و اللسان (٧:٢٣٢)، و نسبه إلى ابن مقبل؛ و قال فى شرحه: «معناه قد خضعت و ذلت كما ضمز الحمار؛ لأن الحمار لا يجتر؛ و إنما قال: ضمزت بجرتها على جهة المثل، أى سكتوا فما يتحركون و لا ينطقون».

بالرياء و الناموس بل تنقطع أسبابه كلها فيخلد إلى القناعه و يتحلى بحليه الزهاده فى اللذات الدنيويه لا طلبا للدنيا بل عجزا عن الحركه فيها و ليس بزاهد على الحقيقه.

فإن قيل فهاننا قسم خامس قد ذكره ع و هم الأبرار الأتقياء الذين أراق دموعهم خوف الآخره.

قيل إنه ع إنما قال إن الناس على أربعة أصناف و عنى بهم من عدا المتقين و لهذا قال لما انقضى التقسيم و بقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع فأبان بذلك عن أن هؤلاء خارجون عن الأقسام الأربعة

فصل فى ذكر الآيات و الأخبار الوارده فى ذم الرياء و الشهرة

و اعلم أن هذه الخطبه تتضمن الذم الكثير لمن يدعى الآخره من أهل زماننا و هم أهل الرياء و النفاق و لابسوا الصوف و الثياب المرقوعه لغير وجه الله.

و قد ورد فى ذم الرياء شىء كثير و قد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم.

و من الآيات الوارده فى ذلك قوله تعالى يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١).

و منها قوله تعالى فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (٢).

ص: ١٧٨

١-١) سورة النساء ١٤٢.

٢-٢) سورة الكهف ١١٠.

و منها قوله تعالى إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً (١).

و منها قوله تعالى الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٢)

٢٩٤

١٤- وَمِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ قَوْلُهُ ص وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَ النَّجَاهُ فَقَالَ أَلَّا تَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتُرِيدُ بِهَا النَّاسَ .

٢٩٥

و فِي الْحَدِيثِ مَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ .

٢٩٦

و فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ إِنَّ هَذَا الْعَمَلُ لَمْ يَرِدْ صَاحِبُهُ بِهِ وَجْهِي فَاجْعَلُوهُ فِي سَجِّينِ (٣) .

٢٩٧

١٤- وَقَالَ ص إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَضْيَعُرُ قَالُوا وَ مَا الشُّرْكَ الْأَضْيَعُرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاطْلُبُوا جَزَاءَكُمْ مِنْهُمْ .

٢٩٨

١٤- وَ فِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ص يَبْكِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ إِنِّي تَخَوَّفْتُ عَلَى أُمَّتِي الشُّرْكَ أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ صَنَمًا وَلَا شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَ لَكِنَّهُمْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ .

و رأى عمر رجلا يتخشع و يطأطئ رقبته فى مشيته فقال له يا صاحب الرقبه ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب.

و رأى أبو أمامه رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال له أنت أنت لو كان هذا فى بيتك.

ص: ١٧٩

١-١) سورة الإنسان ٩.

٢-٢) سورة الماعون ٥ ٧.

٣-٣) سجن: واد فى جهنم.

وَقَالَ عَلِيُّ ع

لِلْمُرَائِي أَرْبَعُ عِلَامِيَّاتٍ يَكْسِبُهَا إِذَا كَانَ وَخِيْدَهُ وَ يَنْشَطُ إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ وَ يَزِيدُ فِي الْعَمَلِ إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ وَ يَنْقُصُ مِنْهُ إِذَا لَمْ يُثْنِ عَلَيْهِ .

و قال رجل لعباده بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجهه و محمده الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرّات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة يقول الله تعالى أنا أغني الأغنياء عن الشرك الحديث.

و ضرب عمر رجلا- بالدرة ثم ظهر له أنه لم يأت جرما فقال له اقتص مني فقال بل أدعها لله و لك قال ما صنعت شيئا إنما أن تدعها لي فأعرف ذلك لك أو تدعها لله وحده.

و قال الحسن لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم لتعرض له الكلمه لو نطق بها لنفعته و نفعت أصحابه ما يمنعه منها إلا مخافه الشهره و إن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافه الشهره.

و قال الفضيل كانوا يراءون بما يعملون و صاروا اليوم يراءون بما لا يعملون.

و قال عكرمه إن الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النيه لا رياء فيها.

و قال الحسن المرأى يريد أن يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد أن يقول الناس هذا صالح و كيف يقولون و قد حل من ربّه محل الأردئاء (١) فلا بدّ لقلوب المؤمنين أن تعرفه.

و قال قتاده إذا رآى العبد قال الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدى يستهزئ بى.

و قال الفضيل من أراد أن ينظر مرأيا فلينظر إلى

ص : ١٨٠

و قال محمّد بن المبارك الصورى أظهر السمّت (١) بالليل فإنّه أشرف من سمّتك بالنهار فإن سمّت النهار للمخلوقين و سمّت الليل لرب العالمين.

و قال إبراهيم بن أدهم ما صدق الله من أحب أن يشتهر.

٣٠٠

و من الكلام المعزوّ إلى عيسى ابن مريم ع إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه و لحيته و ليمسح شفتيه لئلا يعلم الناس أنّه صائم و إذا أعطى يمينه فليخف عن شماله و إذا صلى فليرخ ستره فإِنَّ الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق.

و من كلام بعض الصالحين آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حبّ الرئاسة.

٣٠١

و روى أنس بن مالك عن رسول الله ص أنّه قال يحسب المرء من الشرّ إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه و دنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم.

٣٠٢

و قال عليّ ع

تبدّل لا تستهزؤ و لا ترفع شخصك لتذكر بعلم و اسكت و اصمت تسلم تسر الأبرار و تغيط الفجار .

و كان خالد بن معدان إذا كثرت حلقاته قام مخافه الشهره.

و رأى طلحه بن مصرف قوما يمشون معه نحو عشره فقال فراش نار و ذبان طمع.

و قال سليمان بن حنظله بينا نحن حوالى أبى بن كعب نمشى إذ رآه عمر فعلاه بالدره و قال له انظر من حولك إن الذى أنت فيه ذله للتابع فتنه للمتبوع.

و خرج عبد الله بن مسعود من منزله فاتبعه قوم فالتفت إليهم و قال علام تتبعوننى فو الله لو تعلمون منى ما أغلق عليه بابى لما تبعنى منكم اثنان.

و قال الحسن خفق النعال حول الرجال ممّا يثبت عليهم قلوب الحمقى.

ص: ١٨١

و روى أن رجلا صحب الحسن فى طريق فلما فارقه قال أوصنى رحمك الله قال إن استطعت أن تعرف و لا تعرف و تمشى و لا يمشى إليك و تسأل و لا تسأل فافعل.

و خرج أيوب السخيتانى فى سفر فشيعة قوم فقال لو لا أنى أعلم أن الله يعلم من قلبى أنى لهذا كاره لخشيت المقت من الله.

و عوتب أيوب على تطويل قميصه فقال إن الشهره كانت فيما مضى فى طولها و هى اليوم فى قصره.

و قال بعضهم كنت مع أبى قلابه إذ دخل رجل عليه كساء فقال إياكم و هذا الحمار الناهق يشير به إلى طالب شهره.

و قال رجل لبشر بن الحارث أوصنى فقال أخمل ذكرك و طيب مطعمك.

و كان حوشب يبكى و يقول بلغ اسمى المسجد الجامع.

و قال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينه و افتضح.

و قال أيضا لا يجد حلاوه الآخره رجل يحب أن يعرفه الناس.

فهذه الآثار قليل مما ورد عن الصالحين رحمهم الله فى ذم الرياء و كون الشهره طريقا إلى الفتنه

فصل فى مدح الخمول و الجنوح إلى العزله

٣٠٣

وَقَدْ صَرَّحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي مَدْحِ الْأَبْرَارِ وَ هُمْ الْقِسْمُ الْخَامِسُ بِمَدْحِ الْخُمُولِ فَقَالَ

قَدْ أَحْمَلْتَهُمُ التَّقِيَّةُ يَعْنِي الْخَوْفَ.

و قد ورد فى الأخبار و الآثار شىء كثير فى مدح الخمول.

٣٠٤

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص رَبِّ أَشَعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ

ص: ١٨٢

لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَّ قَسَمَهُ.

٣٠٥

وَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ وَ لَوْ سَأَلَ الْجَنَّةَ لِأَعْطِيهَا.

٣٠٦

وَ فِي الْحَدِيثِ أَيْضاً عَنْهُ صَ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَّهُ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَوَاطِ (١).

٣٠٧

وَ عَنْهُ صَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ الشُّعْثُ الْعُبْرُ الَّذِينَ إِذَا اسْتَأْذَنُوا عَلَى الْمَأْمَرِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ وَ إِذَا خَطَبُوا لَمْ يُنْكَحُوا وَ إِذَا قَالُوا لَمْ يُنصِتْ لَهُمْ حَوَائِجَ أَحَدِهِمْ تَتَلَجَّلُجُ فِي صَدْرِهِ لَوْ قَسِمَ نُورُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ لَوَسِعَهُمْ.

٣٠٨

١٤- وَ رَوَى أَنَّ عُمَرَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا بِمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ يَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَ يَقُولُ إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ لَشَرُّكَ وَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يُنَجِّونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ .

٣٠٩

وَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الْهُدَى أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ سُرُجَ اللَّيْلِ جِدُدَ الْقُلُوبِ خُلُقَانَ الشِّيَابِ تُعْرَفُونَ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَ تُخْفُونَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ.

٣١٠

وَ فِي حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ يَرْفَعُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ أَعْظَمَ أَوْلِيَائِي لَعَبِيدٌ مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ (٢) ذُو حَظٍّ مِنْ صِيْلَاهِ وَ قَدْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَ أَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَ كَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ.

٣١١

وَ فِي الْحَدِيثِ السَّعِيدُ مَنْ حَمَلَ صِيْتَهُ وَ قَلَّ تَرَاتُّهُ وَ سَهَلَتْ مَبِيَّتُهُ وَ قَلَّتْ بَوَاكِيهِ.

١-١) الجواظ:الجموع المنوع.

٢-٢) الحاذ و الحال واحد،و أصل الحاذ طريقه المتن،و هو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس؛أى خفيف الظهر من العيال.نهايه ابن الأثير.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ رُويَ لِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي بَعْضِ مَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ أَلَمْ أَنْعِمْ عَلَيْكَ أَلَمْ أَسْتُرِكَ أَلَمْ أُحْمِلْ ذِكْرَكَ.

وكان الخليل بن أحمد يقول في دعائه اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك و اجعلني عند نفسي من أوضع خلقك و اجعلني عند الناس من أوسط خلقك و قال إبراهيم بن أدهم ما قررت عيني ليله قط في الدنيا إلا مره بت ليله في بعض مساجد قرى الشام و كان بي عله البطن فجرني المؤذن برجلى حتى أخرجني من المسجد.

و قال الفضيل إن قدرت على ألا تعرف فافعل و ما عليك ألا تعرف و ما عليك ألا يثنى عليك و ما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى.

فإن قيل فما قولك في شهره الأنبياء و الأئمة ع و أكابر الفقهاء المجتهدين قيل إن المذموم طلب الشهره فأما وجودها من الله تعالى من غير تكلف من العبد و لا طلب فليس بمذموم بل لا بد من وجود إنسان يشتهر أمره فإن بطريقه ينصلح العالم و مثال ذلك الغرقى الذين بينهم غريق ضعيف الأولي به ألا يعرفه أحد منهم لثلا يتعلق به فيهلك و يهلكوا معه فإن كان بينهم سابع قوى مشهور بالقوه فالأولى ألا يكون مجهولا بل ينبغي أن يعرف ليتعلقوا به فينجو هو و يتخلصوا من الغرق بطريقه

و فيها حكمه مبعث الرسل ثم يذكر فضله و يذم الخارجين

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِدِي قَارٍ وَ هُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيمَهُ هَذَا النَّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا فَقَالَ ع
وَ اللَّهُ لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ [سُبْحَانَهُ]

بَعَثَ مُحَمَّدًا ص وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَ لَا يَدْعِي بُيُوتَهُ فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ
قَنَاتُهُمْ وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ أَمَا وَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى [وَلْتُ]

تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا [ضَعُفْتُ]

عَجَزْتُ [ضَعُفْتُ]

وَ لَا جُبْنْتُ [وَهْنْتُ]

وَ إِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا فَلَأَنْقَبَنَّ [فَلَأَنْقَبَنَّ]

الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ مَا لِي وَ لِقُرَيْشٍ وَ اللَّهُ لَعَدُوٌّ قَاتِلُهُمْ كَافِرِينَ وَ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا
صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ وَ اللَّهُ مَا تَنْفَعُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنْ اللَّهُ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيْرِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ أَدَمْتُ لِعُمْرِي سُورِيكَ
الْمُخَضَّصَ صَاحِبًا

موضع قريب من البصره و هو المكان الذى كانت فيه الحرب بين العرب و الفرس و نصرت العرب على الفرس قبل الإسلام .
و يخصف نعله أى يخرزها .

و بأهم محلثهم أسكنهم منزلهم أى ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه و مثله و بلغهم منجاتهم إلا أن فى هذه
الفاصله ذكر النجاه مصرحا به .

فاستقامت قناتهم

استقاموا على الإسلام أى كانت قناتهم معوجه فاستقامت .

و اطمانت صفاتهم

كانت متقلقله متزلزله فاطمانت و استقرت.

و هذه كلها استعارات .

ثم أقسم أنه كان فى ساقته حتى تولت بحذافيرها الأصل فى ساقته أن يكون جمع سائق كحائض و حاضه و حائك و حاكه ثم
استعملت لفظه الساقه للأخير لأن السائق إنما يكون فى آخر الركب أو الجيش .

و شبه ع أمر الجاهليه إما بعجابه ثائره أو بكتيبه مقبله للحرب فقال إننى طردتها فولت بين يدي و لم أزل فى ساقته أنا أطردتها و
هى تنطرد أمامى حتى تولت بأسرها و لم يبق منها شىء ما عجزت عنها و لا جبت منها .

ثم قال و إن مسيرى هذا لمثلها فلأنقبن الباطل كأنه جعل الباطل كشىء قد اشتمل على الحق و احتوى عليه و صار الحق فى طيه
كالشىء الكامن المستتر فيه فأقسم لينقبن ذلك الباطل إلى أن يخرج الحق من جنبه و هذا من باب الاستعاره أيضا .

ثم قال لقد قاتلت قريشا كافرين و لأقاتلنهم مفتونين لأن الباغي على الإمام مفتون فاسق.

و هذا الكلام يؤكد قول أصحابنا إن أصحاب صفين و الجمل ليسوا بكفار خلافا للإماميه فإنهم يزعمون أنهم كفار

خبر يوم ذي قار

٣١٣

١- روى أبو مخنف عن الكلبي عن أبي صالح عن زيد بن علي عن ابن عباس قال لما نزلنا مع علي ع ذا قار قلت يا أمير المؤمنين ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن فقال و الله ليأتينني منهم ستمائة ألف و خمسمائة و ستون رجلا لا يزيدون و لا ينقصون .

قال ابن عباس فدخلني و الله من ذلك شك شديد في قوله و قلت في نفسي و الله إن قدموا لأعدتتهم.

قال أبو مخنف فحدثت ابن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار قال نفر إلى علي ع إلى ذي قار من الكوفة في البحر و البر ستمائة ألف و خمسمائة و ستون رجلا أقام علي بذي قار خمسه عشر يوماً حتى سمع صهيل الخيل و شحيح البغال حوله قال فلما سار بهم منقله (١) قال ابن عباس و الله لأعدتتهم فإن كانوا كما قال و إلا أتممتهم من غيرهم فإن الناس قد كانوا سماعوا قوله قال فعرضتهم فو الله ما وجدتهم يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا فقلت الله أكبر صدق الله و رسوله ثم سرنا

٣١٤

١,٢- قال أبو مخنف و لما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذا قار و استنفر الناس دعا

ص: ١٨٧

أَصِيحَابُهُ فَوَعظَهُمْ وَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ وَ زَهَدَهُمُ فِي الدُّنْيَا وَ رَغَبَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَ قَالَ لَهُمُ الْحَقُّوَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ وَصِيِّ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ فَإِنَّ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَنْصُرُوهُ وَ هَذَا الْحَسَنُ ابْنُهُ وَ عَمَّارٌ قَدْ قَدِمَا الْكُوفَةَ يَسْتَنْفِرَانِ النَّاسَ فَانْفِرُوا.

قَالَ فَتَفَرَّ أَصِيحَابُ حُذَيْفَةَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَكَثَ حُذَيْفَةُ بَعْدَ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَ تُوَفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ وَ قَالَ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ الْمُزَنَّى قَالَ يَذْكُرُ نَفُورَهُمْ إِلَى عَلِيٍّ ع وَ سَرْنَا إِلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا

قَالَ أَبُو مِخْنَفٍ فَلَمَّا قَدِمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى عَلِيٍّ ع سَلَّمُوا عَلَيْهِ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي اخْتَصَّنَا بِمُؤَازَرَتِكَ وَ أَكْرَمَنَا بِنُصْرَتِكَ قَدْ أَجَبْنَاكَ طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ.

قَالَ فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ صَلَّى عَلَى رَسُولِهِ وَ قَالَ مَرْحَبًا بِأَهْلِ الْكُوفَةِ بِيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَ وُجُوهُهَا وَ أَهْلِ الْفُضْلِ وَ فُؤَادِهَا وَ أَشَدُّ الْعَرَبِ مَوَدَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ص وَ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَ لِذَلِكَ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ وَ اسْتَصَيَّرْتُكُمْ عِنْدَ نَقْضِ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ بِيَعْتِي عَنْ غَيْرِ جَوْرِ مِنِّي وَ لَا خِيَادَةٍ وَ لَعَمْرِي لَوْ لَمْ تَنْصُرُونِي بِأَهْلِ الْكُوفَةِ لَرَجَوْتُ أَنْ يَكْفِينِي اللَّهُ غَوْغَاءَ النَّاسِ وَ طَعَامَ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ مَعَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ بِهَا وَ وُجُوهُهَا وَ أَهْلَ الْفُضْلِ وَ الدِّينِ قَدْ اعْتَزَلُواهَا وَ رَغَبُوا عَنْهَا فَقَامَ رُءُوسُ الْقَبَائِلِ فَخَطَبُوا وَ بَدَلُوا لَهُ النَّصِيرَ فَأَمَرَهُمْ بِالرَّحِيلِ إِلَى الْبَصْرَةِ

أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَيئمتُ عتابكم أَرْضَيْتُمْ بِالْحَياهِ الدُّلِيَا مِنْ الْأَخْرَهِ عَوْضاً وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفاً إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ
أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرِهِ وَ مِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرِهِ يُرْتَجِعُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ - [فَكَأَنَّ]

وَ كَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَهُ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَهٍ سَيَجِيَسُ اللَّيَالِي وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَ لَا زَوَافِرٍ عِزٌّ يُفْتَقِرُ إِلَيْكُمْ مَا أَنْتُمْ
إِلَّا كِبَابِلٌ ضَلَّ رُعَاتُهَا فَكَلَّمَا جُمِعَتْ [اجْتَمَعَتْ]

مِنْ حِيَابِ انْتَشَرَتْ مِنْ آخِرِ لَيْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سِيَعُرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَ لَا تَكِيدُونَ وَ تُنْتَقِصُ أَطْرَافَكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ لَا يَنَامُ
عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَهٍ سَاهُونَ غَلَبَ وَ اللَّهُ الْمُتَحَاذِلُونَ وَ أَيْمُ اللَّهُ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ [حَمَشَ]

الْوَعَى وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتَ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ إِبْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجِ الرَّأْسِ وَ اللَّهُ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عِيدُوهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ لَحْمَهُ وَ يَهْتِمُ
عَظْمَهُ وَ يَفْرِى جِلْمَدَهُ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ ضَعِيفٌ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتِ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ
ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيهِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ
حَقًّا وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالْنَّصِيحَهُ

لَكُمْ وَ تَوْفِيرٌ فَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ عَلِيمًا وَ تَعْلِيمًا كَثِيرًا وَ تَجْهَلُوا وَ تَأْتِيكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلْفَوْا بِالْبَيْعَةِ وَ النَّصِيحَةِ فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ وَ الْإِجَابَةِ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَةَ حِينَ آمُرُكُمْ .

أف لكم

كلمه استقذار و مهانه و فيها لغات و يرتج يغلق و الحوار المحاوره و المخاطبه و تعمهون من العمه و هو التحير و التردد الماضي عمه بالكسر .

و قوله دارت أعينكم من قوله تعالى يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ (١) و من قوله تَدَوَّرَ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ (٢) .

و قلوبكم مألوسه من الألس بسكون اللام و هو الجنون و اختلاط العقل .

قوله ما أنتم لى بثقه سجيس الليالى كلمه تقال للأبد تقول لا أفعله سجيس الليالى و سجيس عجيس و سجيس الأوجس معنى ذلك كله الدهر و الزمان و أبدا .

قوله ما أنتم بركن يمال بكم أى لستم بركن يستند إليكم و يمال على العدو بعزكم و قوتكم .

قوله و لا زوافر عز جمع زافره و زافره الرجل أنصاره و عشيرته و يجوز أن يكون زوافر عز أى حوامل عز زفرت الجمل أزفزه زفرا أى حملته .

قوله سعر نار الحرب جمع ساعر كقولك قوم كظم للغيط جمع كاظم

ص : ١٩٠

١-١) سورة محمّد ٢٠ .

٢-٢) سورة الأحزاب ١٩ .

و تمتعضون تأنفون و تغضبون و حمس الوغى اشتد و أصل الوغى الصوت و الجلبه ثم سميت الحرب نفسها و غى لما فيها من الأصوات و الجلبه و استحر الموت أى اشتد .

و قوله انفرجتم انفراج الرأس أى كما ينفلق الرأس فيذهب نصفه يمنه و نصفه شامه و المشرفيه السيوف المنسوبه إلى مشارف و هى قرى من أرض العرب تدنو من الريف و لا يقال مشارفى كما لا يقال جعافرى لمن ينسب إلى جعافر .

و فراش الهام العظام الخفيفه تلى القحف.

و قال الراوندى فى تفسير قوله انفراج الرأس أراد به انفرجتم عنى رأسا أى قطعا و عرفه بالألف و اللام و هذا غير صحيح لأن رأسا لا يعرف قال و له تفسير آخر أن يكون المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه.

و هذا أيضا غير صحيح لأنه لا خصوصيه للرأس فى ذلك فإن اليد و الرجل إذا أدنيتهما من شخص ثم حرفتهما عنه فقد انفرج ما بين ذلك العضو و بينه فأى معنى لتخصيص الرأس بالذكر .

فأما قوله أنت فكن ذاك فإنه إنما خاطب من يمكن عدوه من نفسه كائنا من كان غير معين و لا مخصص و لكن الروايه وردت بأنه خاطب بذلك الأشعث بن قيس فإنه

٣١٥

١- روى أنه قال له ع و هو يخطب و يلوم الناس على تشيبتهم و تقاعديهم هلا فقلت فعيل ابن عفان فقال له إن فعيل ابن عفان لمخزاة على من لا دين له و لا وثيقه معه إن امرأ أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه و يفرى جلده لضعيف رأيه مأفون عقله أنت فكن ذاك إن أحببت فأما أنا فدون أن أعطى ذاك ضرب بالمشرفيه

. الفصل .

ص : ١٩١

و يمكن أن تكون الروايه صحيحه و الخطاب عام لكل من أمكن من نفسه فلا منافاه بينهما.

و قد نظمت أنا هذه الألفاظ فى أبيات كتبتها إلى صاحب لى فى ضمن مكتوب اقتضاها و هى إن امرأ أمكن من نفسه

٣١٦

١- خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَ بِهَيْدِهِ الْخُطْبَةَ بَعِيدَ فَوَاحِهِ مِنْ أَمْرِ الْخَوَارِجِ وَقَدْ كَانَ قَامَ بِالنَّهْرَوَانَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ نَصْرَكُمْ فَتَوَجَّهُوا مِنْ فُورِكُمْ هَذَا إِلَى عَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ .

فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَفِدَتْ نِبَالُنَا وَ كَلَّتْ سَيْوفُنَا وَ انْصَلَمَتْ (١) أَسِنَّةُ رِمَاحِنَا وَ عَادَ أَكْثَرُهَا قِصْدًا (٢) اِرْجِعْ بِنَا إِلَى مِصْرِنَا نَسْتَعِدَّ بِأَحْسَنِ عُدَّتِنَا وَ لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عَدَدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُوِّنَا.

ص: ١٩٢

١-١) آرابه: جمع إرب؛ و هو العضو.

٢-٢) شحافاه: فتحه. و الدرد: سقوط الأسنان.

فَكَانَ جَوَابُهُ ع يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزِدُّوا عَلَيَّ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١).

فَتَلَكَّتُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا إِنَّ الْبُرْدَ شَدِيدٌ.

فَقَالَ إِنَّهُمْ يَجِدُونَ الْبُرْدَ كَمَا تَجِدُونَ فَتَلَكَّتُوا وَابُوا فَقَالَ أَفْ لَكُمْ إِنَّهَا سِنَّةٌ جَرَتْ ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢).

فَقَامَ مِنْهُمْ نَاسٌ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْجِرَاحُ (٣) فَاشْتَمِيَهُ فِي النَّاسِ وَكَانَ أَهْلُ النَّهْرَوَانِ قَدْ أَكْثَرُوا الْجِرَاحَ فِي عَسِيكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فَارْجِعْ إِلَى الْكُوفَةِ فَأَقِمْ بِهَا أَيَّامًا ثُمَّ اخْرُجْ خَارَ اللَّهُ لَكَ فَرَجَعْ إِلَى الْكُوفَةِ عَنْ غَيْرِ رِضًا

أمر الناس بعد وقعه النهروان

٣١٧

١- وَرَوَى نَصِيرُ بْنُ مُزَاحِمٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ نُمَيْرِ بْنِ وَعَلَةَ عَنْ أَبِي وَدَاكِ قَالَ لَمَّا كَرِهَ الْقَوْمُ الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ عَقِبَ وَقَعِهِ النَّهْرَوَانَ أَقْبَلَ بِهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْزَلَهُمُ النَّخِيلَةَ وَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَلْزَمُوا مَعَسِيكَرَهُمْ وَيُوطِنُوا عَلَى الْجِهَادِ أَنْفُسَهُمْ وَأَنْ يُقْلُوا زِيَارَةَ النِّسَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ حَتَّى يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَيْدُوهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الرَّأْيُ لَوْ فَعَلُوهُ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا وَأَقْبَلُوا يَتَسَلَّلُونَ وَيَدْخُلُونَ الْكُوفَةَ فَتَرَكُوهُ عَ وَمَا مَعَهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رِجَالٌ مِنْ وُجُوهِهِمْ قَلِيلٌ وَبَقِيَ الْمَعَسِيكَرُ خَالِيًا فَلَا مَنْ دَخَلَ الْكُوفَةَ خَرَجَ إِلَيْهِ وَلَا مَنْ أَقَامَ مَعَهُ صَبَرَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ الْكُوفَةَ .

ص: ١٩٣

١- (١) سورة المائدة ٢١.

٢- (٢) سورة المائدة ٢٢.

٣- (٣) الجراح: جمع جراحه.

قَالَ نَصِيرُ بْنُ مُزَاهِمٍ فَخَطَبَ النَّاسَ بِالْكُوفَةِ وَ هِيَ أَوَّلُ خُطْبِهِ خَطَبَهَا بَعْدَ قُدُومِهِ مِنْ حَرْبِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِدُّوا لِقِتَالِ عَدُوِّ فِي جِهَادِهِمُ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ دَرْكُ الْوَسِيلَةِ عِنْدَهُ قَوْمَ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ مُوزَعِينَ (١) بِالْجَوْرِ وَ الظُّلْمِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ جُفَاءً عَنِ الْكِتَابِ نُكِبَ عَنِ الدِّينِ يَعْجَمُونَ فِي الطُّغْيَانِ وَ يَتَسَكَّعُونَ فِي غَمْرِهِ الضَّلَالِ فَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا .

قَالَ فَلَمْ يَنْفِرُوا وَ لَمْ يَنْشُرُوا (٢) فَتَرَكَهُمْ أَيَّامًا ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ أَفْ لَكُمْ لَعْدٌ سَرِيْمَةٌ عِتَابُكُمْ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عَوْضًا الْفَضِيلِ الَّذِي شَرَحْنَا أَنْفَاءً إِلَى آخِرِهِ وَ زَادَ فِيهِ أَنْتُمْ أَسْوَدُ الشَّرَى فِي الدَّعَاةِ وَ تَعَالَبَ رَوَاعَهُ حِينَ الْيَأْسِ إِنَّ أَحْمَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانَ أَلَا إِنَّ الْمَغْلُوبَ مَقْهُورٌ وَ مَسْلُوبٌ .

٣١٨

وَ رَوَى الْأَعْمَشُ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ وَ هُوَ يَقُولُ

يَا أَبْنَاءَ الْمُهَاجِرِينَ انْفِرُوا إِلَى أُمَّةِ الْكُفْرِ وَ بَقِيَّةِ الْأَخْزَابِ وَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ انْفِرُوا إِلَى مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى دَمِ حَمَالِ الْخَطَايَا فَوَ اللَّهُ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لِيَحْمِلُ خَطَايَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا .

قلت هذا قيس بن أبي حازم وهو الذي

٣١٩

رَوَى حَدِيثَ إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا نَضَامُونَ [نَضَامُونَ]

فِي رُؤْيَيْهِ .

وَ قَدْ طَعَنَ مَسَائِكُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ فِيهِ وَ قَالُوا إِنَّهُ فَاسِقٌ وَ لَا تُقْبَلُ رَوَايَتُهُ لِأَنَّهُ

٣٢٠

١- قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا يَخُطُبُ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ

ص: ١٩٤

١- (١) يقال: أوزعه بالشيء؛ إذا أغراه به.

٢- (٢) لم ينشروا: أي لم يتفرقوا.

انْفِرُوا إِلَىٰ بَقِيَّةِ الْأَخْرَابِ

فأبغضته و دخل بغضه فى قلبى و من يبغض عليا ع لا تقبل روايته.

فإن قيل فما يقول مشايخكم فى

٣٢١

قَوْلُهُ ع

انْفِرُوا إِلَىٰ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَىٰ دَمِ حَمَالِ الْخَطَايَا .

أليس هذا طعنا منه ع فى عثمان قيل الأشهر الأكثر فى الروايه صدر الحديث و أما عجز الحديث فليس بمشهور تلك الشهره و إن صح حملناه على أنه أراد به معاويه و سمي ناصريه مقاتلين على دمه لأنهم يحامون عن دمه و من حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه.

٣٢٢

١- وَ رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الثَّقَفِيُّ قَالَ جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ إِلَىٰ عَلِيٍّ ع وَ هُوَ يَخْطُبُ بِهِذِهِ الْخُطْبَةَ عَلَىٰ مِثْبَرِ الْكُوفَةِ فَقَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثٌ بَلْبَلْنَ الْقُلُوبَ عَلَيْكَ قَالَ وَ مَا هُنَّ وَ يُحَكُّ قَالَتُ رِضَاكَ بِالْقَضِيَّةِ وَ أَخَذَكَ بِالِدَيْتِيهِ وَ جَزَعَكَ عِنْدَ الْبَلِيَّةِ فَقَالَ إِنَّمَا أَنْتِ امْرَأَةٌ فَادْهَبِي فَاجْلِسِي عَلَىٰ ذَيْلِكَ فَقَالَتْ لَا وَ اللَّهُ مَا مِنْ جُلُوسٍ إِلَّا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ

٣٢٣

وَ رَوَى عَمْرُو بْنُ شَمْرِ الْجُعْفِيُّ عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَفِيعِ بْنِ فَرْقَدٍ الْبَجَلِيِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع يَقُولُ

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَقَدْ ضَرَبْتُكُمْ بِالِدَّرَةِ الَّتِي أَعْظُ بِهَا السُّفَهَاءَ فَمَا أَرَأَيْتُمْ تَنْتَهُونَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُكُمْ بِالسَّيَاطِ الَّتِي أُقِيمُ بِهَا الْحِدُودَ فَمَا أَرَأَيْتُمْ تَزْعَوُونَ فَلَمْ يَنْقُ إِلَّا أَنْ أَضْرِبَكُمْ بِسَيْفِي وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ مَا يَقْوَمُكُمْ وَ لَكِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ أَلِيَّ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَ أَعْجَبًا لَكُمْ وَ لِأَهْلِ الشَّامِ أَمِيرُهُمْ يَعِصِي اللَّهَ وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ وَ أَمِيرُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَ اللَّهُ لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَىٰ أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي وَ لَوْ سَقَّتْ الدُّنْيَا بِخِذَابِهَا إِلَىٰ الْكَافِرِ لَمَا أَحْبَبَنِي وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ بِي مَا قُضِيَ عَلَىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَنَّهُ لَا يُبْغِضُنِي

مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّنِي كَافِرٌ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا وَاللَّهُ لَتَضِيبُرنَّ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ أَوْ لَيَسْلَطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَوْمًا أَنْتُمْ
أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُمْ فَلْيَعِدُّبَنَّكُمْ أَفَمِنْ قَتْلِهِ بِالسَّيْفِ تَحِيدُونَ إِلَى مَوْتِهِ عَلَى الْفِرَاشِ وَاللَّهُ لَمَوْتَهُ عَلَى الْفِرَاشِ أَشَدُّ مِنْ ضَرْبِهِ أَلْفِ
سَيْفٍ .

قلت ما أحسن قول أبي العيناء وقد قال له المتوكل إلى متى تمدح الناس و تهجوهم فقال ما أحسنوا و أساءوا و هذا أمير
المؤمنين ع و هو سيد البشر بعد رسول الله ص يمدح الكوفه و أهلها عقيب الانتصار على أصحاب الجمل بما قد ذكرنا بعضه و
سنذكر باقيه مدحا ليس باليسير و لا- بالمستصغر و يقول للكوفه عند نظره إليها أهلا بك و بأهلك ما أرادك جبار بكيد إلا
قصمه الله و يثنى عليها و على أهلها حسب ذمه للبصره و عيبه لها و دعائه عليها و على أهلها فلما خذله أهل الكوفه يوم التحكيم
و تقاعدوا عن نصره على أهل الشام و خرج منهم الخوارج و مرق منهم المراق ثم استنفرهم بعد فلم ينفروا و استصرخهم فلم
يصرخوا (١) و رأى منهم دلائل الوهن و أمارات الفشل انقلب ذلك المدح ذما و ذلك الثناء استزاده و تقريعا و تهجينا.

و هذا أمر مركوز فى طبيعه البشر و قد كان رسول الله ص كذلك و القرآن العزيز أيضا كذلك أثنى على الأنصار لما نهضوا و
ذمهم لما قعدوا فى غزاه تبوك فقال فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ (٢) الآيات إلى أن رضى الله عنهم فقال وَ عَلَى

ص: ١٩٤

١-١) لم يصرخوا: لم يغيثوا.

٢-٢) سورة التوبه ٨١.

١- رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَيْفٍ (٢) الْمَدَائِنِيُّ عَنْ فَضِيلِ بْنِ الْجَعْدِ قَالَ آكَدَ الْأَسْبَابِ فِي تَقَاعُدِ الْعَرَبِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَ أَمْرِ الْمَالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَفْضَلُ شَرِيفاً عَلَى مَشْرُوفٍ وَلَا عَرَبِيّاً عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا يُصَانِعُ الرُّؤْسَاءَ وَ أُمَرَاءَ الْقَبَائِلِ كَمَا يُصْنَعُ الْمُلُوكُ وَ لَا يَسْتَمِيلُ أَحِداً إِلَى نَفْسِهِ وَ كَانَ مُعَاوِيَةَ بِخِلَافٍ ذَلِكَ فَتَرَكَ النَّاسَ عَلِيّاً وَ التَّحَقُّوا بِمُعَاوِيَةَ فَشَكَكَ عَلِيُّ عَ إِلَى الْأَشْتَرِ تَخَاذُلَ أَصْحَابِهِ وَ فِرَارَ بَعْضِهِمْ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَصَالَ الْأَشْتَرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا قَاتَلْنَا أَهْلَ الْبَصِيرَةِ بِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَ رَأَى النَّاسَ وَاحِدًا وَ قَدِ اخْتَلَفُوا بَعِيدًا وَ تَعَادَوْا وَ ضَعُفَتِ النَّيَّةُ وَ قَلَّ الْعِيدُ وَ أَنْتَ تَأْخُذُهُمْ بِالْعِيدِ وَ تَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ وَ تُنْصِفُ الْوَضِيعَ مِنَ الشَّرِيفِ فَلَيْسَ لِلشَّرِيفِ عِنْدَكَ فَضْلٌ مَنزِلَهُ عَلَى الْوَضِيعِ فَصَجَّتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ مَعَكَ مِنَ الْحَقِّ إِذْ عُمُوا بِهِ وَ اعْتَمُوا مِنَ الْعِيدِ إِذْ صَارُوا فِيهِ وَ رَأَوْا صَيَانَاعَ مُعَاوِيَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْغِنَاءِ وَ الشَّرَفِ فَتَاقَتْ أَنْفُسُ النَّاسِ إِلَى الدُّنْيَا وَ قَلَّ مَنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا بِصَاحِبٍ وَ أَكْثَرُهُمْ يَجْتَوِي الْحَقَّ وَ يَشْتَرِي الْبَاطِلَ وَ يُؤْتِرُ الدُّنْيَا فَإِنْ تَبَدَّلَ الْمَالُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَمَلَّ إِلَيْكَ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَ تَصِفُّ نَصَةَ يَحْتُمُّهُمْ لَكَ وَ تَسْتَخْلِصُ وُدَّهُمْ صَنَعَ اللَّهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ كَبَّتْ أَعْدَاءُكَ وَ فَضَّ جَمْعُهُمْ وَ أَوْهَنَ كَيْدُهُمْ وَ شَتَّتْ أُمُورَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ فَقَالَ عَلِيُّ ع :

ص: ١٩٧

(١-١) سورة التوبة ١١٨.

(٢-٢) ب: «يوسف»؛ و الصواب ما أثبتته من فهرس ابن النديم ١٠٠، و انظر ص ٢٠٣ من هذا الجزء.

أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَمَلِنَا وَسَيِّرَتِنَا بِالْعَدْلِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١) وَأَنَا مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقَصِّرًا فِيمَا ذَكَرْتَ أَخَوْفٌ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنْ الْحَقَّ ثَقُلَ عَلَيْهِمْ فَفَارَقُونَا لِتَذَلِّكَ فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونَا مِنْ جَوْرٍ وَلَا لَجُئُوا إِذْ فَارَقُونَا إِلَى عَدْلِ وَلَمْ يَلْتَمِسُوا إِلَّا دُنْيَا زَائِلَةً عَنْهُمْ كَأَنْ قَدْ فَارَقُوهَا وَلَيْسَ أَلَّنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا لِلدُّنْيَا أَرَادُوا أَمْ لِلَّهِ عَمِلُوا وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بَدْلِ الْأَمْوَالِ وَاصْطِنَاعِ الرِّجَالِ فَإِنَّهُ لَا يَسْعُنَا أَنْ نُؤْتِيَ امْرَأً مِنَ الْفِيءِ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَ قَوْلُهُ الْحَقُّ كَمْ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِيهَا كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢) وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ص وَحْدَهُ فَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقَلَّةِ وَأَعَزَّنِي بَعْدَ الدَّلَّةِ وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُولِينَا هَذَا الْأَمْرَ يُذَلِّلْ لَنَا صَاحِبَهُ وَيُسَهِّلْ لَنَا حَزَنَهُ وَأَنَا قَابِلٌ مِنْ رَأْيِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رِضًا وَأَنْتَ مِنْ آمَنِ النَّاسِ عِنْدِي وَأَنْصَحِيهِمْ لِي وَأَوْثِقِيهِمْ فِي نَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

٣٢٥

١- وَ ذَكَرَ الشَّعْبِيُّ قَالِ دَخَلْتُ الرَّحْبَةَ بِالْكُوفَةِ وَأَنَا غُلَامٌ فِي غِلْمَانٍ فَإِذَا أَنَا بِعَلِيٍّ عَ قَائِمًا عَلَى صُبْرَتَيْنِ (٣) مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ وَمَعَهُ مِخْفَقَةٌ وَهُوَ يَطْرُدُ النَّاسَ بِمِخْفَقَتِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمِيَالِ فَيَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ ثُمَّ انْصَرَفَ وَلَمْ يَحْمِلْ إِلَى بَيْتِهِ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي فَقُلْتُ لَهُ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ خَيْرَ النَّاسِ أَوْ أَحَمَقَ النَّاسِ قَالَ مَنْ هُوَ يَا بَنِي قُلْتُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ كَذَا فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ فَبَكَى وَقَالَ يَا بَنِي بَلْ رَأَيْتُ خَيْرَ النَّاسِ

ص: ١٩٨

١-١) سورة فصلت ٤٦.

٢-٢) سورة البقرة ٢٤٩.

٣-٣) الصبره، بالضم: ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن.

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ عَنْ هِرَارُونَ بْنِ عَنَتْرَةَ عَنْ زَادَانَ قَالَ انْطَلَقْتُ مَعَ قَتْبِرِ غُلامِ عَلِيٍّ عَ فَاِذَا هُوَ يَقُولُ قُمْ يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَيْبًا قَالَ وَ مَا هُوَ وَيَحْكُ قَالَ قُمْ مَعِيَ فَاَنْطَلِقْ بِهٖ اِلَى بَيْتِهٖ وَ اِذَا بَغْرَارِهٖ مَمْلُوءَهٗ مِنْ جَامَاتٍ ذَهَبًا وَ فِضَّةً فَقَالَ يَا اَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتَكَ لَا تَتْرُكُ شَيْئًا اِلَّا قَسَمْتَهُ فَاذْخَرْتُ لَكَ هٰذَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ عَلِيٌّ عَ وَيَحْكُ يَا قَتْبِرُ لَقَدْ اَحْبَبْتَ اَنْ تُدْخِلَ بَيْتِي نَارًا عَظِيمَةً ثُمَّ سَلَّ سَيْفَهُ وَ ضَرَبَهُ ضَرْبَاتٍ كَثِيرَةً فَانْتَثَرَتْ مِنْ بَيْنِ اِثْنَاءِ مَقْطُوعِ نَصِيفِهِ وَ آخَرَ ثُلُثَهُ وَ نَحَوَ ذَلِكَ ثُمَّ دَعَا بِالنَّاسِ فَقَالَ اِقْسِمُوهُ بِالْحِصَصِ ثُمَّ قَامَ اِلَى بَيْتِ الْمَالِ فَقَسَمَ مَا وَجَدَ فِيهِ ثُمَّ رَأَى فِي الْبَيْتِ اِبْرًا وَ مَسَالَ فَقَالَ وَ لَتُقْسِمُوا هٰذَا فَقَالُوا لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ وَ قَدْ كَانَ عَلِيٌّ عَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ عَامِلٍ مِمَّا يَعْمَلُ فَضَحِكَ وَ قَالَ لِيُوْخَذَنَّ شَرُّهُ مَعَ خَيْرِهِ

١- وَ رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَجَلَانَ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ عَ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ الْاَبْرَارَ وَ الْحُرْفَ (١) وَ الْكُمُونَ وَ كَذَا وَ كَذَا .

١- وَ رَوَى مُجَمِّعُ التَّيْمِيِّ قَالَ كَانَ عَلِيٌّ عَ يَكْنِسُ بَيْتَ الْمَالِ كُلَّ جُمُعَةٍ وَ يُصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ وَ يَقُولُ لِيُشْهَدَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

١- وَ رَوَى بَكْرُ بْنُ عَيْسَى عَنْ عِيَاصِمِ بْنِ كَلَيْبِ الْجَرَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ شَهِدْتُ عَلِيًّا عَ وَ قَدْ جَاءَهُ مَالٌ مِنَ الْجَبَلِ فَقَامَ وَ قُمْنَا مَعَهُ وَ جَاءَ النَّاسُ يَزْدَحِمُونَ فَاَخَذَ جِبَالًا فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْهِ وَ عَقَدَ بَعْضُهَا اِلَى بَعْضٍ ثُمَّ اَذَارَهَا حَوْلَ الْمَالِ وَ قَالَ لَا اَحِلُّ لْاَحَدٍ اَنْ يُجَاوِزَ هٰذَا الْحَبْلَ قَالَ فَقَعِدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ وَّرَاءِ الْحَبْلِ وَ دَخَلَ هُوَ فَقَالَ اَيْنَ رُءُوسُ الْاَسْيَابِ وَ كَانَتِ الْكُوفَةُ يَوْمَئِذٍ اَسْيَابًا فَجَعَلُوا يَحْمِلُونَ هٰذِهِ الْجُوالِقَ اِلَى هٰذِهِ الْجُوالِقِ وَ هٰذَا اِلَى هٰذَا حَتَّى اسْتَوَتْ الْقِسْمَةُ سَبْعَةَ اَجْزَاءٍ وَ وُجِدَ مَعَ الْمَتَاعِ

رَغِيفٌ فَقَالَ اِكْسِرُوهُ سَنَعِ كَسْرٍ وَ ضَعُوا عَلَيَّ كُلَّ جُزْءٍ كَسْرَهُ ثُمَّ قَالَ هَذَا جَنَائِي وَ خِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَيَّ فِيهِ (١).

ثُمَّ أَفْرَعَ عَلَيْهَا وَ دَفَعَهَا إِلَيَّ رُءُوسِ الْأَسْبَاعِ فَجَعَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدْعُو قَوْمَهُ فَيَحْمِلُونَ الْجَوَالِيْقَ

٣٣٠

١- وَ رَوَى مُجَمِّعٌ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ قَالَ أَخْرَجَ عَلِيُّ عَ سَيْفًا إِلَى السُّوقِ فَقَالَ مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هَذَا فَوَّ الدِّي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ عِنْدِي ثَمَنُ إِزَارٍ مَا بَعْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ أَنَا أَبِيعُكَ إِزَارًا وَ أَنْسِيْتُكَ ثَمَنَهُ إِلَى عَطَائِكَ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ إِزَارًا إِلَى عَطَائِهِ فَلَمَّا قَبِضَ عَطَاءَهُ دَفَعَ إِلَيَّ ثَمَنَ الْإِزَارِ

٣٣١

١- وَ رَوَى هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعَلِيٍّ عَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَمَرْتَ لِي بِمَعُونَةٍ أَوْ نَفَقَةٍ فَوَّ اللَّهُ مَا لِي نَفَقَةٍ إِلَّا أَنْ أَبِيعَ دَابَّتِي فَقَالَ لَا وَ اللَّهُ مَا أَجِدُ لَكَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَأْمُرَ عَمَّكَ أَنْ يَسْرِقَ فَيُعْطِيكَ .

٣٣٢

١- وَ رَوَى بَكْرٌ بْنُ عَيْسَى قَالَ كَانَ عَلِيُّ عَ يَقُولُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ إِذَا أَنَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ بَعِيرٍ رَاحِلَتِي وَ رَحْلِي وَ غُلَامِي فُلَانٍ فَأَنَا خَائِنٌ فَكَانَتْ نَفَقَتُهُ تَأْتِيهِ مِنْ غَلَّتِهِ بِالْمَدِينَةِ بِيَسْبَعٍ وَ كَانَ يُطْعِمُ النَّاسَ مِنْهَا الْخُبْزَ وَ اللَّحْمَ وَ يَأْكُلُ هُوَ الثَّرِيدَ بِالزَّيْتِ .

٣٣٣

١- وَ رَوَى أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ أَتِيَا عَلِيًّا عَ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْعَرَبِ وَ الْأُخْرَى مِنَ الْمَوَالِي فَسَأَلَتْهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِمَا دَرَاهِمَ وَ طَعَامًا بِالسَّوَاءِ فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا

ص: ٢٠٠

(١- ١) البيت أنشده عمرو بن عدى حين كان غلاما، و كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك (جذيمه بن الأبرش) الكمأه؛ فكانوا إذا وجدوا كمأه خيارا أكلوها و أتوا بالباقي إلى الملك، و كان عمرو لا يأكل منه، و يأتي به كما هو و ينشد البيت. و انظر القاموس ٢٥٩:٣-٢٦٠؛ و حديث على ورد مفصلا في حليه الأولياء ١:٨١.

إِنِّي امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَ هَذِهِ مِنَ الْعَجَمِ فَقَالَ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِيْنِي إِسْمَاعِيلَ فِي هَذَا الْفَيْءِ فَضَلَّ عَلَى بَنِي إِسْحَاقَ

٣٣٤

١- وَ رَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ع قَالَ مَا اِعْتَلَجَ عَلِيٌّ عَلِيٌّ عَ أَمْرَانِ فِي ذَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَخَذَ بِأَشْدِهِمَا وَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ عِنْدَكُمْ مِنْ مَالِهِ بِالْمَدِينَةِ وَ إِنْ كَانَ لِيَأْخُذَ السَّوِيْقَ فَيَجْعَلُهُ فِي جِرَابٍ وَ يَخْتُمُ عَلَيْهِ مَخَافَةَ أَنْ يُزَادَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ وَ مَنْ كَانَ أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَلِيٍّ ع .

٣٣٥

١,١٤- وَ رَوَى النَّضْرُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ عَ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَبَنٌ حَامِضٌ آذَنِي حُمُوضَتُهُ وَ كَسَّرَ يَابِسَهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَأْكُلُ مِثْلَ هَذَا فَقَالَ لِي يَا أَبَا الْجَنُوبِ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَأْكُلُ أَيُّسَ مِنْ هَذَا وَ يَلْبَسُ أَخْشَنَ مِنْ هَذَا وَ أَشَارَ إِلَيَّ يُثَابِعُهُ فَإِنْ أَنَا لَمْ أَخْذُ بِمَا أَخْذَ بِهِ خَفْتُ أَلَّا أَلْحَقَ بِهِ

٣٣٦

١,١٤- وَ رَوَى عِمْرَانُ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ عُلْقَمَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ عَ بِالْكُوفَةِ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَعْبٌ لَبَنٍ أَجْدُ رِيحُهُ مِنْ شِدَّةِ حُمُوضَتِهِ وَ فِي يَدِهِ رَغِيْفٌ تُرَى قُشَارُ الشَّعِيرِ عَلَى وَجْهِهِ وَ هُوَ يَكْسِرُهُ وَ يَسْتَعِينُ أَحْيَانًا بِرُكْبَتِهِ وَ إِذَا جَارِيَتْهُ فَضَّهُ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ فَقُلْتُ يَا فَضُّهُ أَمَا تَتَّقُونَ اللَّهَ فِي هَذَا الشَّيْخِ أَلَّا نَخْلُتُمْ دَقِيقَهُ فَقَالَتْ إِنَّا نَكْرَهُ أَنْ نُؤَجَّرَ وَ يَأْتِمُّ نَحْنُ قَدْ أَخَذَ عَلَيْنَا أَلَّا نَخْلُ لَهُ دَقِيقًا مَا صَحْبِنَاهُ قَالَ وَ عَلِيٌّ عَ لَا يَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ مَا تَقُولِينَ قَالَتْ سَلُّهُ فَقَالَ لِي مَا قُلْتَ لَهَا قَالَ فَقُلْتُ إِنِّي قُلْتُ لَهَا لَوْ نَخْلُتُمْ دَقِيقَهُ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ بِأَبِي وَ أُمِّي مَنْ لَمْ يَشْعِ ثَلَاثًا مُتَوَالِيَةً مِنْ خُبْزٍ بُرِّ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَ لَمْ يَنْخُلْ دَقِيقَهُ قَالَ يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ص

ص: ٢٠١

١- وَ رَوَى يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ صَالِحِ بَيْاعِ الْأَكْسَبِيِّهِ أَنَّ حِدَّتَهُ لَقِيَتْ عَلِيًّا عَ بِالْكُوفَةِ وَ مَعَهُ تَمْرٌ يَحْمِلُهُ فَسَلِمَتْ عَلَيْهِ وَ قَالَتْ لَهُ أَعْطِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا التَّمْرَ أَحْمِلُهُ عَنْكَ إِلَى بَيْتِكَ فَتَعَالَ أَبُو الْعِيَالِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ قَالَتْ ثُمَّ قَالَ لِي أَلَا تَأْكُلِينَ مِنْهُ فَقُلْتُ لَا أُرِيدُ قَالَتْ فَأَنْطَلِقِ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ رَجِعِ مُرْتَدِيًا بِتِلْكَ الشَّمْلَةِ وَ فِيهَا قُشُورُ التَّمْرِ فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِيهَا الْجُمُعَةَ

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ بْنُ غَزْوَانَ قَالَ قِيلَ لِعَلِيِّ عَ كَمْ تَتَصَدَّقُ كَمْ تُخْرِجُ مَالَكَ أَلَا تُمَسِّكُ قَالَ إِنِّي وَ اللَّهُ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَلَ مِنِّي فَرُضًا وَاحِدًا لَأُمْسِكْتُ وَ لَكِنِّي وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي أَقْبَلَ مِنِّي سُبْحَانَهُ شَيْئًا أَمْ لَا .

١- رَوَى عَبَّاسُ الْعَابِدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ قَالَ أَعْتَقَ عَلِيُّ عَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَلْفَ مَمْلُوكٍ مِمَّا مَجَلَّتْ (١) يَدَاهُ وَ عَرِقَ جَبِينُهُ وَ لَقَدْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ وَ أَتَتْهُ الْأَمْوَالُ فَمَا كَانَ حَلْوَاهُ إِلَّا التَّمْرَ وَ لَا ثِيَابُهُ إِلَّا الْكُرَايِسَ .

١- وَ رَوَى الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِي صَادِقٍ قَالَ تَزَوَّجَ عَلِيُّ عَ لَيْلَى بِنْتِ مَسْعُودِ النَّهْشَابِيِّهِ فَضَرِبَتْ لَهُ فِي دَارِهِ حَجَلَةً فَجَاءَ فَهَتَكَهَا وَ قَالَ حَسْبُ أَهْلِ عَلِيٍّ مَا هُمْ فِيهِ .

١- وَ رَوَى حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَ قَالَ ابْتِاعَ عَلِيُّ عَ فِي خِلَافَتِهِ قَمِيصًا سَمَلًا (٢) بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ ثُمَّ دَعَا الْخَيَّاطَ فَمَدَّ كُمَّ الْقَمِيصِ وَ أَمَرَهُ بِقَطْعِ مَا جَاوَزَ الْأَصَابِعَ .

وَ إِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَ الرِّوَايَاتِ وَ إِنْ كَانَتْ خَارِجَةً عَنْ مَقْصِدِ الْفَصْلِ لِأَنَّ الْحَالَ اقْتَضَى ذِكْرَهَا مِنْ حَيْثُ أَرَدْنَا أَنْ نَبِينَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَ لَمْ يَكُنْ

١- (١) مجلت يده: عملت.

٢- (٢) السمل: الخلق من الثياب.

يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصنعون بالأموال و يصرفونها في مصالح ملكهم و ملاذ أنفسهم و أنه لم يكن من أهل الدنيا و إنما كان رجلاً متألها صاحب حق لا يريد بالله و رسوله بدلاً.

٣٤٢

١- وَ رَوَى عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي يُوسُفَ الْمِدَائِنِيِّ أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ ع مَشَوْا إِلَيْهِ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطِ هَيْدِهِ الْأَمْوَالَ وَ فَضَلَ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ وَ قُرَيْشِ عَلَى الْمَوَالِي وَ الْعَجَمِ وَ اسْتَمِلْ مَنْ تَخَافُ خِلَافَهُ مِنَ النَّاسِ وَ فِرَارَهُ وَ إِنَّمَا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ لِمَا كَانَ مُعَاوِيَةُ يَصْنَعُ فِي الْمَالِ فَقَالَ لَهُمْ أ تَأْمُرُونَنِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصِيرَ بِالْجَوْرِ لَا وَ اللَّهُ لَا أَفْعَلُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَ مَا لَاحَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ وَ اللَّهُ لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَوَاسَيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُمْ ثُمَّ سَكَتَ طَوِيلًا وَاجِمًّا ثُمَّ قَالَ الْأَمْرُ أُسْرِعُ مِنْ ذَلِكَ قَالَهَا ثَلَاثًا

ص: ٢٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنِ اتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ وَ الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [وَحْدَهُ]

لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ صَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَ تُعْقِبُ النَّدَامَةَ وَ قَدْ كُنْتُ أَمْرُتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالَفِينَ الْجُفَاءِ وَ الْمُنَابِذِينَ الْعَصَاهِ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصِيحِهِ وَ ضَنَّ الزَّئِدُ بِعَدْوِهِ فَكُنْتُ أَنَا وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ أَمْرُتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصِيحَ [الرُّشْدَ]

إِلَّا ضُحِيَ الْعَدِي .

الخطب الفادح

الثقيل و نخلت لكم أى أخلصته من نخلت الدقيق بالمنخل.

و قوله الحمد لله و إن أتى الدهر أى أحمده على كل حال من السراء و الضراء .

و قوله لو كان يطاع لقصير أمر فهو قصير صاحب جذيمه و حديثه مع جذيمه و مع الزباء مشهور فضرب المثل لكل ناصح يعصى بقصير .

ص: ٢٠٤

وقوله حتى ارتاب الناصح بنصحه و ضن الزند بقدحه يشير إلى نفسه يقول خالفتموني حتى ظننت أن النصح الذي نصحتكم به غير نصح و لإطباقكم و إجماعكم على خلافي و هذا حق لأن ذا الرأي الصواب إذا كثر مخالفوه يشك في نفسه.

و أما ضن الزند بقدحه فمعناه أنه لم يقدح لي بعد ذلك رأى صالح لشده ما لقيت منكم من الإباء و الخلاف و العصيان و هذا أيضا حق لأن المشير الناصح إذا اتهم و استغش عمى قلبه و فسد رأيه .

و أخو هوازن صاحب الشعر هو دريد بن الصمه و الأبيات المذكوره في الحماسه و أولها نصحت لعارض و أصحاب عارض

و هذه الألفاظ من خطبه خطب بها ع بعد خديعه ابن العاص لأبى موسى و افتراقهما و قبل وقعه النهروان

قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج

و يجب أن نذكر فى هذا الفصل أمر التحكيم كيف كان و ما الذى دعا إليه فنقول إن الذى دعا إليه طلب أهل الشام له و اعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القهر و الغلبة لاحت و دلائل النصر و الظفر وضحت فعدل أهل الشام عن القراع إلى الخداع و كان ذلك برأى عمرو بن العاص .

و هذه الحال وقعت عقيب ليله الهرير (١) و هى الليله العظيمة التى يضرب بها المثل.

و نحن نذكر ما أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفين فى هذا المعنى فهو ثقه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا إدغال و هو من رجال أصحاب الحديث

٣٤٣

١- قَالَ نَصِيرٌ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَيْمُرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو ضِرَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمَارُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ غَلَسَ عَلِيٌّ عِ النَّاسِ صِيْلَةَ الْغَدَاةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ عَاشِرَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سِنَةِ سَبْعٍ وَ ثَلَاثِينَ وَ قِيلَ عَاشِرَ شَهْرِ صِفْرِ ثُمَّ زَحَفَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ بِعَشْرِ كِرِّ الْعِرَاقِ وَ النَّاسِ عَلَى رَأْيَاتِهِمْ وَ أَعْلَامِهِمْ وَ زَحَفَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الشَّامِ وَ قَدْ كَانَتْ الْحَزْبُ أَكَلَتِ الْفَرِيقَيْنِ وَ لَكِنَّهَا

ص: ٢٠٤

(١-١) من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع؛ و هو صوت دون النباح.

فِي أَهْلِ الشَّامِ أَشَدُّ نِكَايَهُ وَ أَعْظَمُ وَقَعًا فَقَدَ مَلُوا الْحَرْبَ وَ كَرَهُوا الْقِتَالَ وَ تَضَعَصَتْ أَرْكَانُهُمْ.

قَالَ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى فَرَسٍ كَمَيْتٍ ذَنْوَبٍ (١) عَلَيْهِ السَّلَاحُ لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ وَ بِيَدِهِ الرُّمْحُ فَجَعَلَ يَضْرِبُ رُءُوسَ أَهْلِ الْعِرَاقِ بِالْقَنَاهِ وَ يَقُولُ سَوُّوا صُفُوفَكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ حَتَّى إِذَا عَدَلَ الصُّفُوفَ وَ الرَّايَاتِ اسْتَقْبَلَهُمْ بِوَجْهِهِ وَ وَلَّى أَهْلَ الشَّامِ ظَهْرَهُ ثُمَّ حَمَدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِيْنَا ابْنَ عَمِّ نَبِيِّهِ أَفْذَمَهُمْ هِجْرَهُ وَ أَوْلَهُمْ إِسْلَامًا سَيِّفٌ مِنْ سَيِّوْفِ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ فَأَنْظَرُوا إِذَا حَمَى الْوَطِيسُ (٢) وَ نَارَ الْقِتَامِ (٣) وَ تَكَسَّرَ الْمُرَانِ (٤) وَ جَالَتِ الْخَيْلُ بِالْأَبْطَالِ فَلَا أَسْمَعَ إِلَّا عَمَّعَمَةً أَوْ هَمَّهَمَةً فَاتَّبَعُونِي وَ كُونُوا فِي أَثْرِي.

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَكَسَّرَ فِيهِمْ رُمْحَهُ ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا هُوَ الْأَشْتَرُ .

قَالَ وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَنَادَى بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَا أَبَا الْحَسَنِ يَا عَلِيُّ ابْنُ أَبِي فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيُّ ع حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا بَيْنَ الصَّفَيْنِ فَقَالَ إِنَّ لَكَ يَا عَلِيُّ لِقَدَمًا فِي الْإِسْلَامِ وَ الْهِجْرَةِ (٥) فَهَلْ لَكَ فِي أَمْرِ أُعْرِضُهُ عَلَيْكَ يَكُونُ فِيهِ حَقْنُ هَيْدِهِ الدِّمَاءِ وَ تَأْخُرُ (٦) هَذِهِ الْحُرُوبِ حَتَّى تَرَى رَأْيِكَ قَالَ وَ مَا هُوَ قَالَ تَرْجِعُ إِلَيَّ

ص: ٢٠٧

١- ١) الذنوب: الفرس الوافر الذنب.

٢- ٢) الوطيس فى الأصل: التَّنور، أو حفرة تحتفر و يختبز فيها و يشوى. و قيل: الوطيس: شىء يتخذ مثل التَّنور يختبز فيه؛ و قيل: هى تنور من حديد و به شبه حر الحرب. و حمى الوطيس، مثل يضرب للأمر إذا اشتد. اللسان (١٤٢: ٨).

٣- ٣) القتام: الغبار.

٤- ٤) المران: جمع مرانه؛ و هى الرماح الصلبة اللدنه.

٥- ٥) وقعه صفين: «و هجره».

٦- ٦) وقعه صفين: «تأخير».

عِرَاقِكَ فَنَخَلَى بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَ نَزَجُ نَحْنُ إِلَى شَامِنَا (١) فَتَخَلَى بَيْنِنَا وَ بَيْنَ الشَّامِ فَقَالَ عَلِيُّ ع (٢) قَدْ عَرَفْتُ مَا عَرَضَتْ إِنَّ هَذِهِ لَنْصِيحَهُ وَ شَفَقَهُ (٣) وَ لَقَدْ أَهَمَّنِي هَذَا الْأَمْرُ وَ أَسِيَهَرَنِي وَ ضَرَبْتُ أَنْفَهُ وَ عَيْنَهُ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرُهُ لَمْ يَرْضَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ أَنْ يُعْصِيَ فِي الْأَرْضِ وَ هُمْ سِيَكُوتٌ مُرِيدِعُونَ لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا يَنْهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَوَجَدْتُ الْقِتَالَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجِهِ فِي الْأَغْلَالِ فِي جَهَنَّمَ قَالَ فَرَجَعَ الرَّجُلُ (٤) وَ هُوَ يَسْتَرْجِعُ وَ زَحَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَارْتَمَوْا بِالنَّبْلِ وَ الْحِجَارَةِ حَتَّى فَيَّتْ ثُمَّ تَطَاعَنُوا بِالرِّمَاحِ حَتَّى تَكَسَّرَتْ وَ انْدَقَتْ ثُمَّ مَشَى الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ وَ عُمِدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَسْمِعِ السَّامِعُونَ إِلَّا وَقَعَ الْحَدِيدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ لَهَوًا أَشَدَّ هَوَلًا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ الصَّوَاعِقِ وَ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةَ يَدُوكَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَ انْكَسَيْتِ الشَّمْسُ بِالنَّقْعِ وَ نَارَ الْقِتَامِ وَ الْقَسْطَلُ (٥) وَ ضَلَّتِ الْأَلْوِيَهُ وَ الرَّايَاتُ وَ أَخَذَ الْأَشْتَرُ يَسِيرًا فِيمَا بَيْنَ الْمَيْمَنَةِ وَ الْمَيْسِرَةِ فَيَأْمُرُ كُلَّ قَبِيلَةٍ أَوْ كَتِيبَةٍ مِنَ الْقُرَاءِ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الَّتِي تَلِيهَا (٦) فَاجْتَلَدُوا بِالسُّيُوفِ وَ عُمِدِ الْحَدِيدِ مِنْ صِهْلِهِ الْغَدَاهِ مِنَ الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ لَمْ يُصِ لَوْا لِلَّهِ صِهْلَهُ فَلَمْ يَزَلِ الْأَشْتَرُ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحَ وَ الْمَعْرَكَةُ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَ افْتَرَقُوا عَنْ سَبْعِينَ أَلْفَ قَبِيلٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ تَلَكَّ اللَّيْلَهُ وَ هِيَ لَيْلَةُ الْهَرِيرِ الْمَشْهُورَةِ وَ كَانَ الْأَشْتَرُ فِي مَيْمَنَةِ النَّاسِ وَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْمَيْسِرَةِ وَ عَلِيُّ ع فِي الْقَلْبِ وَ النَّاسُ يَقْتَتِلُونَ.

ثُمَّ اسْتَمَرَ الْقِتَالَ مِنْ نِصْفِ اللَّيْلِ الثَّانِي إِلَى ارْتِفَاعِ الضُّحَى وَ الْأَشْتَرُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ

ص: ٢٠٨

١-١ (١) صنفين: «شامنا».

٢-٢-٢ صنفين: «لقد عرفت، إنما عرضت هذه النصيحة شفقة».

٣-٢-٢ صنفين: «لقد عرفت، إنما عرضت هذه النصيحة شفقة».

٤-٤ (٤) القسطل: الغبار.

٥-٥ (٥) كذا في ج، و في ب: «بينها».

-٦

وَهُوَ يَزْحَفُ بِهِمْ نَحْوَ أَهْلِ الشَّامِ اِزْحَفُوا قَيْدَ رُمِحِي هَذَا وَيُلْقِي رُمَحَهُ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ قَالَ اِزْحَفُوا قَابَ هَذَا الْقَوْسِ (١) فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ (٢) سَأَلَهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ (٣) حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنَ الْإِقْدَامِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ أُعِيدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَرْضَعُوا الْغَنَمَ سَائِرَ الْيَوْمِ ثُمَّ دَعَيْتُ بَفَرَسِهِ وَرَكَزَ رَايْتَهُ وَكَانَتْ مَعَ حَيَّانَ بْنِ هُوْدَةَ النَّخَعِيِّ وَسَيَّارَ بَيْنَ الْكُتَيْبِ وَهُوَ يَقُولُ أَلَا- مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ لِلَّهِ وَيُقَاتِلَ مَعَ الْأَشْتَرِ حَتَّى يَظْهَرَ أَوْ يَلْحَقَ بِاللَّهِ فَلَا يَزَالُ الرَّجُلُ مِنَ النَّاسِ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيُقَاتِلُ مَعَهُ

(٤)

٣٤٤

١- قَالَ نَضْرُ وَحَدَّثَنِي عَمْرُو قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو ضِرَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمَّارُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ مَرَّ بِي الْأَشْتَرُ فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى رَجَعُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ بِهِ فَقَامَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ شُدُّوا فِدَا لَكُمْ عَمِّي وَخَالِي شِدَّةً تُرْضُونَ بِهَا اللَّهَ وَتُعْرِزُونَ بِهَا الدِّينَ (٥) إِذَا أَنَا حَمَلْتُ فَأَحْمِلُوا (٦) ثُمَّ نَزَلَ وَضَرَبَ وَجْهَ دَائِبَتِهِ وَقَالَ لِصَاحِبِ رَايْتِهِ أَقْدِمْ فَتَقَدَّمَ (٧) بِهَا ثُمَّ شَدَّ عَلَى الْقَوْمِ وَشَدَّ مَعَهُ أَصْحَابُهُ فَضَرَبَ أَهْلَ الشَّامِ حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى مُعَشَكْرِهِمْ فَقَاتَلُوا عِنْدَ الْمُعَشَكْرِ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَتَلَ صَاحِبَ رَايْتِهِمْ وَأَخَذَ عَلِيٌّ عَ لَمَّا رَأَى الظَّفَرَ قَدْ جَاءَ مِنْ قَبْلِهِ يُمِدُّهُ بِالرَّجَالِ

(٨)

٣٤٥

١- وَرَوَى نَضْرُ عَنْ رِجَالِهِ قَالَ لَمَّا بَلَغَ الْقَوْمُ إِلَيَّ مَا بَلَغُوا إِلَيْهِ قَامَ عَلِيٌّ عَ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ

ص: ٢٠٩

١- (١) القاب: ما بين المقبض و السيه، و القوس: يذكر و مؤنث.

٢- (٢) ساقط من ب، و أثبتته من ا، ج.

٣- (٢) ساقط من ب، و أثبتته من ا، ج.

٤- (٤) وقعه صفيين: «فإذا شدت فشدوا».

٥- (٥) صفيين: «فأقدم بها».

٦- (٥) صفيين: «فأقدم بها».

-٧

-٨

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ بَلَغَ بِكُمْ الْأَمْرَ وَبَعِدُوكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا آخِرُ نَفْسٍ وَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَقْبَلَتْ آخِرُهَا بِأَوْلِهَا وَقَدْ صَبَرَ لَكُمْ الْقَوْمُ عَلَى غَيْرِ دِينٍ حَتَّى بَلَغْنَا مِنْهُمْ مَا بَلَغْنَا وَأَنَا غَادٍ عَلَيْهِمْ بِالْغَدَاةِ أَحَاكِمُهُمْ إِلَى اللَّهِ.

قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَدَعَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَقَالَ يَا عَمْرُو إِنَّمَا هِيَ اللَّيْلَةُ حَتَّى يَغْدُو عَلَيَّ عَلَيْنَا بِالْفَيْصَلِ (١) فَمَا تَرَى.

قَالَ إِنَّ رِجَالَكَ لَا يَقُومُونَ لِرِجَالِهِ وَ لَسْتَ مِثْلَهُ هُوَ يُقَاتِلُكَ عَلَى أَمْرٍ وَأَنْتَ تُقَاتِلُهُ عَلَى غَيْرِهِ أَنْتَ تُرِيدُ الْبَقَاءَ وَ هُوَ يُرِيدُ الْفَنَاءَ وَ أَهْلُ الْعِرَاقِ يَخَافُونَ مِنْكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِمْ وَ أَهْلُ الشَّامِ لَا يَخَافُونَ عَلَيْنَا إِنْ ظَفِرَ بِهِمْ وَ لَكِنْ أَلْقِ إِلَى الْقَوْمِ أَمْرًا إِنْ قَبْلُوهُ اخْتَلَفُوا وَ إِنْ رَدُّوهُ اخْتَلَفُوا اذْعُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ حَكَمًا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ فَإِنَّكَ بَالِغٌ بِهِ حَاجَتِكَ فِي الْقَوْمِ وَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ أُؤَخِّرُ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ قَتِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ.

فَعَرَفَ مُعَاوِيَةَ ذَلِكَ وَ قَالَ لَهُ صَدَقْتَ

(٢)

٣٤٦

١٤، ١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عُمَيْرٍ (٣) الْأَنْصَارِيُّ قَالَ وَ اللَّهُ لَكَأَنِّي أَسْمِعُ عَلَيْنَا يَوْمَ الْهَرِيرِ وَ ذَلِكَ بَعِيدٌ مَا طَحَنَتْ رَحَى مَدْحِجٍ فِيمَا بَيْنَهَا وَ بَيْنَ عَكٍّ وَ لَحْمٍ وَ جُدَامٍ وَ الْأَشْعَرِيِّينَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ تَشِيبُ مِنْهُ النَّوَاصِي حَتَّى (٤) اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ وَ قَامَ قَائِمُ الظُّهْرِ (٥) وَ عَلَيٌّ ع يَقُولُ لِأَصِيحَابِهِ حَتَّى مَتَى نُحَلِّي بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ قَدْ فَنِيَا وَ أَنْتُمْ وَ قُوفٌ تَنْظُرُونَ أَمَا تَخَافُونَ مَقَتَ اللَّهِ ثُمَّ انْقَلَبَ (٦) إِلَى الْقِبْلَةِ وَ رَفَعَ

ص ٢١٠:

١- ١) ب: «بالفصل»، و ما أثبتته من ا، ج.

٢- ٢) وقعه صفين ٥٤٥.

٣- ٣) في الأصول: «نمير»، و صوابه من كتاب صفين.

٤- ٤- ٤) صفين: «من حين استقلت الشمس حتى قام قائم الظهره» و استقلت الشمس: ارتفعت.

٥- ٤- ٤) صفين: «من حين استقلت الشمس حتى قام قائم الظهره» و استقلت الشمس: ارتفعت.

-٦-

يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ نَادَى يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانَ يَا رَحِيمَ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ يَا اللَّهَ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نُقِلَتْ الْأَقْدَامُ وَ
أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ رُفِعَتِ الْأَيْدِي وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَ شَخَصَتِ الْأَنْصَارُ وَ طَلَبَتِ الْحَوَائِجُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَهُ نَبِيِّنَا وَ كَثْرَةَ عَدُوِّنَا
وَ تَشَبُّتَ أَهْوَانِنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (١) سَيُرُوا عَلَيَّ بَرَكَهَ اللَّهِ ثُمَّ نَادَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اللَّهُ أَكْبَرُ
كَلِمَةُ التَّقْوَى .

قَالَ فَلَا وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا سَمِعْنَا رَيْسَ قَوْمٍ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَصَابَ يَدَيْهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَا أَصَابَ
إِنَّهُ قَتَلَ فِيمَا ذَكَرَ الْعَادُّونَ زِيَادَةً عَلَى خَمْسَةِ مِائَةٍ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِ يَخْرُجُ بِسَيْفِهِ مُنْحِنِيًّا يَقُولُ مَعِذْرَةَ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا لَقَدْ
هَمَمْتُ أَنْ أَفْلِقَهُ (٢) وَ لَكِنْ يَحْجُزُنِي عَنْهُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ لَا سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَ لَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ وَ أَنَا أَفَاتِلُ بِهِ
دُونَهُ ص .

قَالَ فَكُنَّا نَأْخُذُهُ فَنَقُومُهُ ثُمَّ يَتَنَاوَلُهُ مِنْ أَيْدِينَا فَيَفْتَحُنَا بِهِ فِي عُرْضِ الصَّفِّ فَلَا وَ اللَّهُ مَا لَيْتَ بِأَشَدِّ نِكَايَةٍ مِنْهُ فِي عَدُوِّهِ ع

(٣)

٣٤٧

١- قَالَ نَصِيرٌ فَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ تَمِيمَ بْنَ حَدِيمٍ يَقُولُ لَمَّا أَصْبَحْنَا مِنْ لَيْلَةِ الْهَرِيرِ نَظَرْنَا فَإِذَا أَشْبَاهُ الرِّيَاطِ
أَمَامَ أَهْلِ الشَّامِ فِي وَسَطِ الْفَيْلَقِ

ص: ٢١١

١- ١) سورة الأعراف ٨٩.

٢- ٢) صفين: «أصقله».

٣- ٣) كتاب صفين ٥٤٥-٥٤٦.

حِيَالٍ مَوْقِفٍ عَلَيَّ وَ مُعَاوِيَةَ فَلَمَّا أَسِيفَرْنَا إِذَا هِيَ الْمَصَاحِفُ قَدْ رُبِطَتْ فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَ هِيَ عِظَامُ مَصَاحِفِ الْعَسْكَرِ وَ قَدْ شَدُّوا ثَلَاثَةَ أَرْمَاحٍ جَمِيعاً وَ رَبَطُوا عَلَيْهَا مُصْحَفَ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ يُمَسِّكُهُ عَشْرَةَ رَهْطٍ .

٣٤٨

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ أَبُو الطُّفَيْلِ اسْتَقْبَلُوا عَلِيًّا بِمَائِهِ مُضِيحٍ وَ وَضَعُوا فِي كُلِّ مُجْتَبِيهِ (١) مَائَتِي مُصْحَفٍ فَكَانَ جَمِيعُهَا خَمْسِمَائِهِ مُصْحَفٍ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ثُمَّ قَالَ الطُّفَيْلُ بْنُ أَدْهَمَ حِيَالٍ عَلِيٍّ ع وَ قَالَ أَبُو شُرَيْحِ الْجَذَامِيُّ حِيَالِ الْمَيْمَنَةِ وَ قَالَ وَرَقَاءُ بْنُ الْمَعَمَّرِ حِيَالِ الْمَيْسَرَةِ ثُمَّ نَادَوْا يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ اللَّهُ اللَّهُ فِي النِّسَاءِ وَ الْبَنَاتِ وَ الْأَبْنَاءِ مِنَ الرُّومِ وَ الْأَنْتَرَاكِ وَ أَهْلِ فَارِسَ عَدَا إِذَا فَنِيْتُمْ اللَّهُ اللَّهُ فِي دِينِكُمْ هَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ .

فَقَالَ عَلِيٌّ ع اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ مَا أَلْكَتَابَ يُرِيدُونَ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكَمُ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ ع فِي الرَّأْيِ فَطَائِفَةٌ قَالَتْ الْقِتَالُ وَ طَائِفَةٌ قَالَتْ الْمُحَاكَمَةُ إِلَى الْكِتَابِ وَ لَا يَجِلُّ لَنَا الْحَرْبُ وَ قَدْ دُعِينَا إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ فَعِنْدَ ذَلِكَ بَطَلَتِ الْحَرْبُ وَ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا

(٢)

٣٤٩

١,٥- قَالَ نَضِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْأَعْظَمُ قَالَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ وَ اللَّهُ لَا نَبْرُحُ الْيَوْمَ الْعَرِضَةَ حَتَّى نَمُوتَ أَوْ يُفْتَحَ لَنَا وَ قَالَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ ع لَا نَبْرُحُ الْيَوْمَ الْعَرِضَةَ حَتَّى نَمُوتَ أَوْ يُفْتَحَ لَنَا فَبَادَرُوا الْقِتَالَ غُدُوَّةً فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الشُّعْرَى (٣) طَوِيلٍ شَدِيدٍ

ص: ٢١٢

١- (١) المجنبه، بكسر النون المشدده: ميمنه الجيش و ميسرته.

٢- (٢) وقعه صفين ٥٤٦-٥٤٧.

٣- (٣) الشعري كوكب نير يقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء، و طلوعه في شدة الحر. (اللسان).

الْحَرَّ فَرَّامُوا حَتَّى فَيَتِ النَّبَالُ وَ تَطَاعَنُوا حَتَّى تَقْصَفَ الرِّمَاحُ ثُمَّ نَزَلَ الْقَوْمُ عَنْ خِيُولِهِمْ وَ مَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَسَدَتْ جُفُونُهُمَا وَ قَامَ الْفُرْسَانُ فِي الرَّكْبِ ثُمَّ اضْطَرَبُوا بِالسُّيُوفِ وَ بَعِمِدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَسْمِعِ السَّامِعُونَ إِلَّا تَغَمُّغَ الْقَوْمِ وَ صَيْلِيلَ الْحَدِيدِ فِي الْهَامِ وَ تَكَادَمَ الْأَفْوَاهِ وَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ وَ ثَارَ الْقِتَامُ وَ ضَلَّتِ الْأَلْوِيَهُ وَ الرَّايَاتُ وَ مَرَّتْ مَوَاقِيْتُ أَرْبَعِ صِلَمَوَاتٍ مَا يُسْجَدُ فِيهِنَّ لِلَّهِ إِلَّا تَكْبِيرًا وَ نَادَتِ الْمَشِيخَةُ فِي تِلْكَ الْعَمَرَاتِ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ اللَّهُ اللَّهُ فِي الْحُرْمَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنَاتِ قَالَ جَابِرٌ فَبَكَى أَبُو جَعْفَرٍ وَ هُوَ يُحَدِّثُنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ

٣٥٠

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ أَقْبَلَ الْأَشْتَرُ عَلَى فَرَسٍ كَمِيَّتٍ مَحْدُوفٍ وَ قَدْ وَضَعَ مِغْفَرَهُ عَلَى قَرْبُوسِ السَّرَجِ وَ هُوَ يُنَادِي اضْبِرُّوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ حَمَى الْوَطِيسُ وَ رَجَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْكُشُوفِ وَ اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَ أَخَذَتِ السَّبَاعُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (١) مَضَتْ وَ اسْتَخَرَ الْقَرَعَاءُ عَنْهَا وَ خُلِيَ بَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَرِيْعُ (٢).

قَالَ يَقُولُ وَاحِدٌ لِصَاحِبِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ أَيُّ رَجُلٍ هَذَا لَوْ كَانَتْ لَهُ بَيْتُهُ فَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ وَ أَيُّ بَيْتِهِ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ تِكَلَّتْكَ أُمَّكَ وَ هَبْلَتْكَ إِنَّ رَجُلًا كَمَا تَرَى قَدْ سَبَّحَ فِي الدَّمِ وَ مَا أَضْجَرْتَهُ الْحَرْبُ وَ قَدْ غَلَّتْ هَامُ الْكُمَاهِ مِنَ الْحَرِّ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ هُوَ كَمَا تَرَاهُ جَزَعًا يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ لِلَّهِمْ لَا تُبْقِنَا بَعْدَ هَذَا.

قُلْتُ لِلَّهِ أَمْ قَامَتْ عَنِ الْأَشْتَرِ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يُقْسِمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا خَلَقَ فِي الْعَرَبِ

ص: ٢١٣

١- ١) هو عمرو بن معدى كرب، من الأصمعيه التي مطلعها: أ من ريحانه الداعي السميع يؤرّقني و أصحابي هجوع و هي في الأصمعيات ١٩٨-٢٠٢ و خزانه الأدب ٤٦٢-٣:٤٦٣.

٢ - ٢) القرعاء: جمع قريع، و هو المغلوب المهزوم. و في الخزانه و الأصمعيات: «الأوغال» جمع و غل و هو الضعيف. و الوريع: الضعيف الذي لا غناء عنده.

وَلَا فِي الْعَجَمِ أَشْجَعٌ مِنْهُ إِلَّا أَسِيْتَاذُهُ عَ لَمَّا خَشِيْتِ عَلَيْهِ الْإِثْمَ وَ لِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ وَ قَدْ سُئِلَ عَنِ الْأَشْتَرِ مَا أَقُولُ فِي رَجُلٍ هَزَمَتْ حَيَاتُهُ
أَهْلَ الشَّامِ وَ هَزَمَ مَوْتُهُ أَهْلَ الْعِرَاقِ .

وَ بِحَقِّ مَا قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع كَانَ الْأَشْتَرُ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ص

(١)

٣٥١

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ رَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ صَعْصَعَةَ قَالَ وَ قَدْ كَانَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ بَدَرَ مِنْهُ قَوْلٌ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ نَقَلَهُ النَّاقِلُونَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَأَعْتَمْتُهُ
وَ بَنَى عَلَيْهِ تَدْبِيرَهُ وَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَشْعَثَ خَطَبَ أَصْحَابَهُ مِنْ كِنْدَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَ اسْتَعِينَهُ وَ أُوْمِنُ بِهِ وَ أَتَوَكَّلُ
عَلَيْهِ وَ اسْتَنْصَرُهُ وَ اسْتَغْفِرُهُ وَ اسْتَجِيرُهُ وَ اسْتَهْدِيهِ وَ اسْتَشِيرُهُ وَ اسْتَشْهَدُ بِهِ فَإِنَّ مِنْ هِدَايِهِ (٢) اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا
هُادِيَ لَهُ وَ اسْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ اسْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص.

ثُمَّ قَالَ قَدْ رَأَيْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَا قَدْ كَانَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا الْمَاضِي وَ مَا قَدْ فَنِيَ فِيهِ مِنَ الْعَرَبِ فَوَ اللَّهُ لَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ السِّنِّ مَا
شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَبْلُغَ فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ قَطُّ إِلَّا فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ إِنَّا نَحْنُ إِنْ تَوَاقَفْنَا غَدًا إِنَّهُ لَفَنَاءُ الْعَرَبِ وَ ضَيْعَةُ الْحُرْمَاتِ
(٣) أَمَّا وَ اللَّهُ مَا أَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ جَزَعًا مِنَ الْحَرْبِ وَ لِكِنِّي رَجُلٌ مُسِنٌّ أَحَافٌ عَلَى النِّسَاءِ وَ الدَّرَارِيِّ غَدًا إِذَا فَنِينَا اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ نَظَرْتُ لِقَوْمِي وَ لِأَهْلِ دِينِي فَلَمْ آلْ وَ لِمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ وَ الرَّأْيُ يُخْطِئُ وَ يُصِيبُ

ص: ٢١٤

١-١ (١) وقعه صفين ٥٤٧-٥٤٩.

٢-٢ (٢) صفين: «من يهد الله».

٣-٣ (٣) في ب: «لفنيت العرب و ضيعت الحرمات» و ما أثبتته عن كتاب صفين.

وَإِذَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا أَمْضَاهُ عَلَى مَا أَحَبَّ الْعِبَادُ أَوْ كَرِهُوا أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَ لَكُمْ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ قَالَ صَعَصَيْعَهُ فَأَنْطَلَقَتْ عُيُونُ مُعَاوِيَةَ إِلَيْهِ بِخُطْبِهِ الْأَشْعَثِ فَقَالَ أَصَابَ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ لَئِنْ نَحْنُ التَّقِينَا غَدًا لَتَمِيلَنَّ عَلَيَّ ذَرَارِيُّ أَهْلِ الشَّامِ وَ نِسَائِهِمْ وَ لَتَمِيلَنَّ فَمَارِسٌ عَلَيَّ ذَرَارِيُّ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ نِسَائِهِمْ إِنَّمَا يُبَصِّرُ هَذَا ذُوو الْأَحْلَامِ وَ النَّهْيُ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ارْبُطُوا الْمَصَاحِفَ عَلَيَّ أَطْرَافِ الْقَنَا.

فَتَارَ أَهْلُ الشَّامِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ يُنَادُونَ عَنْ قَوْلِ مُعَاوِيَةَ وَ أَمْرِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَنْ لِمَذَرَارِينَا إِنْ قَتَلْتُمُونَا وَ مَنْ لِمَذَرَارِيكُمْ إِذَا قَتَلْنَاكُمْ اللَّهُ فِي الْبَقِيَّةِ وَ أَضْيَبُوا وَ قَدْ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ عَلَيَّ رُءُوسِ الرِّمَاحِ وَ قَدْ قَلَّدُوهَا الْخَيْلَ وَ [النَّاسُ عَلَيَّ الرَّايَاتِ قَدْ اشْتَهَوْا مَا دُعُوا إِلَيْهِ]

(١) وَ مُصْحَفُ دِمَشْقِ الْأَعْظَمِ يَحْمِلُهُ عَشْرَةُ رِجَالٍ عَلَيَّ رُءُوسِ الرِّمَاحِ وَ هُمْ يُنَادُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ.

وَ أَقْبَلَ أَبُو الْأَعْمُورِ السُّلَمِيُّ عَلَيَّ بِرُذُونٍ أبيضَ وَ قَدْ وَضَعَ الْمُصْحَفَ عَلَيَّ رَأْسِهِ يُنَادِي يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ.

قَالَ فَجَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِي فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يُصَبِّ مِنَّا عَصِيْبَةٌ إِلَّا وَ قَدْ أُصِيبَ مِنْهُمْ مِثْلُهَا (٢) وَ كُلُّ مَقْرُوحٍ وَ لَكِنَّا أَمْثَلُ بَقِيَّةِ مِنْهُمْ وَ قَدْ جَزَعَ الْقَوْمُ وَ لَيْسَ بَعْدَ الْجَزَعِ إِلَّا مَا نُحِبُّ فَجَازَهُمْ (٣).

وَ قَامَ الْأَشْتَرُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَا خَلْفَ لَهُ مِنْ رِجَالِهِ وَ لَكِنُّ

ص: ٢١٥

١-١) من كتاب صفين.

٢-٢) كتاب صفين: «إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق، فإنه لم يصب...».

٣-٣) في كتاب صفين: «فناجز القوم»، و المناجزة في القتال: المبارزة و المقاتلة؛ و هو أن يتبارز الفارسان فيتمارسا حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه، أو يقتل أحدهما.

بِحَمِيدِ اللَّهِ لَمَكَ الْخَلْفُ وَ لَوْ كَانَ لَهُ مِثْلُ رِجَالِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ صَبْرِكَ وَ لَا نَصِيرِكَ فَاقْرَعِ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ وَ اسْتَعِنُ بِاللَّهِ الْحَمِيدِ.

ثُمَّ قَامَ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا وَ اللَّهُ مَا أَجْبَنَّاكَ وَ لَا نَصِيرْنَاكَ عَلَى الْبَاطِلِ وَ لَا أَجْبَنَّا إِلَّا اللَّهَ وَ لَا طَلَبْنَا إِلَّا الْحَقَّ وَ لَوْ دَعَانَا غَيْرُكَ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ لَأَسْتَشِرِي (١) فِيهِ اللَّجَاجُ وَ طَالَتْ فِيهِ النَّجْوَى وَ قَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ وَ لَيْسَ لَنَا مَعَكَ رَأْيٌ.

فَقَامَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ مُعْضَبًا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا لَكَ الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَمْسٍ وَ لَيْسَ آخِرُ أَمْرِنَا كَأَوَّلِهِ وَ مَا مِنْ الْقَوْمِ أَحَدٌ أَحْنَى عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ لَا- أَوْثَرُ لِأَهْلِ الشَّامِ مِنِّي فَاجِبِ الْقَوْمِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنَّكَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُمْ وَ قَدْ أَحَبَّ النَّاسُ الْبَقَاءَ وَ كَرِهُوا الْفِتَالَ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَ هَذَا أَمْرٌ يُنْظَرُ فِيهِ .

فَتَنَادَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ الْمَوَادِعَةِ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَحَقُّ مِنْ أَجَابِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ لَكِنْ مُعَاوِيَةَ وَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَ ابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَ ابْنُ أَبِي سَيْرٍح وَ ابْنُ مَسْلَمَةَ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَ لَا قُرْآنٍ إِنِّي أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ صَاحِبَتَهُمْ صَ غَارًا وَ رِجَالًا فَكَانُوا شَرَّ صِغَارٍ وَ شَرَّ رِجَالٍ وَ يَحْكُمُ إِنَّهَا كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ إِنَّهُمْ مَا رَفَعُوهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا وَ يَعْمَلُونَ بِهَا وَ لَكِنَّهَا الْخَدِيعَةُ وَ الْوَهْنُ وَ الْمَكِيدَةُ أَعِيرُونِي سَوَاعِدَكُمْ وَ جَمَاجِمَكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ وَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُقْطَعَ دَابِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا.

فَجَاءَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ زُهَاءٌ عِشْرِينَ أَلْفًا مُقْتَعِينَ فِي الْحَدِيدِ شَاكِيَ السَّلَاحِ سُيُوفُهُمْ عَلَى

ص: ٢١٦

عَوَاتِقِهِمْ وَقَدْ اسْوَدَّتْ جِبَاهُهُمْ مِنَ السُّجُودِ يَتَقَدَّمُهُمْ مَسِيرُ بَنِي فَدَكِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ وَعِصَابَةُ مِنَ الْقُرَاءِ الَّذِينَ صَارُوا خَوَارِجَ مِنْ بَعْدِ فَنَادَوْهُ بِاسْمِهِ لَا- يَا مَرَّةَ الْمُؤْمِنِينَ يَا عَلِيُّ أَجِبِ الْقَوْمَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ إِذِ دُعِيَتَ إِلَيْهِ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ كَمَا قَتَلْنَا ابْنَ عَفَّانَ فَوَ اللَّهُ لَنَفَعَلَنَّهَا إِنْ لَمْ تُجِبْهُمْ فَقَالَ لَهُمْ وَيَحْكُمُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ دَعِيَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَأَوَّلُ مَنْ أَحْبَابَ إِلَيْهِ وَ لَيْسَ بِحِلٍّ لِي وَلَا يَسِّرُ عَنِّي فِي دِينِي أَنْ أَدْعِيَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فَلَا- أَقْبَلُهُ إِنِّي إِنَّمَا قَاتَلْتُهُمْ لِيُذِينُوا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوْا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُمْ وَ نَقَضُوا عَهْدَهُ وَ نَبَذُوا كِتَابَهُ وَ لَكِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّكُمْ قَدْ كَادُوكُمْ وَ أَنَّكُمْ لَيْسَ الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ يُرِيدُونَ قَالُوا فَابْعَثْ إِلَى الْأَشْتَرِ لِيَأْتِيَنَّكَ وَ قَدْ كَانَ الْأَشْتَرُ صَبِيحَهُ لَيْلِهِ الْهَرِيرِ أَشْرَفَ عَلَى عَسْكَرِ مُعَاوِيَةَ لِيُدْخِلَهُ

٣٥٢

١- قَالَ نَصْرُ فَحَدَّثَنِي فَضَيْلُ بْنُ [خَدِيجٍ عَنْ رَجُلٍ مِنَ النَّخَعِ]

(١) قَالَ سَأَلَ مُصْعَبُ (٢) إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْأَشْتَرِ (٣) عَنِ الْجِالِ كَيْفَ كَانَتْ فَقَالَ كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَ حِينَ بَعَثَ إِلَى الْأَشْتَرِ لِيَأْتِيَهُ وَ قَدْ كَانَ الْأَشْتَرُ أَشْرَفَ عَلَى مُعْسِكِرِ مُعَاوِيَةَ لِيُدْخِلَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَ يَزِيدُ بْنُ هَانِيٍّ أَنْ ائْتِنِي فَأَتَاهُ فَأَبْلَغَهُ (٤) فَقَالَ الْأَشْتَرُ ائْتِهِ فَقُلْ لَهُ لَيْسَ هَذِهِ بِالسَّاعَةِ الَّتِي يَتَّبِعِي لَكَ أَنْ تُزِيلَنِي عَنْ مَوْقِفِي

ص: ٢١٧

١-١) من كتاب صفين.

٢-٢-٢) ب: «سأل مصعب بن إبراهيم»، و صوابه من ا، ج.

٢-٢-٣) ب: «سأل مصعب بن إبراهيم»، و صوابه من ا، ج.

-٤

إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ (١) الْفَتْحَ فَلَا تُعْجِلْنِي فَرَجَعَ يَزِيدُ بْنُ هَانِيٍّ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَأَخْبَرَهُ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ ائْتَهَى إِلَيْنَا حَتَّى ارْتَفَعَ الرَّهَجُ وَ عَلَتْ الْأَصْوَاتُ مِنْ قَبْلِ الْأَشْتَرِ وَ ظَهَرَتْ دَلَائِلُ الْفَتْحِ وَ النَّصِيرِ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَ دَلَائِلُ الْخِذْلَانِ وَ الْأِدْبَارِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ الْقَوْمُ لِعَلِيِّ وَ اللَّهُ مَا نَرَاكَ أَمْرَتَهُ إِلَّا- بِالْقِتَالِ قَالَ أَرَأَيْتُمُونِي سَارَرْتُ (٢) رَسُولِي إِلَيْهِ أَلَيْسَ إِنَّمَا كَلَّمْتَهُ عَلَى رُءُوسِكُمْ عَلَانِيَةً وَ أَنْتُمْ تَسْتَمْعُونَ قَالُوا فَأَبَعْتُ إِلَيْهِ فَلْيَأْتِكَ وَ إِلَّا فَوَ اللَّهُ اعْتَرَلْنَاكَ فَقَالَ وَيْحَكَ يَا يَزِيدُ قُلْ لَهُ أَقْبِلْ إِلَيَّ فَإِنَّ الْفِتْنَةَ قَدْ وَقَعَتْ فَأَتَاهُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ الْأَشْتَرُ أ بَرِّعَ (٣) هَذِهِ الْمَصَاحِفِ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَمَا وَ اللَّهُ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا حِينَ رُفِعَتْ سَيَتُوقِعُ خِلَافًا وَ فُرْفَهَ إِنَّهَا مَشُورَةٌ إِبْنِ النَّابِغَةِ (٤) ثُمَّ قَالَ لِيَزِيدُ بْنُ هَانِيٍّ وَيْحَكَ أَلَا تَرَى إِلَى الْفَتْحِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا يَلْقَوْنَ أَلَا تَرَى الَّذِي يَصْنَعُ اللَّهُ لَنَا أَيْبَغِي أَنْ نَدَعَ هَذَا وَ نَنْصَرِفَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ أُتِحِبُّ أَنَّكَ ظَفِرْتَ هَاهُنَا وَ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يُفَرِّجُ عَنْهُ وَ يُسَلِّمُ إِلَى عَدُوِّهِ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ لَا وَ اللَّهُ لَا- أَحِبُّ ذَلِكَ قَالَ فَيَأْتِيهِمْ قَدْ قَالُوا لَهُ وَ حَلَفُوا عَلَيْهِ لَتَرْسِلَنَّ إِلَى الْأَشْتَرِ فَلْيَأْتِيَنَّكَ أَوْ لَنَقْتَلَنَّكَ بِأَسْيَافِنَا كَمَا قَتَلْنَا عُثْمَانَ أَوْ لَنَسَلِّمَنَّكَ إِلَى عَدُوِّكَ.

فَأَقْبَلَ الْأَشْتَرُ حَتَّى ائْتَهَى إِلَيْهِمْ فَصَيَّاحَ يَا أَهْلَ الدُّلِّ وَ الْوَهْنِ أ حِينَ عَلَوْتُمْ الْقَوْمَ وَ ظَنُّوا أَنَّكُمْ لَهُمْ قَاهِرُونَ رَفَعُوا (٥) الْمَصَاحِفَ يَدْعُونَكُمْ إِلَى مَا فِيهَا وَ قَدْ وَ اللَّهُ تَرَكُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِيهَا وَ تَرَكُوا سُنَّةَ مَنْ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِ فَلَا تُجِيبُوهُمْ أَمْهَلُونِي فُوقًا (٦) فَإِنِّي

ص: ٢١٨

١- ١) كتاب صفين: «إني قد رجوت الله أن يفتح لي».

٢- ٢) ب: «شاورت»، و صوابه من ا،ج، و كتاب صفين.

٣- ٣) كتاب صفين: «الرفع».

٤- ٤) كتاب صفين: «يعني عمرو بن العاص».

٥- ٥) كذا في الأصول و تاريخ الطبري ٢٧: ٦، و في كتاب صفين: «و رفعوا».

٦- ٦) الفواق: ما بين الحلبتين؛ يقال: انتظرتك فواق ناقة.

قَدْ أَحْسَسْتُ بِالْفَتْحِ قَالُوا لَا نُمَهِّلُكَ قَالَ فَأْمَهِّلُونِي عَدْوَةَ الْفَرَسِ فَإِنِّي قَدْ طَمِعْتُ فِي النَّصْرِ قَالُوا إِذَنْ نَدْخُلُ مَعَكَ فِي خَطِيئَتِكَ.

قَالَ فَحِدْثُونِي عَنْكُمْ وَقَدْ قُتِلَ أَمَاثِلُكُمْ وَبَقِيَ أَرَادِلُكُمْ مَتَى كُنْتُمْ مُحِقِّينَ أَوْ حِينَ كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ أَهْلَ الشَّامِ فَأَنْتُمْ الْآنَ حِينَ أَمْسَيْتُمْ عَنْ قِتَالِهِمْ مُبْطِلُونَ أَمْ أَنْتُمْ الْآنَ فِي إِمْسَاكِكُمْ عَنِ الْقِتَالِ مُحِقُّونَ فَقَتْلَاكُمْ إِذَنْ الَّذِينَ لَا تُنْكِرُونَ فَضْلَهُمْ وَأَنْهُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ فِي النَّارِ قَالُوا دَعْنَا مِنْكَ يَا أَشْتَرُ قَاتِلِنَاهُمْ فِي اللَّهِ وَنَدَعُ قِتَالَهُمْ فِي اللَّهِ إِنَّا لَسِدْنَا نَطِيعُكَ فَاجْتَبَيْنَا فَقَالَ حُدِثْتُمْ وَاللَّهِ فَأَنْخَدَعْتُمْ وَدَعَيْتُمْ إِلَى وَضْعِ الْحَرْبِ فَأَجَبْتُمْ يَا أَصِيحَابَ الْجَبَاةِ الشُّودِ كُنَّا نُنْظِرُ صِيْلَاتِكُمْ زَهَادَةً فِي الدُّنْيَا وَشَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ فَلَا أَرَى فِرَارَكُمْ إِلَّا إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الْمَوْتِ أَلَا فَجُبْحًا يَا أَشْبَاهَ النَّيْبِ (١) الْجَلَالِ مَا أَنْتُمْ بِرَاءِينَ بَعْدَهَا عِزًّا أَبَدًا فَابْعُدُوا كَمَا بَعَدَ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ.

فَسَبُّوهُ وَسَبَّوهُمُ وَضَرَبُوا بِسَيَاطِهِمْ وَجَهَ دَائِبَتِهِ وَضَرَبَ بِسَوْطِهِ وَجُوهَ دَوَابِّهِمْ وَصَاحَ بِهِمْ عَلِيٌّ ع فَكَفُّوا وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ احْمِلِ الصَّفَّ عَلَى الصَّفِّ تُضِرُّعُ الْقَوْمِ فَتَصَايْحُوا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَبِلَ الْحُكُومَةَ وَرَضِيَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَقَالَ الْأَشْتَرُ إِنْ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَبِلَ وَرَضِيَ فَقَدْ رَضِيَتْ بِمَا رَضِيَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأَقْبَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ قَدْ رَضِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَبِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَبِيضُ (٢) بِكَلِمَةٍ مُطْرَقٌ إِلَى الْأَرْضِ.

ثُمَّ قَالَ فَسَيَكَّتِ النَّاسُ كُلَّهُمْ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَمْرِي لَسَمَّ يَزَلُ مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَخَذْتُ مِنْكُمْ الْحَرْبَ وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكَتُ وَأَخَذْتُ مِنْ عَدُوِّكُمْ فَلَمْ تَتْرُكْ وَإِنَّهَا فِيهِمْ أَنْكَى وَأَنْهَكَ أَلَا إِنِّي كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَصِيبِحْتُ الْيَوْمَ

١- (١) النيب. جمع ناب؛ و هي الناقه المسنه.

٢- (٢) لا يبيض بكلمه: لا يتكلم.

مَأْمُورًا وَ كُنْتُ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ مِنْهَيًّا وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ ثُمَّ قَعَدَ.

قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ تَكَلَّمَ رُؤَسَاءُ الْقَبَائِلِ فَكُلُّ قَالٍ مَا يَرَاهُ وَ يَهْوَاهُ إِمَّا مِنَ الْحَرْبِ أَوْ مِنَ السَّلْمِ فَقَامَ كُرْدُوسُ بْنُ هَانِيٍّ الْبُكْرِيُّ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا وَ اللَّهُ مَا تَوَلَّيْنَا مُعَاوِيَةَ مُنْذُ تَبَرَّأْنَا مِنْهُ وَ لَا تَبَرَّأْنَا مِنْ عَلِيٍّ مُنْذُ تَوَلَّيْنَاهُ وَ إِنَّا قَتَلْنَا لَشُهَدَاءَ وَ إِنَّا أَحْيَاءُنَا لِلْبُرَارِ وَ إِنَّا عَلَيْنَا لَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ مَا أَحَدٌ إِلَّا الْإِنْصَافُ فَمَنْ سَلِمَ لَهُ نَجَا وَ مَنْ خَالَفَهُ هَلَكَ ثُمَّ قَامَ شَقِيقُ بْنُ ثَوْرٍ الْبُكْرِيُّ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا دَعَوْنَا أَهْلَ الشَّامِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فَرَدُّوهُ عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُمْ قَدْ دَعَوْنَا الْيَوْمَ إِلَيْهِ (١) فَإِنْ رَدَدْنَا عَلَيْهِمْ حَلَّ لَهُمْ مِنَّا مَا حَلَّ لَنَا مِنْهُمْ وَ لَسَيْنَا نَخَافُ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ رَسُولُهُ إِلَّا- إِنَّ عَلَيْنَا لَيْسَ بِالرَّاجِعِ النَّاكِسِ وَ لَا- الشَّاكِّ الْوَاقِفِ وَ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمْسٍ وَقَدْ أَكَلْنَا هَذِهِ الْحَرْبُ وَ لَا نَرَى الْبَقَاءَ إِلَّا فِي الْمَوَادِعِ (٢).

قَالَ نَضِيرٌ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ لَمَّا أَبْطَأَ عَنْهُمْ عِلْمُ حَالِ أَهْلِ الْعِرَاقِ هَلْ أَجَابُوا إِلَى الْمَوَادِعِ أَمْ لَا جَزِعُوا فَقَالُوا يَا مُعَاوِيَةُ مَا نَرَى أَهْلَ الْعِرَاقِ أَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ فَأَعْدَاهَا جَذَعَهُ (٣) فَإِنَّكَ قَدْ غَمَرْتَ بِدُعَائِكَ الْقَوْمَ وَ أَطْمَعْتَهُمْ فِيكَ.

فَدَعَا مُعَاوِيَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَاَمَرَهُ أَنْ يُكَلِّمَ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَ يَسْتَعْلِمَ لَهُ مَا عِنْدَهُمْ فَأَقْبَلَ حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ نَادَى يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

ص: ٢٢٠

١- ١) كتاب وقعه صفين: «إلى كتاب الله».

٢- ٢) كتاب صفين ٥٦١-٥٦٤، ثم ٥٥٣-٥٥٤، و تاريخ الطبري ٥٧:٦ بسنده عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه.

٣- ٣) أعدها جذعه؛ أي ابدأ بها مره أخرى. و في اللسان: «و إذ طفئت حرب» بين قوم فقال بعضهم: «إن شئتم أعدناها جذعه، أي أول ما يبتدأ منها». و في الأصول «جذعه» و الصواب ما أثبتته من كتاب صفين.

عَمْرُو بْنُ الْعِيَاصِ إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أُمُورٌ لِلدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا (١) فَإِنْ تَكُنْ لِلدِّينِ فَقَدْ وَاللَّهِ أَعُوذُ بِرَبِّكَ وَأَعُوذُ بِرَبِّكَ وَاللَّهِ أَعُوذُ بِرَبِّكَ وَأَعُوذُ بِرَبِّكَ وَإِنْ تَكُنْ لِلدُّنْيَا فَقَدْ وَاللَّهِ أَسِيرُفْنَا وَ أَسِيرُفْتُمْ وَقَدْ دَعَوْنَاكُمْ إِلَى أَمْرٍ لَوْ دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ لَأَجَبْنَاكُمْ فَإِنْ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ الرِّضَا فَذَاكَ مِنَ اللَّهِ فَاعْتَنُوا هَذِهِ الْفُرْصَةَ عَسَى أَنْ يَعْيشَ فِيهَا الْمُحْتَرِفُ (٢) وَ يُنْسَى فِيهَا الْقَتِيلُ فَإِنَّ بَقَاءَ الْمُهْلِكِ بَعْدَ الْهَالِكِ قَلِيلٌ.

فَأَجَابَهُ سَعْدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيُّ فَقَالَ أَمَا بَعِيدُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أُمُورٌ حَامِنَا فِيهَا عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَ سَمَّيْتُمُوهَا غَدْرًا وَ سَرَفًا وَقَدْ دَعَوْتُمُونَا الْيَوْمَ إِلَى مَا قَاتَلْنَاكُمْ عَلَيْهِ أَمْسَ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَرْجِعْ أَهْلُ الْعِرَاقِ إِلَى عِرَاقِهِمْ وَ أَهْلُ الشَّامِ إِلَى شَامِهِمْ بِأَمْرٍ أَجْمَلَ مِنْ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ [فَالْأَمْرُ فِي أَيْدِينَا دُونَكُمْ وَ إِلَّا فَتَنْحُنْ نَحْنُ وَ أَنْتُمْ أَنْتُمْ]

(٣).

فَقَامَ النَّاسُ إِلَى عَلِيِّ ع فَقَالُوا لَهُ (٤) أَجِبِ الْقَوْمَ إِلَى الْمَخَاكِمِ قَالِ وَ نَادَى إِنْسَانٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِشَعْرِ سَمِعَهُ النَّاسُ وَ هُوَ (٥) رُءُوسُ الْعِرَاقِ أَجِيبُوا الدُّعَاءَ

ص: ٢٢١

١- ١) كتاب وقعه صفين: «للدّين و الدنيا».

٢- ٢) في ج: «المحتزق» و في حواشيها: «الحزق، محرکه: الدهش من الخوف».

٣- ٣) تكمله من كتاب صفين.

٤- ٤) في كتاب صفين: «أجب القوم إلى ما دعوناك إليه؛ فإننا قد قبلنا، و نادى إنسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس، و هو».

٥- ٤) في كتاب صفين: «أجب القوم إلى ما دعوناك إليه؛ فإننا قد قبلنا، و نادى إنسان من أهل الشام في سواد الليل بشعر سمعه الناس، و هو».

قَالَ فَأَمَّا الْمُسَوَّدُ مِنْ كِنْدَةَ وَهُوَ الْأَشْعَثُ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْضَ بِالشُّكُوتِ بَلْ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ قَوْلًا فِي إِطْفَاءِ الْحَرْبِ وَ الرَّكُونِ إِلَى الْمَوَادِعِ وَ أَمَّا كَبْشُ الْعِرَاقِ وَ هُوَ الْأَشْتَرُ فَلَمْ يَكُنْ يَرَى إِلَّا الْحَرْبَ وَ لَكِنَّهُ سَيَّكَتَ عَلَيَّ مَضْضٍ وَ أَمَّا سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ فَكَانَ تَارَةً هَكَذَا وَ تَارَةً هَكَذَا

(١)

٣٥٣

١- وَ ذَكَرَ ابْنُ دَيْرِيلٍ (٢) الْهَمْدَانِي فِي كِتَابِ صِفِّينَ قَالَ خَرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَ مَعَهُ لُؤَاءُ مُعَاوِيَةَ فَارْتَجَزَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَيَارِيَةُ بْنُ قُعْدَامَةَ السَّعْدِيُّ فَارْتَجَزَ أَيْضًا مُجِيبًا لَهُ ثُمَّ اطَّعَنَا (٣) فَلَمْ يَصْنَعْنَا شَيْئًا وَ انصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَقْحُمِ يَا ابْنَ سَيْفِ اللَّهِ فَتَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِلِوَائِهِ وَ تَقَدَّمَ أَصِيحَابُهُ فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ ع عَلَيَّ الْأَشْتَرِ فَقَالَ لَهُ قَدْ بَلَغَ لُؤَاءُ مُعَاوِيَةَ حَيْثُ

ص: ٢٢٢

(١-١) تكمله من كتاب صفيين.

(٢-٢) كتاب وقعه صفيين: ٥٥١-٥٥٣.

(٣-٣) ابن ديزيل، هو إبراهيم بن الحسين بن علي بن مهرا بن ديزيل الكسمائي الهمداني، أحد كبار الحفاظ و متكلميهم؛ ذكره ابن حجر في لسان الميزان (١: ٤٩)، وقال: «مات في آخر يوم من شعبان سنة إحدى و ثمانين و مائتين».

تَرَى فِدُونَكَ الْقَوْمَ فَأَخَذَ الْأَشْتَرُ لِيَوَاءِ عَلِيٍّ عَ وَقَالَ (١) إِنِّي أَنَا الْأَشْتَرُ مَعْرُوفُ الشَّتْرِ (٢)

فَضَارَبَ الْقَوْمَ حَتَّى رَدَّهُمْ فَانْتَدَبَ (٣) لَهُ هَمَامُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِيَّ وَكَانَ مَعَ مُعَاوِيَةَ فَشَدَّ عَلَيْهِ فِي مَذْحِجٍ فَانْتَصِرَ عِيدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيَّ لِلْأَشْتَرِ فَحَمَلَ عَلَيْهِ فِي طِيٍّ فَاشْتَدَّ الْقِتَالُ جِدًّا فَدَعَا عَلِيٌّ بِبُعْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَ فَرَكَبَهَا ثُمَّ تَعَصَّبَ بِعِمَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَنَادَى أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ لِلَّهِ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ فَانْتَدَبَ مَعَهُ مَا بَيْنَ عَشْرَةِ آلَافٍ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا فَتَقَدَّمَ هُمْ عَلِيٌّ عَ وَقَالَ دُبُو دَيْبِ النَّمْلِ لَا تَفُوتُوا وَاصْبِحُوا أَمْرَكُمْ أَوْ يَبْتُوا (٤) حَتَّى تَنَالُوا النَّارَ أَوْ تَمُوتُوا.

وَحَمَلَ وَحَمَلَ النَّاسُ كُلُّهُمْ حَمْلَةً وَاحِدَةً فَلَمْ يَبْقَ لِأَهْلِ الشَّامِ صَفٌّ إِلَّا أَزَالُوهُ حَتَّى أَفْضُوا إِلَى مُعَاوِيَةَ فَدَعَا مُعَاوِيَةَ بِفَرَسِهِ لِيَفِرَّ عَلَيْهِ.

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ بَعِيدَ ذَلِكَ يَحْدِثُ فَيَقُولُ لَمَّا وَضَعَتْ رِجْلِي فِي الرِّكَابِ ذَكَرْتُ قَوْلَ عَمْرِو بْنِ الْإِطَنْابِيِّ (٥) أَيُّتَ لِي عِفَّتِي وَ أَبِي بِلَائِي وَ أَخَذِي الْحَمْدَ بِالْتَّمَنِ الرِّيْحِ

ص: ٢٢٣

١- ١) الأبيات ذكرها نصر بن مزاحم في وقعه صفين ٤٥١، والمسعودي في تاريخه ٢: ٣٩٠.

٢- ٢) الشتر: انقلاب جفن العين من أعلى و أسفل و تشنجه.

٣- ٣) رواه المسعودي: *لست من الحي ربيع أو مضر*

٤- ٤) انتدب له: خف له.

٥- ٥) في وقعه صفين ٥٥٩ للمنقري: «و أصبحوا بحربكم»، و فيما يأتي من شرح النهج (٢: ٢٨٤): «و أصبحوا في حربكم».

فَأَخْرَجْتُ رِجْلِي مِنَ الرَّكَابِ وَأَقَمْتُ وَنَظَرْتُ إِلَى عَمْرٍو فَقُلْتُ لَهُ الْيَوْمَ صَبْرٌ وَغَدًا فَخْرٌ فَقَالَ صَدَقْتَ

٣٥٤

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَيْرِيلَ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ أَخَذْتُ بِمَعْرِفَةِ فَرَسِي وَوَضَعْتُ رِجْلِي فِي الرَّكَابِ لِلْهَرَبِ حَتَّى ذَكَرْتُ شِعْرَ ابْنِ الْأَطْنَابِيِّ فَعُدْتُ إِلَى مَقْعَدِي فَأَصَبْتُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ أُصِيبَ خَيْرَ الْآخِرَةِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَيْرِيلَ فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْهَرِيرِ ثُمَّ رُفِعَتِ الْمَصَاحِفُ بَعْدَهُ.

٣٥٥

وَ رَوَى إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ لَهِيْعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ لَقِيطٍ قَالَ شَهِدْنَا صِفِّينَ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ عَلَيْنَا دَمًا عَيْطًا. وَ قَالَ وَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ إِنْ كَانُوا لِيَأْخُذُونَهُ بِالصَّحَافِ وَالْأَنْبِيَةِ وَ فِي حَدِيثِ ابْنِ لَهِيْعَةَ حَتَّى إِنْ الصَّحَافَ وَالْأَنْبِيَةَ لَتَمْتَلِيْ وَ نُهْرِيْقَهَا.

٣٥٦

قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَ رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَمَّنْ حَدَّثَهُ مِمَّنْ حَضَرَ صَفِّينَ أَنَّهُمْ مُطَرُّوا دَمًا عَيْطًا فَتَلَقَّاهُ النَّاسُ بِالْفِصْيَاعِ وَالْأَنْبِيَةِ وَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْهَرِيرِ وَ فَرَعَ أَهْلُ الشَّامِ وَ هَمُّوا أَنْ يَتَفَرَّقُوا فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِيهِمْ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا هَذِهِ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَأَصْلَحْ أَمْرُؤُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ ثُمَّ لَا عَلَيَّ أَنْ يَنْتَطِحَ هَذَانِ الْجَبَلَانِ فَأَخَذُوا فِي الْقِتَالِ.

ص: ٢٢٤

١- قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَرَوَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَكِّيُّ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عَاصِمٍ بْنِ كَلَيْبِ الْحَارِثِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ لَقَدْ حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ قَدْ قُرَّبَ إِلَيْهِ فَرَسًا لَهُ أُتِنِي بَعِيدَةَ الْبَطْنِ مِنَ الْأَرْضِ لِيَهْرَبَ عَلَيْهَا حَتَّى آتَاهُ آتٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ إِنِّي تَرَكْتُ أَصِيحَابَ عَلِيٍّ فِي مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ (١) مِنْ مَنِيٍّ فَاقْتَمْتُ قَالِ فَقُلْنَا لَهُ فَأَخْبَرْنَا مَنْ هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَأَبَى وَقَالَ لَا أَخْبِرُكُمْ مِنْ هُوَ .

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا وَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَلِيٍّ عَ أَمَّا بَعِيدٌ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ طَالَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ وَ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَرَى أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ فِيمَا يَطْلُبُ مِنْ صَاحِبِهِ وَ لَنْ يُعْطَى وَاحِدٌ مَنَا الطَّاعَةَ لِلْآخِرِ وَ قَدْ قُتِلَ فِيمَا بَيْنَنَا بَشَرٌ كَثِيرٌ وَ أَنَا أَتَخَوَّفُ أَنْ يَكُونَ مَا بَقِيَ أَشَدَّ مِمَّا مَضَى وَ إِنَّا سَوْفَ نَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ وَ لَا يُحَاسَبُ [بِهِ]

(٢) غَيْرِي وَ غَيْرِكَ وَ قَدْ دَعَوْتِكَ إِلَى أَمْرٍ لَنَا وَ لَكَ فِيهِ حَيَاةٌ وَ عُذْرٌ وَ بَرَاءَةٌ وَ صِيْلَاحٌ لِلْأُمَّةِ وَ حَقٌّ لِلدِّمَاءِ وَ أُلْفَةٌ لِلدِّينِ وَ ذَهَابٌ لِلصُّغَائِرِ وَ الْفِتْنِ أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ حَكَمَيْنِ مَرْضِيَيْنِ أَحَدُهُمَا مِنْ أَصِيْحَابِي وَ الْآخَرُ مِنْ أَصِيْحَابِكَ فَيَحْكُمَانِ بَيْنَنَا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ خَيْرٌ لِي وَ لِمَكَ وَ أَقْطَعُ لِهَذِهِ الْفِتْنِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا دُعِيَتْ إِلَيْهِ وَ ارْضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ السَّلَامُ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا شَغَلَ بِهِ الْمَرْءَ نَفْسَهُ اتِّبَاعُ مَا حَسَنَ بِهِ (٣) فَعَلَهُ وَ اسْتَوْجَبَ فَضْلَهُ وَ سَلِمَ مِنْ عَيْبِهِ (٤)

١-١) الصدر: اليوم الرابع من أيام منى.

٢-٢) تكمله من وقعه صفين للمنقرى.

٣-٣-٣) وقعه صفين. «ما يحسن به فعله، و يستوجب فضله، و يسلم من عيبه».

٣-٣-٤) وقعه صفين. «ما يحسن به فعله، و يستوجب فضله، و يسلم من عيبه».

وَإِنَّ الْبُغْيَ وَالزُّورَ يُزْرِيَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ فَاحْذِرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَا فَرْحَ فِي شَيْءٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْهَا وَ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مِمَّا قُضِيَ قَوَاتُهُ وَقَدْ رَامَ قَوْمٌ أَمْرًا بَغَيْرِ الْحَقِّ وَ تَأْوَلُوهُ (١) عَلَى اللَّهِ حَيْلٌ وَ عَزَّ فَاحْذِرْهُمْ وَ مَتَّعَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ فَاحْذِرْ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ حَمِدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ وَ يَنْدَمُ فِيهِ مَنْ أَمَّكَنَ الشَّيْطَانُ مِنْ قِيَادِهِ [وَلَمْ يُحَادَّهُ]

(٢) وَ غَرَّتْهُ الدُّنْيَا وَ اطمأنَّ إِلَيْهَا ثُمَّ إِنَّكَ قَدْ دَعَوْتَنِي إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَ لَا حُكْمَهُ تُرِيدُ وَ اللَّهُ الْمُسْتَبْعَانُ فَقَدْ أَجَبْنَا الْقُرْآنَ إِلَى حُكْمِهِ وَ لَسِينَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا وَ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (٣) فَكَتَبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَلِيٍّ عَ أَمَّا بَعِيدُ عَافَانَا اللَّهُ وَ إِيَّاكَ فَقَدْ آَنَ لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى مَا فِيهِ صِدَاحًا وَ أُلْفَةً بَيْنَنَا وَ قَدْ فَعَلْتَ الَّذِي فَعَلْتَ وَ أَنَا أَعْرِفُ حَقِّي وَ لِكِنِّي اشْتَرَيْتُ بِالْعَفْوِ صِدَاحَ الْأُمَّةِ وَ لَمْ أَكْثِرْ فَرْحًا بِشَيْءٍ جَاءَ وَ لَا ذَهَبَ وَ إِنَّمَا أَدْخَلَنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ الْقِيَامَ بِالْحَقِّ فِيمَا بَيْنَ الْبَاغِي وَ الْمُبْغِي عَلَيْهِ وَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَدَعَوْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ فِيمَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْمَعُنَا وَ إِيَّاكَ إِلَّا هُوَ نُحْيِي مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ وَ نُمِيتُ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ وَ السَّلَامُ (٤) .

قَالَ نَصْرٌ فَكَتَبَ عَلِيٌّ عَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَعْظُمُهُ وَ يُرْشِدُهُ

ص: ٢٢٦

١-١) وقعه صفين: «فتأولوا على الله».

٢-٢) تكمله من وقعه صفين للمنقرى.

٣-٣) وقعه صفين للمنقرى ٥٦٥-٥٦٦.

٤-٤) وقعه صفين للمنقرى ٥٧٠.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا وَ لَنْ يُصَيِّبَ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا يَزِيدُهُ فِيهَا رَغْبَةً وَ لَنْ يَسْتَعْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ عَمَّا لَمْ يَبْلُغْ (١) وَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَ السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ فَلَا تُحِيطُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَجْرَكَ وَ لَا تُجَارَ مُعَاوِيَةَ فِي بَاطِلِهِ وَ السَّلَامُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُو الْجَوَابِ أَمَّا بَعْدُ أَقُولُ فَالَّذِي (٢) فِيهِ صِيَالِحُنَا وَ الْفِتْنَةُ الْإِنَابَةُ إِلَى الْحَقِّ وَ قَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ بَيْنَنَا وَ أَحَبَّنَا إِلَيْهِ فَصَبِّرِ الرَّجُلُ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَى مَا حَكَمَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَ عَذَرَهُ النَّاسُ بَعْدَ الْمُحَاجَزَةِ وَ السَّلَامُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ عَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الَّذِي أَعْجَبَكَ مِنَ الدُّنْيَا مِمَّا نَارَعْتَكَ إِلَيْهِ نَفْسُكَ وَ وَثِقْتَ بِهِ مِنْهَا لِمُنْقَلَبِ عَنكَ وَ مُفَارِقِ لَكَ فَلَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا فَإِنَّهَا عَرَّازَةٌ وَ لَوْ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى لَحَفِظْتَ مَا بَقِيَ وَ انْتَفَعْتَ مِنْهَا بِمَا وُعِظْتَ بِهِ وَ السَّلَامُ (٣) فَأَجَابَهُ عَمْرُو أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْصَفَ مَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ إِمَامًا وَ دَعَا النَّاسَ إِلَى أَحْكَامِهِ فَاصْبِرْ أَبَا حَسَنِ فَإِنَّا غَيْرُ مُنْبِلِيكَ إِلَّا مَا أَنَا لَكَ الْقُرْآنُ وَ السَّلَامُ..

٣٥٩

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ جَاءَ الْأَشْعَثُ إِلَى عَلِيِّ عَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَرَى النَّاسَ إِلَّا قَدْ رَضُوا وَ سَرَّهُمْ أَنْ يُجِيبُوا الْقَوْمَ إِلَى مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حُكْمِ الْقُرْآنِ

ص: ٢٢٧

١- ١) وقعه صفين: «لم يبلغه».

٢- ٢) وقعه صفين: «فإن ما فيه صلاحنا».

٣- ٣) وقعه صفين للمنقرى ٥٧٠-٥٧١.

فَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتُ مُعَاوِيَةَ فَسَأَلْتُهُ مَا يُرِيدُ وَنَظَرْتُ مَا الَّذِي يَسْأَلُ قَالَ فَاتِهِ إِنْ شِئْتَ فَآتَاهُ فَسَأَلَهُ يَا مُعَاوِيَةَ لَأَيِّ شَيْءٍ رَفَعْتُمْ هَٰذِهِ الْمَصِيحَةَ قَالَ لِنَزْجِ نَحْنُ وَ أَنْتُمْ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِيهَا (١) فَابْتَعْتُمَا رَجُلًا مِنْكُمْ تَرْضَوْنَ بِهِ وَ نَبَعْتُ مِنْ رَجُلًا وَ نَأْخُذُ عَلَيْهِمَا أَنْ يَعْمَلَا بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَ لَا يَعْدُوَانِهِ ثُمَّ نَتَّبِعُ مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ فَقَالَ الْأَشْعَثُ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ.

وَ انصَبَ رَفَ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَخَابَرَهُ فَبَعَثَ عَلِيٌّ عَ قُرَاءَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ بَعَثَ مُعَاوِيَةَ قُرَاءَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَاجْتَمَعُوا بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَ مَعَهُمُ الْمُصَيِّحُ فَنَظَرُوا فِيهِ وَ تَدَارَسُوا (٢) وَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُحْيُوا مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ وَ يُمَيِّتُوا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ وَ رَجَعَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ أَهْلُ الشَّامِ إِنَّا قَدْ رَضِينَا وَ اخْتَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَ قَالَ الْأَشْعَثُ وَ الْقُرَاءُ الَّذِينَ صَارُوا حَوَارِجَ فِيمَا بَعُدَ قَدْ رَضِينَا نَحْنُ وَ اخْتَرْنَا أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ عَ فَإِنِّي لَا أَرْضَى بِأَبِي مُوسَى وَ لَا أَرَى أَنْ أُولِيَهُ فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَ زَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ وَ مَسِيرَةُ بْنُ مَدَكَيٍّْ فِي عَصِيَابِهِ مِنَ الْقُرَاءِ إِنَّا لَا نَرْضَى إِلَّا بِهِ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ حِدْرَنَا مَا وَقَعْنَا فِيهِ فَقَالَ عَلِيٌّ عَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي بِرِضًا وَ قَدْ فَارَقَنِي وَ خَذَلَ النَّاسَ عَنِّي وَ هَرَبَ مِنِّي حَتَّى أَمْتُهُ بَعْدَ أَشْهُرٍ وَ لَكِنْ هَٰذَا ابْنُ عَبَّاسٍ أُولِيَهُ ذَلِكَ قَالُوا وَ اللَّهُ مَا تُبَالِي أَ كُنْتَ أَنْتَ أَوْ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ لَا تُرِيدُ إِلَّا رَجُلًا هُوَ مِنْكَ وَ مِنْ مُعَاوِيَةَ سِوَاءَ لَيْسَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْكُمْ بِأَذْنِي مِنَ الْآخِرِ قَالَ عَلِيٌّ عَ فَإِنِّي أَجْعَلُ الْأَشْطَرَّ فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَ هَيْلَ سِعْرِ الْمَارِضِ عَلَيْنَا إِلَّا الْأَشْطَرُّ وَ هَلْ نَحْنُ إِلَّا فِي حُكْمِ الْأَشْطَرِّ قَالَ عَلِيٌّ عَ وَ مَا حُكْمُهُ قَالَ حُكْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بَعْضُنَا بَعْضًا بِالسَّيْفِ حَتَّى يَكُونَ مَا أَرَدْتَ وَ مَا أَرَادَ

(٣)

ص: ٢٢٨

١-١) وقعه صفين: «في كتابه».

٢-٢) صفين: «و تدارسوه».

٣-٣) وقعه صفين للمنقرى ٥٧٢.

١٤، ١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا أَرَادَ النَّاسُ عَلَيْنًا أَنْ يَضَعَ الْحَكَمَيْنِ قَالَ لَهُمْ إِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ لِيَضَعَ لِهَذَا الْأَمْرِ أَحَدًا هُوَ أَوْثَقُ بِرَأْيِهِ وَ نَظَرِهِ مِنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَ إِنَّهُ لَا يَصِلُحُ لِلْقُرَشِيِّ إِلَّا مِنْهُ فَعَلَيْكُمْ بِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ فَأَرْمُوهُ بِهِ فَإِنَّ عَمْرًا لَا يَعْقِدُ عُقْدَةَ إِلَّا حَلَّهَا عَبْدُ اللَّهِ وَ لَا يَحِلُّ عُقْدَةَ إِلَّا عَقَدَهَا وَ لَا يُبْرِمُ أَمْرًا إِلَّا نَقَضَهُ وَ لَا يَنْقُضُ أَمْرًا إِلَّا- أَبْرَمَهُ فَقَالَ الْأَشْعَثُ لَا وَ اللَّهُ لَا يَحْكُمُ فِيْنَا مُضَرِيَّانِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ وَ لَكِنْ اجْعَلْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ إِذْ جَعَلُوا رَجُلًا مِنْ مُضَرَ فَقَالَ عَلِيٌّ عِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُخْدَعَ يَمَيْتِكُمْ فَإِنَّ عَمْرًا لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِذَا كَانَ لَهُ فِي أَمْرِ هَوَى فَقَالَ الْأَشْعَثُ وَ اللَّهُ لَأَنْ يَحْكُمَا بِنَعْضِ مَا نَكَرَهُ وَ أَحَدُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ مَا نُحِبُّ فِي حُكْمِهِمَا وَ هُمَا مُضَرِيَّانِ.

قَالَ وَ ذَكَرَ الشَّعْبِيُّ أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ (١).

قَالَ نَصِيرٌ فَقَالَ عَلِيٌّ عِ قَدْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَبَا مُوسَى قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَاصْبِرُوا مَا شِئْتُمْ فَبَعَثُوا إِلَى أَبِي مُوسَى وَ هُوَ بِأَرْضٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ يُقَالُ لَهَا عَرْضٌ (٢) قَدْ اعْتَرَلَ الْقِتَالَ فَاتَاهُ مَوْلَى لَهُ فَقَالَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ اصْطَلَحُوا فَقَالَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ وَ قَدْ جَعَلُوكَ حَكَمًا فَقَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

فَجَاءَ أَبُو مُوسَى حَتَّى دَخَلَ عَشْرَكَ عَلِيٌّ عِ وَ جَاءَ الْأَشْثَرُ عَلَيْنًا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْزِنِي (٣) بِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَنْ مَلَأْتُ عَيْنِي مِنْهُ لَأَقْتَلَنَّهُ

ص: ٢٢٩

١- ١) وقعه صفين للمنقرى ٥٧٣.

٢- ٢) عرض: بلد بين تدمر و رصافه الشام.

٣- ٣) ألزه به: ألزمه إياه.

وَ جَاءَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلِيًّا فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ رُميتَ بِحَجَرٍ (١) الْأَرْضِ وَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أَنْفَ (٢) الْإِسْلَامِ وَ إِنِّي قَدْ عَجَمْتُ هَذَا الرَّجُلَ يَعْنِي أَبَا مُوسَى وَ حَلَبْتُ أَشْطَرَهُ فَوَجَدْتُهُ كَلِيلَ الشَّفَرِ قَرِيبَ الْقَعْرِ وَ إِنَّهُ لَا يَضِيحُ لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا رَجُلٌ يَدْنُو مِنْهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي أَكْفِهِمْ وَ يَتَبَاعَدُ مِنْهُمْ حَتَّى يَكُونَ بِمَنْزِلَةِ النَّجْمِ مِنْهُمْ (٣) فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْعَلَنِي حَكَمًا فَاجْعَلْنِي وَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْعَلَنِي ثَانِيًا أَوْ ثَالِثًا (٤) فَإِنَّ عَمْرًا لَا يَعْقِدُ عُقْدَهُ إِلَّا حَلَلْتُهَا وَ لَا يَحِلُّ عُقْدَهُ إِلَّا عَقَدْتُ لَكَ أَشَدَّ مِنْهَا.

فَعَرَضَ عَلَيَّ عَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ فَأَبَوْهُ وَ قَالُوا لَا يَكُونُ إِلَّا أَبَا مُوسَى (٥).

فَقَالَ نَصِيرٌ مِمَّا لَمْ أَخْنَفُ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي خَيْرْتُكَ يَوْمَ الْجَمَلِ أَنْ آتِيكَ فِيمَنْ أَطَاعَنِي أَوْ أَكْفَّ عَنْكَ بَنِي سَعِيدٍ فَقُلْتُ كَفَّ قَوْمَكَ فَكَفَى بِكَفِّكَ نَصِيرًا فَأَقَمْتُ بِأَمْرِكَ وَ إِنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ (٦) رَجُلٌ قَدْ حَلَبْتُ أَشْطَرَهُ فَوَجَدْتُهُ قَرِيبَ الْقَعْرِ كَلِيلَ الْمِيدِيَّةِ وَ هُوَ رَجُلٌ يَمَانٍ وَ قَوْمُهُ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَ قَدْ رُميتَ بِحَجَرِ الْأَرْضِ وَ بِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ إِنْ صَاحَبَ الْقَوْمَ مَنْ يَنَائِي حَتَّى يَكُونَ مَعَ النَّجْمِ وَ يَدْنُو حَتَّى يَكُونَ فِي أَكْفِهِمْ فَابْعَثْنِي فَوَاللَّهِ لَا يَحِلُّ عَنْكَ عُقْدَهُ إِلَّا عَقَدْتُ لَكَ أَشَدَّ مِنْهَا فَإِنْ قُلْتَ إِنِّي لَسْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ فَابْعَثْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَ ابْعَثْنِي مَعَهُ.

ص: ٢٣٠

١-١) في اللسان ٥:٢٣٧: (و يقال: رمى فلان بحجر الأرض؛ إذا رمى بداهيه من الرجال؛ و في حديث الأحنف بن قيس: أنه قال لعلي حين سمى معاوية أحد الحكمين عمرو بن العاص: إنك قد رميت بحجر الأرض...).

٢-٢) أنف كل شيء: أوله؛ يقال: سار في أنف النهار؛ أي أوله.

٣-٣-٣) وقعه صفين: (فإن تجعلني حكما فاجعلني، و إن أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانيا أو ثالثا).

٤-٣-٣) وقعه صفين: (فإن تجعلني حكما فاجعلني، و إن أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانيا أو ثالثا).

٥-٥) عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري.

-٦-

فَقَالَ عَلِيُّ ع إِنَّ الْقَوْمَ أَتَوْنِي بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ مُبْرَنْسًا فَقَالُوا ابْعَثْ هَذَا رَضِينَا بِهِ وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ (١).

قَالَ نَضِيرٌ وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ قَامَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ وَافِدٌ أَهْلِ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَصَاحِبُ مَقَاسِمِ أَبِي بَكْرٍ (٢) وَعَامِلُ عُمَرَ وَقَدْ رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ وَعَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ابْنَ عَبَّاسٍ فَرَزَعُمَا أَنَّهُ قَرِيبُ الْقَرَابَةِ مِنْكَ ظُنُونٌ (٣) فِي أَمْرِكَ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَ الشَّامِ فَبَعَثَ أَيْمَنَ بْنَ خَزِيمِ الْأَسَدِيِّ وَكَانَ مُعْتَزِلًا لِمُعَاوِيَةَ بِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ وَكَانَ هَوَاهُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يُعْصَمُونَ بِهِ

فَلَمَّا بَلَغَ النَّاسَ هَذَا الشُّعْرَ طَارَتْ أَهْوَاءُ قَوْمٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ عَلِيٍّ ع وَشِيعَتِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْتِ الْقُرَاءِ إِلَّا أَبَا مُوسَى (٤).

ص: ٢٣١

١-١) وقعه صفين ٥٧٥.

٢-٢) صاحب المقاسم: الذي يتولى أمر قسمه المغانم ونحوها.

٣-٣) الظنون: المتهم، كالظنين.

٤-٤) وقعه صفين والمسعودي ٢:٤١٠: «لم يدر ما ضرب أحماس».

قَالَ نَصِيرٌ وَكَانَ أَيُّمُنُ بْنُ خَزِيمٍ رَجُلًا عَابِدًا مُجْتَهِدًا وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةَ جَعَلَ لَهُ فِلْسِيَّطِينَ عَلَى أَنْ يُتَابِعَهُ وَيُشَايِعَهُ عَلَى قِتَالِ عَلِيٍّ ع فَقَالَ أَيُّمُنُ وَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ وَكَسَتْ مُقَاتِلًا رَجُلًا يُصَلِّي

قَالَ نَصِيرٌ فَلَمَّا رَضِيَ أَهْلُ الشَّامِ بِعَمْرٍو وَ أَهْلُ الْعِرَاقِ بِأَبِي مُوسَى أَخَذُوا فِي سَطْرِ كِتَابِ الْمَوَادِعِ وَ كَانَتْ صُورَتُهُ هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بِئْسَ الرَّجُلُ أَنَا إِنْ أَقْرَزْتُ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ قَاتَلْتَهُ وَ قَالَ عَمْرٍو بَلْ نَكُتُبُ اسْمَهُ وَ اسْمَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ أَمِيرُكُمْ فَأَمَّا أَمِيرُنَا فَلَا فَلَمَّا أُعِيدَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ أَمَرَ بِمَحْوِهِ فَقَالَ الْأَخْنَفُ لَا تَمِحْ اسْمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ فَإِنِّي أَتَخَوَّفُ إِنْ مَحَوْتَهَا أَلَّا تَرْجِعَ إِلَيْكَ أَبَدًا فَلَا تَمَحُهَا فَقَالَ عَلِيٌّ ع إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَيَوْمِ الْحُدَيْبِيَةِ حِينَ كَتَبَ الْكِتَابَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص هَذَا مَا صَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سِيَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ سِيَهَيْلُ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلَكَ وَ لَمْ أَخَالَفَكَ إِنِّي إِذَا لَطَمْتُ لِمَكَ إِنْ مَنَعْتَكَ أَنْ تَطُوفَ بِنَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَ أَنْتَ رَسُولُهُ وَ لَكِنْ اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ص يَا عَلِيُّ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَ لَنْ يَمْحُوَ عَنِّي الرَّسَالَةَ كِتَابِي لَهُمْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَاكْتُبْهَا وَ امْحُ مَا أَرَادَ مَحْوَهُ أَمَا إِنْ لَكَ مِثْلَهَا سَيُعْطِيهَا وَ أَنْتَ مُضْطَهَدٌ قَالَ نَصِيرٌ وَ قَدْ رَوَى أَنَّ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ عَادَ بِالْكِتَابِ إِلَى عَلِيٍّ ع فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ إِمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَصَّ عَلَيْهِ وَ عَلَى مَنْ حَضَرَ قِصَّةَ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ

قَالَ إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ أَنَا كَتَبْتُهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَوْمَ أَكْتُبُهُ إِلَىٰ آبَائِهِمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص كَتَبَهُ إِلَىٰ آبَائِهِمْ شَبَهَا (١) وَ مَثَلًا فَقَالَ عَمْرُو سُبْحَانَ اللَّهِ أَ تُشَبِّهُنَا (٢) بِالْكَفَّارِ وَ نَحْنُ مُسْلِمُونَ فَقَالَ عَلِيُّ ع يَا ابْنَ النَّبِغَةِ وَ مَتَى لَمْ تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ وَايًّا وَ لِلْمُسْلِمِينَ عِدُوًّا فَقَامَ عَمْرُو وَ قَالَ وَ اللَّهُ لَا- يَجْمَعُ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ مَجْلِسٌ بَعْدَ الْيَوْمِ فَقَالَ عَلِيُّ أَمَّا وَ اللَّهُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ عَلَيَّ أَصْحَابِكَ.

وَ جَاءَتْ عِصَابَةُ قَدْ وَضَعَتْ سُيُوفَهَا عَلَىٰ عَوَاتِقِهَا فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُرْنَا بِمَا شِئْتَ فَقَالَ لَهُمْ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهَمُوا رَأْيَكُمْ فَلَقَدْ شَهِدْنَا صَلَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ص يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَ لَوْ نَرَىٰ قِتَالًا لَقَاتَلْنَا (٣).

وَ زَادَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَيْزِيلَ لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ يَغْنَى الْحُدَيْبِيَّةَ وَ لَوْ أَشِيطُوعُ أَنْ أُرَدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ص لَرَدَدْتُهُ ثُمَّ لَمْ نَرِ فِي ذَلِكَ الصُّلْحِ إِلَّا خَيْرًا

٣٤١

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ قَدْ رَوَى أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ قَرَأْتُ كِتَابَ الصُّلْحِ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ فِي صَاحِبِهِ صَ فَرَأَ عَلَيْهِ خَاتَمَانِ خَاتَمٍ مِنْ أَسْفَلِهَا وَ خَاتَمٍ مِنْ أَعْلَاهَا عَلَىٰ خَاتَمِ عَلِيِّ ع مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ عَلَىٰ خَاتَمِ مُعَاوِيَةَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ قِيلَ لِعَلِيِّ ع حِينَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ الْكِتَابَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَ أَهْلِ الشَّامِ أَ تَقْرَأُ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فَقَالَ عَلِيُّ ع مَا أُقْرَأُ لِمُعَاوِيَةَ وَ لَا لِأَصْحَابِهِ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَ لَا مُسْلِمُونَ وَ لَكِنْ يَكْتُبُ مُعَاوِيَةَ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ وَ يُقْرَأُ بِمَا شَاءَ لِنَفْسِهِ وَ لِأَصْحَابِهِ وَ يُسَمَّى نَفْسَهُ بِمَا شَاءَ وَ أَصْحَابَهُ فَكُتِبُوا هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَاضَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

ص: ٢٣٣

(١- ١) وقعه صفين: «سنه و مثلاً».

(٢- ٢) صفين: «شبهتا بالكفار و نحن مؤمنون»!

(٣- ٣) كتاب صفين ٥٨٢-٥٨٣.

عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ شِيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ قَاضِيَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ شِيعَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّا نَنْزِلُ عِنْدَ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَ كِتَابِهِ وَ لَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا إِيَّاهُ وَ إِنَّا كِتَابُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى بَيْنَنَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ نُحْيِي مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ وَ نُمِيتُ مَا أَمَاتَ الْقُرْآنَ فَإِنَّ وَحْدَ الْحَكَمَانِ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبِعَاهُ وَ إِنَّا لَمْ يَجِدَاهُ أَخَذَا بِالسُّنَنِ الْعَادِلَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ وَ الْحَكَمَانِ عِنْدَ اللَّهِ بْنِ فَيْسٍ وَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَ قَدْ أَخَذَ الْحَكَمَانِ مِنْ عَلِيٍّ وَ مُعَاوِيَةَ وَ مِنَ الْجُنْدَيْنِ أَنَّهُمَا آمَنَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا وَ أَمْوَالِهِمَا وَ أَهْلِهِمَا وَ الْأُمَّةَ لَهُمَا أَنْصَارٌ وَ عَلَى الَّذِي يَقْضِي بَيْنَ عَلِيٍّ وَ عَلِيٍّ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ عَهْدَ اللَّهِ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا يَقْضِيَانِ عَلَيْهِ مِمَّا وَافَقَ الْكِتَابَ وَ السُّنَنَةَ وَ إِنَّا الْأَمْنُ وَ الْمُوَادَعَةَ وَ وَضَعَ السَّلَاحَ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى أَنْ يَقَعَ الْحُكْمُ وَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَكَمَيْنِ عَهْدُ اللَّهِ لِيُحْكَمَنَّ بَيْنَ الْأُمَّةِ بِالْحَقِّ لَا بِالْهَوَى وَ أَجَلُ الْمُوَادَعَةِ سِنَةٌ كَامِلَةٌ فَإِنَّ أَحَبَّ الْحَكَمَانِ أَنْ يُعْجَلَ الْحُكْمَ عَجَلًا وَ إِنَّا تُوفِّيَ أَحَدُهُمَا فَلَا مِيرَ شِيعَتِهِ أَنْ يَخْتَارَ مَكَانَهُ رَجُلًا لَا يَأْلُو الْحَقَّ وَ الْعَدْلَ وَ إِنَّا تُوفِّيَ أَحَدَ الْأَمِيرَيْنِ كَانَ نَضَبٌ غَيْرِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ مِمَّنْ يَرْضُونَ أَمْرَهُ وَ يَحْمَدُونَ طَرِيقَتَهُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَنْصِرُكَ عَلَى مَنْ تَرَكَ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَ أَرَادَ فِيهَا الْإِحَادًا وَ ظُلْمًا.

قَالَ نَصْرٌ هَذِهِ رِوَايَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَ الشَّعْبِيِّ

٣٦٢

١- وَ رَوَى جَابِرٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ زِيَادَاتٍ عَلَى هَذِهِ النُّسَخَةِ هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَ شِيعَتُهُمَا فِيمَا تَرَاضِيَا بِهِ مِنَ الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَنِ رَسُولِهِ قَضِيَّتُهُ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِهِ مِنْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ وَ قَضِيَّتُهُ مُعَاوِيَةَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَ مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِهِ مِنْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ إِنَّا رَضِينَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَ حُكْمِ الْقُرْآنِ فِيمَا حَكَمَ وَ أَنْ نَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ فَإِنَّهُ لَا يَجْمَعُ بَيْنَنَا إِلَّا ذَلِكَ وَ إِنَّا جَعَلْنَا كِتَابَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَكْمًا بَيْنَنَا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى

ص: ٢٣٤

خَاتِمَتِهِ نُحِبِّي مَا أَحْيَا الْقُرْآنَ وَ نُمِيتُ مَا أَمَاتَهُ عَلَى ذَلِكَ تَقَاضَيْنَا وَ بِهِ تَرَاضَيْنَا وَ إِنَّ عَلَيْنَا وَ شِيعَتَهُ رَضُوا أَنْ يَبْعَثُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ نَاطِرًا وَ مُحَاكِمًا وَ رَضِيَ مُعَاوِيَةُ وَ شِيعَتُهُ أَنْ يَبْعَثُوا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ نَاطِرًا وَ مُحَاكِمًا عَلَى أَنَّهُمْ أَخَذُوا عَلَيْهِمَا عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ وَ أَعْظَمَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ لِيَتَّخِذَانَ الْكِتَابِ إِمَامًا فِيمَا بَعَثَا إِلَيْهِ لَا يَغْدُوَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ مَا وَجَدَاهُ فِيهِ مَسْطُورًا وَ مَا لَمْ يَجِدَاهُ مُسَيَّمِي فِي الْكِتَابِ رَدَّاهُ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص الْجَامِعَةَ لَا يَتَّعَمِدَانِ لَهَا خِلَافًا وَ لَا يَتَّبِعَانِ هَوَى وَ لَا يَدْخُلَانِ فِي شُبُهَةٍ وَ قَدْ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ وَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى عَلِيٍّ وَ مُعَاوِيَةَ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ بِالرِّضَا بِمَا حَكَمَا بِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ وَ لَيْسَ لَهُمَا أَنْ يَنْقُضَا ذَلِكَ وَ لَا يُخَالِفَاهُ إِلَى غَيْرِهِ وَ أَنَّهُمَا آمِنَانِ فِي حُكْمِهِمَا عَلَى دِمَائِهِمَا وَ أَمْوَالِهِمَا وَ أَهْلِهِمَا مَا لَمْ يَغْدُوا الْحَقَّ رَضِيَ بِذَلِكَ رَاضٍ أَوْ أَنْكَرَهُ مُنْكَرٌ وَ أَنَّ الْأُمَّةَ أَنْصَارٌ لَهُمَا عَلَى مَا قَضَى بِأَيْدِيهِ مِنَ الْعَدْلِ فَإِنْ تَوَفَّى أَحَدُ الْحَكَمَيْنِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحُكُومَةِ فَأَمِيرُ شِيعَتِهِ وَ أَصْحَابِهِ يَخْتَارُونَ مَكَانَهُ رَجُلًا لَا يَأْلُونَ عَنْ أَهْلِ الْمَعْدِلَةِ وَ الْإِقْسَاطِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ مِنَ الْعَهْدِ وَ الْمِيثَاقِ وَ الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَ لَهُ مِثْلُ شَرْطِ صَاحِبِهِ وَ إِنْ مَاتَ أَحَدُ الْأَمِيرَيْنِ قَبْلَ انْقِضَاءِ فَلِشِيعَتِهِ أَنْ يُوَلُّوا مَكَانَهُ رَجُلًا يَرْضُونَ عَدْلَهُ وَ قَدِّمَتْ هَذِهِ الْقَضِيَّةُ وَ مَعَهَا الْأَمْنُ وَ التَّفَاوُضُ وَ وَضْعُ السَّلَاحِ وَ السَّلَامُ وَ الْمَوَادَعَةُ وَ عَلَى الْحَكَمَيْنِ عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ أَلَّا يَأْلُوا اجْتِهَادًا وَ لَا يَتَّعَمِدَا جَوْرًا وَ لَا يَدْخُلَا فِي شُبُهَةٍ وَ لَا يَغْدُوا حُكْمَ الْكِتَابِ فَإِنْ لَمْ يَقْبَلَا بَرِئَتِ الْأُمَّةُ مِنْ حُكْمِهِمَا وَ لَا عَهْدَ لَهُمَا وَ لَا ذِمَّةَ وَ قَدْ وَجِبَتْ الْقَضِيَّةُ عَلَيْهِ عَلَى مَا قَدْ سَمِعِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ مَوَاقِعِ الشُّرُوطِ عَلَى الْحَكَمَيْنِ وَ الْأَمِيرَيْنِ وَ الْفَرِيقَيْنِ وَ اللَّهُ أَقْرَبُ شَهِيدًا وَ أَدْنَى حَفِيفًا وَ النَّاسُ آمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ أَهْلِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى انْقِضَاءِ مُدَّةِ الْأَجْلِ وَ السَّلَاحِ مَوْضُوعٍ وَ السُّبُلِ مُخَلَّاهُ وَ الشَّاهِدُ وَ الْغَائِبُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ سِوَاءٍ فِي الْأَمْنِ وَ لِلْحَكَمَيْنِ أَنْ يَنْزِلَا - مَنْزِلًا عَدْلًا بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ الشَّامِ لَا يَحْضُرُهُمَا فِيهِ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ عَنْ مَلَأٍ مِنْهُمَا وَ تَرَاضٍ

وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَجْلَوْا هَذَيْنِ الْقَاضِيَيْنِ إِلَى أَنْسِلَاحِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنْ رَأَى تَعْجِيلَ الْحُكْمِ فِيهَا وَجَّهَهَا لَهُ عَجَلًا وَ إِنْ أَرَادَا تَأْخِيرَهَا بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى انْقِضَاءِ الْمَوْسِمِ فَذَلِكَ إِلَيْهِمَا وَإِنْ هُمَا لَمْ يَحْكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّهِ نَبِيِّهِ إِلَى انْقِضَاءِ الْمَوْسِمِ فَالْمُسْلِمُونَ عَلَى أَمْرِهِمُ الْأَوَّلِ فِي الْحَرْبِ وَ لَا شَرْطَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَ عَلَى الْأُمَّةِ عَهْدُ اللَّهِ وَ مِيثَاقُهُ عَلَى التَّمَامِ وَ الْوَفَاءِ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَ هُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ أَرَادَ فِيهِ الْإِحَادًا وَ ظُلْمًا أَوْ حَاوَلَ لَهُ نَقْضًا وَ شَهِدَ فِيهِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ عَشْرَةَ وَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَشْرَةَ وَ تَارِيخُ كِتَابَتِهِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ صَفْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَ ثَلَاثِينَ

(١)

٣٤٣

١- قَالَ نَصِيرٌ وَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَنَابٍ عَنْ رَبِيعَةَ الْجُرُمِيِّ قَالَ لَمَّا كُتِبَتِ الصَّحِيفَةُ دُعِيَ لَهَا الْأَشْتَرُ لِيَشْهَدَ مَعَ الشُّهُودِ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا صِدْقَ بَيْنِي وَ بَيْنِي وَ لَا نَفْعَ بَعْدَهَا الشَّمَالُ إِنْ كُتِبَ لِي فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ اسْمٌ عَلَى صُلْحٍ أَوْ مُوَادَعَةٍ أَوْ لَشْتٍ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ أَمْرِي وَ يَقِينُ مِنْ ضَلَالِهِ عَدُوِّي أَوْ لَشْتُمْ قَدْ رَأَيْتُمُ الظَّفَرَ إِنْ لَمْ تَجْمَعُوا عَلَى الْخَوْرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ [مِنَ النَّاسِ]

(٢) وَ اللَّهُ مَيَّا رَأَيْتَ ظَفَرًا وَ لَا خَوْرًا هَلُمَّ فَاشْهَدْ عَلَى نَفْسِكَ وَ أَقْرِ بِمَا كُتِبَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ فَإِنَّهُ لَا رَغْبَةَ لَكَ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ بَلَى وَ اللَّهُ إِنْ لِي لِرَغْبَةٍ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لِلْآخِرَةِ وَ لَقَدْ سَافَكَ اللَّهُ بِسَيْفِي هَذَا دِمَاءَ رِجَالٍ مَا أَنْتَ عِنْدِي بِخَيْرٍ مِنْهُمْ وَ لَا أَحْرَمَ دَمًا.

قَالَ نَصْرُ بْنُ مُزَاحِمِ الرَّجُلِ هُوَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ فَكَأَنَّمَا قُصِعَ (٣) عَلَى أَنَّهُ الْحَمِيمُ ثُمَّ قَالَ وَ لَكِنِّي قَدْ رَضِيتُ بِمَا يَرْضَى بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ دَخَلْتُ فِيهَا دَخَلٌ فِيهِ وَ خَرَجْتُ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَّا فِي الْهُدَى وَ الصَّوَابِ

ص: ٢٣٦

١- (١) وقعه صفين ٥٧٨-٥٨٦.

٢- (٢) من صفين.

٣- (٣) القصع: الدلك و الضرب. و في صفين: «الحمم».

١- قَالَ نَصِيرٌ فَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي جَنَابِ الْكَلْبِيِّ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ شَفِيعٍ (١) عَنْ سُفْيَانَ بْنِ سَلَمَةَ (٢) قَالَ فَلَمَّا تَمَّ الْكِتَابُ وَ شَهِدَتْ فِيهِ الشُّهُودُ وَ تَرَضَى النَّاسُ خَرَجَ الْأَشْعَثُ وَ مَعَهُ نَاسٌ بِنَسِيخِهِ الْكِتَابِ يَقْرَؤُهَا عَلَى النَّاسِ وَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِمْ فَمَرَّ بِهِ عَلَى صُفُوفٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَ هُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ فَأَسْمَعَهُمْ إِيَّاهُ فَرَضُوا بِهِ ثُمَّ مَرَّ بِهِ عَلَى صُفُوفٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَ هُمْ عَلَى رَايَاتِهِمْ فَأَسْمَعَهُمْ إِيَّاهُ فَرَضُوا بِهِ حَتَّى مَرَّ بِرَايَاتِ عَنزَةَ وَ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ ع مِنْ عَنزَةَ بَصْرَةَ فَبَصَّرَهُمْ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مُجَفِّفٍ (٣) فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الْأَشْعَثُ يَقْرَؤُهُ عَلَيْهِمْ قَالِ فِتْيَانٌ مِنْهُمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ثُمَّ حَمَلَا عَلَى أَهْلِ الشَّامِ بِسُيُوفِهِمَا فَقَاتَلَا حَتَّى قُتِلَا عَلَى بَابِ رِوَاقِ مُعَاوِيَةَ فَهُمَا أَوْلُ مَنْ حَكَّمَا وَ أَسْمَاهُمَا [أَسْمَاؤُهُمَا]

جَعَدٌ وَ مَعْدَانٌ ثُمَّ مَرَّ بِهَا عَلَى مُرَادٍ فَقَالَ صَالِحُ بْنُ شَقِيقٍ وَ كَانَ مِنْ رُءُوسِهِمْ مَا لِعَلِيٍّ فِي الدِّمَاءِ قَدْ حَكَّمَا لَوْ قَاتَلَ الْأَخْزَابَ يَوْمًا مَا ظَلَمَ.

لَا- حُكْمَ إِلَّا- لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ثُمَّ مَرَّ عَلَى رَايَاتِ بَنِي رَاسِبٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ لَا نَرْضَى وَ لَا نُحَكِّمُ الرَّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ ثُمَّ مَرَّ عَلَى رَايَاتِ تَمِيمٍ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَا- حُكْمَ إِلَّا- لِلَّهِ يَقْضَى بِالْحَقِّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِأَخْرَ أَمَا هَذَا فَقَدْ طَعَنَ طَعْنَهُ نَافِذَةً وَ خَرَجَ عُرْوَةُ بْنُ أَدِيَةَ أَخُو مَرْدَاسِ بْنِ أَدِيَةَ التَّمِيمِيِّ فَقَالَ أَ تَحْكُمُونَ الرَّجَالَ فِي أَمْرِ اللَّهِ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَأَيْنَ قَاتَلْنَا يَا أَشْعَثُ ثُمَّ شَدَّ بِسَيْفِهِ لِيُضْرِبَ بِهِ الْأَشْعَثَ فَأَخْطَأَهُ وَ ضَرَبَ عَجْرَ دَائِيَّتِهِ ضَرْبَةً خَفِيفَةً فَصَيَّاحَ بِهِ النَّاسُ أَنْ ائْتِكُمْ (٤) يَدَكَ فَكَفَّ وَ رَجَعَ الْأَشْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ فَمَشَى الْأَخْنَفَ إِلَيْهِ وَ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ وَ مَسِيرُ بْنُ فَدَكِيٍّ وَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَتَنَصَّلُوا وَ اعْتَدَرُوا فَقَبِلَ مِنْهُمْ ذَلِكَ وَ انْطَلَقَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي

ص: ٢٣٧

١- ١) كتاب صفين: «سميع» بالتصغير:

٢- ٢) كتاب صفين: «عن شقيق به سلمه».

٣- ٣) المجفف: لابس التجفاف، و أصله ما يجلل به الفرس من سلاح و آله.

٤- ٤) صفين: «أن أمسك».

عَرَضْتُ الْحُكُومَةَ عَلَى صُفُوفِ أَهْلِ الشَّامِ وَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَقَالُوا جَمِيعاً رَضِينَا حَتَّى مَرَرْتُ بِرَايَاتِ بَنِي رَاسِبٍ وَ نَبَذُوا (١) مِنَ النَّاسِ سِوَاهُمْ فَقَالُوا لَا نَرْضَى لَكَ حُكْمٌ إِلَّا لِلَّهِ فَمِلْ (٢) بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ فَقَالَ عَلِيُّ ع هَيْلَ هِيَ غَيْرُ رَايَةٍ أَوْ رَايَتَيْنِ وَ نَبَذُوا مِنَ النَّاسِ قَالَ لَا قَالَ فَدَعَهُمْ .

قَالَ نَصِيرٌ فَظَنَّ عَلِيُّ ع أَنَّهُمْ قَلِيلُونَ لَا يُعْبَأُ بِهِمْ فَمَا رَاعَهُ إِلَّا نِدَاءَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ الْحُكْمُ لِلَّهِ يَا عَلِيُّ لَا لَكَ لَا نَرْضَى بِأَنْ يُحَكَّمَ الرَّجَالُ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ قَدَّ أَمْضَى حُكْمَهُ فِي مُعَاوِيَةَ وَ أَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَدْخُلُوا تَحْتَ حُكْمِنَا عَلَيْهِمْ (٣) وَ قَدَّ كُنَّا زَلَلْنَا وَ أَخْطَأْنَا حِينَ رَضِينَا بِالْحَكَمَيْنِ وَ قَدَّ بَانَ لَنَا زَلَلْنَا وَ خَطُؤُنَا فَوَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ وَ تَبْنَا فَارْجِعْ أَنْتَ يَا عَلِيُّ كَمَا رَجَعْنَا وَ تَبْ إِلَى اللَّهِ كَمَا تَبْنَا وَ إِلَّا- بَرَرْنَا مِنْكَ فَقَالَ عَلِيُّ ع وَ يُحَكِّمُ أَبْعِدِ الرِّضَا وَ المِيثَاقَ وَ العَهْدَ نَرْجِعُ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى قَدَّ قَالَ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (٤) وَ قَالَ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدَّ جَعَلْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا (٥) فَأَبَى عَلِيُّ أَنْ يَرْجِعَ وَ أَبَتِ الخَوَارِجُ إِلَّا تَضَلُّبَ التَّحْكِيمِ وَ الطَّعْنَ فِيهِ فَبَرَّتْ مِنْ عَلِيِّ ع وَ بَرَى عَلِيُّ ع مِنْهُمْ (٦) .

قَالَ نَصْرٌ وَ قَامَ إِلَى عَلِيِّ ع مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيشٍ (٧) فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا إِلَى الرَّجُوعِ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ سَبِيلٌ فَوَ اللَّهُ إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ يُورَثَ ذُلًّا فَقَالَ عَلِيُّ ع

ص: ٢٣٨

١-١) نبذ من الناس، أي عدد قليل منهم.

٢-٢) صفين: «فلنحمل».

٣-٣) صفين: «أو يدخلوا في حكمنا عليهم».

٤-٤) سورة المائدة ١.

٥-٥) سورة النحل ٩١.

٦-٦) وقعه صفين ٥٨٩-٥٩٠.

٧-٧) كتاب صفين: «محرز بن جريش»؛ وقال: «و كان محرز يدعى مخضخضا، و ذلك أنه أخذ عنزه بصفين؛ و أخذ معه إداوه من ماء؛ فإذا وجد رجلا من أصحاب علي جريحا سقاه من اللبن، و إذا وجد رجلا من أصحاب معاوية خضخضه بالعنزه حتى يقتله».

١- قَالَ نَضِيرٌ وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ نَمِيرِ بْنِ وَعَلَةَ عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ قَالَ لَمَّا تَدَاعَى النَّاسُ إِلَى الْمَصَاحِفِ وَكُتِبَتْ صِجْفَةُ الصُّلْحِ وَ التَّحْكِيمِ قَالَ عَلِيُّ عِ إِنَّمَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لِمَا بَدَأَ فِيكُمْ مِنَ الْخَوْرِ وَ الْفِشْلِ عَنِ الْحَرْبِ (٢) فَجَاءَتْ إِلَيْهِ هَمْدَانُ كَأَنَّهَا رُكُنٌ حَصِيرٌ (٣) فِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ غُلَامٌ لَهُ ذُؤَابَةٌ فَقَالَ سَعِيدٌ هَا أَنَا ذَا وَ قَوْمِي لَا نَزُدُ أَمْرَكَ (٤) فَقُلْنَا مَا شِئْتَ نَعْمَلُهُ فَقَالَ أَمَا لَوْ كَانَ هَذَا قَبْلَ سَطْرِ الصَّحِيفَةِ (٥) لَأَزَلْتُهُمْ عَنْ عَشْرِهِمْ أَوْ تَنَفَرَدَ سَالِفَتِي (٦) [قَبْلَ ذَلِكَ]

(٧) وَ لَكِنْ انصَرَفُوا رَاشِدِينَ فَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ لِأَعْرِضَ قَبِيلَهُ وَاحِدَةً لِلنَّاسِ

قَالَ نَضِيرٌ وَ رَوَى الشَّعْبِيُّ أَنَّ عَلِيًّا عِ قَالَ يَوْمَ صِفِّينَ حِينَ أَقَرَّ النَّاسُ بِالصُّلْحِ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا لِنَبِيِّنَا إِلَى الْحَقِّ وَ لَا لِيُجِيبُوا (٩) إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ (١٠) تَتَّبِعُهَا الْعَسَاكِرُ وَ حَتَّى يُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْجَلَابِئِبُ (١١)

- ١-١) كتاب صفين ٥٩٦.
- ٢-٢) صفين: «لما بدا فيكم الخور و الفشل-هما الضعف».
- ٣-٣) و في صفين: «فجمع سعيد بن قيس قومه، ثم جاء في رجاءه من همدان كأنها ركن حصير يعني جبلا باليمن».
- ٤-٤) صفين: «لا نرادك و لا نرد عليك».
- ٥-٥) صفين: «أما لو كان هذا قبل رفع المصاحف».
- ٦-٦) السالفه: صفحه العنق؛ و في حديث الحديبيه: «لأقاتلنهم على أمرى حتى تنفرد سالفتي»، قال في اللسان: كى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت.
- ٧-٧) من كتاب صفين.
- ٨-٨) كتاب صفين ٥٩٧، ٥٩٦.
- ٩-٩) صفين: «ليفيتوا».

١٠-١٠) المناسر: جمع منسر، بكسر الميم؛ وهو القطعه من الجيش تمر قدام الجيش الكبير.

١١-١١) الكتيه: القطعه العظيمه من الجيش.

وَ حَتَّى يُجَزَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ (١) وَ حَتَّى يَدْعُوا الْخَيُْولَ فِي نَوَاحِي أَرْضِهِمْ وَ بِأَخْنَاءِ مَسَارِبِهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ وَ حَتَّى تُشَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَاتُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَ حَتَّى يَلْقَاهُمْ قَوْمٌ صِدْقٌ صَبِيرٌ لَا يَزِيدُهُمْ هَلَاكٌ مَنْ هَلَكَ مِنْ قِتْلَاهُمْ وَ مَوْتَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا- جِدًّا فِي طَمَاعِهِ اللَّهُ وَ حِرْصًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَخْوَالَنَا وَ أَعْمَامَنَا لَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا وَ مَضِيًّا عَلَى أَمْرٍ أَلِيمٍ وَ جِدًّا عَلَى جِهَادِ الْعُدُوِّ وَ الْإِسْتِفْلَالِ بِمُبَارَزَةِ الْأَقْرَانِ وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأَسِ الْمُنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقًا صَبْرًا أَنْزَلَ بِعِدْوَانِ الْكِبْتِ وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّضِيرَ وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مِثْلَ الَّذِي أَتَيْتُمْ مَا قَامَ الدِّينُ وَ لَا عَزَّ الْإِسْلَامُ (٢) وَ [إِنَّمَا اللَّهُ لَتَحْلُبْنَهَا دَمًا فَاحْفَظُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ]

(٣) .

٣٤٧

١- وَ رَوَى نَضِيرٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَهْرٍ عَنْ فَضِيلِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ قِيلَ لِعَلِيِّ ع لَمَّا كَتَبْتَ الصَّحِيفَةَ إِنَّ الْأَشْتَرَ لَمْ يَرْضَ بِمَا فِي الصَّحِيفَةِ وَ لَا يَرَى إِلَّا قِتَالَ الْقَوْمِ فَقَالَ عَلِيُّ ع بَلَى إِنَّ الْأَشْتَرَ لَيَرْضَى إِذَا رَضِيَتْ وَ قَدْ رَضِيَتْ وَ رَضِيَتْمْ وَ لَا يَصْلِحُ الرَّجُوعُ بَعْدَ الرِّضَا وَ لَا التَّبْدِيلُ بَعْدَ الْإِقْرَارِ إِلَّا أَنْ يُعْصَى اللَّهُ أَوْ يُتَعَدَّى مَا فِي كِتَابِهِ وَ أَمَّا الَّذِي ذَكَرْتُمْ مِنْ تَرْكِهِ أَمْرِي وَ مَا أَنَا عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيكَ وَ لَا أَعْرِفُهُ (٤) عَلَى ذَلِكَ وَ لَيْتَ فِيكُمْ مِثْلَهُ اثْنَيْنِ يَلِ لَيْتَ فِيكُمْ مِثْلَهُ وَاحِدًا يَرَى فِي عِدْوِي مِثْلَ رَأْيِهِ إِذَا لَخَفْتُ مَثُوتَكُمْ عَلَيَّ وَ رَجَوْتُ أَنْ يَسْتَقِيمَ لِي بَعْضُ أَوْلَادِكُمْ

(٥)

ص: ٢٤٠

١- ١) الخميس: الجيش الجرار؛ سمي بذلك لأنه خمس فرق: المقدمه و القلب و اليمينه و الميسره و الساق.

٢- ٢) كتاب صفين ٥٩٧، ٥٩٨.

٣- ٣) تكمله من كتاب صفين.

٤- ٤) كتاب صفين: «و ليس أتخوفه».

٥- ٥) كتاب صفين ٥٩٨.

١- قَالَ نَصِيرٌ وَرَوَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ زَيْدُ الْأَوْدِيِّ إِنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ قَاتَلَ مَعَ عَلِيٍّ ع يَوْمَ صِفِّينَ فَأَسِيرَهُ مُعَاوِيَةَ فِي أَسِيرَى كَثِيرَةٍ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ اقْتُلْهُمْ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ لَا تَقْتُلْنِي يَا مُعَاوِيَةَ فَإِنَّكَ خَالِي فَقَامَتْ إِلَيْهِ بَنُو أَوْدٍ (١) فَأَسِيرَتُوهُ فَقَالَ دَعُوهُ فَلَعَمْرِي إِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا ادَّعَاهُ مِنْ خُتُولَتِي إِيَّاهُ لَيْسَ تَعَيِّنَنَّ عَنِّي شَفَاعَتِكُمْ وَ إِلَّا فَشَفَاعَتُكُمْ مِنْ وَرَائِهِ ثُمَّ اسْتَدْنَاهُ فَقَالَ مِنْ أَيْنَ أَنَا خَالَكَ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَ بَيْنَ أَوْدٍ مِنْ مُصَاهَرَةٍ قَالَ فَإِنْ أَخْبَرْتُكَ فَعَرَفْتَ فَهُوَ أَمَانٌ عِنْدَكَ قَالَتْ نَعَمْ قَالَ أَلَيْسَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ (٢) أَحْتَمِكُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا ابْنُهَا وَأَنْتَ أَخُوهَا فَأَنْتَ إِذَا خَالِي فَقَالَ مُعَاوِيَةَ لِلَّهِ أَبُوهُ أَمَا كَانَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى مَنْ يَفْطِنُ إِلَى هَذَا غَيْرُهُ ثُمَّ خَلَى سَبِيلَهُ

(٣)

١- وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكِسَائِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ دَبْرِيلَ الْهَمْدَانِيُّ فِي كِتَابِ صِفِّينَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ دَعَا مُعَاوِيَةَ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ لِيَبْعَثَهُ حَكَمًا فَجَاءَ وَهُوَ مُتَّخِزِمٌ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ وَ سَيْفُهُ وَ حَوْلَهُ أَخُوهُ وَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةَ يَا عَمْرُو إِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَكْرَهُوا عَلِيًّا عَلَى أَبِي مُوسَى وَ هُوَ لَا يُرِيدُهُ وَ نَحْنُ بِكَ رَاضُونَ وَ قَدْ ضَمَّ إِلَيْكَ رَجُلٌ طَوِيلُ اللِّسَانِ كَلِيلُ الْمُدِيَةِ وَ لَهُ بَعْدُ حِطٌّ مِنْ دِينٍ فَإِذَا قَالَ فَدَعُهُ يَقُلْ ثُمَّ قُلْ فَأَوْجِزْ وَ اقْطَعْ الْمِفْصَلَ وَ لَا تَلْقَهُ بِكُلِّ رَأْيِكَ وَ اعْلَمْ أَنَّ حَبِيبَةَ (٤) الرَّأْيِ زِيَادَةٌ فِي الْعَقْلِ فَإِنْ خَوَّفَكَ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَخَوَّفَهُ بِأَهْلِ الشَّامِ وَ إِنْ خَوَّفَكَ بِعَلِيٍّ فَخَوَّفَهُ بِمُعَاوِيَةَ وَ إِنْ

ص: ٢٤١

(١-١) أود: بطن في قيس عيلان.

(٢-٢) أم حبيبه؛ هي رمله بنت أبي سفيان.

(٣-٣) كتاب صفيين ٥٩٥، ٥٩٤.

(٤-٤) الخبء: ما خبيء و غاب من الشيء، و في ج: «خبيء» و هما سواء.

خَوْفِكَ بِمُضِرِّ فَخَوْفُهُ بِالْيَمَنِ وَإِنْ أَتَاكَ بِالتَّنْفِصِ يَلِ فَآتِهِ بِالْجَمَلِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو يَا مُعَاوِيَةَ أَنْتَ وَعَلِيٌّ رَجُلَا قُرَيْشٍ وَ لَمْ تَنْلُ فِي حَرْبِكَ مَا رَجَوْتَ وَ لَمْ تَأْمَنْ مَا خِفتَ ذَكَرْتَ أَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ دِينًا وَ صَاحِبُ الدِّينِ مَنْصُورٌ وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأَفْتِينَ [عَلَيْهِ]

(١) عِلَّةٌ وَ لَأَسْتَخْرِجَنَّ حَبَاهُ (٢) وَ لَكِنْ إِذَا جَاءَنِي بِالْإِيمَانِ وَ الْهَجْرَةِ وَ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ مَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ قَالَ قُلُ مَا تَرَى فَقَالَ عَمْرُو وَ هَلْ تَدْعُنِي وَ مَا أَرَى وَ خَرَجَ مُغْضَبًا كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُوصِيَهُ بِنَفْسِهِ وَ قَالَ لِأَصِيحْبِهِ حِينَ خَرَجَ إِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يُصَيِّرُ أَمْرَ أَبِي مُوسَى لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنِّي خَادِعُهُ غَدًا فَأَحْبُّ أَنْ يَقُولَ إِنَّ عَمْرًا لَمْ يُخَدِّعْ أَرِيْبًا فَقَدْ كَذَّبْتَهُ بِالْخِلَافِ عَلَيْهِ وَ قَالَ فِي ذَلِكَ يُشَجِّعُنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ حَرْبٍ

فَلَمَّا بَلَغَ مُعَاوِيَةَ شِعْرُهُ غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَ قَالَ لَوْ لَا مَسِيرُهُ لَكَانَ لِي فِيهِ رَأْيٌ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ أَمَا وَ اللَّهُ إِنَّ أَمْثَالَه فِي قُرَيْشٍ لَكَثِيرٌ وَ لَكِنَّكَ أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ الْحِجَابَ إِلَيْهِ فَأَلْزَمَهَا الْغَنَاءَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ فَأَجِبْهُ عَنْ شِعْرِهِ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يُعَيِّرُهُ بِفِرَارِهِ مِنْ عَلِيٍّ يَوْمَ صِفِّينَ

ص: ٢٤٢

١-١) تكمله من ج.

٢-٢) ج: «خبيثه».

أَلَا يَا عَمْرُو عَمْرُو قَبِيلِ سَهْمٍ

قَالَ نَصِيرٌ ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَقْبَلُوا عَلَى قَتْلِهِمْ فَدَفَنُوهُمْ قَالَ وَقَدْ كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ دَعَا فِي خِلَافَتِهِ حَابِسَ بْنِ سَعْدِ الطَّائِيِّ فَقَالَ لَهُ
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَوْلِيكَ قِضَاءَ حِمصٍ فَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَاسْتَشِيرُ جُلَسَائِي قَالَ فَاذْطَلِقْ إِلَيْهَا فَلَمْ يَمْشِ (١) إِلَّا يَسِيرًا
حَتَّى رَجَعَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا أَحَبِّتُ أَنْ أَقْصَهَا عَلَيْكَ قَالَ هَاتِهَا قَالَ رَأَيْتُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَقْبَلَتْ مِنَ الْمَشْرِقِ وَ
مَعَهَا جَمْعٌ عَظِيمٌ وَكَأَنَّ الْقَمَرَ قَدِ أَقْبَلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَمَعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ فَقَالَ لَهُ عَمْرُ مَعَ أَيِّهِمَا كُنْتَ قَالَ مَعَ الْقَمَرِ قَالَ كُنْتَ مَعَ
الْآيَةِ الْمَمْحُورَةِ أَذْهَبَ فَلَا وَاللَّهِ لَا تَلِي لِي عَمَلًا وَرَدَّهُ فَشَهِدَ مَعَ مُعَاوِيَةَ صَفِيْنٍ وَكَانَتْ رَأْيَهُ طَيِّبٌ مَعَهُ فَقَتِلَ يَوْمَئِذٍ فَمَرَّ بِهِ عَدِيُّ بْنُ
حَاتِمٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ زَيْدٌ فَرَأَاهُ قَتِيلًا فَقَالَ لَهُ يَا أَبَتِ (٢) هَذَا وَاللَّهِ خَالِي قَالَ نَعَمْ لَعَنَ اللَّهُ خَالَكَ فَبَسَّسَ وَاللَّهِ الْمَصْرِعُ مَصْرَعُهُ فَوَقَفَ
زَيْدٌ وَقَالَ مَنْ قَتَلَ هَذَا الرَّجُلَ مَرَارًا فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ طَوَالَ يَخْضِبُ فَقَالَ أَنَا قَتَلْتَهُ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ صَبَّغْتَ بِهِ فَجَعَلَ
يُخْبِرُهُ فَطَعَنَهُ زَيْدٌ بِالرُّمْحِ فَقَتَلَهُ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَحَمَلَ عَلَيْهِ عَدِيُّ أَبُوهُ يَسُبُّهُ وَيَسْتَمُّ (٣) أُمَّهُ وَيَقُولُ يَا ابْنَ
الْمَائِقَةِ لَسْتُ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ إِنْ لَمْ أَدْفَعْكَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ

ص: ٢٤٣

١-١) صفين: «فلم يمش».

٢-٢) صفين: «يا أبة».

٣-٣) صفين: «و بسب أمه».

زَيْدٌ فَزَسَهُ فَلَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ فَأَكْرَمَهُ وَحَمَلَهُ وَ أَدْنَى مَجْلِسَهُ فَرَفَعَ عَدِيَّ يَدَيْهِ فَدَعَا عَلَيْهِ وَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ زَيْدًا قَدْ فَارَقَ الْمُسْلِمِينَ وَ لَحِقَ بِالْمُلْحِدِينَ (١) اللَّهُمَّ فَارِزِهِمْ بِسَهْمِكَ لَا يُشْوِي (٢) [أَوْ قَالَ لَا يُخْطِئُ فَإِنَّ رَمِيَّتَكَ لَا تُنْمِي]

(٣) وَ اللَّهُ لَا أَكَلَّمُهُ مِنْ رَأْسِي كَلِمَةً أَبَدًا وَ لَا يُظْلِنِي وَ إِيَّاهُ سَقَفُ أَبَدًا وَ قَالَ زَيْدٌ فِي قَتْلِ الْبَكْرِيِّ مِنْ مُبَلِّغِ أَبْنَاءِ طَيِّ بِأَنِّي

(٤)

٣٧٠

١- قَالَ نَضِيرٌ وَ رَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ أَنَّ عَلِيًّا عَ بَعَثَ أَرْبَعِمَائِهِ عَلَيْهِمْ شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ الْحَارِثِيُّ وَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يُصَلِّي بِهِمْ [وَ يَلِي أُمُورَهُمْ]

(٥) وَ مَعَهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَ بَعَثَ مُعَاوِيَةَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِي أَرْبَعِمَائِهِ (٦) ثُمَّ إِنَّهُمْ

ص: ٢٤٤

١-١) صفين: «المحليين».

٢-٢) أشوى: رمى فأصاب الشوى-و هي الأطراف-و لم يصب المقتل.

٣-٣) تكمله من كتاب صفين. و يقال: أنمى الصيد، إذا رماه فأصابه، ثم ذهب عنه فمات.

٤-٤) صفين: «مخضوب الجيوب».

٥-٥) صفين ٥٩٩-٦٠٠، و المغرم: الديه.

٦-٦) من كتاب صفين.

خَلُّوا بَيْنَ الْحَكَمَيْنِ فَكَانَ رَأَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ [أَبُو مُوسَى]

(١) فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَكَانَ يَقُولُ وَاللَّهِ إِنْ اسْتَطَعْتُ لِأَخِيْنَنِّ سُنَّةَ عُمَرَ

(٢)

٣٧١

١- قَالَ نَضِرٌ وَ فِي حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ لَمَّا أَرَادَ أَبُو مُوسَى الْمَسِيرَ قَامَ إِلَيْهِ شُرَيْحُ بْنُ هَانِيٍّ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَ قَالَ يَا أَبَا مُوسَى إِنَّكَ قَدْ نُصِبْتَ لِأَمْرِ عَظِيمٍ لَا يُجْبَرُ صَدْعُهُ وَ لَا تُسْتَقَالُ فِتْنَتُهُ (٣) وَ مَهْمَا تَقُلْ مِنْ شَيْءٍ عَلَيْكَ أَوْ لَكَ يَثْبُتُ حَقُّهُ وَ تَرَصَّحَتْهُ وَ إِنْ كَانَ بَاطِلًا وَ إِنَّهُ لَا بَقَاءَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ إِنْ مَلَكَهُمْ مُعَاوِيَةُ وَ لَا بَأْسَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ إِنْ مَلَكَهُمْ عَلِيٌّ وَ قَدْ كَانَتْ مِنْكَ تَشْيِطَةُ أَيَّامِ الْكُوفَةِ وَ الْجَمَلِ فَإِنْ تُشْمَعُهَا بِمِثْلِهَا يَكُنِ الظَّنُّ بِحُكْمِكَ يَقِينًا وَ الرَّجَاءُ مِنْكَ يَأْسًا ثُمَّ قَالَ لَهُ شُرَيْحٌ فِي ذَلِكَ أَبَا مُوسَى رُمِيتَ بِشَرِّ خَصْمٍ

فَقَالَ أَبُو مُوسَى مَا يَتَّبِعِي لِقَوْمِ اتَّهَمُونِي أَنْ يُرْسِلُونِي لِأَدْفَعَنَّ عَنْهُمْ بَاطِلًا أَوْ أَجْرًا إِلَيْهِمْ حَقًّا

ص: ٢٤٥

١-١) من كتاب صفين.

٢-٢) كتاب صفين ٦١٤.

٣-٣) كتاب صفين: «و لا يستقال فتقه».

١- وَ رَوَى الْمَدَائِنِيُّ (١) فِي كِتَابِ صِفِينِ قَالَ لَمَّا أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى طَلَبِ أَبِي مُوسَى وَ أَخْضَرُوهُ لِلتَّحْكِيمِ عَلَى كُرْهِ مِنْ عَلِيٍّ عَ أَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ عِنْدَهُ وَجُوهُ النَّاسِ وَ أَشْرَافُهُمْ فَتَمَالَ لَهُ يَا أَبَا مُوسَى إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَرْضُوا بِكَ وَ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَيْكَ لِفَضْلِ لَأ- تُشَارِكُ فِيهِ وَ مَا أَكْثَرَ أَشْبَاهَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الْمُتَقَدِّمِينَ قَبْلَكَ وَ لَكِنْ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْحَكْمُ يَمَانِيًّا وَ رَأَوْا أَنَّ (٢) مُعْظَمَ أَهْلِ الشَّامِ يَمَانٍ وَ أَيُّمَ اللَّهُ إِنِّي لَأَظُنُّ ذَلِكَ شَرًّا لَكَ وَ لَنَا فَإِنَّهُ قَدْ ضُمَّ إِلَيْكَ دَاهِيَةُ الْعَرَبِ وَ لَيْسَ فِي مُعَاوِيَةَ خَلَّةٌ يَسْتَحِقُّ بِهَا الْخِلَافَةَ فَإِنْ تَقَدِّفُ بِحَقِّكَ عَلَى بَاطِلِهِ تُدْرِكُ حَاجَتَكَ مِنْهُ وَ إِنْ يَطْمَعُ بَاطِلُهُ فِي حَقِّكَ يُدْرِكُ حَاجَتَهُ مِنْكَ وَ اعْلَمْ يَا أَبَا مُوسَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ طَلِيقُ الْإِسْلَامِ وَ أَنَّ أَبَاهُ رَأْسُ الْأَحْزَابِ وَ أَنَّهُ يَدْعِي الْخِلَافَةَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ وَ لَا بَيْعَةٍ فَإِنْ زَعَمَ لَكَ أَنَّ عُمَرَ وَ عُثْمَانَ اسْتَعْمَلَاهُ فَلَقَدْ صَدَقَ اسْتِعْمَلُهُ عُمَرُ وَ هُوَ الْوَالِي عَلَيْهِ بِمَنْزِلَةِ الطَّيِّبِ يَحْمِيهِ مَا يَشْتَهِي وَ يُؤْجِرُهُ مَا يَكْرَهُ ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ عُثْمَانُ بِرَأْيِ عُمَرَ وَ مَا أَكْثَرَ مِنْ اسْتِعْمَالِ مَنْ لَمْ يَدْعِ الْخِلَافَةَ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِعُمَرَ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ يَسِيرُكَ خَبِيئًا يَسُوءُكَ وَ مَهْمًا نَسِيَتْ فَلَا- تَنْسَ أَنَّ عَلِيًّا يَبِيعُهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَبِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عُثْمَانَ وَ أَنَّهَا بَيْعُهُ هَيْدَى وَ أَنَّهُ لَمْ يَقَاتِلْ إِلَّا الْعَاصِيَيْنَ وَ النَّكَاسِيْنَ فَقَالَ أَبُو مُوسَى رَحِمَكَ اللَّهُ وَ اللَّهُ مَا لِي إِمامٌ غَيْرَ عَلِيٍّ وَ إِنِّي لَوَاقِفٌ عِنْدَ مَا رَأَى وَ إِنْ حَقَّ لِلَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رِضَا مُعَاوِيَةَ وَ أَهْلِ الشَّامِ وَ مَا أَنْتَ وَ أَنَا إِلَّا بِاللَّهِ

١- وَ رَوَى الْبَلَاذُرِيُّ (٣) فِي كِتَابِ أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ قَالَ قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ

ص: ٢٤٦

١- (١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني؛ صاحب التصانيف الكثيره في السيره و أخبار القبائل و الخلفاء، و الفتوح و المغازي و غيرها؛ توفي سنة ٢١٥ الفهرست لابن النديم ١٠٠-١٠٤.

٢- (٢) كذا في ب، ج، و في «الآن».

٣- (٣) هو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري؛ صاحب كتاب البلدان، و أنساب الأشراف، توفي سنة ٢٧٩. الفهرست ١١٣، و معجم الأدباء ٩: ٨٥.

مَا مَنَعَ عَلِيًّا أَنْ يَبْعَثَكَ مَعَ عَمْرٍو يَوْمَ التَّحْكِيمِ فَقَالَ مَنَعَهُ حَاجِزُ الْقَدَرِ وَمَحْنَةُ الْإِبْتِلَاءِ وَقَصِيرُ الْمُدَّةِ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ لَقَعَدْتُ عَلَى مَدَارِجِ أَنْفَاسِهِ نَاقِضًا مَا أَبْرَمَ وَمُبْرِمًا مَا نَقَضَ أَطِيرُ إِذَا أَسْفَ وَ أَسْفُ (١) إِذَا طَارَ وَ لَكِنْ قَدْ سَبَقَ قَدْرٌ وَ بَقِيَ أَسْفٌ وَ مَعَ الْيَوْمِ عَدُّ وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَ ذَكَرَ الْبَلَاذِرِيُّ أَيْضًا قَالَ قَامَ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ بِالْمَوْسِمِ فَأَطْرَى مُعَاوِيَةَ وَ بَنِي أُمِّيَّةَ وَ تَنَاوَلَ بَنِي هَاشِمٍ وَ ذَكَرَ مَشَاهِدَهُ بِصَفِينٍ وَ يَوْمَ أَبِي مُوسَى فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ يَا عَمْرٍو إِنَّكَ بَعَثَ دِينَكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ فَأَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدِكَ وَ مَنَّاكَ مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ فَكَانَ الَّذِي أَخَذَهُ مِنْكَ فَوْقَ الَّذِي أَعْطَاكَ وَ كَانَ الَّذِي أَخَذَتْ مِنْهُ دُونَ مَا أَعْطَيْتَهُ وَ كُلُّ رَاضٍ بِمَا أَخَذَ وَ أَعْطَى فَلَمَّا صَارَتْ مِضِرُّ فِي يَدِكَ تَبَعَكَ بِالتَّقْضِ عَلَيْكَ وَ التَّعَقُّبِ لِأَمْرِكَ ثُمَّ بِالْعَزْلِ لَكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ نَفْسَكَ فِي يَدِكَ لَأَرْسَلْتَهَا وَ ذَكَرْتَ يَوْمَكَ مَعَ أَبِي مُوسَى فَلَا أَرَاكَ فَخَرْتَ إِلَّا بِالْعُدْرِ وَ لَا مُنِيْتَ إِلَّا بِالْفُجُورِ وَ الْعِشِّ وَ ذَكَرْتَ مَشَاهِدَكَ بِصَفِينٍ فَوَاللَّهِ مَا ثَقُلْتَ عَلَيْنَا وَ طَأْتِكَ وَ لَا نَكَأَتْ فِينَا جُرْأَتُكَ وَ لَقَدْ كُنْتَ فِيهَا طَوِيلَ اللِّسَانِ قَصِيرَ الْبَنَانِ آخِرَ الْحَرْبِ إِذَا أَقْبَلْتَ وَ أَوْلَهَا إِذَا أَدْبَرْتَ لَكَ يَدَانِ يَدٌ لَا تَقْبِضُهَا عَنْ شَرٍّ وَ يَدٌ لَا تَبْسُطُهَا إِلَى خَيْرٍ وَ وَجْهَانِ وَجْهٌ مُؤَنَسٌ وَ وَجْهٌ مُوَحِّشٌ وَ لَعَمْرِي إِنَّ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ لَحَرِيٌّ حُزْنُهُ عَلَى مَا بَاعَ وَ اشْتَرَى أَمَا إِنَّ لَكَ بَيَانًا وَ لَكِنْ فِيكَ خَطْلٌ وَ إِنَّ لَكَ لِرَأْيًا وَ لَكِنْ فِيكَ فَشَلٌ وَ إِنَّ أَصْغَرَ عَيْبٍ فِيكَ لِأَعْظَمِ عَيْبٍ فِي غَيْرِكَ

٣٧٤

١٤،١- قَالَ نَصِيرٌ وَ كَانَ النَّجَاشِيُّ الشَّاعِرُ صَدِيقًا لِأَبِي مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ يُحَدِّثُهُ مِنْ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ يُؤَمِّلُ أَهْلَ الشَّامِ عَمْرًا وَ إِنِّي لِأَمْلُ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ

ص: ٢٤٧

(١-١) أسف الطائر: دنا من الأرض.

وَإِنَّ أَبَا مُوسَى سَيُدْرِكُ حَقَّنَا

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْجِلِي هَذَا الْأَمْرُ وَأَنَا فِيهِ عَلَى رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

قَالَ نَضْرُ ثُمَّ (١) إِنَّ شُرَيْحَ بْنَ هِانِيٍّ جَهَّزَ أَبَا مُوسَى جِهَازًا حَسِينًا وَعَظَّمَ أَمْرَهُ فِي النَّاسِ لِيَشْرَفَ فِي قَوْمِهِ فَقَالَ الْأَعْوَرُ الشَّنِيُّ فِي ذَلِكَ يُخَاطَبُ شُرَيْحًا .

زَفَفَتْ ابْنُ قَيْسٍ زَفَافَ الْعُرُوسِ

فَقَالَ شُرَيْحٌ وَاللَّهِ لَقَدْ تَعَجَّلْتُ رِجَالُ مَسَاءَتِنَا فِي أَبِي مُوسَى وَطَعْنُوا عَلَيْهِ بِأَسْوَأِ (٢) الطَّعْنِ وَظَنُّوا فِيهِ مَا اللَّهُ عَصَمَهُ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

ص: ٢٤٨

١-١) كتاب صفين ٦١٥: «الصواعق»، وبعده فيه: وحققه حتى يدرو وريده و نحن على ذاكم كأحقق حائق على أن عمرا لا يشق غباره إذا ما جرى بالجهد أهل السوابق.

٢-٢) صفين: «بالبواقي».

قَالَ وَ سَارَ مَعَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ شَرْحِبِيلُ بْنُ السَّمْطِ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ حَتَّى إِذَا أَمِنَ عَلَيْهِ خَيْلُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَدَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا عَمْرُو
إِنَّكَ رَجُلٌ قَرِيشٌ وَإِنْ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَبْعَثَكَ إِلَّا لِعَلِمِهِ أَنَّكَ لَا تُؤْتِي مِنْ عَجْزٍ وَلَا مَكِيدَةٍ وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي وَطَّئْتُ هَذَا الْأَمْرَ لَكَ وَ
لِصَاحِبِكَ فَكُنْ عِنْدَ ظَنِّي بِكَ ثُمَّ انصَرَفَ وَ انصَرَفَ شَرِيحُ بْنُ هَانِيٍّ حِينَ أَمِنَ خَيْلُ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي مُوسَى وَ وَدَعَهُ.

وَ كَانَ آخِرُ مَنْ وَدَعَ أَبَا مُوسَى الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ أَخَذَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا أَبَا مُوسَى اعْرِفْ خَطْبَ هَذَا الْأَمْرِ وَ اعْلَمْ أَنَّ لَهُ مَا بَعْدَهُ وَ
أَنَّكَ إِنْ أَضَعْتَ الْعِرَاقَ فَلَا عِرَاقَ اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتَكَ وَ إِذَا لَقِيتَ عَمْرًا فَلَا تَبْدَأْهُ بِالسَّلَامِ فَإِنَّهَا وَ إِنْ
كَانَتْ سُنَّةً إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا وَ لَا تُعْطِي يَدَكَ فَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَ إِيَّاكَ أَنْ يُفْعِدَكَ عَلَى صِدْرِ الْفِرَاشِ فَإِنَّهَا خُدْعَةٌ وَ لَا تَلْقَهُ إِلَّا
وَخِيْدَةً وَ اخْذِرْ أَنْ يُكَلِّمَكَ فِي بَيْتٍ فِيهِ (١) مَخْدَعٌ تُحْبَأُ لَكَ فِيهِ الرَّجَالُ وَ الشُّهُودُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَثُورَ (٢) مَا فِي نَفْسِهِ لِعَلِّيٍّ فَقَالَ لَهُ
فَإِنْ لَمْ يَسْتَيْتَمِ لِمَكَ عَمْرُو عَلَى الرِّضَا بِلِعَلِّيٍّ فَلْيُخْتَرْ أَهْلُ الْعِرَاقِ مِنْ قَرِيشِ الشَّامِ مِنْ شَاءُوا أَوْ فَلْيُخْتَرْ أَهْلُ الشَّامِ مِنْ قَرِيشِ الْعِرَاقِ
مَنْ شَاءُوا.

فَقَالَ أَبُو مُوسَى قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَ لَمْ يُنْكِرْ مَا قَالَهُ مِنْ زَوَالِ الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ .

فَرَجَعَ الْأَخْنَفُ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَهُ أَخْرَجَ أَبُو مُوسَى وَ اللَّهُ زُبْدَهُ سِتْقَانِهِ فِي أَوَّلِ مَخْضِهِ لَا أَرَانَا إِلَّا بَعَثْنَا رَجُلًا لَا يُنْكِرُ خَلْعَكَ فَقَالَ
عَلِيٌّ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَيَّ أَمْرِهِ (٣) .

قَالَ نَصْرٌ وَ شَاعٌ وَ فَشَا أَمْرُ الْأَخْنَفِ وَ أَبِي مُوسَى فِي النَّاسِ فَبَعَثَ الصَّلْتَانَ الْعَبْدِيَّ وَ هُوَ بِالْكُوفَةِ إِلَى دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ

ص: ٢٤٩

١-١ (١) ج: «له».

٢-٢ (٢) يثور: «يختبر»، و في ا، ب: «يلو»، و في ص، ف، ي: «يبور» و كله بمعنى.

٣-٣ (٣) كتاب صفين ٦١٧، ٦١٦.

قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ قَوْلَ الصَّلْتَيْنِ شَحَذَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَاسْتَبَطَأَهُ الْقَوْمُ وَظَنُّوا بِهِ الظُّنُونَ وَ مَكَثَ الرَّجُلَانِ بِدُومِهِ الْجَنْدَلِ لَا يَقُولَانِ شَيْئًا وَ كَانَ سَيَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَدِمَ اعْتَرَلَ عَلِيًّا وَ مُعَاوِيَةَ وَ نَزَلَ عَلَى مَاءٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ بِأَرْضِ الْبَادِيَةِ يَتَشَوَّفُ (١) الْأَخْيَارَ وَ كَانَ رَجُلًا لَهُ بِيَأْسٌ وَ رَأْيٌ وَ مَكَانٌ فِي قُرَيْشٍ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ هَوَى فِي عَلِيٍّ وَ لَا فِي مُعَاوِيَةَ فَأَقْبَلَ رَاكِبٌ يُوضِعُ (٢) مِنْ بَعِيدٍ فَإِذَا هُوَ ابْنُهُ عُمَرُ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ مَهَيْمٌ فَقَالَ (٣) التَّقَى النَّاسُ بِصِفِّينَ فَكَانَ بَيْنَهُمَا مَا قَدْ بَلَغَكَ حَتَّى تَفَانُوا ثُمَّ حَكَّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ وَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَ قَدْ حَضَرَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَهُمَا وَ أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ مِنْ أَهْلِ الشُّورَى وَ مَنْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ص اتَّقُوا دَعْوَتَهُ وَ لَمْ تَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِمَّا تَكْرَهُهُ الْأُمَّةُ فَاحْضُرْ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فَإِنَّكَ صَاحِبُهَا غَدًا فَقَالَ مَهْلًا يَا عُمَرُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ تَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا التَّقِيُّ الْخَفِيُّ وَ هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَشْهَدْ أَوْلَهُ فَلَا أَشْهَدُ آخِرَهُ

ص: ٢٥٠

١-١) الراغيه: الرغاء، و البكر: ولد الناقه، و فى ثمار القلوب فى المضاف و المنسوب ص ٣٥٢: «راغيه البكر، من أمثال العرب، و عن أبى عمرو قولهم: كانت عليهم كراغيه البكر؛ أى استوصلوا استئصالا، يعنون رغاء بكر ثمود حين عقر الناقه قدار».

٢-٢) الوشل: المقدار اليسير من الماء.

٣-٣) يتشوف الأخبار، أى يتطلع إليها.

وَلَوْ كُنْتُ غَامِسًا يَدِي فِي هَذَا الْأَمْرِ لَعَمَسْتُهَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (١) وَقَدْ رَأَيْتُ أَبِيكَ كَيْفَ وَهَبَ حَقَّهُ مِنَ الشُّورَى وَكَرِهَ الدُّخُولَ فِي الْأَمْرِ فَارْتَحَلَ عُمَرُ وَقَدْ اسْتَبَانَ لَهُ أَمْرُ أَبِيهِ (٢).

قَالَ نَضِيرٌ وَقَدْ كَانَ الْأَجْنَادُ (٣) أَبْطَأَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَبَعَثَ إِلَى رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا كَرِهُوا أَنْ يُعِينُوهُ فِي حَرْبِهِ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا وَالتَّقَى هَذَانِ الرَّجُلَانِ فِي دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ فَأَقْدَمُوا عَلَى.

فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَبُو الْجَهْمِ بْنُ حُرَيْثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَعُوثَ الزُّهْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ الْجَمْحِيُّ وَأَتَاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَكَانَ مُقِيمًا بِالطَّائِفِ لَمْ يَشْهَدْ الْحَرْبَ فَقَالَ لَهُ يَا مُغِيرَةُ مَا تَرَى قَالَ يَا مُعَاوِيَةَ لَوْ وَسَّعَنِي أَنْ أَنْصِرَكَ لَنْصِرُكَ وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ آتِيكَ بِأَمْرِ الرَّجُلَيْنِ فَرَحَلَ حَتَّى أَتَى دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ فَدَخَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى كَالزَّائِرِ لَهُ فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ فِيمَنْ اعْتَزَلَ هَذَا الْأَمْرَ وَكَرِهَ الدِّمَاءَ قَالَ أَوْلَيْكَ خَيْرٌ (٤) النَّاسِ خَفَّتْ طُهُورُهُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ وَخَمَصَتْ بُطُونُهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ثُمَّ أَتَى عُمَرَ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِيمَنْ اعْتَزَلَ هَذَا الْأَمْرَ وَكَرِهَ الدِّمَاءَ قَالَ أَوْلَيْكَ شِرَارُ النَّاسِ لَمْ يَعْرِفُوا حَقًّا وَ لَمْ يُنْكِرُوا بَاطِلًا فَارْجِعِ الْمُغِيرَةَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ قَدْ دُقَّتِ الرَّجُلَيْنِ أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ

ص: ٢٥١

١-١) في كتاب وقعه صفين بعد هذه الكلمة: «قد رأيت القوم حملوني على حدّ السيف فاخترته على النار؛ فأقم عند أبيك ليلتك هذه. فراجعته حتى طمع في الشيخ، فلما جنه الليل رفع صوته ليسمع ابنه؛ فقال...» و ذكر أبياتنا مطلعها: دعوت أباك اليوم و الله للذي دعاني إليه القوم و الأمر مقبل.

٢-٢) صفين: ٦١٨-٦٢٠.

٣-٣) وقعه صفين: «الأخبار».

٤-٤) وقعه صفين: «خيار».

بْنِ قَيْسٍ فَخَالِعٍ صَاحِبِهِ وَجَاعِلِهَا لِرَجُلٍ لَمْ يَشْهَدْ هَذَا الْأَمْرَ وَهُوَ [فِي]

(١) عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَ أَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعِاصِ فَهُوَ صَاحِبُ الَّذِي تَعَرَّفَ وَ قَدْ ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَرُومُهَا لِنَفْسِهِ وَ أَنَّهُ لَا يَرَى أَنَّكَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ (٢) قَالَ نَضِيرٌ فِي حَدِيثِ عَمْرُو بْنِ شَمْرٍ قَالَ أَقْبَلَ أَبُو مُوسَى عَلَى عَمْرُو فَقَالَ يَا عَمْرُو هَلْ لَكَ فِي أَمْرِ هُوَ لِلْأَمَّةِ صَلَاحٌ وَ لِصِلَاحِ النَّاسِ رِضًا تُوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَ لَا هَذِهِ الْفِرْقَةِ قَالَ وَ كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْعِاصِ وَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَرِيبَيْنِ يَسْمَعَانِ هَذَا الْكَلَامَ فَقَالَ عَمْرُو فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى عَنْ مُعَاوِيَةَ فَأَبَى عَلَيْهِ أَبُو مُوسَى [قَالَ وَ شَهِدَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ هِشَامٍ وَ عُبَيْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عُبَيْدِ يَعُوثَ وَ أَبُو الْجَهْمِ بْنُ حُذَيْفَةَ الْعَدَوِيُّ وَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ]

(٣) فَقَالَ عَمْرُو أ لَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا قَالَ بَلَى قَالَ اشْهَدُوا (٤) ثُمَّ قَالَ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَ هُوَ وَلِيُّ عُثْمَانَ وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِهِ سُلْطَانًا (٥) ثُمَّ إِنَّ بَيْتَ مُعَاوِيَةَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَإِنْ خَشِيتَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ وَلِيَّ مُعَاوِيَةَ وَ لَيْسَتْ لَهُ سَابِقَةٌ فَإِنَّ لَكَ حُجَّةً أَنْ تَقُولَ وَ حِجْدُتُهُ وَلِيُّ عُثْمَانَ الْخَلِيفَةَ الْمَظْلُومِ وَ الطَّالِبِ بِدَمِهِ الْحَسَنَ السِّيَاسَةَ الْحَسِينَ التَّدْبِيرِ وَ هُوَ أَخُو أُمِّ حَبِيبَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَ زَوْجَ النَّبِيِّ ص وَ قَدْ صَحِبَهُ وَ هُوَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ بِالسُّلْطَانِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هُوَ وَلِيُّ الْأَمْرِ أَكْرَمَكَ كَرَامَةً لَمْ يُكْرِمَكَ أَحَدٌ قَطُّ مِثْلَهَا فَقَالَ أَبُو مُوسَى اتَّقِ اللَّهَ يَا عَمْرُو أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَرَفِ مُعَاوِيَةَ فَإِنَّ هَذَا

ص: ٢٥٢

١- (١) من كتاب صفين.

٢- (٢) وقعه صفين ٦٢١، ٦٢٠.

٣- (١) من كتاب صفين.

٤- (٤) سورة الإسراء ٣٣.

الْأَمْرَ لَيْسَ عَلَى الشَّرَفِ يُؤَلَّاهُ أَهْلُهُ لَوْ كَانَ عَلَى الشَّرَفِ كَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَبْرَهَهُ بْنُ الصَّبَّاحِ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ مَعَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أُعْطِيهِ أَفْضَلَ قُرَيْشٍ شَرَفًا لَمَأْطَيْتُهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ مُعَاوِيَةَ وَلِيُّ عُثْمَانَ فَوَلِّهِ هَذَا الْأَمْرَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَوْلِيَهُ إِبَاهُ لِنِسْبَتِهِ مِنْ عُثْمَانَ وَادَّعَى الْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلِيَيْنَ وَأَمَّا تَعْرِضُكَ لِي بِالْإِمْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فَوَاللَّهِ لَوْ خَرَجَ لِي مِنْ سُلْطَانِهِ مَا وَلَّيْتُهُ وَمَا كُنْتُ أَرْتَشِي فِي اللَّهِ وَلَكِنَّكَ إِِنْ شِئْتَ أَحْيَيْنَا سُنَّةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (١).

قَالَ نَصِيرٌ وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي جَنَابٍ أَنَّ أَبَا مُوسَى قَالَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَاللَّهِ إِنْ اسْتِطَعْتُ لِأَخِيئِنِّي اسْمَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تُرِيدُ أَنْ تُبَايِعَ ابْنَ عُمَرَ لِدِينِهِ فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَعْرِفُ فَضْلَهُ وَصَلَاحَهُ فَقَالَ إِنَّ ابْنِكَ لَرَجُلٌ صِدْقٍ وَلَكِنَّكَ قَدْ غَمَسْتَهُ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ

(٢)

٣٧٥

قَالَ نَصِيرٌ وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ نَافِعٍ قَالَ قَالَ أَبُو مُوسَى لِعَمْرُو يَا عَمْرُو إِنْ شِئْتَ وَلَيْتَنَا هَذَا الْأَمْرَ الطَّيِّبِ ابْنَ الطَّيِّبِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ لَهُ عَمْرُو يَا أَبَا مُوسَى إِنْ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَصْلُحُ لَهُ إِلَّا رَجُلٌ لَهُ ضِرْسٌ يَأْكُلُ وَيُطْعَمُ وَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَيْسَ هُنَاكَ.

قَالَ نَصِيرٌ وَقَدْ كَانَ فِي أَبِي مُوسَى غَفْلَةٌ (٣) فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِابْنِ عُمَرَ إِذَا هَبَّ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ فَارْشُهُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لَا وَاللَّهِ لَا أَرْشُو عَلَيْهَا بِشَيْءٍ أَبَدًا مَا عَشْتُ وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُ إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ أَسْنَدَتْ إِلَيْكَ أَمْرَهَا بَعْدَ مَا تَقَارَعَتْ بِالسُّيُوفِ وَتَطَاعَنْتْ بِالرِّمَاحِ فَلَا تَرُدَّهُمْ فِي فِتْنَةٍ وَاتَّقِ اللَّهَ (٤).

ص: ٢٥٣

١-١ (١) وقعه صفين ٦٢٢-٦٢٣.

٢-٢ (٢) وقعه صفين ٦٢٢.

٣-٣ (٣) وكذا في صفين، وفي الطبري: «ابن عمر».

٤-٤ (٤) وقعه صفين ٦٢٣.

١- قَالَ نَضْرُ وَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَرْهَرَ الْعَبْسِيِّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ كُنْتُ مَعَ شُرَيْحِ بْنِ هَانِيٍّ فِي غَزْوِهِ سِجِسْتَانَ فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَلِيًّا عَ أَوْصَاهُ بِكَلِمَاتٍ إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ وَقَالَ لَهُ قُلْ لِعَمْرٍو إِذَا لَقَيْتَهُ إِنَّ عَلِيًّا يَقُولُ لَكَ إِنَّ أَفْضَلَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَإِنْ أَبْعَدَ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْبَاطِلِ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ زَادَهُ وَاللَّهُ يَا عَمْرٍو إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَيَّنَ مَوْضِعِ الْحَقِّ فَلِمَ تَتَجَاهَلُ أَبَانُ أَوْتَيْتَ طَمَعًا يَسِيرًا صَدَرَتْ لِلَّهِ وَالْأَوْلِيَاءِ عِدْوًا فَكَانَ وَاللَّهُ مَا قَدْ أَوْتَيْتَ قَدْ زَالَ عَنْكَ فَ لَا تَكُنْ لِلْحَائِنِينَ خَصِيمًا وَلَا لِلظَّالِمِينَ ظَهِيرًا أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ يَوْمَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ نَادِمٌ هُوَ يَوْمٌ وَفَاتِكَ وَ سَوْفَ تَتَمَنَّى أَنَّكَ لَمْ تُظْهِرْ لِي (١) عِدَاوَةً وَ لَمْ تَأْخُذْ عَلَيَّ حُكْمَ اللَّهِ رِشْوَةً قَالَ شُرَيْحٌ فَأَبْلَغْتُهُ ذَلِكَ يَوْمَ لَقَيْتُهُ فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ (٢) وَقَالَ مَتَى (٣) كُنْتُ قَابِلًا مَشُورَةً عَلَيَّ أَوْ مُنْبِئًا إِلَى رَأْيِهِ أَوْ مُعْتَدًا بِأَمْرِهِ (٤) فَقُلْتُ وَ مَا يَمْنَعُكَ يَا ابْنَ النَّبِيعِ أَنْ تَقْبَلَ مِنْ مَوْلَاكَ وَ سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ مَشُورَتَهُ لَقَدْ كَانَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ أَبُو بَكْرٍ وَ عُمَرُ يَسْتَشِيرَانِي وَ يَعْمَلَانِ بِرَأْيِهِ فَقَالَ إِنَّ مِثْلِي لَا يُكَلِّمُ مِثْلَكَ فَقُلْتُ يَا أَبَوَيْكَ تَزْعُبُ عَنْ كَلَامِي بِأَيْبِكَ الْوَشِيظِ (٥) أَمْ بِأَمِّكَ النَّبِيعِ فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَ قُمْتُ

(٦)

قَالَ نَضْرُ وَ رَوَى أَبُو جَنَابِ الْكَلْبِيِّ أَنَّ عَمْرًا وَ أَبَا مُوسَى لَمَّا التَّقِيَا بِدُومِهِ الْجَنْدَلِ أَخَذَ عَمْرٌو يُقَدِّمُ أَبَا مُوسَى فِي الْكَلَامِ وَ يَقُولُ إِنَّكَ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَ قَيْلِي وَ أَنْتَ أَكْبَرُ مِنِّي سِنًا فَتَكَلَّمْ أَنْتَ ثُمَّ أَتَكَلَّمْ أَنَا فَجَعَلَ ذَلِكَ سُنَّةً وَ عَادَةً بَيْنَهُمَا

ص: ٢٥٤

(١-١) صفين: «لمسلم».

(٢-٢) وقعه صفين: «فتمعر وجه عمرو». و تمعر: تغير وجهه غيظا.

(٣-٣-٣) وقعه صفين: «متى كنت أقبل مشوره على أو أنيب إلى أمره و أعتد برأيه!».

(٤-٣-٣) وقعه صفين: «متى كنت أقبل مشوره على أو أنيب إلى أمره و أعتد برأيه!».

(٥-٥) وقعه صفين ٦٢٤.

-٦

وَإِنَّمَا كَانَ مَكْرًا وَخَدِيعَةً وَاغْتِرَارًا لَهُ أَنْ يُقَدِّمَهُ فَيَبْدَأُ بِخَلْعِ عَلِيٍّ ثُمَّ يَرَى رَأْيَهُ.

٣٧٨

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْبٍ فِي كِتَابِ صِفِّينَ أَعْطَاهُ عَمْرُو صِدْرَ الْمَجْلِسِ وَكَانَ لَا يَتَكَلَّمُ قَبْلَهُ وَاعْتَاهُ التَّقَدُّمَ فِي الصَّلَاةِ وَفِي الطَّعَامِ لَا يَأْكُلُ حَتَّى يَأْكُلَ وَإِذَا خَاطَبَهُ فَإِنَّمَا يُخَاطِبُهُ بِأَجْلِ الْأَسْمَاءِ وَيَقُولُ لَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى اطمأنَّ إِلَيْهِ وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَغُشُّهُ.

٣٧٩

١- قَالَ نَضِيرٌ فَلَمَّا انْمَحَضَتِ الزُّبَيْدَةُ بَيْنَهُمَا قَالَ لَهُ عَمْرُو أَخْبِرْنِي مَا رَأَيْتَ يَا أَبَا مُوسَى قَالَ أَرَى أَنْ أَنْخَلِعَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَنَجْعَلَ الْأَمْرَ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يَخْتَارُونَ مَنْ شَاءُوا فَقَالَ عَمْرُو الرَّأْيُ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَ فَأَقْبَلَا إِلَى النَّاسِ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فَتَكَلَّمَ أَبُو مُوسَى فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ رَأْيِي وَرَأَى عَمْرُو قَدْ اتَّفَقَ عَلَيَّ أَمْرٌ نَزَجُو أَنْ يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ شَأْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَقَالَ عَمْرُو صَدَقَ ثُمَّ قَالَ لَهُ تَقَدَّمَ يَا أَبَا مُوسَى فَتَكَلَّمَ فَقَامَ لِيَتَكَلَّمَ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ لَهُ وَيْحَكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّهُ خَدَعَكَ إِنْ كُنْتُمَا قَدْ اتَّفَقْتُمَا عَلَيَّ أَمْرٍ فَتَقَدَّمْتُمَا قَبْلَكَ لِيَتَكَلَّمَ بِهِ ثُمَّ تَكَلَّمْتَ أَنْتَ بَعِيدَهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ عَدَاؤُ وَ لَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْطَاكَ الرِّضَا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ فَإِذَا قُتِمَتْ قُتِمَتْ بِهِ فِي النَّاسِ خَالَفَكَ وَ كَانَ أَبُو مُوسَى رَجُلًا مُعَفَّلًا فَقَالَ إِيهَاءَ عَنكَ إِنَّا قَدْ اتَّفَقْنَا.

فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَمْ نَرِ شَيْئًا هُوَ أَصْلِحُ لَأَمْرِهَا وَ لَا أَلْمُ لِشَعْنِهَا مِنْ أَلَّا تَتَّبَايَنَ أُمُورُهَا وَ قَدْ أَجْمَعَ رَأْيِي وَ رَأَى صَاحِبِي عَلَيَّ عَلَيَّ وَ مُعَاوِيَةَ وَ أَنْ يُسَبِّحَ تَقَبَّلَ هَذَا الْأَمْرَ فَيَكُونَ سُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ يُولُونَ أُمُورَهُمْ مِنْ أَحْبَبُوا وَ إِنِّي قَدْ خَلَعْتُ عَلَيَّ وَ مُعَاوِيَةَ فَاسْتَقْبِلُوا

ص: ٢٥٥

أُمُورِكُمْ وَوَلُوا مَنْ رَأَيْتُمُوهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَهْلًا ثُمَّ تَنَحَّى.

فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْعِيَاصِ فِي مَقَامِهِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا قَدْ قَالَ مَا سَمِعْتُمْ وَ خَلَعَ صَاحِبُهُ وَ أَنَا أَخْلَعُ صَاحِبُهُ كَمَا خَلَعَهُ وَ أَثْبِتُ صَاحِبِي مُعَاوِيَةَ فِي الْخِلَافَةِ فَإِنَّهُ وَلِيُّ عُثْمَانَ وَ الطَّالِبُ بِدَمِهِ وَ أَحَقُّ النَّاسِ بِمَقَامِهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى مَا لَكَ لَا وَقَفَكَ اللَّهُ قَدْ عَدَدْتَ وَ فَجَزْتَ إِنَّمَا مِثْلُكَ كَمِثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ (١)
فَقَالَ لَهُ عَمْرُو إِنَّمَا مِثْلُكَ كَمِثْلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا (٢).

وَ حَمَلَ شُرَيْحُ بْنُ هَيَانٍ عَلَى عَمْرُو فَقَنَعَهُ بِالسَّوِطِ وَ حَمَلَ ابْنُ عَمْرُو عَلَى شُرَيْحٍ فَقَنَعَهُ بِالسَّوِطِ وَ قَامَ النَّاسُ فَحَجَزُوا بَيْنَهُمَا فَكَانَ شُرَيْحُ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدِمْتِي إِلَّا أَكُونَ ضَرْبُتُ عَمْرًا بِالسَّيْفِ بَدَلَ السَّوِطِ أَتَى الدَّهْرُ بِمَا أَتَى بِهِ.

وَ التَّمَسَّ أَضِيحَابُ عَلِيٍّ عَ أَبَا مُوسَى فَرَكِبَ نَاقَتَهُ وَ لِحِقَ بِمَكَّةَ وَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ قَبِحَ اللَّهُ أَبَا مُوسَى لَقَدْ حَدَرْتَهُ وَ هَدَيْتَهُ إِلَى الرَّأْيِ فَمَا عَقَلَ وَ كَانَ أَبُو مُوسَى يَقُولُ لَقَدْ حَدَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ عُذْرَةَ الْفَاسِقِ وَ لَكِنِّي اطْمَأْنَنْتُ إِلَيْهِ وَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يُؤْثِرُ شَيْئًا عَلَى نَصِيحِهِ الْأُمَّةِ (٣).

قَالَ نَضْرُ وَ رَجَعَ عَمْرُو إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ فَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ (٤) أَتَتَكَ الْخِلَافَةُ مَرْفُوفَةً هَنِئًا مَرِيئًا تُقَرُّ الْعِيُونَا

ص: ٢٥٦

١-١) سورة الأعراف ١٧٦.

٢-٢) سورة الجمعة ٥.

٣-٣) كتاب صفين ٦٢٧-٦٢٩ مع تصرف.

٤-٤-٤) العبارة كما وردت في كتاب صفين ٦٣٠: «ولما فعل عمرو ما فعل، و اختلط الناس، رجع إلى منزله، فجهز راكبا إلى معاوية يحبره بالأمر من أوله إلى آخره، و كتب في كتاب على حده».

تُزَفُّ إِلَيْكَ زَفَافَ الْعُرُوسِ (١)

قَالَ نَصِيرُ فَقَامَ سَعْدُ بْنُ قَيْسِ الْهَمْدَانِيُّ وَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ اجْتَمَعْتُمَا عَلَى الْهُدَى مَا زِدْتُمَا عَلَى مَا نَحْنُ الْآنَ عَلَيْهِ وَمَا ضَلَّكُمَا بِإِلَازِمٍ لَنَا وَمَا رَجَعْتُمَا إِلَّا بِمَا بَدَأْتُمَا بِهِ وَإِنَّا الْيَوْمَ لَعَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَمْسٍ.

وَقَامَ كُرْدُوسُ بْنُ هَانِيٍّ مُغْضَبًا فَقَالَ (٢) أَلَا لَيْتَ مَنْ يَرْضَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ

ص: ٢٥٧

١-١) كتاب صفين «كزف العروس».

٢-٢) أجهجه: قال الجوهرى: «جهجهت بالبيع، صحت به ليكف».

وَ ضَرَبَ يُزَيْلُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ

وَ تَكَلَّمَ يَزِيدُ بْنُ أَسِيدِ الْقَسِيرِيِّ وَ هُوَ مِنْ قُوَادِمِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ أَهْوَانَ مَا تَرُدُّنَا وَ إِيَّاكُمْ إِلَيْهِ الْحَرْبُ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِالْمَأْمُسِ وَ هُوَ الْفَنَاءُ وَ قَدْ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ إِلَى الصُّلْحِ وَ أَشْرَفَتِ الْأَنْفُسُ عَلَى الْفَنَاءِ وَ أَصْبَحَ كُلُّ امْرِئٍ يَبْكِي عَلَى قَتِيلٍ مَا لَكُمْ رَضِيْتُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِ صَاحِبِكُمْ وَ كَرِهْتُمْ آخِرَهُ إِنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ وَحْدَكُمْ الرِّضَا.

قَالَ وَ قَالَ بَعْضُ الْأَشْعَرِيِّينَ لِأَبِي مُوسَى (١) أَبَا مُوسَى خُدِعْتَ وَ كُنْتَ شَيْخًا

قَالَ وَ سَمِيَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَ قَالَ كَعْبُ بْنُ جَعْلٍ شَاعِرٌ مَعَاوِيَةَ كَانَ أَبَا مُوسَى عَشِيَّةَ أَدْرَحَ

ص: ٢٥٨

١- (١) الأرقام: أحياء في تغلب، و السبه: العار.

قال نَصِيرُ وَ كانَ عَلِيُّ ع لَمَّا خَدَعَ عَمْرُو أبا مُوسَى بِالْكُوفَةِ كانَ قَدْ دَخَلها مُنْتَظِراً ما يَحْكُمُ بِهِ الحَكَمانِ فَلَمَّا تَمَّ عَلِيُّ أَبِي مُوسَى ما تَمَّ مِنَ الحِيلَةِ غَمَّ ذَلِكَ عَلِيّاً وَ ساءَهُ وَ وَجَمَ لَهُ وَ خَطَبَ النّاسَ فَقالَ الحَمِيدُ لِلّهِ وَ إِنَّ أتی الدَّهْرُ بِالخُطْبِ الفادِحِ وَ الحِديثِ الجَليلِ... الخُطْبَةُ الَّتِي ذَكَرَها الرِّضِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى وَ هِيَ الَّتِي نَحْنُ فِي شَرْحِها وَ زادَ فِي آخِرِها بَعِيدَ الاِسْتِشْهادِ بَيْتِ دُرَيْدِ الأَإِنَّ هَذايِنِ الرُّجُلينِ اللّذينِ اخْتَرْتُمُوهما قَدْ نَبَدا حُكْمَ الكِتابِ وَ أَحْيَيا ما أَماتَ وَ اتَّبَعَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما هَواهُ وَ حَكَمَ بِغَيرِ حُجَّهِ وَ لا بَينَهِ وَ لا سُنَّهِ ما ضَيَّعَهُ وَ اخْتَلَفا فيما حَكَمَ فَكِلاهُما لَمْ يُرْشِدِ اللّهُ فَاسْتَعَدُّوا لِلجِهادِ وَ تَأَهَّبُوا لِلْمَسيرِ وَ أَصْبَحُوا فِي مُعسَكَرِكُمْ يَومَ كَذا

قَالَ نَصِيرٌ فَكَانَ عَلِيُّ ع بَعْدَ الْحُكُومَةِ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ وَالْمَغْرِبَ وَفَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُمَّ الْعَنِ مُعَاوِيَةَ وَ عَمْرَأَ وَ أَبَا مُوسَى وَ حَبِيبَ بْنِ مَسْلَمَةَ وَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَالِدٍ وَ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ وَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَكَانَ إِذَا صَلَّى لَعَنَ عَلِيًّا وَ حَسَنًا وَ حُسَيْنًا وَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَ ابْنَ عَبَّادَةَ وَ الْأَشْتَرَ وَ زَادَ ابْنُ دُرَيْزِيلَ فِي أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ أَبَا الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ

٣٨٠

١- وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْزِيلَ أَيْضًا أَنَّ أَبَا مُوسَى كَتَبَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَلِيِّ ع أَمَا بَعِيدُ فَإِنِّي قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَلْعُنِي فِي الصَّلَاةِ وَ يُؤَمِّنُ خَلْفَكَ الْجَاهِلُونَ وَ إِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ مُوسَى ع رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (١).

٣٨١

وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْزِيلَ عَنِ وَكَيْعٍ عَنْ فَضْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عَلِيِّ ع أَنَّهُ قَالَ يُوتَى بِي وَ بِمُعَاوِيَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَجِئْتُ وَ نَخْتَصِمُ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ فَأُتِنَا فَلَجَ فَلَجَ أَصْحَابُهُ

(٢)

٣٨٢

١- وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَافِعِ الْقَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأِلَ عَلِيُّ ع عَنْ قَتْلِي صِفِينَ فَقَالَ إِنَّمَا الْحِسَابُ عَلَيَّ وَ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ

٣٨٣

وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُوسَى بْنِ طَرِيفٍ عَنْ عَبَّادَةَ (٣) قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع وَ هُوَ يَقُولُ أَنَا قَسِيمُ النَّارِ هَذَا لِي وَ هَذَا لَكَ .

٣٨٤

وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَلِ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةً فَبَيْنَمَا هُم كَذَلِكَ مَرَقَتْ مِنْهُم مَارِقَةٌ يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ.

ص: ٢٦٠

١-١) سورة القصص ١٧.

٢-٢) فلج، أي غلب.

٣-٣) عبايه بن رفاعه بن رافع بن خديج الأنصاري.

١٤١- قال إبراهيم بن ديزيل و حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ عَفِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ ابْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ حَنَشِ الصَّنَعَانِيِّ قَالَ جِئْتُ إِلَى أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَقَدْ عَمِيَ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ تَأْتُونَنَا فَنَخْبِرُكُمْ ثُمَّ تَرْفَعُونَ ذَلِكَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ فَيَبْعَثُ إِلَيْنَا بِالْكَلامِ الشَّدِيدِ قَالَ قُلْتُ أَنَا حَنَشٌ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا حَنَشُ الْمِصْرِيُّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَخْرُجُ نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ يَنْظُرُ أَحَدُكُمْ فِي نَصِيْلِهِ فَلَا يَرَى شَيْئًا فَيَنْظُرُ فِي قُدْذِهِ (١) فَلَا يَرَى شَيْئًا سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ يُصَلِّي بِقِتَالِهِمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِاللَّهِ فَقَالَ حَنَشٌ فَإِنَّ عَلِيًّا صِلَمَى بِقِتَالِهِمْ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ وَ مَا يَمْنَعُ عَلِيًّا أَنْ يَكُونَ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِاللَّهِ

١- وَ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ بَشَّارِ الْأَنْبَارِيِّ فِي أَمَالِيهِ قَالَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حَضَرْتُ الْحُكُومَةَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفُضْلِ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَعِدَ إِلَيَّ جَانِبَ أَبِي مُوسَى وَقَدْ نَسَرَ أُذُنِيهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَنْطِقَ بِهِمَا فَعَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ لَنَا مَا دَامَ هُنَاكَ وَ أَنَّهُ سَيُفْسِدُ عَلَيَّ عَمْرِي حِيلَتُهُ فَأَعْمَلْتُ الْمَكِيدَةَ فِي أَمْرِهِ فَجِئْتُ حَتَّى قَعِدْتُ عِنْدَهُ وَقَدْ شَرَعَ عَمْرُو وَ أَبُو مُوسَى فِي الْكَلَامِ فَكَلَّمْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ كَلِمَةً اسْتِطْعَمْتُهُ جَوَابَهَا فَلَمْ يَجِبْ فَكَلَّمْتُهُ أُخْرَى فَلَمْ يَجِبْ فَكَلَّمْتُهُ ثَالِثَةً فَقَالَ إِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنْ حِوَارِكَ الْإِمَانِ فَجَبَهْتُهُ وَقُلْتُ يَا بَنِي هَاشِمٍ لَا تَتْرُكُونَ بَأْوَكُمْ (٢) وَ كَبِرْكُمْ أَيْدَاءَ أَمِيَاءِ وَ اللَّهُ لَوْ لَا مَكَانُ السُّبُوهِ لَكَانَ لِي وَ لَكَ شَأْنٌ قَالِ فَحَمِي وَ غَضِبَ وَ اضْطَرَبَ فِكْرُهُ وَ رَأَيْهُ وَ اسْتَمَعْنِي كَلَامًا يَسُوءُ سَمَاعَهُ فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَ قُمْتُ فَقَعِدْتُ إِلَيَّ جَانِبَ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ قَدْ كَفَيْتُكَ التَّقْوَالَ (٣) إِنِّي قَدْ شَعَلْتُ بِاللَّهِ بِمَا دَارَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ فَأَحْكِمْ أَنْتَ أَمْرَكَ قَالَ

ص: ٢٤١

١- (١) القذذ جمع قذذ، و هي: ريش السهم.

٢- (٢) البأو: التفاخر.

٣- (٣) التقواله: الكثير القول.

١٤- وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ وَرَوَاهُ جَمِيعُ النَّاسِ مِمَّنْ عُنِيَ بِنَقْلِ الْأَثَارِ وَالسِّيَرِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصِيرِيِّ قَالَ أَرْبَعُ خِصَالٍ كُنَّ فِي مُعَاوِيَةَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَكَانَتْ مُوبِقَةً انْتِزَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالسَّفَهَاءِ حَتَّى ابْتَزَّهَا أَمْرَهَا بِغَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ وَ فِيهِمْ بَقَايَا الصَّحَابَةِ وَ ذُؤُ الْفَضَّةِ يَلَهُ وَ اسْتِخْلَافُهُ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَزِيدَ سَكِينًا حَمِيرًا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ وَ يَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ وَ ادَّعَاؤُهُ زِيَادًا وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَ لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ وَ قَتْلُهُ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ وَ أَصْحَابَهُ فَيَا وَيْلَهُ مِنْ حُجْرٍ وَ أَصْحَابِ حُجْرٍ .

وَ رُوِيَ فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ أَيْضًا الْخَبْرُ الَّذِي رَوَاهُ الْمِدَائِنِيُّ وَ قَدْ ذَكَرْنَاهُ آيْنًا مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِأَبِي مُوسَى وَ قَوْلِهِ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَزْتُكُوا لِفَضْلِ عِنْدَكَ لَمْ تُشَارِكْ فِيهِ وَ ذَكَرَ فِي آخِرِهِ فَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ مَا كَلَّمَ الْأَقْوَامَ مِنْ بَشَرٍ

١- وَ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ أَيْضًا فِي الْمَوْفَقِيَّاتِ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ حُجَّيَةَ التَّمِيمِيَّ شَهِدَ الْجَمَلَ وَ صَفِيْنَ وَ نَهْرَوَانَ مَعَ عَلِيٍّ ع ثُمَّ وُلَّاهُ الرَّيَّ وَ دَسِيْبِي (١) فَسَرَقَ مِنْ أَمْوَالِهِمَا وَ لَحِقَ بِمُعَاوِيَةَ وَ هَجَا عَلِيًّا وَ أَصِيْحَابَهُ وَ مَدَحَ مُعَاوِيَةَ وَ أَصِيْحَابَهُ فَدَعَا عَلَيْهِ عَلِيٌّ ع وَ رَفَعَ أَصِيْحَابَهُ أَيْدِيَهُمْ فَأَمَّنُوا وَ كَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمَّةٍ كِتَابًا يُقَبِّحُ إِلَيْهِ

(١- ١) دستي، بفتح أوله و سکون ثانيه و فتح التاء و الباء المقصورة: كوره كبيره كانت مقسومه بين الرى و همدان. ياقوت.

مَا صَنَعَ وَكَانَ الْكِتَابُ شِعْرًا فَكَتَبَ يَزِيدُ بْنُ حُجَيْبٍ إِلَيْهِ لَوْ كُنْتُ أَقُولُ شِعْرًا لَأَجَبْتُكَ وَ لَكِنْ قَدْ كَانَ مِنْكُمْ خِلَالِ ثَلَاثِ لَا تَرُونَ
 مَعَهُنَّ شَيْئًا مِمَّا تُحِبُّونَ أَمَّا الْأَوْلَىٰ فَإِنَّكُمْ سَدَرْتُمْ إِلَىٰ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّىٰ إِذَا دَخَلْتُمْ بِلَادَهُمْ وَ طَعَنْتُمْ وَهُمْ بِالرِّمَاحِ وَ أذَقْتُمْ وَهُمْ أَلَمَ
 الْجِرَاحِ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ فَسَيَخْرُوا مِنْكُمْ وَ رَدُّوكُمْ عَنْهُمْ فَوَ اللَّهُ وَ وَ اللَّهِ لَا دَخَلْتُمُوهَا بِمِثْلِ تِلْكَ الشُّوْكَهِ وَ الشَّدْهِ أَيْدَاءً وَ الثَّانِيَهُ أَنَّ
 الْقَوْمَ بَعَثُوا حَكَمًا وَ بَعَثْتُمْ حَكَمًا فَأَمَّا حَكْمُهُمْ فَأُتِبْتُمْ وَ أَمَّا حَكْمُكُمْ فَخَلَعْتُمْ وَ رَجَعَ صَاحِبُهُمْ يُدْعَىٰ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ رَجَعْتُمْ
 مُتَضَاعِفِينَ وَ الثَّلَاثَهُ أَنَّ قُرَاءَتَكُمْ وَ فِقْهَاءَكُمْ وَ فُرْسِيَانَكُمْ خَالَفُوكُمْ فَعِيدُوْتُمْ عَلَيْهِمْ فَقَتَلْتُمُوهُمْ ثُمَّ كَتَبَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ بَيْنَيْنِ لِعَفَانَ
 بْنِ شَرْحِبِيلِ التَّمِيمِيِّ أَحْبَبْتُ أَهْلَ الشَّامِ مِنْ بَيْنِ الْمَلَأِ

٣٩٠

١١٤-١- وَ ذَكَرَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ (١) فِي كِتَابِ الْأَمْالِي أَنَّنِي سَعِدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ دَخَلَ عَلَيَّ مُعَاوِيَةَ عَامَ الْجَمَاعَةِ فَلَمَّ يُسَلِّمُ عَلَيَّ
 بِإِمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ لَوْ شِئْتُ أَنْ تَقُولَ فِي سِيْلَامِكَ غَيْرَ هَذَا لَقُلْتُ فَقَالَ سَعِدُ نَحْنُ الْمُؤْمِنُونَ وَ لَمْ نُؤْمَرْكَ كَأَنَّكَ قَدْ
 بَهَجْتَ (٢) بِمَا أَنْتَ فِيهِ يَا مُعَاوِيَةُ وَ اللَّهُ مَا يَسْرُنِي مَا أَنْتَ فِيهِ وَ أَنِّي هَرَقْتُ الْمِحْجَمَةَ [مِحْجَمَةٌ]

(٣) دَمَ قَالَ وَ لَكِنِّي وَ ابْنَ عَمِّكَ عَلِيًّا يَا أَبَا إِسْحَاقَ قَدْ هَرَقْنَا أَكْثَرَ مِنْ مِحْجَمَةٍ وَ مِحْجَمَتَيْنِ هَلُمَّ فَاجْلِسْ مَعِيَ عَلَى السَّرِيرِ فَجَلَسَ
 مَعَهُ فَذَكَرَ لَهُ مُعَاوِيَةُ اعْتِزَالَهُ الْحَرْبِ يُعَاتِبُهُ فَقَالَ سَعِدُ إِنَّمَا كَانَ مَتَلِي وَ مِثْلُ النَّاسِ كَقَوْمِ أَصَابَتْهُمْ ظُلْمَةٌ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِبَعِيرِهِ إِخْ
 فَأَنَاحَ حَتَّى أَضَاءَ لَهُ الطَّرِيقَ

ص: ٢٤٣

١-١) هو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري أبو أحمد؛ أحد أعلام اللغة و الأدب، أخذ عن ابن دريد و طبقته؛ و صاحب
 كتاب التصحيف توفي سنة ٣٨٠: (إنباه الرواه ١:٣١٠).

٢-٢) بهج بالشيء: فرح به.

٣-٣) المحجمة: قاروره الحجام.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ وَاللَّهِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ (١) مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِخٍ وَإِنَّمَا فِيهِ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ (٢) فَوَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ الْبَاغِيَةَ وَلَا الْمَبْغِيَّ عَلَيْهَا فَأَفْحَمَهُ.

وَزَادَ ابْنُ دَرَيْزِيلَ فِي هَذَا الْخَبَرِ زِيَادَةً ذَكَرَهَا فِي كِتَابِ صِفِّينَ قَالَ فَقَالَ سَعْدٌ أَتَأْمُرُنِي أَنْ أُقَاتِلَ رَجُلًا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي فَقَالَ مُعَاوِيَةُ مَنْ سَمِعَ هَذَا مَعَكَ قَالَ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ وَ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ هَذَا لَمَا قَاتَلْتُهُ

ص: ٢٦٤

١- (١) أبو إسحاق كنيه سعد بن أبي وقاص.

٢- (٢) سورة الحجرات ٩.

إشاره

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُضَيَّبِحُوا صَرَعى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ وَ بِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَا سُلْطَانَ مُبِينٍ مَعَكُمْ قَدْ طَوَّحْتُ بِكُمْ الدَّارَ وَ احْتَبَلْتُكُمْ الْمِقْدَارَ وَ قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَيَّبْتُمْ عَلَى إِبَاءِ [الْمُخَالِفِينَ]

الْمُنَابِذِينَ [الْمُخَالِفِينَ]

حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرَ أَخَفَاءِ الْهَامِ سُفَهَاءِ الْأَخْلَامِ وَ لَمْ آتِ لَكُمْ بُجْرًا وَ لَا أَرَدْتُ بِكُمْ ضُرًّا .

الأهضام جمع هضم و هو المظمن من الوادى و الغائط ما سفلى من الأرض .

و احتبلكم المقدار أوقعكم فى الحباله .

و البحر الداهيه و الأمر العظيم و يروى هجرا و هو المستقبح من القول و يروى عرا و العرقروح فى مشافر الإبل و يستعار للداهيه

أخبار الخوارج

قد تظافرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلى الخوارج من الثواب على لسان رسوله ص

(١)

بَيْنَا هُوَ يَقْسِمُ قَسِيماً حَيَاءً رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُدْعَى ذَا الْخَوْبِصَةِ رَهَ فَقَالَ اَعْمِدْ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ عَ قَدْ عَدَلْتُ فَقَالَ لَهُ ثَانِيَةً اَعْمِدْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْمِدْ فَقَالَ صَ وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْمِدُ إِذَا لَمْ اَعْمِدْ فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي اَضْرِبُ عُنُقَهُ فَقَالَ دَعُهُ فَسَيَخْرُجُ مِنْ ضَنْضِي (٢) هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ (٣) مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ يَنْظُرُ اَحَدُكُمْ اِلَى نَضِيهِ (٤) فَلَا يَجِدُ شَيْئاً فَيَنْظُرُ اِلَى نَضِيهِ (٥) فَلَا يَجِدُ شَيْئاً ثُمَّ يَنْظُرُ اِلَى الْقُدْذِ (٦) فَكَذَلِكَ سَبَقَ الْفَرْثَ وَ الدَّمَ (٧) يَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فِرْقِهِ مِنَ النَّاسِ تُحْتَقَرُ صِيْلَاتُكُمْ فِي جَنْبِ صَلَاتِهِمْ وَ صَوْمُكُمْ عِنْدَ صَوْمِهِمْ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ آيَتُهُمْ (٨) رَجُلٌ اَسْوَدٌ اَوْ قَالَ اَدْعُج (٩) مُخَدَّج (١٠) الْيَدِ اِحْدَى يَدَيْهِ كَأَنَّهَا تَدِي اَمْرَاهُ اَوْ بَضْعُهُ تَدْرُدُ

(١١)

٣٩٢

١٤,١- وَ فِي بَعْضِ الصَّحَاحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَقَدْ غَابَ الرَّجُلُ

ص: ٢٦٦

- ١-١) انظر الكامل ١٩٠:٣.
- ٢-٢) ضَنْضِي هَذَا، أَى مِنْ جِنْسِ هَذَا؛ يُقَالُ: فُلَانٌ مِنْ ضَنْضِي صَدَقَ، وَ مِنْ مَحْتَدٍ صَدَقَ، وَ فِي مَرْكَبٍ صَدَقَ.
- ٣-٣) قَالَ الْمَبْرَدُ: «يُقَالُ: مَرَقَ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ؛ إِذَا نَفَذَ مِنْهَا، وَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ أَلَا يَلْقَى بِهِ مِنْ دَمِهَا شَيْءٌ».
- ٤-٤) النِّصْلُ: حَديده السَّهْمِ وَ السِّيفِ.
- ٥-٥) النُّضْيُ، عَلَيَّ «فَعِيلٌ»: الْقَدْحُ (بِكْسَرٍ فَسْكَوْنٍ)؛ وَ هُوَ السَّهْمُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَلَ وَ يَرِيشَ.
- ٦-٦) الْقُدْذُ: جَمْعُ قَذَةٍ؛ وَ هِيَ رِيشَةُ السَّهْمِ.
- ٧-٧) الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَيَّ السَّهْمِ؛ وَ الْكَلَامُ عَلَيَّ التَّشْبِيهِ وَ الِاسْتِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّةِ؛ ضَرَبَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مِثْلًا- لَخُرُوجِهِمْ مِنَ الدِّينِ، لَمْ يَلْقَى بِقُلُوبِهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ.
- ٨-٨) ذَكَرُوا أَنَّهُ حَرَقَوْصَ بَنِ زَهْرٍ؛ كَانَ صَحَابِيًّا أَمَدَ بِهِ عَمْرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ نَازَلُوا الْأَهْوَاذَ، ثُمَّ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ فِي صَفَيْنَ؛ ثُمَّ صَارَ خَارِجِيًّا عَلَيْهِ، فَقَتَلَ تَاجَ الْعُرُوسِ (٣٧٩:٤).
- ٩-٩) الدَّعِجُ: شَدَّهِ سَوَادُ الْعَيْنِ مَعَ اتِّسَاعِهَا.
- ١٠-١٠) مَخْدَجُ الْيَدِ، مَنْ أَخَذَهُ اللَّهُ؛ إِذَا نَقَصَ عَضْوًا مِنْهُ.
- ١١-١١) تَدْرُدُ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ (٢:١٩): «تَدْرُدُ: أَى تَرَجْرَجُ؛ تَجِيءُ وَ تَذْهَبُ، وَ الْأَصْلُ تَتَدْرُدُ، فَحُذِفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ

عَنْ عَيْنِهِ قُمْ إِلَى هَذَا فَاقْتُلْهُ فَصَامَ ثُمَّ عَادَ وَقَالَ وَحَدَّثَهُ يُصَيِّمِي فَقَالَ لِعَلِّي عَ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَادَ فَقَالَ لَمْ أَجِدْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَوْ قُتِلَ هَذَا لَكَانَ أَوَّلَ فِتْنَةٍ وَآخِرِهَا أَمَا إِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ضَيْضِي هَذَا قَوْمَ الْحَدِيثِ

٣٩٣

وَ فِي بَعْضِ الصَّحَاحِ يَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الْفَرِيقَيْنِ بِالْحَقِّ.

٣٩٤

١٤١- وَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ قَالَتْ لِي عَمَائِشَةُ إِنَّكَ مِنْ وُلْدِي وَ مِنْ أَحِبِّهِمْ إِلَيَّ فَهَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنَ الْمُخَدَجِ فَقُلْتُ نَعَمْ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى نَهْرٍ يُقَالُ لِأَعْلَاهُ تَامْرًا (١) وَ لِأَسْفَلِهِ النَّهْرَوَانُ بَيْنَ لَخَاقِيقٍ وَ طَرْفَاءَ (٢) قَالَتْ ابْنِي عَلَى ذَلِكَ بَيْنَهُ فَأَقَمْتُ رِجَالًا شَاهِدُوا عِنْدَهَا بِذَلِكَ قَالَ فَقُلْتُ لَهَا سَأَلْتُكَ بِصَاحِبِ الْقَبْرِ مَا الَّذِي سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فِيهِمْ فَقَالَتْ نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَ الْخَلِيقَةِ يَقْتُلُهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ وَ الْخَلِيقَةِ وَ أَقْرَبُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَسِيلَهُ

٣٩٥

وَ فِي كِتَابِ صِفِّينَ لِلْوَاقِدِيِّ عَنْ عَلِيِّ ع

لَوْ لَا أَنْ تَبْطَرُوا فَتَدْعُوا الْعَمَلَ لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا سَبَقَ عَلَيَّ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ص لِمَنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ .

٣٩٦

وَ فِيهِ قَالَ عَلِيُّ ع

إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص فَلَمَّا أَنْ أَخَّرَ مِنَ السَّمِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِي فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدَعَةٌ وَ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مُحَارِبٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَخْدَتُ الْأَسْنَانَ سَفَهَاءَ الْأَحْلَامِ قَوْلُهُمْ مِنْ خَيْرٍ

ص: ٢٦٧

١- (١) تامر؛ ضبطه ياقوت: «بفتح الميم و تشديد الراء و القصر»، و قال «نهر واسع يخرج من جبال شهرزور و الجبال المجاوره لها».

٢- (٢) لخاقيق: جمع لخدق؛ و هو ضيق في الأرض، و الطرفاء: شجر من الحمض، و احدثه طرفاء.

أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَرِّيَّةِ صِلَاتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ صِلَاتِكُمْ وَ قِرَاءَتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ قِرَاءَتِكُمْ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ أَوْ قَالَ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٣٩٧

١٤، ١- وَ فِي كِتَابِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْضًا لِلْمَدَائِنِيِّ عَنِ مَسْرُوقٍ أَنَّ عِرَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّ عَلِيًّا ع قَتَلَ ذَا التُّدَيْيَةِ لَعَنَ اللَّهُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ قَتَلَهُ بِالْإِسْبَاطِ كَنَدَرِيَّةٍ أَلَا إِنَّهُ لَيْسَ يَمْنَعُنِي مَا فِي نَفْسِي أَنْ أَقُولَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ص يَقُولُ يَقْتُلُهُ خَيْرُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي

٣٩٨

١- وَ ذَكَرَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فِي التَّارِيخِ أَنَّ عَلِيًّا ع لَمَّا دَخَلَ الْكُوفَةَ دَخَلَهَا مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْخَوَارِجِ وَ تَخَلَّفَ مِنْهُمْ بِالْمُنْحَلَةِ وَ غَيْرِهَا خَلَقَ كَثِيرٌ لَمْ يَدْخُلُوهَا فَدَخَلَ حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ وَ زُرْعَةُ بْنُ الْبُرْجِ الطَّائِيُّ وَ هُمَا مِنْ رُءُوسِ الْخَوَارِجِ عَلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَهُ حُرْقُوصُ تَبَّ مِنْ خَطِيئَتِكَ وَ اخْرُجْ بِنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ نُنَاجِهِدُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ع إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْحُكُومَةِ فَأَيُّكُمْ ثُمَّ الْآنَ تَجْعَلُونَهَا ذَنْبًا أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِمَعْصِيَةٍ وَ لَكِنَّهَا عَجْزٌ مِنَ الرَّأْيِ وَ ضَعْفٌ فِي التَّدْبِيرِ وَ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَقَالَ زُرْعَةُ أَمَا وَ اللَّهُ لَئِنْ لَمْ تَتَّبِعْ مِنْ تَحْكِيمِكَ الرَّجَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ (١) أَطْلُبُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَ رِضْوَانَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ ع بُوْسًا لَكَ مَا أَشَقَّاكَ كَأَنِّي بِكَ قَتِيلًا تَسْفِي عَلِيَّكَ الرِّيَاحُ قَالَ زُرْعَةُ وَ دَدْتُ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ (٢) .

قَالَ وَ خَرَجَ عَلِيٌّ ع يَخْطُبُ النَّاسَ فَصَاحُوا بِهِ مِنْ جَوَانِبِ الْمَسْجِدِ

ص: ٢٤٨

١- ١) الطبري: «قاتلتك».

٢- ٢) تاريخ الطبري ٥: ٧٢.

لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَصَاحَ بِهِ رَجُلٌ [مِنْهُمْ وَاصْبِعْ إصْبَعَهُ فِي أُذُنَيْهِ فَقَالَ]

(١) وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَسْرَكَتَ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢) فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ع فَاصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخَفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٣)

٣٩٩

١٤٠١- وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْبٍ فِي كِتَابِ صِفِّينَ قَالَ كَانَتْ الْخَوَارِجُ فِي أَوَّلِ مَا انصَيْرَفَتْ عَنْ رَايَاتِ عَلِيِّ ع تُهَدِّدُ النَّاسَ قِتْلًا قَالَ فَأَتَتْ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَى النَّهْرِ إِلَى حَيَابِ قَرْيَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا رَجُلٌ مِدْعُورًا آخِذًا بِشِيَابِهِ فَأَذْرَكَوهُ فَقَالُوا لَهُ رَعَبْنَاكَ قَالَ أَجَلُ فَقَالُوا لَهُ قَدْ
عَرَفْنَاكَ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَبَابٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ نَعَمْ قَالُوا فَمَا سَمِعْتَ مِنْ أَبِيكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ ابْنُ
دُرَيْبٍ فَحَدَّثْتُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ: إِنَّ فِتْنَةَ جَائِيَةِ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ الْحَدِيثِ.

وَ قَالَ غَيْرُهُ بَلْ حَدَّثْتُهُمْ: أَنَّ طَائِفَةً تَمْرُقُ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ صِيْلَاتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ صَلَاتِكُمْ الْحَدِيثِ
فَضَرَبُوا رَأْسَهُ فَسَالَ دَمُهُ فِي النَّهْرِ مَا امْدَقَرَ أَى مَا اخْتَلَطَ بِالْمَاءِ كَأَنَّهُ شِرَاكٌ ثُمَّ دَعَوْا بِجَارِيَةٍ لَهُ حُبْلَى فَبَقَرُوا عَمَّا فِي بَطْنِهَا .

٤٠٠

١- وَ رَوَى ابْنُ دُرَيْبٍ قَالَ عَزَمَ عَلِيُّ ع عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْحُرُورِيِّ (٤) وَ كَمَا فِي أَصْحَابِهِ مَنْجَمٌ فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَا تَسِرْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ

ص: ٢٦٩

١- ١) تكمله من تاريخ الطبري.

٢- ٢) سورة الزمر ٦٥.

٣- ٣) سورة الروم ٦٠ والخبر في الطبري ٥: ٧٣.

٤- ٤) الحرورية: نسبه إلى حروراء: قريه على ميلين من الكوفه؛ كان اجتماع الخوارج فيها. فنسبوا إليها.

وَسِرَّ عَلَيَّ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ مَضَيْنَ مِنَ النَّهَارِ فَإِنَّكَ إِنْ سِرْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَصَابَكَ وَأَصْحَابُكَ أَدَىٰ وَضُرٌّ شَدِيدٌ وَإِنْ سِرْتَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِهَا ظَفِرَتْ وَظَهَرَتْ وَأَصَيْبَتْ مَا طَلَبْتَ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ عَ أَتَدْرِي مَا فِيهِ بَطْنِ فَرْسِي هَذِهِ أَذَكَرُّهُ أَمْ أَنْتَىٰ قَالَ إِنْ حَسِبْتُ عَلِمْتُ فَقَالَ عَلِيُّ عَ مَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَبَ بِالْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ (١) الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ عَ إِنْ مُحَمَّدًا صَ مَا كَانَ يَدْعِي عِلْمَ مَا أَدْعَيْتَ عِلْمَهُ أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْتَدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي يُصِيبُ النَّفْعَ مَنْ سَارَ فِيهَا وَتَضِرُّ فِيهَا عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي يَحِيقُ السُّوءُ بِمَنْ سَارَ فِيهَا فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ اسْتَيْغَىٰ عَنِ الْإِسْتِغَاةِ بِاللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي صِرْفِ الْمَكْرُوهِ عَنْهُ وَيَتَّبِعِي لِلْمُوقِنِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّيكَ الْحَمِيدَ دُونَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ لَأَنَّكَ بِزَعْمِكَ هِدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي يُصِيبُ النَّفْعَ مَنْ سَارَ فِيهَا وَصِرْفَتُهُ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي يَحِيقُ السُّوءُ بِمَنْ سَارَ فِيهَا فَمَنْ آمَنَ بِكَ فِي هَذَا لَمْ آمَنَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كَمَنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونَ اللَّهِ ضِدًّا وَنَدَا اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا ضَرَّ إِلَّا ضَرُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ثُمَّ قَالَ نُخَالِفُ وَنَسِيرُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي نَهَيْتَنَا عَنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالتَّعَلَّمَ لِلنُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَىٰ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ إِنَّمَا الْمُنْجِمُ كَالْكَاهِنِ وَالْكَاهِنِ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ أَمِيًّا وَاللَّهُ لَيَسَّرَ لِيَأْتِيَنَّكَ تَعْمَلُ بِالنُّجُومِ لِمَا خَلَدَنَكَ السَّحَابُ أَيْدِيًا مَا بَقِيَتْ وَ لَأَحْرَمَنَّكَ الْعَطَاءَ مَا كَانَ لِي مِنْ سُلْطَانٍ ثُمَّ سَارَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي نَهَا عَنْهَا الْمُنْجِمُ فَظَفِرَ بِأَهْلِ النَّهْرِ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَوْ سِرْنَا فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرْنَا بِهَا الْمُنْجِمُ لَقَالَ النَّاسُ سَارَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الْمُنْجِمُ فَظَفِرَ وَظَهَرَ أَمَا إِنَّهُ مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ صَ مُنْجِمٌ وَلَا لَنَا مِنْ بَعْدِهِ حَتَّىٰ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِلَادَ كِشْرَىٰ وَفَيْصَرَ أَيُّهَا النَّاسُ تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَثِقُوا بِهِ فَإِنَّهُ يَكْفِي مِمَّنْ سِوَاهُ

١- قَالَ فَرَوَى مُسْلِمٌ الضَّبِّيُّ عَنْ حَبَّه العُرْنِيِّ قَالَ لَمَّا انْتَهَيْتَا إِلَيْهِمْ رَمَوْنَا فُقُلَنَا لِعَلِّيَّ ع يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَمَوْنَا فَقَالَ لَنَا كُفُّوا ثُمَّ رَمَوْنَا فَقَالَ لَنَا كُفُّوا ثُمَّ التَّالِثَةَ فَقَالَ أَلَا نَ طَابَ الْقِتَالُ إِحْمَلُوا عَلَيْهِمْ .

١- وَ رَوَى أَيْضاً عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَنَّ عَلِيّاً ع لَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ لَهُمْ أَقِيدُونَا بِدَمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ فَقَالُوا كُلُّنَا قَتَلَهُ فَقَالَ إِحْمَلُوا عَلَيْهِمْ

وَ ذَكَرَ أَبُو هَلَالٍ العَسِيكَرِيُّ فِي كِتَابِ الْأَوَائِلِ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ بِنُ حُدَيْدِرٍ قَالَهَا بِصَفِيْنٍ وَقِيلَ زَيْدُ بْنُ عَاصِمٍ المَحَارِبِيُّ قَالَ وَ كَانَ أَمِيرُهُمْ أَوَّلَ مَا اعْتَزَلُوا ابْنَ الكَوَّاءِ ثُمَّ بَايَعُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ وَ كَانَ أَحَدَ الخُطْبَاءِ فَقَالَ لَهُمْ عِنْدَ بَيْعَتِهِمْ إِيَّاهُ إِيَّاكُمْ وَ الرَّأْيَ الفَطِيرَ (١) وَ الكَلَامَ القَضِيبَ (٢) دَعُوا لِرَأْيِ [الرَّأْيِ]

يَغِيبُ (٣) فَإِنَّ عُيُوبَهُ يَكْشِفُ لِلْمَرْءِ عَن قِصَّتِهِ (٤) وَ اَزْدِحَامِ الجَوَابِ مَضَلَّةً لِلصَّوَابِ وَ لَيْسَ الرَّأْيُ بِالإِرْتِجَالِ وَ لَا الحَزْمُ بِالإِقْتِصَابِ فَلَا تَدْعُونَكُمْ السَّلَامَةَ مِنْ حَطِّ مُوبِقٍ وَ غَنِيمَةٍ نَلْتُمُوهَا مِنْ غَيْرِ صَوَابٍ إِلَى مُعَاوَدَتِهِ وَ التَّمَّاسِ الرَّبِيعِ مِنْ جِهَتِهِ إِنَّ الرَّأْيَ لَيْسَ بِنَهْنَهِيٍّ (٥) وَ لَا هُوَ مَا أُعْطَيْتَكَ البُدِيهَةَ وَ إِنَّ حَمِيرَ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ وَ رَبُّ شَيْءٍ غَابُهُ خَيْرٌ مِنْ طَرِيئِهِ وَ تَأْخِيرُهُ خَيْرٌ مِنْ تَقْدِيمِهِ.

١- وَ ذَكَرَ المَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ الخَوَارِجِ قَالَ لَمَّا خَرَجَ عَلِيُّ ع إِلَى أَهْلِ النَّهْرِ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَمَّنْ كَانَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ يَرْكُضُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَلِيٍّ ع

١- (١) الرأى الفطير: الذى يبدو بديها من غير ترويه، خلاف الخمير.

٢- (٢) الكلام القضيب: المرتجل.

٣- (٣) يغب، أى يمضى عليه وقت.

٤- (٤) القضة: العيب.

٥- (٥) النههى: نسبه إلى النهنه، وهو الثوب الرقيق النسيج.

فَقَالَ الْبُشَيْرِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ مَا بُشِرَاكَ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ عَبَرُوا النَّهْرَ لَمَّا بَلَغَهُمْ وَصُولُكَ فَأَبَشِرْ فَقَدْ مَنَحَكَ اللَّهُ أَكْتَاْفَهُمْ فَقَالَ لَهُ
اللَّهُ أَنْتَ رَأَيْتَهُمْ قَدْ عَبَرُوا قَالَ نَعَمْ فَأَخْلَفَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّهَا يَقُولُ نَعَمْ فَقَالَ عَلِيُّ ع وَ اللَّهِ مَا عَبَرُوهُ وَ لَنْ يَعْبُرُوهُ وَ إِنَّ مَصَارِعَهُمْ
لَدُونَ النَّطْفَةِ وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسِيمَةَ لَنْ يَبْلُغُوا الْأَثَلَاثَ وَ لَا قَصِيرَ بَوَازِنَ حَتَّى يَقْتُلَهُمُ اللَّهُ وَ قَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ
فَارِسٌ آخِرٌ يَرْكُضُ فَقَالَ كَقَوْلِ الْأَوَّلِ فَلَمْ يَكْتَرِثْ عَلِيُّ ع بِقَوْلِهِ وَ جَاءَتِ الْفُرْسَانُ تَرْكُضُ كُلُّهَا تَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَامَ عَلِيُّ ع فَجَالَ
فِي مَتْنِ فَرَسِهِ قَالَ فَيَقُولُ شَابٌّ مِنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ لَأَكُونَنَّ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنْ كَانُوا عَبَرُوا النَّهْرَ لَأَجْعَلَنَّ سِنَانًا هَذَا الرُّمِيحَ فِي عَيْنِهِ أَيْدَعِي
عِلْمَ الْغَيْبِ فَلَمَّا انْتَهَى ع إِلَى النَّهْرِ وَحَدَّ الْقَوْمَ قَدْ كَسَرُوا جُفُونَ سَيُوفِهِمْ وَ عَزَقُوا خَيْلَهُمْ وَ جَثُوا عَلَى رُكْبِهِمْ وَ حَكَّمُوا تَحْكِيمَةً
وَاحِدَةً بِصَوْتِ عَظِيمٍ لَهُ زَجَلٌ فَنَزَلَ ذَلِكَ الشَّابُّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كُنْتُ شَكَّكَ [شَكَّكَتُ]

فِيكَ أَنْفًا وَ إِنِّي تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَيْكَ فَاعْفُ عَنِّي فَقَالَ عَلِيُّ ع إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَعْفِرُ الذُّنُوبَ فَاسْتَغْفِرْهُ

٤٠٥

١- وَ ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ قَالاً لَمَّا وَقَفَهُمْ عَلِيُّ ع بِالنَّهْرِ وَانِ قَالَ لَا تَبْدِءُوهُمْ بِقِتَالٍ حَتَّى يَبْدِءُوكُمْ
فَحَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفِّ عَلِيِّ ع فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً ثُمَّ قَالَ أَقْتُلُهُمْ وَ لَا أَرَى عَلِيًّا وَ لَوْ بَدَأَ أَوْجَرْتَهُ الْخَطِيئَةَ (١).

فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيُّ ع فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ فَلَمَّا خَالَطَهُ سَيْفُهُ قَالَ يَا حَبْدَا الرَّوْحَةَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ
إِلَى النَّارِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ

ص: ٢٧٢

(١ - ١) أَوْجَرْتَهُ الْخَطِيئَةَ: طَعَنَتْهُ بِالرَّمْحِ.

مِنْ بَنِي سَعْدٍ إِنَّمَا حَضَرْتُ اعْتِرَازاً بِهَذَا الرَّجُلِ يَعْنِي عَبْدِ اللَّهِ وَ أَرَاهُ قَدْ شَكَّ وَ اعْتَرَلَ عَنِ الْحَرْبِ بِجَمَاعِهِ مِنَ النَّاسِ وَ مَالَ أَلْفٍ مِنْهُمْ إِلَى جِهَةِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ وَ كَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ عَلِيٍّ ع فَقَالَ عَلِيٌّ ع لِأَصْحَابِهِ اِحْمِلُوا عَلَيْهِمْ فَوَاللَّهِ لَا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ وَ لَا يَسْلَمُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ (١) فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَطَحَنَهُمْ طَحْنًا قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ ع تِسْعَةً وَ أَفَلَّتْ مِنَ الْخَوَارِجِ ثَمَانِيَةً

(٢)

٤٠٦

١- وَ ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ ذَكَرَ غَيْرُهُ أَيْضًا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع لَمَّا وَجَّهَ إِلَيْهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ لِيَتَبَايَعَهُمْ قَالَ لَهُمْ مَا الَّذِي نَقَمْتُمْ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا لَهُ قَدْ كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا فَلَمَّا حَكَمَ فِي دِينِ اللَّهِ خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ فَلَيْتُبَّ بَعِيدَ إِفْرَارِهِ بِالْكَفْرِ نَعِيدُ (٣) إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا يَتَّبِعِي لِمُؤْمِنٍ لَمْ يَشُبْ إِيْمَانُهُ بِشَكِّكَ أَنْ يَقَرَّ عَلَيَّ نَفْسِي بِالْكَفْرِ قَالُوا إِنَّهُ حَكَمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالتَّحْكِيمِ فِي قَتْلِ صَيْدٍ فَقَالَ يَحْكُمُ بِهِ ذُوَا عِدْلٍ مِنْكُمْ (٤) فَكَيْفَ فِي إِمَامِهِ قَدْ أَشْكَلْتَ عَلَيَّ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا إِنَّهُ حَكَمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْضَ فَقَالَ إِنَّ الْحُكُومَةَ كَالْإِمَامَةِ وَ مَتَى فَسَقَ الْإِمَامُ وَ جَبَّتْ مَعْصِيَتُهُ وَ كَذَلِكَ الْحَكَمَانِ لَمَّا خَالَفَا نُبِذَتْ أَقَاوِيلُهُمَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ اجْعَلُوا احْتِجَاجَ قُرَيْشٍ حُجَّةً عَلَيْهِمْ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥) وَ قَالَ جَلَّ تَنَاؤُهُ وَ تَنْدَرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٦)

٤٠٧

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ يُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ حَكَمَ عُرْوَةَ بْنَ أُدِيَّةٍ وَ أُدِيَّةُ جِدَّةٌ لَهُ جَاهِلِيَّةٌ وَ هُوَ عُرْوَةُ بْنُ حُدَيْرٍ أَخِي بَنِي رَبِيعَةَ بْنِ حَنْظَلَةَ وَ قَالَ قَوْمٌ أَوَّلُ مَنْ حَكَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي

ص: ٢٧٣

١- (١) في الكامل: «و لا يفلت».

٢- (٢) الكامل ١٨٧:٣.

٣- (٣) ب: «نعد له».

٤- (٤) سورة المائد ٩٥.

٥- (٥) سورة الزخرف ٥٨.

٦- (٦) سورة مريم ٩٧، والخبر في الكامل ١٦٥:٣.

مَحَارِبِ بْنِ خَصِيْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ يُقَالُ لَهُ سَيْعِيدٌ وَ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي اجْتِمَاعِهِمْ (١) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبِ الرَّاسِبِيِّ وَ أَنَّهُ امْتَنَعَ عَلَيْهِمْ وَ أَوْمَأَ إِلَى غَيْرِهِ فَلَمْ يَقْنَعُوا إِلَّا بِهِ فَكَانَ إِمَامَ الْقَوْمِ وَ كَانَ يُوصَفُ بِرَأْيٍ فَأَمَّا أَوَّلُ سَيْفِ سُلٍّ مِنْ سُيُوفِ الْخَوَارِجِ فَسَيْفُ عَزْوَةَ بْنِ أُدَيْهِ وَ ذَاكَ أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْأَشْعَثِ فَقَالَ لَهُ مَا هِدْيَةُ الدِّيْتِ يَا أَشْعَثُ وَ مَا هَذَا التَّحْكِيمُ أَ شَرُطٌ أَوْ ثَقُ مِنْ شَرُطِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ شَهَرَ عَلَيْهِ السَّيْفَ وَ الْأَشْعَثُ مَوْلٌ فَضْرَبَ بِهِ عَجَزَ بَعْلَتِهِ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ عَزْوَةُ بْنُ حُدَيْرٍ هَذَا مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ نَجَوْا مِنْ حَرْبِ النَّهْرَوَانَ فَلَمْ يَزَلْ بَاقِيًا مَدَّةً مِنْ أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ ثُمَّ أُتِيَ بِهِ زِيَادٌ وَ مَعَهُ مَوْلَى لَهُ فَسَأَلَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَقَالَ خَيْرًا فَتَقَالَ لَهُ فَمَا تَقُولُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ وَ فِي أَبِي تَرَابٍ فَتَوَلَّى عُثْمَانَ سِتًّا سِنِينَ مِنْ خِلَافَتِهِ ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ وَ فَعَلَ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ عِ مِثْلِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَكَّمَهُ ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ مُعَاوِيَةَ فَسَبَّهُ سَبًّا قَبِيحًا ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَوْلَكَ لِرِئِيهِ (٢) وَ أَخْرَجَكَ لِدَعْوِهِ وَ أَنْتَ بَعْدُ عَاصٍ لِرَبِّكَ فَأَمَرَ بِهِ فَضَرَبَتْ عُنُقُهُ ثُمَّ دَعَا مَوْلَاهُ فَقَالَ لَهُ صِفْ لِي أُمُورَهُ قَالَ أَأَطِيبُ أَمْ أَحْتَصِرُ قَالَ بَلِ احْتَصِرُ قَالَ مَا أَتَيْتَهُ بِطَعَامٍ بِنَهَارٍ قَطُّ وَ لَا فَرَشْتُ لَهُ فِرَاشًا بَلِيْلٍ قَطُّ (٣)

٤٠٨

١١٤-١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ سَبَبُ تَسْمِيَّتِهِمُ الْحُرُورِيَّةَ أَنَّ عَلِيًّا ع لَمَّا نَاطَرَهُمْ بَعِيدَ مَنَاطَرِهِ إِذْ عَبَّاسٌ إِيَّاهُمْ كَانَ فِيْمَا قَالَتْ لَهُمْ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمَّا رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ قُلْتُمْ لَكُمْ إِنَّ هَذِهِ مَكِيدَةٌ وَ وَهْنٌ (٤) وَ إِنَّهُمْ لَوْ قَصَدُوا إِلَى حُكْمِ الْمَصَاحِفِ لَأَتَوْنِي وَ سَأَلُونِي (٥) التَّحْكِيمَ أَ فَتَعْلَمُونَ أَنَّ أَحَدًا كَانَ أَكْرَهُ لِلتَّحْكِيمِ مِنِّي قَالُوا صَدَقْتَ قَالَ فَهَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ اسْتَكْرَهْتُمُونِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَجَبْتُمْكُمْ إِلَيْهِ فَاسْتَرَطْتُ أَنَّ حُكْمَهُمَا نَافِذٌ مَا حَكَمَا

ص: ٢٧٤

١-١) الكامل: «إجماعهم».

٢-٢) لزنیه، یشیر إلى ما كان من أبی سفیان فی جاهلیته من غشیانه أمه سمیه.

٣-٣) الكامل ١٧٩:٣-١٨١.

٤-٤) ب: «مكیده وهن».

٥-٥) الكامل: «ثم سألونی».

بِحُكْمِ اللَّهِ فَمَتَى خَالَفَاهُ فَأَنَا وَ أَنْتُمْ مِنْ ذَٰلِكَ بُرَاءٌ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ لَا يَعْذُونِي قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالِ وَ كَانَ مَعَهُمْ فِي ذَٰلِكَ الْوَقْتِ ابْنُ الْكَوَّاءِ (١) قَالَ وَ هَذَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَذْبُحُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَبَّابٍ وَ إِنَّمَا ذَبُحُوهُ فِي الْفُرْقَةِ الثَّانِيَةِ بِكَسْرِ كَرٍ (٢) فَقَالُوا لَهُ حَكَمْتَ فِي دِينِ اللَّهِ بِرَأِينَا وَ نَحْنُ مُقَرَّبُونَ بِأَنَا كُنَّا كَافِرِينَ وَ لَكِنَّا الْإِيمَانُ تَأْتِيُونَ فَأَقْرَبَ بِمِثْلِ مَا أَقْرَرْنَا بِهِ وَ تَبَّ نَنْهَضُ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِالتَّحْكِيمِ فِي شِقَاقِ بَيْنِ الرَّجُلِ وَ امْرَأَتِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِنَا وَ فِي صَيْدٍ أُصَيْبٍ كَأَرْزَبٍ يُسَاوِي نِصْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ يَحْكُمُ بِهِ ذُوًا عَدْلٍ مِنْكُمْ فَقَالُوا لَهُ فَإِنَّ عَمْرًا لَمَّا أَبِي عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ فِي كِتَابِكَ هَذَا مَا كَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَحْوَتِ اسْمِكَ مِنَ الْخِلَافَةِ وَ كَتَبْتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ خَلَعْتَ نَفْسَكَ فَقَالَ لِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَبِي عَلَيْهِ سَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَنْ يَكْتُبَ هَذَا كِتَابًا كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ص وَ سَهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَ قَالَ لَهُ لَوْ أَقْرَرْتَ بِأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا خَالَفْتِكَ وَ لَكِنِّي أَقْدَمْتُكَ لِفَضْلِكَ فَكَتَبْتُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَلِيُّ امْحِ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تُشَجِّعْنِي نَفْسِي (٣) عَلِيُّ مَحْوِ اسْمِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ قَالَ فَقَضَى عَلَيْهِ فَمَحَاهُ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ أَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَبَسَّمَ إِلَيَّ وَ قَالَ يَا عَلِيُّ أَمَا إِنَّكَ سَيَسَامُ مِثْلَهَا فَتُعْطَى فَرَجِعَ مَعَهُ مِنْهُمْ أَلْفَانِ مِنْ حُرُورَاءٍ وَ قَدْ كَانُوا تَجَمَّعُوا بِهَا فَقَالَ لَهُمْ عَلِيُّ مَا نُسَمِّيكُمْ ثُمَّ قَالَ أَنْتُمْ الْحُرُورِيُّهٗ لِاجْتِمَاعِكُمْ بِحُرُورَاءٍ

(٤)

٤٠٩

١- وَ رَوَى جَمِيعُ أَهْلِ السِّيَرِ كَافَّةً أَنَّ عَلِيًّا ع لَمَّا طَحَنَ الْقَوْمَ طَلَبَ ذَا التُّدَيْيَةِ طَلَبًا

ص: ٢٧٥

(١-١) ابن الكواء، هو عبد الله بن الكواء؛ من بني يشكر بن بكر بن وائل.

(٢-٢) كسكر: كوره بين الكوفة و البصرة.

(٣-٣) الكامل: «لا تسخو نفسي».

(٤-٤) الكامل ١٨٢، ١٨١: ٣.

شَدِيداً وَ قَلْبَ الْقَتْلَى ظَهراً لِبَطْنٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَسَاءَ ذَلِكَ وَ جَعَلَ يَقُولُ وَ اللَّهُ مَا كَذَبْتُ وَ لَا كَذَبْتُ أَطْلُبُوا الرَّجُلَ وَ إِنَّهُ لَفِي الْقَوْمِ فَلَمْ يَزَلْ يَتَطَلَّبُهُ حَتَّى وَجَدَهُ وَ هُوَ رَجُلٌ مُخْدَجٌ الْيَدِ (١) كَأَنَّهَا ثُدَى فِي صَدْرِهِ .

٤١٠

١- وَ رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَيْرِيلٍ فِي كِتَابِ صِفِّينَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ لَمَّا شَجَرَهُمْ عَلِيُّ ع بِالرَّمَا ح قَالَ أَطْلُبُوا ذَا الثُّدَيْهِ فَطَلَبُوهُ طَلَباً شَدِيداً حَتَّى وَجَدُوهُ فِي وَهْدِهِ مِنَ الْأَرْضِ تَحْتَ نَاسٍ مِنَ الْقَتْلَى فَأَتَى بِهِ وَ إِذَا رَجُلٌ عَلَى ثُدَيْهِ مِثْلُ سَيِّبَلَاتِ (٢) السَّنُورِ فَكَبَّرَ عَلِيُّ ع وَ كَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ سُرُوراً بِذَلِكَ .

٤١١

١- وَ رَوَى أَيْضاً عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي النَّجْدِ عَنْ حَبَّةِ الْعُرَيْبِيِّ قَالَ كَانَ رَجُلًا أَسْوَدَ مُنْتِنَ الرِّيحِ لَهُ ثُدَى كَثِدَى الْمَرْأَةِ إِذَا مَدَّتْ كَانَتْ بِطُولِ الْيَدِ الْأُخْرَى وَ إِذَا تَرَكَتْ اجْتَمَعَتْ وَ تَقَلَّصَتْ وَ صَارَتْ كَثِدَى الْمَرْأَةِ عَلَيْهَا شَعْرَاتٌ مِثْلُ شَوَارِبِ الْهَرَّةِ فَلَمَّا وَجَدُوهُ قَطَعُوا يَدَهُ وَ نَصَبُوهَا عَلَى رُمِيحٍ ثُمَّ جَعَلَ عَلِيُّ ع يُنَادِي صِدَقَ اللَّهُ وَ بَلَغَ رَسُولُهُ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ هُوَ وَ أَصْحَابُهُ بَعِيدَ الْعَصِيرِ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ أَوْ كَادَتْ .

٤١٢

١- وَ رَوَى ابْنُ دَيْرِيلٍ أَيْضاً قَالَ لَمَّا عَمِلَ (٣) صَبْرٌ عَلِيُّ ع فِي طَلَبِ الْمُخْدَجِ قَالَ ائْتُونِي بِبَعْلِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَرَكِبَهَا وَ اتَّبَعَهُ النَّاسُ فَرَأَى الْقَتْلَى وَ يَقُولُ اإِقْلَبُوا فَيَقْلِبُونَ قَتِيلًا عَنْ قَتِيلٍ حَتَّى اسْتَخْرَجُوهُ فَسَجَدَ عَلِيُّ ع .

وَ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ لَمَّا دَعَا بِبَعْغَلِهِ لِيُرِكَبَهَا قَالَ ائْتُونِي بِهَا فَإِنَّهَا هَادِيَةٌ فَوَقَفَتْ بِهِ عَلَى الْمُخْدَجِ فَأَخْرَجَهُ مِنْ تَحْتِ قَتْلَى كَثِيرِينَ .

٤١٣

١- وَ رَوَى الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ يَزِيدِ بْنِ رُوَيْمٍ قَالَ قَالَ عَلِيُّ ع

ص: ٢٧٤

١- (١) مخدج اليد، أى ناقص اليد.

٢- (٢) السبله: ما على الشارب من الشعر، و جمعه سبلات.

٣- (٣) عيل صبره: أعوزه الصبر.

يُقْتَلُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنَ الْخَوَارِجِ أَحَدُهُمْ ذُو الثُّدَيَّةِ فَلَمَّا طَحَنَ الْقَوْمَ وَرَامَ اسْتِخْرَاجَ ذِي الثُّدَيَّةِ فَاتَّبَعَهُ أَمْرِي أَنْ أَقْطَعَ لَهُ أَرْبَعَةَ
 آلَافٍ قَصَبِهِ وَرَكِبَ بَعْلَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَ وَقَالَ اطْرُحْ عَلَيَّ كُلَّ قَتِيلٍ مِنْهُمْ قَصَبَهُ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ رَاكِبٌ خَلْفِي
 وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَهُ حَتَّى بَقِيَتْ فِي يَدِي وَاحِدَةٌ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا وَجْهُهُ أَرْيَدٌ وَإِذَا هُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَإِذَا خَرِيرُ
 مَاءٍ عِنْدَ مَوْضِعِ دَالِيهِ فَقَالَ فَتَشَّ هَذَا فَفَتَشَّتُهُ فَإِذَا قَتِيلٌ قَدْ صَارَ فِي الْمَاءِ وَإِذَا رِجْلُهُ فِي يَدِي فَجَذَبْتُهَا وَقُلْتُ هَذِهِ رِجْلُ إِنْسَانٍ فَنَزَلَ
 عَنِ الْبَعْلِهِ مُسْرِعًا فَجَذَبَ الرَّجُلَ الْأُخْرَى وَجَرَزَنَاهُ حَتَّى صَارَ عَلَى التُّرَابِ فَإِذَا هُوَ الْمُخْدَجُ فَكَبَّرَ عَلَيَّ عِ بَأَعْلَى صَوْتِهِ ثُمَّ سَجَدَ فَكَبَّرَ
 النَّاسُ كُلُّهُمْ

٤١٤

١٤١- وَقَدْ رَوَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ أَنَّ النَّبِيَّ صَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَيَّ
 تَنْزِيلَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَا فَقَالَ عُمَرُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَا بَلْ خَاصِصُ النَّعْلِ وَأَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ عَ

٤١٥

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ يُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ لَفَظَ بِالْحُكُومَةِ وَلَمْ يَشُدَّ (١) بِهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ مُرٍّ مِنْ
 بَنِي صَدْرِيْمٍ يُقَالُ لَهُ الْحَجَّاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَيَعْرَفُ بِإِلْبَرَكَ وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ آخِرًا مُعَاوِيَةَ عَلَيَّ أَلَيْتِهِ يُقَالُ إِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِحُدُوثِ
 الْحَكَمِيِّينَ قَالَ أَيْحَكُّكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ فَسَمِعَهُ سَامِعٌ فَقَالَ طَعَنَ وَاللَّهِ فَأَنْفَذَ.

٤١٦

١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ أَوَّلُ مَنْ حَكَّمَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَشْكُرَ بْنِ بَكْرٍ

ص: ٢٧٧

(١-١) لم يشد، من أشاد به، إذا رفع صوته.

بْنِ وَابِلٍ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع فَحَمِلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ غَيْبَةً ثُمَّ مَرَقَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَحْكُمُ وَحَمَلَ عَلَى أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ فَكَثَرُوا فَرَجَعَ إِلَى نَاحِيَةِ عَلِيٍّ ع فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَتَلَهُ فَقَالَ شَاعِرٌ هَمْدَانَ وَ مَا كَانَ أَغْنَى الْيَشْكُرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ

(١)

٤١٧

١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ قَدْ رَوَى الْمُحَدِّثُونَ (٢) أَنَّ رَجُلًا تَلَا بِحَضْرَةِ عَلِيٍّ ع قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (٣) فَقَالَ عَلِيٌّ ع أَهْلُ حُرُورَاءَ مِنْهُمْ .

٤١٨

١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ مِنْ شِعْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع الَّذِي لَا- اِخْتِلَافَ فِيهِ أَنَّهُ قَالَهُ وَ كَانَ يُرَدِّدُهُ أَنَّهُمْ لَمَّا سَامُوهُ أَنَّهُ يُقَرُّ بِالْكَفْرِ وَ يَتُوبُ حَتَّى يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ أ بَعْدَ صِدْقِهِ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ أَرْجِعْ كَافِرًا ثُمَّ قَالَ يَا شَاهِدَ اللَّهِ عَلِيُّ فَاشْهَدْ أَنِّي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ أَحْمَدَ مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ فَإِنِّي مُهْتَدٍ

(٤)

٤١٩

١- وَ ذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا فِي الْكَامِلِ أَنَّ عَلِيًّا ع فِي أَوَّلِ خُرُوجِ الْقَوْمِ عَلَيْهِ دَعَا صَعَصِعَةَ بِنَ صُوحَانَ الْعَبِيدِيَّ وَ قَدْ كَانَ وَجْهُهُ إِلَيْهِمْ وَ زِيَادُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ لِصَعَصِعَةَ بِأَيِّ الْقَوْمِ رَأَيْتَهُمْ أَشَدَّ إِطَافَةً (٥) قَالَ بِيَزِيدَ بْنِ قَيْسِ الْأَرْحَبِيِّ فَرَكِبَ عَلِيٌّ ع إِلَى حُرُورَاءَ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى صَارَ إِلَى مِضْرَبِ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَاتَّكَأَ عَلَى قَوْسِهِ وَ أَقْبَلَ

ص: ٢٧٨

(١-١) تنوشه: تتناوله.

(٢-٢) في الكامل: «و جاء في الحديث».

(٣-٣) سورة الكهف ١٠٤.

(٤-٤) الكامل ١٨٧، ١٨٨، ٣.

(٥-٥) إطافه، مصدر أطاف بالشيء؛ إذا أحاط به.

عَلَى النَّاسِ فَقَالَ هَذَا مَقَامٌ مَنْ فَلَجَ فِيهِ فَلَجَ (١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ وَنَاشَدَهُمْ فَقَالُوا إِنَّا أَذْنَبْنَا ذُنُوبًا عَظِيمًا بِالتَّحْكِيمِ وَقَدْ تَبْنَا فَتُبْ إِلَى اللَّهِ كَمَا تَبْنَا نَعُدُّ لَكَ فَقَالَ عَلِيُّ (٢) ع أَنَا أَسِيءُ تَغْفِرُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَرَجَعُوا مَعَهُ وَهُمْ سِتَّةٌ آلَافٍ فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا بِالْكُوفَةِ أَشَاعُوا أَنَّ عَلِيًّا ع رَجَعَ عَنِ التَّحْكِيمِ وَرَأَهُ ضَ لَالًا وَقَالُوا إِنَّمَا يَنْتَظِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُسَمِّنَ الْكِرَاعَ (٣) وَ تُجَبِّي الْأَمْوَالَ ثُمَّ يَنْهَضُ بِنَا إِلَى الشَّامِ فَآتَى الْأَشْعَثَ عَلِيًّا ع فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّكَ رَأَيْتَ الْحُكُومَةَ ضَ لَالًا وَ الْإِقَامَةَ عَلَيْهَا كُفْرًا فَقَامَ عَلِيُّ (٤) ع يَخْطُبُ فَقَالَ مَنْ زَعَمَ أَنِّي رَجَعْتُ عَنِ الْحُكُومَةِ فَقَدْ كَذَبَ وَ مَنْ رَأَاهَا ضَ لَالًا فَقَدْ ضَلَّ فَخَرَجْتُ حِينَئِذٍ الْخَوَارِجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فَحَكَّمْتُ

(٥)

قلت كل فساد كان في خلافه على ع و كل اضطراب حدث فأصله الأشعث و لو لا محاقته (٤) أمير المؤمنين ع في معنى الحكومة في هذه المره لم تكن حرب النهروان و لكان أمير المؤمنين ع ينهض بهم إلى معاويه و يملك الشام فإنه ص حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض و المواربه

٤٢٠

وَ فِي الْمَثَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْخَزْبُ خُدْعَةٌ.

و ذاك أنهم قالوا له تب إلى الله

ص: ٢٧٩

١-١-١) عباره الكامل: «من فلج فيه فلج يوم القيامة؛ أنشدكم الله، أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني! قالوا: اللهم لا، قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها! قالوا: اللهم نعم، قال: فعلام خالفتموني و نابذتموني؟ قالوا: إنا أتينا ذنبا عظيما، فتب إلى الله منه، و استغفره نعد لك، فقال على...»، و الفلج: الظفر و الانتصار.

١-١-٢) عباره الكامل: «من فلج فيه فلج يوم القيامة؛ أنشدكم الله، أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني! قالوا: اللهم لا، قال: أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها! قالوا: اللهم نعم، قال: فعلام خالفتموني و نابذتموني؟ قالوا: إنا أتينا ذنبا عظيما، فتب إلى الله منه، و استغفره نعد لك، فقال على...»، و الفلج: الظفر و الانتصار.

٣-٣) الكامل: «فخطب على الناس».

٤-٤) الكامل ٢١٠:٣-٢١٢.

٥-٥) المحاقه: أن يقول كل واحد من الطرفين: «أنا أحق»؛ هذا أصلها، و المراد المحاجه و المجادله.

-٤

مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشام فقال لهم كلمه مجمله مرسله يقولها الأنبياء و المعصومون و هى قوله أستغفر الله من كل ذنب فرضوا بها و عدوها إجابته لهم إلى سؤالهم و صفت له ع نياتهم و استخلص بها ضمائرهم من غير أن تتضمن تلك الكلمه اعترافا بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث و جاء إليه مستفسرا و كاشفا عن الحال و هاتكا ستر التوريه و الكنايه و مخرجا لها من ظلمه (١) الإجمال و ستر الحيله إلى تفسيرها بما يفسد التدبير و يوغر الصدور و يعيد الفتنة و لم يستفسره ع عنها إلا بحضور من لا يمكنه أن يجعلها معه هدنه على دخن (٢) و لا ترقيقا عن صبح (٣) و ألجأ بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما فى نفسه و لا يترك الكلمه على احتمالها و لا يطويها على غيرها (٤) فخطب بما صدع به عن صورته ما عنده مجاهره فانتقض ما دبره و عادت الخوارج إلى شبهتها الأولى و راجعوا التحكيم و المروق و هكذا الدول التى تظهر فيها أمارات الانقضاء و الزوال يتاح لها أمثال الأشعث من أولى الفساد فى الأرض سنه الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا (٥)

٤٢١

١٤، ١- قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثُمَّ مَضَى الْقَوْمُ إِلَى النَّهْرَوَانَ وَ قَدْ كَانُوا أَرَادُوا الْمَضِيَّ إِلَى الْمَدَائِنِ فَمِنْ طَرِيفِ أَخْبَارِهِمْ أَنَّهُمْ أَصَابُوا فِي طَرِيقِهِمْ مُسِيْلِمًا وَ نَصِيرَانِيًّا فَقَتَلُوا الْمُسْلِمَ لِأَنَّهُ عِنْدَهُمْ كَافِرٌ إِذْ كَانَ عَلَى خِلَافٍ مُعْتَقِدِهِمْ وَ اسْتَوْصُوا بِالنَّصْرَانِيِّ وَ قَالُوا احْفَظُوا ذِمَّةَ نَبِيِّكُمْ (٦)

ص: ٢٨٠

١- (١) ب: «مظلمه»، تصحيف، صوابه من ا، ج.

٢- (٢) هدنه على دخن مثل، و الهدنه فى الأصل: اللين و السكون، و يطلق على المصالحه. و الدخن: تغيير الطعام. و انظر الميدانى ٢: ٣٨٢.

٣- (٣) أصل المثل: «عن صبح ترقق»، و الصبح: ما يشرب صباحا، و ترقيق الكلام تزيينه، يضرب لمن كنى عن شىء و يريد غيره. و انظر الميدانى ٢: ٢١.

٤- (٤) أصل المثل: «طويت الثوب على غره» أى كسره.

٥- (٥) سوره الأحزاب ٦٢.

٦- (٦) الكامل: ٢١٢: ٣٠.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ نَحْوُ ذَلِكَ أَنَّ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَقْبَلَ فِي رِفْقِهِ فَأَحْسُوا بِالْخَوَارِجِ فَقَالَ وَاصِلٌ لِأَهْلِ الرَّفْقَةِ إِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكُمْ فَاعْتَرِلُوا وَ دَعُونِي وَ إِيَّاهُمْ وَ كَانُوا قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى الْعَطْبِ فَقَالُوا شَأْنُكَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا مَا أَنْتَ وَ أَصِيحَابُكَ فَقَالَ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ مُسْتَجِيرُونَ بِكُمْ لَيْسَمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ وَ يَفْهَمُوا حُدُودَهُ قَالُوا قَدْ أَجْرْنَاكُمْ قَالَ فَعَلَّمُونَا فَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَهُمْ أَحْكَامَهُمْ وَ يَقُولُ وَاصِلٌ قَدْ قَبِلْتُ أَنَا وَ مَنْ مَعِيَ قَالُوا فَاْمُضُوا مُصَاحِبِينَ فَقَدْ صَرُّتُمْ (١) إِخْوَانَنَا فَقَالَ بَلْ تُبْلِغُونَنَا مَا مَنَّا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مَنَّهُ (٢) قَالَ فَيَنْظُرُ (٣) بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ قَالُوا ذَاكَ لَكُمْ فَسَارُوا مَعَهُمْ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أَبْلِغُوهُمْ الْمَأْمَنَ (٤) .

*قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ لَقِيَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَبَّابٍ فِي عُنُقِهِ مُضِيحَفٌ عَلَى حِمَارٍ وَ مَعَهُ امْرَأَتُهُ وَ هِيَ حَامِلٌ فَقَالُوا لَهُ إِنَّ هَذَا الَّذِي فِي عُنُقِكَ لِيَأْمُرْنَا بِقَتْلِكَ فَقَالَ لَهُمْ مَا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ فَأَخْيُوهُ وَ مَا أَمَاتَهُ فَأَمَيْتُوهُ فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى رُطْبِهِ سَقَطَتْ مِنْ نَحْلِهِ فَوَضَعَهَا فِيهِ فَصَاحُوا بِهِ فَلَفَظَهَا تَوْرُعًا وَ عَرَضَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ خَنْزِيرٌ فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ فَقَالُوا هَذَا فَسَادَ فِي الْأَرْضِ وَ أَنْكَرُوا قَتْلَ الْخَنْزِيرِ ثُمَّ قَالُوا لِابْنِ خَبَّابٍ حَدِّثْنَا عَنْ أَبِيكَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ سَتَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ

ص: ٢٨١

١-١) الكامل: «فإنكم إخواننا».

٢-٢) سورة التوبة ٦.

٣-٣) الكامل: «ينظر بعضهم إلى بعض».

٤-٤) الكامل ١٦٥، ١٦٤: ٣.

يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ يُمَسِي مُؤْمِنًا وَ يُصْبِحُ كَافِرًا فَكُنْ عَبْدَ اللَّهِ الْمَقْتُولَ وَلَا تَكُنِ الْقَاتِلَ قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي أَبِي
بَكْرٍ وَ عُمَرَ فَأَتْنِي خَيْرًا قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ قَبِيلَ التَّحْكِيمِ وَ فِي عُثْمَانَ فِي السِّنِينَ السَّتِّ الْأَخِيرَةِ فَأَتْنِي خَيْرًا قَالُوا فَمَا تَقُولُ فِي
عَلِيٍّ بَعْدَ التَّحْكِيمِ وَ الْحُكُومَةِ قَالَ إِنَّ عَلِيًّا أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَ أَشَدُّ تَوْفِيًّا عَلَى دِينِهِ وَ أَنْفَدُ بَصِيرَةً فَقَالُوا إِنَّكَ لَسْتَ تَتَّبِعُ الْهُدَى إِنَّمَا تَتَّبِعُ
الرَّجَالَ عَلَى أَسْمَائِهِمْ ثُمَّ قَرَّبُوهُ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ فَأَضْجَعُوهُ فَذَبْحُوهُ (١).

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ وَ سَاوَمُوا رَجُلًا نَصْرَانِيًّا بِنَحْلِهِ لَهُ فَقَالَ هِيَ لَكُمْ فَقَالُوا مَا كُنَّا لِنَأْخُذَهَا إِلَّا بِثَمَنِ فَقَالَ وَ أَعْبَاهُ أَ تَقْتُلُونَ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ خَبَّابٍ وَ لَا تَقْبَلُونَ جَنَّا نَحْلَهُ إِلَّا بِثَمَنِ

٤٢٢

١- وَ رَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ طَعِنَ وَاحِدٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانَ فَمَسَى فِي الرُّمْحِ وَ هُوَ شَاهِرٌ سَيْفُهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ
إِلَى طَاعِنِهِ فَضْرَبَهُ فَفَتَلَهُ وَ هُوَ يَقْرَأُ وَ عَجِلَتْ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٢).

وَ رَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ أَيْضًا قَالَ اسْتَنْطَقَهُمْ عَلِيُّ عَ بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابٍ فَأَقْرُوا بِهِ فَقَالَ انْفَرِدُوا كَتَابْتِ لِأَسْمِعَ قَوْلَكُمْ كَتَيْبَةَ كَتَيْبَةَ
فَتَكْتَبُوا كَتَائِبَ وَ أَقْرَتْ كُلُّ كَتَيْبَةٍ بِمِثْلِ مَا أَقْرَتْ بِهِ الْأُخْرَى مِنْ قَتْلِ ابْنِ خَبَّابٍ وَ قَالُوا وَ لَنَقْتُلَنَّكَ كَمَا قَتَلْنَاكَ فَقَالَ عَلِيُّ وَ اللَّهُ لَوْ أَقْرَ
أَهْلُ الدُّنْيَا كُلُّهُمْ بِقَتْلِهِ هَكَذَا وَ أَنَا أَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِمْ بِهِ لَقَتَلْتُهُمْ ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ شُدُّوا عَلَيْهِمْ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ يَشُدُّ عَلَيْهِمْ
وَ حَمَلَ

ص: ٢٨٢

١- (١) الكامل ٢١٣، ٢١٢: ٣.

٢- (٢) سورة طه ٨٤.

بِذِي الْفَقَارِ حَمَلَهُ مُنْكَرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلَّ حَمَلِهِ يَضْرِبُ بِهِ حَتَّى يَعْوجَّ مَتْنُهُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَسْوِيهِ بِرُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَحْمِلُ بِهِ حَتَّى أَفْنَاهُمْ

٤٢٣

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ قَالِ خَطَبَ عَلِيُّ عِ الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرِ فَقَالَ لَهُمْ نَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَ مَوْضِعِ الرَّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ وَ عُضْرِ الرَّحْمَةِ وَ مَعِيدِ الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ نَحْنُ أَفْتَى الْحِجَازِ بِنَا يَلْحِقُ الْبَطِيءُ وَ إِلَيْنَا يَرْجِعُ التَّائِبُ أَيُّهَا الْقَوْمُ إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرَغَى بِأَهْضَامِ هَذَا الْوَادِي . إِلَى آخِرِ الْفَصْلِ

ص: ٢٨٣

فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا وَ نَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا [تَمَنَعُوا تَقَبَّعُوا]

وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا وَ كُنْتُ أَخْفِضُ هُمْ صَوْتاً وَ أَعْلَاهُمْ فَوْتاً فَطَرْتُ بِعَانِيهَا وَ اسْتَبَدَدْتُ بِرِهَانِيهَا كَالْجَبَلِ لَا تَحْرُكُهُ الْقَوَاصِفُ وَ لَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَ لَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَعْمَزٌ الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ رَضِيئاً عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَ سَلَمْنَاَهُ لِلَّهِ أَمْرُهُ أَ تَرَانِي أَ كَذَبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ اللَّهُ لَأَنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَتَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بِيَعْتِي وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

هذه فصول أربعة لا يمتزج بعضها ببعض و كل كلام منها ينحو به أمير المؤمنين ع نحو غير ما ينحوه بالآخر و إنما الرضى رحمه الله تعالى التقطها من كلام لأمر المؤمنين ع طويل منتشر قاله بعد وقعه النهروان ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله ص

و إلى آخر وقت فجعل الرضى رحمه الله تعالى ما التقطه منه سردا و صار عند السامع كأنه يقصد به مقصدا واحدا .

فالفصل الأول و هو من أول الكلام إلى قوله و استبددت برهانها يذكر فيه مقاماته فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر أيام أحداث عثمان و كون المهاجرين كلهم لم ينكروا و لم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به و ينهاه عنه فهذا هو معنى قوله فقمت بالأمر حين فشلوا أى قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمد ص عنه و الفشل الخور و الجبن .

قال و نطقت حين تعتقوا يقال تعتق فلان إذا تردد فى كلامه من عى أو حصر (١) قوله و تطلعت حين تقبعوا امرأه طلعه قبعه تطلع ثم تقبع رأسها أى تدخله كما يقبع القنفذ يدخل برأسه فى جلده و قد تقبع الرجل أى اختبأ و ضده تطلع .

قوله و كنت أخفضهم صوتا و أعلاهم فوتا يقول علوتهم و فتحهم و شأوتهم سبقا و أنا مع ذلك خافض الصوت يشير إلى التواضع و نفى التكبر .

و قوله فطرت بعنانها و استبددت برهانها يقول سبقتهم و هذا الكلام استعاره من مسابقه خيل الحلبه و استبددت بالرهان أى انفردت بالخطر (٢) الذى وقع التراهن عليه .

الفصل الثانى فيه ذكر حاله ع فى الخلافه بعد عثمان يقول كنت لما وليت الأمر كالجبل لا- تحركه القواصف يعنى الرياح الشديده و مثله العواصف .

و المهمز موضع الهمز و هو العيب و كذاك المغمز .

ص: ٢٨٥

١- ١) ج: «من عى و حصر».

٢- ٢) الخطر: السبق الذى يترامى عليه فى الرهان.

ثم قال الدليل عندى عزيز حتى آخذ الحق له و القوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه هذا آخر الفصل الثانى يقول الدليل المظلوم أقوم بإعزازة و نصره و أقوى يده إلى أن آخذ الحق له ثم يعود بعد ذلك إلى الحالة التى كان عليها قبل أن أقوم بإعزازة و نصره و القوى الظالم أستضعفه و أقهره و أذله إلى أن آخذ الحق منه ثم يعود إلى الحالة التى كان عليها قبل أن أهتضمه لاستيفاء الحق .

الفصل الثالث من قوله رضينا عن الله قضاءه إلى قوله فلا- أكون أول من كذب عليه هذا كلام قاله ع لما تفرس فى قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبى ص من أخبار الملاحم و الغائبات و قد كان شك منهم جماعه فى أقواله و منهم من واجهه بالشك و التهمه (١)

الأخبار الواردة عن معرفه الإمام على بالأمور الغيبية

٤٢٤

١،٣- رَوَى إِبْنُ هِلَالٍ الثَّقَفِيُّ فِي كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى الْعَطَّارِ عَنْ فُضَيْلٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ لَمَّا قَالَ عَلِيُّ ع سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ اللَّهُ لَا- تَسْأَلُونَنِي عَنْ فِتْنَةٍ تُضِلُّ مِائَةً وَ تَهْدِي مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقَتِهَا وَ سَائِقَتِهَا قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ أَخْبِرْنِي بِمَا فِي رَأْسِي وَ لِحْيَتِي مِنْ طَاقِهِ شَعْرٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ ع وَ اللَّهُ لَقَدْ خَدَّيْ خَلِيلِي أَنَّ عَلِيَّ كُلُّ طَاقِهِ شَعْرٍ مِنْ رَأْسِكَ مَلَكًا يَلْعَنُكَ وَ أَنَّ عَلِيَّ كُلُّ طَاقِهِ شَعْرٍ مِنْ لِحْيَتِكَ شَيْطَانًا يُغْوِيكَ وَ أَنَّ فِي بَيْتِكَ سِخْلًا يَقْتُلُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ كَانَ ابْنُهُ قَاتِلَ الْحُسَيْنِ ع يَوْمَئِذٍ طِفْلًا يَحْبُو وَ هُوَ سِنَانٌ بِنُ أَنْسِ النَّخَعِيِّ .

٤٢٥

١،٣- وَ رَوَى الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ عَنْ ثَابِتِ الثَّمَالِيِّ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ أَنَّ عَلِيًّا ع خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ تَحْتِ مِئْبَرِهِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي مَرَرْتُ بِوَادِي

ص: ٢٨٦

(١-١) انظر الكلام عن الفصل الرابع ص ٢٩٥.

الْقَرَى فَوَجَدْتُ خَالِدَ بْنَ عَرْفُطَةَ قَدْ مَاتَ فَاسْتَغْفِرُ لَهُ فَقَالَ ع وَ اللَّهُ مَا مَاتَ وَلَا يَمُوتُ حَتَّى يَقُودَ جَيْشَ ضَلَالِهِ صَاحِبُ لَوَائِهِ حَبِيبُ
 بَنِ حَمَارٍ فَقَامَ رَجُلٌ آخِرٌ مِنْ تَحْتِ الْمُنْبَرِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا حَبِيبُ بَنِ حَمَارٍ وَإِنِّي لَكَ شَيْعَةٌ وَ مُحِبٌّ فَقَالَ أَنْتَ حَبِيبُ بَنِ
 حَمَارٍ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ لَهُ ثَانِيَةٌ وَ اللَّهُ إِنَّكَ لَحَبِيبُ بَنِ حَمَارٍ فَقَالَ إِي وَ اللَّهُ قَالَ أَمَا وَ اللَّهُ إِنَّكَ لِحَامِلُهَا وَ لَتَحْمِلَنَّهَا وَ لَتَدْخُلَنَّ بِهَا مِنْ
 هَذَا الْبَابِ وَ أَشَارَ إِلَى بَابِ الْفِيلِ بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ قَالَ ثَابِتٌ فَوَ اللَّهُ مَا مِتُّ حَتَّى رَأَيْتُ ابْنَ زِيَادٍ وَ قَدْ بَعَثَ عُمَرَ بْنَ سَعْدٍ إِلَى
 الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ع وَ جَعَلَ خَالِدَ بْنَ عَرْفُطَةَ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ وَ حَبِيبَ بَنِ حَمَارٍ صَاحِبَ رَأْيَتِهِ فَدَخَلَ بِهَا مِنْ بَابِ الْفِيلِ

٤٢٦

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَمْرٍو الْبَجَلِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مُوسَى الْعَوَجِيهِيُّ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْحَارِثِ قَالَ قَالَ عَلِيُّ ع عَلَى الْمُنْبَرِ مَا أَحَدٌ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي إِلَّا وَ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ قُرْآنًا فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ مُبْغِضِيهِ فَقَالَ لَهُ فَمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيكَ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ دَعُوهُ أ تَقْرَأُ سُورَةَ هُودٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَقَرَأَ ع أ فَمَنْ كَانَ عَلِيٍّ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ وَ
 يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ (١) ثُمَّ قَالَ الَّذِي كَانَ عَلِيٍّ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ ص وَ الشَّاهِدُ الَّذِي يَتْلُوهُ أَنَا

٤٢٧

١- وَ رَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ خَطَبَ عَلِيُّ ع فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَتِهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَ أَخُو
 رَسُولِهِ لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَ لَا بَعْدِي إِلَّا كَذَبَ وَرِثْتُ نَبِيَّ الرَّحْمَةَ وَ نَكَحْتُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ أَنَا خَاتَمُ الْوَصِيِّينَ

ص: ٢٨٧

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عَبَسَ وَ مَنْ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ هَذَا فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى جُنَّ وَ صُرِعَ فَسَأَلُوهُمْ هَلْ رَأَيْتُمْ بِهِ عَرْضًا قَبْلَ هَذَا قَالُوا مَا رَأَيْنَا بِهِ قَبْلَ هَذَا عَرْضًا

٤٢٨

١١٤-١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ جَبَلَةَ الْخِطَّاطُ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ يَزِيدَ الْأَحْمَسِيِّ أَنَّ عَلِيًّا عَ كَانَ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مُخْتَمِرَةٌ لَا تُعْرَفُ فَوَقَفَتْ فَقَالَتْ لِعَلِيٍّ ع يَا مَنْ قَتَلَ الرَّجَالَ وَ سَفَكَ الدَّمَاءَ وَ أَيَّتَمَّ الصَّبِيَّانَ وَ أَرْمَلَ النِّسَاءَ فَقَالَ ع وَ إِنَّهَا لَهِيَ هَذِهِ السَّلْقَلَةُ الْجَلْعَةُ الْمَجْعَةُ وَ إِنَّهَا لَهِيَ هَذِهِ شَبِيهُهُ الرَّجَالِ وَ النِّسَاءِ الَّتِي مَا رَأَتْ دَمًا قَطُّ قَالَ فَوَلَّتْ هَيَّارِبَةً مُنْكَسَةً رَأْسَهَا فَتَبِعَهَا عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ فَلَمَّا صَارَتْ بِالرَّحْبَةِ قَالَ لَهَا وَ اللَّهُ لَقَدْ سِرَرْتُ بِمَا كَانَ مِنْكَ الْيَوْمَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَادْخُلِي مَنْزِلِي حَتَّى أَهَبَ لَكَ وَ أَكْسُوكِ فَلَمَّا دَخَلَتْ مَنْزِلَهُ أَمَرَ جَوَارِيَهُ بِتَفْتِيشِهَا وَ كَشْفِهَا وَ نَزَعَ ثِيَابَهَا لِيُنْظَرَ صِدْقَهُ فِيمَا قَالَ عَنْهَا فَبَكَتْ وَ سَأَلَتْهُ أَلَا يَكْشِفُهَا وَقَالَتْ أَنَا وَ اللَّهُ كَمَا قَالَ لِي رَكِبَ النِّسَاءَ وَ أَنْثِيانِ كَأُنْثَى الرَّجَالِ وَ مَا رَأَيْتُ دَمًا قَطُّ فَتَرَكَهَا وَ أَخْرَجَهَا ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَمَاخَبَرَهُ فَقَالَ إِنَّ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ ص أَخْبَرَنِي بِالْمُتَمَرِّدِينَ عَلَيَّ مِنَ الرِّجَالِ وَ الْمُتَمَرِّدَاتِ مِنَ النِّسَاءِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ

قلت السلقلة السليطة و أصله من السلق و هو الذئب و السلقه الذئبه و الجلعه المجعه البذيئه اللسان و الركب منبت العانه.

٤٢٩

١١٤-١- وَ رَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَدِيدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا ع أَنَّ النَّاسَ يَتَّهَمُونَهُ فِيمَا يَذْكُرُهُ مِنْ تَقْدِيمِ النَّبِيِّ ص وَ تَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ عَلَى النَّاسِ قَالَ أَنْشُدُ اللَّهَ مَنْ بَقِيَ مِنْ لِقَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَ سَمِعَ مَقَالَهُ فِي يَوْمِ غَدِيرِ حُمٍّ (١) إِلَّا قَامَ

ص: ٢٨٨

١- (١) خم:واد بين مكه و المدينة عند الجحفه،به غدیر عرف به.

فَشَهَدَ بِمَا سَمِعَ فَقَامَ سِتَّةَ مَمَّنْ عَنِ يَمِينِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَ وَ سِتَّةَ مَمَّنْ عَلَى شِمَالِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضًا فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَ يَقُولُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ عَلَى عَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيُّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ وَ أَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَ أَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَ أَبْغُضْ مَنْ أَبْغَضَهُ

(١)

٤٣٠

١- وَ رَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ يَحْيَى التَّيْمِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ قَالَ قَامَ أَعَشَى هَمْدَانَ (٢) وَ هُوَ غُلَامٌ يَوْمَئِذٍ حَدَّثَ إِلَى عَلِيٍّ عَ وَ هُوَ يَخْطُبُ وَ يَذْكُرُ الْمَلَا حِمَّ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَشَبَهُ هَذَا الْحَدِيثَ بِحَدِيثِ خِرَافِهِ فَقَالَ عَلِيُّ عَ إِنْ كُنْتُ أَنْتُمْ فِيمَا قُلْتُمْ يَا غُلَامُ فَرَمَاكَ اللَّهُ بِغُلَامٍ ثَقِيفٍ ثُمَّ سَكَتَ فَقَامَ رِجَالٌ فَقَالُوا وَ مَنْ غُلَامٌ ثَقِيفٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ غُلَامٌ يَمْلِكُ بَلَدَكُمْ هَذِهِ لَا يَثْرُكَ لِلَّهِ حُرْمَةٌ إِلَّا أَنْتَهَكَهَا يَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْغُلَامِ بِسَيْفِهِ فَقَالُوا كَمْ يَمْلِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ عِشْرِينَ إِنْ بَلَغَهَا قَالُوا فَيُقْتَلُ قَتْلًا أَمْ يَمُوتُ مَوْتًا قَالَ بَلْ يَمُوتُ حَنْفًا أَنْفِهِ بَدَاءِ الْبَطْنِ يُتَّقَبُ سَرِيرُهُ لِكَثْرَةِ مَا يَخْرُجُ مِنْ جَوْفِهِ .

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءٍ فَوَ اللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ بَعْنِي أَعَشَى بَاهِلَةً وَ قَدْ أَحْضَرَ فِي جُمْلَةِ الْأَسْرَى الَّذِينَ أُسْرُوا مِنْ جَيْشِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ بَيْنَ يَدَيْ الْحَجَّاجِ فَفَرَعَهُ وَ وَبَّخَهُ وَ اسْتَنْشَدَهُ شِعْرَهُ الَّذِي يُحْرَضُ فِيهِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَلَى الْحَرْبِ ثُمَّ ضَرَبَ عَنْقَهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ

٤٣١

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّوَّافُ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَيْفِيَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ شَمِيرِ بْنِ سَيْدِيرٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ قَالَ عَلِيُّ عَ لِعَمْرٍو بْنِ الْحَمِقِ الْخَزَاعِيِّ أَيْنَ نَزَلَتْ يَا عَمْرُو قَالَ

ص: ٢٨٩

١- ١) نقله المحب الطبري في الرياض النضرة (٢: ١٦٩)، و تحدث عن طريقه هنا.

٢- ٢) أعشى همدان، أسره الحجاج ثم قتله؛ و انظر الأغاني ٥٨: ٦-٦٢.

فِي قَوْمِي قَالَ لَا- تَنْزِلَنَّ فِيهِمْ قَالَ فَأَنْزِلُ فِي بَنِي كِنَانَةَ جِيرَانِنَا قَالَ لَا قَالَ فَأَنْزِلُ فِي ثَقِيفٍ قَالَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْمَعْرَةَ وَالْمَجْرَةَ قَالَ وَمَا هُمَا قَالَ عُنُقَانِ مِنْ نَارٍ يَخْرُجَانِ مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ يَأْتِي أَحَدُهُمَا عَلَى تَمِيمٍ وَبَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فَقَلَّ مَا يُفْلِتُ مِنْهُ أَحَدٌ وَيَأْتِي الْعُنُقُ الْآخَرَ فَيَأْخُذُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْكُوفَةِ فَقَلَّ مَنْ يُصِيبُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَدْخُلُ الدَّارَ فَيُحْرِقُ الْبَيْتَ وَ الْبَيْتَيْنِ قَالَ فَأَيْنَ أَنْزِلُ قَالَ أَنْزِلُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الْأَزْدِ قَالَ فَقَالَ قَوْمٌ حَضَرُوا هَذَا الْكَلَامَ مَا نَرَاهُ إِلَّا كَاهِنًا يَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِ الْكَهَنَةِ فَقَالَ يَا عَمْرُو إِنَّكَ الْمَقْتُولُ بَعْدِي وَإِنَّ رَأْسَكَ لَمَنْقُولٌ وَهُوَ أَوَّلُ رَأْسٍ يُنْقَلُ فِي الْإِسْلَامِ وَالْوَيْلُ لِقَاتِلِكَ أَمَا إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا أَسْلَمُوكَ بِرُمَّتِكَ (١) إِلَّا هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الْأَزْدِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُسَلِّمُوكَ وَ لَنْ يَخَذُلُوكَ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى تَنْقَلَّ عَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ فِي خِلَافِهِ مُعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ خَائِفًا مَيِّدُورًا حَتَّى نَزَلَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي خُرَاعَةَ فَأَسْلَمُوهُ فَقُتِلَ وَ حُمِلَ رَأْسُهُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ وَهُوَ أَوَّلُ رَأْسٍ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

٤٣٢

١- وَ رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ حَبَّةِ الْعُرْنِيِّ قَالَ كَانَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ مُسَيَّرِ الْعَبْدِيِّ صَالِحًا وَ كَانَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَدِيقًا وَ كَانَ عَلِيُّ يُحِبُّهُ وَ نَظَرَ يَوْمًا إِلَيْهِ وَ هُوَ يَسِيرُ فَنَادَاهُ يَا جُوَيْرِيَةَ الْحَقُّ بِي فَإِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ هَوَيْتُكَ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ فَخَدَّئْتَنِي الصَّبَاحَ عَنْ مُسَيَّرٍ عَنْ حَبَّةِ الْعُرْنِيِّ قَالَ سِرْنَا مَعَ عَلِيِّ عَ يَوْمًا فَالْتَمَتْ فَإِذَا جُوَيْرِيَةَ خَلْفَهُ بَعِيدًا فَنَادَاهُ يَا جُوَيْرِيَةَ الْحَقُّ بِي لَا أَبَا لَكَ أ لَا تَعْلَمُ أَنِّي أَهْوَاكُ وَ أَجِبُّكَ قَالَ فَكَرَّضَ نَحْوَهُ فَقَالَ لَهُ إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِأُمُورٍ فَاحْفَظْهَا ثُمَّ اشْتَرَكَا فِي الْحَدِيثِ سِرًّا فَقَالَ لَهُ جُوَيْرِيَةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي رَجُلٌ نَسِيْتُ (٢) فَقَالَ لَهُ إِنِّي أُعِيدُ عَلَيْكَ

ص: ٢٩٠

١- (١) أسلموك برمتك، أي أسلموك بجميع ما معك.

٢- (٢) النسي: الكثير النسيان.

الْحَدِيثَ لِتَحْفَظَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي آخِرِ مَا حَدَّثَهُ إِيَّاهُ يَا جُوَيْرِيَّةُ أَحِبِّي مَا أَحَبَّنَا فَإِذَا أَبْغَضْنَا فَأَبْغِضِيهِ وَابْغِضِي مَا أَبْغَضْنَا فَإِذَا أَحَبَّنَا فَأَحْبِيهِ قَالَ فَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ يَشْكُ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ ع يَقُولُونَ أ تَرَاهُ جَعَلَ جُوَيْرِيَّةَ وَصِيَّةً كَمَا يَدَّعِي هُوَ مِنْ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ يَقُولُونَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ اخْتِصَاصِهِ لَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ ع يَوْمًا وَهُوَ مُضْطَجِعٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَنَادَاهُ جُوَيْرِيَّةُ أَيُّهَا النَّائِمُ اسْتَيْقِظْ فَلْتَضْرِبَنَّ عَلَى رَأْسِكَ ضَرْبَةً تُخَضِّبُ مِنْهَا لِحْيَتَكَ قَالَ فَتَبَسَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع قَالَ وَأَحَدْتُكَ يَا جُوَيْرِيَّةُ بِأَمْرِكَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُعْتَلَنَّ (١) إِلَى الْعُتْلِ الزَّيْمِ فَلْيَقْطَعَنَّ يَدَكَ وَرِجْلَكَ وَلِيُضْمِلَنَّكَ تَحْتَ جِدْعٍ كَافِرٍ قَالَ فَوَاللَّهِ مَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَخَذَ زِيَادُ جُوَيْرِيَّةَ فَقَطَعَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ وَصَلَبَهُ إِلَى جَانِبِ جِدْعِ ابْنِ مُكْعَبٍ وَكَانَ جِدْعًا طَوِيلًا فَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ قَصِيرٍ إِلَى جَانِبِهِ

٤٣٣

١٤٣، ١- وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ فِي كِتَابِ الْغَارَاتِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمِثْمِيِّ قَالَ كَانَ مِثْمُ التَّمَارِ مَوْلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع عَدِيدًا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أَسِيدٍ فَاشْتَرَاهُ عَلِيٌّ ع مِنْهَا وَاعْتَقَهُ وَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ فَقَالَ سَالِمٌ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص أَخْبَرَنِي أَنَّ اسْمَكَ الَّذِي سَمَّاكَ بِهِ أَبُوكَ فِي الْعَجَمِ مِثْمٌ فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ وَاللَّهِ اسْمِي قَالَ فَارْجِعْ إِلَى اسْمِكَ وَدَعُ سَالِمًا فَنَحْنُ نُكَنِّيكَ بِهِ فَكَنَّاهُ أَبُو سَالِمٍ قَالَ وَقَدْ كَانَ قَدْ أَطْلَعَهُ عَلِيٌّ ع عَلَى عِلْمٍ كَثِيرٍ وَأَسْرَارٍ خَفِيَّةٍ مِنْ أَسْرَارِ الْوَصِيَّةِ فَكَانَ مِثْمٌ يُحَدِّثُ بَعْضَ ذَلِكَ فَيَشْكُ فِيهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَيُنْسُبُونَ عَلِيًّا ع فِي ذَلِكَ إِلَى الْمَخْرَقَةِ (٢) وَالْإِيهَامِ وَالتَّذْلِيلِ حَتَّى قَالَ لَهُ يَوْمًا بِمَحْضَرٍ مِنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَفِيهِمُ الشَّاكُّ وَالْمُخْلِصُ يَا مِثْمُ

ص: ٢٩١

١- (١) يقال: عتله عتلا؛ إذا أخذه بمجامعه وجره جرا عنيفا.

٢- (٢) المخرقه: اختلاق الكذب.

إِنَّكَ تُؤَخِّدُ بَعْدِي وَتُضِلُّ بِي فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي ابْتَدَرَ مِنْخِرَاكَ وَفَمَكَ دَمًا حَتَّى تُخَضَّبَ لِحَيْتِكَ فَإِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ طُعِنْتَ بِحَرْبِهِ يُقْضَى عَلَيْكَ فَانْتَظِرْ ذَلِكَ وَالْمَوْضِعَ الَّذِي تُضِلُّ فِيهِ عَلَى بَابِ دَارِ عَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ إِنَّكَ لَعَاشِرُ عَشْرِهِ أَنْتَ أَقْصَرُهُمْ خَشَبَهُ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنَ الْمَطْهَرَةِ يَعْنِي الْأَرْضَ وَ لِأَرِيْنِكَ النَّخْلَةَ الَّتِي تُضِلُّ عَلَى جِدْعِهَا ثُمَّ أَرَاهُ إِيَّاهَا بَعِيدًا ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ وَ كَانَ مِثْمٌ يَأْتِيهَا فَيَصِلُ إِلَى عِنْدِهَا وَ يَقُولُ بُورِكَتٌ مِنْ نَخْلِهِ لَكَ خُلِقْتُ وَ لِي نَبَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَاهَدُهَا بَعْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ ع حَتَّى قُطِعَتْ فَكَانَ يَرْصُدُ جِدْعَهَا وَ يَتَعَاهَدُهَا وَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ وَ يُبَصِّرُهُ وَ كَانَ يَلْقَى عَمْرٍو بْنَ حُرَيْثٍ فَيَقُولُ لَهُ إِنَّي مُجَاوِرُكَ فَأَحْسِنْ جَوَارِي فَلَا يَعْلَمُ عَمْرٍو مَا يُرِيدُ فَيَقُولُ لَهُ أَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَ دَارَ ابْنِ مَسْعُودٍ أَمْ دَارَ ابْنِ حَكِيمٍ .

قَالَ وَ حَجَّ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَيْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ لَهُ مَنْ أَنْتَ قَالَ عِرَاقِيٌّ فَاسْتَسَبَّهُ فَذَكَرَ لَهَا أَنَّهُ مَوْلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَتْ أَنْتَ هَيْئَتُهُمْ قَالَ بَلْ أَنَا مِثْمٌ (١) فَقَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَزُبَّ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يُوصِي بِكَ عَلِيًّا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَسَأَلَهَا عَنِ الْحَسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَتْ هُوَ فِي حَائِطٍ (٢) لَهُ قَالَ أَخْبِرِيهِ أَنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ السَّلَامَ عَلَيْهِ وَ نَحْنُ مُلْتَقُونَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَ لَا أَقْدِرُ الْيَوْمَ عَلَى لِقَائِهِ وَ أُرِيدُ الرُّجُوعَ فَدَعَتْ بِطَيْبٍ فَطَيَّبَتْ لِحْيَتَهُ فَقَالَ لَهَا أَمَا إِنَّهَا سَيُخَضَّبُ بِدَمٍ فَقَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ أَبْنَائِي سَيِّدِي فَبَكَتْ أُمُّ سَيْلَمَةَ وَ قَالَتْ لَهُ إِنَّهُ لَيْسَ بِسَيِّدِكَ وَ خِدَاكَ هُوَ سَيِّدِي وَ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ وَدَّعَتْهُ.

ص: ٢٩٢

١- ١) ميثم، ضبطه صاحب القاموس بكسر الميم.

٢- ٢) الحائط: البستان.

فَقَدِمَ الْكُوفَةَ فَأَخَذَ وَ أَدْخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَقِيلَ لَهُ هَذَا كَانَ مِنْ آثَرِ النَّاسِ عِنْدَ أَبِي تُرَابٍ قَالَ وَيَحْكُمُ هَذَا الْأَعْجَمِيُّ قَالُوا نَعَمْ فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ أَيْنَ رَبُّكَ قَالَ بِالْمِرْصَادِ قَالَ قَدْ بَلَغَنِي اخْتِصَاصُ أَبِي تُرَابٍ لَكَ قَالَ قَدْ كَانَ بَعْضُ ذَلِكَ فَمَا تُرِيدُ قَالَ وَإِنَّهُ لَيُقَالُ إِنَّهُ قَدْ أَخْبَرَكَ بِمَا سَيَلْقَاكَ قَالَ نَعَمْ إِنَّهُ أَخْبَرَنِي (١) قَالَ مَا الَّذِي أَخْبَرَكَ أَنِّي صَانِعٌ بِكَ (٢) قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تَصَلُّيَنِي عَاشِرَ عَشْرِهِ وَ أَنَا أَقْصَرُهُمْ خَشَبَةً وَ أَقْرَبُهُمْ مِنَ الْمِطْهَرَةِ قَالَ لِأَخِ الْفَنَاءِ قَالَ وَيَحْكُ كَيْفَ تُخَالِفُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ جِبْرَائِيلَ وَ أَخْبَرَ جِبْرَائِيلَ عَنِ اللَّهِ فَكَيْفَ تُخَالِفُ هَؤُلَاءِ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُضِلُّ فِيهِ أَيْنَ هُوَ مِنَ الْكُوفَةِ وَ إِنِّي لَأَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ أُلْجِمَ فِي الْأَسْدِ لَامٍ بِلِجَامٍ كَمَا يُلْجِمُ الْخَيْلَ فَحَبَسَهُ وَ حَبَسَ مَعَهُ الْمُخْتَارَ بْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ الثَّقَفِيَّ فَقَالَ مِيثَمٌ لِلْمُخْتَارِ وَ هُمَا فِي حَبْسِ ابْنِ زِيَادٍ إِنَّكَ تَفْلَتَ وَ تَخْرُجُ ثَائِرًا بِدَمِ الْحَسَيْنِ ع فَتَقْتُلُ هَذَا الْجَبَّارَ الَّذِي نَحْنُ فِي سِجْنِهِ (٣) وَ تَطَأُ بِقَدَمِكَ هَذِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ وَ خَدَيْهِ فَلَمَّا دَعَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ بِالْمُخْتَارِ لِيُقْتَلَهُ طَلَعَ الْبَرِيدُ بِكِتَابِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ يَأْمُرُهُ بِتَخْلِيهِ سَبِيلَهُ وَ ذَاكَ أَنَّ أُخْتَهُ كَانَتْ تَحْتَ عَزِيدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَسَأَلَتْ بَعْلَهَا أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ إِلَى يَزِيدَ فَشَفَعَ فَأَمْضَى شَفَاعَتَهُ وَ كَتَبَ بِتَخْلِيهِ سَبِيلَ الْمُخْتَارِ عَلَى الْبَرِيدِ فَوَافَى الْبَرِيدُ وَ قَدْ أُخْرِجَ لِيُضْرَبَ عُنُقُهُ فَأُطْلِقَ وَ أَمَا مِيثَمٌ فَأُخْرِجَ بَعْدَهُ لِيُضِلَّ وَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ لَأَمْضِيَنَّ حُكْمَ أَبِي تُرَابٍ فِيهِ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا يَا مِيثَمُ فَتَبَسَّمَ وَ قَالَ لَهَا خَلِّقْتُ وَ لِي غُذِيْتُ فَلَمَّا رُفِعَ عَلَى الْخَشَبَةِ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ عَلَى بَابِ عَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ فَقَالَ عَمْرٍو لَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِي إِنِّي مُجَاوِرُكَ فَكَانَ يَأْمُرُ جَارِيَتَهُ كُلَّ عَشِيَّةٍ أَنْ تَكْنِسَ تَحْتَ خَشَبَتِهِ وَ تَرُشَّهُ وَ تُجَمَّرَ بِالْمِجْمَرِ تَحْتَهُ فَجَعَلَ مِيثَمٌ يُحَدِّثُ بِفَضَائِلِ بَنِي هَاشِمٍ وَ مَخَازِي

ص: ٢٩٣

١-١-١) ساقط من ا.

١-١-٢) ساقط من ا.

-٣

بَنِي أُمَّيَّةَ وَهُوَ مَضْلُوبٌ عَلَى الْخَشْبَةِ فَقِيلَ لِابْنِ زِيَادٍ قَدْ فَضَحَكُمْ هَذَا الْعَبْدُ فَقَالَ الْجُمُوهُ فَالْجَمَ فَكَانَ أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ الْجَمَ فِي
الْإِسْلَامِ فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَاصَتْ مَنْخِرَاهُ وَفُئِمَهُ دَمًا فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ طَعِنَ بِحَرْبِهِ فَمَاتَ.

وَكَانَ قَتْلُ مِيثَمٍ قَبْلَ قُدُومِ الْحُسَيْنِ عِ الْعِرَاقِ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ

٤٣٤

١- قَالَ إِبرَاهِيمُ وَ حَدَّثَنِي إِبرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّهْدِيُّ حَدَّثَنِي مُبَارَكُ الْبَجَلِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَجَالِيدُ عَنْ
الشَّعْبِيِّ عَنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ زِيَادٍ وَقَدْ أَتَى بِرُشَيْدِ الْهَجْرِيِّ وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ
مَا قَالَ خَلِيلُكَ لَكَ إِنَّا فَاعِلُونَ بِكَ قَالَ تَقْطَعُونَ يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ وَتَضِلُّونَنِي فَقَالَ زِيَادٌ أَمَا وَاللَّهِ لَأُكَذِّبَنَّ حَدِيثَهُ خَلُّوا سَبِيلَهُ فَلَمَّا
أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قَالَ رُدُّوهُ لِي - نَجِدُ شَيْئًا أَضِلُّحَ مِمَّا قَالَ لَكَ صَاحِبُكَ إِنَّكَ لَا تَزَالُ تَبْغِي لَنَا سُوءًا إِنْ بَقِيَتْ أَقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ
فَقَطَّعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ اضِلُّبُوهُ حَقًّا فِي عُنُقِهِ فَقَالَ رُشَيْدٌ قَدْ بَقِيَ لِي عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مَا أَرَاكُمْ فَعَلْتُمُوهُ فَقَالَ زِيَادٌ
أَقْطَعُوا لِسَانَهُ فَلَمَّا أَخْرَجُوا لِسَانَهُ لِيَقْطَعَ قَالَ نَفْسُوا عَنِّي أَتَكَلَّمُ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَنَفْسُوا عَنْهُ فَقَالَ هَذَا وَاللَّهِ تَضِيْدِيْقُ خَبْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَخْبَرَنِي بِقَطْعِ لِسَانِي فَقَطَّعُوا لِسَانَهُ وَصَلَّبُوهُ .

٤٣٥

١- وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ رُزَيْقٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صِهْبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ حَدَّثَنِي مُرَّعٌ (١)
صَاحِبُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ع أَنَّهُ قَالَ لِيُقْبَلَنَّ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكَ لَتَحْدِثَنِي
بِالْغَيْبِ فَقَالَ أَحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ فَإِنَّمَا حَدَّثَنِي بِهِ الثَّقَمَةُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَ حَدَّثَنِي أَيْضًا شَيْئًا آخَرَ لِيُؤْخَذَنَّ رَجُلٌ فَلْيُقْتَلَنَّ وَ
لِيُصَلَّبَنَّ بَيْنَ شَرْفَتَيْنِ مِنْ شَرَفِ الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكَ لَتَحْدِثَنِي بِالْغَيْبِ فَقَالَ أَحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ فَوَاللَّهِ مَا أَتَتْ

ص: ٢٩٤

(١-١) مزرع، ذكره صاحب تنقيح المقال ٢:٢١٠، ولم يزد على ما نقله من خبره هنا.

عَلَيْنَا جُمُعَهُ حَتَّى أَخَذَ مُرَّرُوعٌ فُقُتِلَ وَ صُلِبَ بَيْنَ شُرُفَتَيْنِ مِنْ شَرَفِ الْمَسْجِدِ

قلت حديث الخسف بالجيش

٤٣٦

١٤,٥- قَدْ خَرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ص يَقُولُ يَعُودُ قَوْمٌ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ (١) حُسِفَ بِهِمْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَعَلَّ فِيهِمْ الْمُكْرَهُ أَوْ الْكَارَةَ فَقَالَ يُحْسَفُ بِهِمْ وَ لَكِنْ يُحْشَرُونَ أَوْ قَالَ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ (٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَسئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أ هِيَ بَيْدَاءٌ مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ كَلَّا وَ اللَّهُ إِنَّهَا بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ .

أخرج البخاري بعضه و أخرج مسلم الباقي (٣) .

٤٣٧

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْعَنْزِيُّ قَالَ كَانَ مَالِكُ بْنُ صَمْرَةَ الرَّؤَاسِيُّ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ع وَ مِمَّنِ اسْتَبَطْنَ مِنْ جِهَتِهِ عِلْمًا كَثِيرًا وَ كَمَا أَنْ أَيْضًا قَدْ صَحِبَ أَبِيَا ذَرًّا فَأَخَذَ مِنْ عِلْمِهِ وَ كَانَ يَقُولُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةِ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى الثَّلَاثَةِ فَيُقَالُ لَهُ وَ مَا الثَّلَاثَةُ فَيَقُولُ رَجُلٌ يُزْمَى مِنْ فَوْقِ طِمَارٍ (٤) وَ رَجُلٌ تُقَطَّعُ يَدَاهُ وَ رِجْلَاهُ وَ لِسَانُهُ وَ يُضِلُّ وَ رَجُلٌ يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ فَكَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَهْزَأُ بِهِ وَ يَقُولُ هَذَا مِنْ أَكَاذِبِ أَبِي تَرَابٍ .

قَالَ وَ كَانَ الَّذِي رُمِيَ بِهِ مِنْ طِمَارٍ هَانِيٌّ بْنُ عُرْوَةَ (٥) وَ الَّذِي قُطِعَ وَ صُلِبَ رُشَيْدُ الْهَجْرِيِّ وَ مَاتَ مَالِكٌ عَلَى فِرَاشِهِ

الفصل الرابع و هو من قوله فنظرت في أمرى إلى آخر الكلام هذه كلمات

ص: ٢٩٥

(١-١) البيداء: كل أرض ملساء لا شيء فيها.

(٢-٢) لفظ مسلم: «و لكنه يبعث يوم القيامة على نيته».

(٣-٣) صحيح مسلم ٢٢٠٩: ٤.

(٤-٤) طمار، كقطام: المكان المرتفع.

(٥-٥) كذا في الأصول، و في معجم البلدان ٥٨: ٦ أن الذي رمى به من طمار مسلم بن عقيل بن أبي طالب، أمر بإلقائه عبيد الله بن زياد، و أنشد: فإن كنت ما تدرين ما الموت فانظري إلى هانئ في السوق و ابن عقيل إلى بطل قد عقر السيف وجهه و آخر يهوى من طمار قتيل . .

مقطوعه من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاه رسول الله ص و أنه كان معهودا إليه ألا ينازع في الأمر و لا يثير فتنه بل يطلبه بالرفق فإن حصل له و إلا أمسك.

هكذا كان يقول ع و قوله الحق و تأويل هذه الكلمات فنظرت فإذا طاعتي لرسول الله ص أى و جوب طاعتي فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه قد سبقت بيعتى للقوم أى و جوب طاعه رسول الله ص على و جوب امتثالى أمره سابق على بيعتى للقوم فلا سبيل لى إلى الامتناع من البيعه لأنه ص أمرنى بها.

و إذا الميثاق فى عنقى لغيرى

أى رسول الله ص أخذ على الميثاق بترك الشقاق و المنازعه فلم يحل لى أن أتعدى أمره أو أخالف نهييه.

فإن قيل فهذا تصريح بمذهب الإماميه قيل ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين لأنهم يزعمون أنه الأفضل و الأحق بالإمامه و أنه لو لا ما يعلمه الله و رسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكاً فرسول الله ص أخبره أن الإمامه حقه و أنه أولى بها من الناس أجمعين و أعلمه أن فى تقديم غيره و صبره على التأخر عنها مصلحه للدين راجعه إلى المكلفين و أنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها و يغضى عنها لمن هو دون مرتبته فامتثل ما أمره به رسول الله ص و لم يخرجته تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل و الأولى و الأحق و قد صرح شيخنا أبو القاسم البلخى رحمه الله تعالى بهذا و صرح به تلامذته و قالوا لو نازع عقيب وفاه رسول الله ص و سل سيفه لحكمتنا بهلاك كل

من خالفه و تقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه و لكنه مالک الأمر و صاحب الخلافه إذا طلبها و جب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها و إذا أمسك عنها و جب علينا القول بعداله من أغضى له عليها و حكمه فى ذلك حكم رسول الله ص لأنه قد

٤٣٨

تَبَّتْ عَنْهُ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ قَالَ

عَلَيَّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ حَيْثُمَا دَارَ.

٤٣٩

وَ قَالَ لَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ حَزْبُكَ حَزْبِي وَ سَلْمُكَ سَلْمِي.

و هذا المذهب هو أعدل المذاهب عندى و به أقول

ص: ٢٩٧

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبُهَةُ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَّائُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا (١) الضَّلَالُ وَ دَلِيلُهُمُ الْعَمَى فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَ لَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

هذان فصلان أحدهما غير ملتئم مع الآخر بل مبتور عنه و إنما الرضى رحمه الله تعالى كان يلتقط الكلام التقاطا و مراده أن يأتى بفصيح كلامه ع و ما يجرى مجرى الخطابه و الكتابه فلهذا يقع فى الفصل الواحد الكلام الذى لا يناسب بعضه بعضا و قد قال الرضى ذلك فى خطبه الكتاب (٢).

أما الفصل الأول فهو الكلام فى الشبهه و لما ذا سميت شبهه قال ع لأنها تشبه الحق و هذا هو محض ما يقوله المتكلمون و لهذا يسمون ما يحتج به أهل الحق دليلا و يسمون ما يحتج به أهل الباطل شبهه .

قال فأما أولياء الله فضيائهم فى حل الشبهه اليقين و دليلهم سمت الهدى و هذا حق لأن من اعتبر مقدمات الشبهه و راعى الأمور اليقينية و طلب المقدمات المعلومه قطعا انحلت الشبهه و ظهر له فسادها من أين هو ثم قال و أما أعداء الله فدعائهم

ص: ٢٩٨

١- ١) ساقطه من مخطوطه النهج.

٢- ٢) الجزء الأول ص ٥٣.

و هذا حقّ لأن المبطل ينظر فى الشبهه لا نظر من راعى الأمور اليقينيه و يحلل المقدمات إلى القضايا المعلومه بل يغلب عليه حبّ المذهب و عصبه أسلافه و إثارة نصره من قد ألزم بنصرته فذاك هو العمى و الضلال اللذان أشار أمير المؤمنين إليهما فلا تنحل الشبهه له و تزداد عقيدته فسادا و قد ذكرنا فى كتبنا الكلاميه الكلام فى توليد النظر للعلم و أنه لا يولد الجهل .

الفصل الثانى قوله فما ينجو من الموت من خافه و لا يعطى البقاء من أحبه هذا كلام أجنبى عما تقدم و هو مأخوذ من قوله تعالى قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ (١) و قوله أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ (٢) و قوله فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣)

ص: ٢٩٩

١-١) سورة آل عمران ١٥٤.

٢-٢) سورة النساء ٧٨.

٣-٣) سورة الأعراف ٣٤.

اشاره

مَنِيَتْ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ
 أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا وَأُنَادِيكُمْ مُنْغَوِّثًا فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءِ فَمَا
 يُدْرِكُ بِكُمْ ثَأْرًا وَلَا يُبَلِّغُ بِكُمْ مَرَامَ دَعْوَتِكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَزَجَزْتُمْ جَزَجَزَةَ الْجَمَلِ الْأَسِيرِ وَتَنَاقَلْتُمْ تَنَاقُلَ النَّصُوحِ الْأَدْبَرِ ثُمَّ
 خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ .

[قال الرضى رحمه الله قوله ع متدائب أى مضطرب من قولهم تذاءبت الريح أى اضطرب هبوبها و منه سمي الذئب ذئبا
 لاضطراب مشيته]

منيت

أى بليت و تحمشكم تغضبكم أحمسه أى أغضبه و المستصرخ المستنصر و المتغوث القائل وا غوثاه .

ص : ٣٠٠

و الجرجره صوت يردده البعير فى حنجرته و أكثر ما يكون ذلك عند الإعياء و التعب و الجمل الأسر الذى بكر كرتة دبره (١) و النضو البعير المهزول و الأدبر الذى به دبر و هو المعقور من القتب و غيره.

هذا الكلام خطب به أمير المؤمنين ع فى غاره النعمان بن بشير الأنصارى على عين التمر (٢)

أمر النعمان بن بشير مع على و مالك بن كعب الأرحبى

٤٤٠

١- ذَكَرَ صَاحِبُ الْغَارَاتِ أَنَّ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قَدِمَ هُوَ وَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى عَلِيٍّ ع مِنْ عِنْدِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَدْفَعَ قَتْلَهُ عُثْمَانَ إِلَى مُعَاوِيَةَ لِيُقَيِّدَهُمْ بِعُثْمَانَ لَعَلَّ الْحَرْبَ أَنْ تُطْفَأَ وَ يَصْطَلِحَ النَّاسُ وَ إِنَّمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةَ أَنْ يَزْجَعَ مِثْلَ النَّعْمَانِ وَ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ عِنْدِ عَلِيٍّ ع إِلَى النَّاسِ وَ هُمْ لِمُعَاوِيَةَ عَاذِرُونَ وَ لِعَلِيٍّ لَأَيْمُونٍ وَ قَدْ عَلِمَ مُعَاوِيَةَ أَنَّ عَلِيًّا لَا يَدْفَعُ قَتْلَهُ عُثْمَانَ إِلَيْهِ فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ هَيْدَانٍ يَشْهَدَانِ لَهُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ بِمِثْلِكَ وَ أَنْ يُظْهَرَ عِذْرُهُ فَقَالَ لَهُمَا ائْتِيَا عَلِيًّا فَأَنْشِدَاهُ اللَّهَ وَ سِيْلَاهُ بِاللَّهِ لَمَّا دَفَعَ إِلَيْنَا قَتْلَهُ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ قَدْ آوَاهُمْ وَ مَنَعَهُمْ ثُمَّ لَا حَرْبَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فَإِنْ أَبِي فَكُونُوا شُهَدَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وَ أَقْبَلَا- عَلَى النَّاسِ فَأَعْلَمَ بِهِمْ ذَلِكَ فَأَتِيَا إِلَى عَلِيٍّ ع فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ يَا أَبَا حَسَنِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ فَضْلًا وَ شَرَفًا أَنْتَ ابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ص وَ قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّكَ مُعَاوِيَةَ يَسْأَلُكَ أَمْرًا تَشْكُنُ بِهِ هَذِهِ

ص: ٣٠١

١- ١) الكركره، بالكسر: زور البعير. و الدبره: قرحه الدابته.

٢- ٢) عين التمر: بلده فى طرف البادية؛ على غربى الفرات.

الْحَرْبِ وَ يُصْلِحَ اللَّهُ تَعَالَى ذَاتَ الْبَيْنِ أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْهِ قَتْلَهُ عُمَانَ ابْنِ عَمِّهِ فَيَقْتُلَهُمْ بِهِ وَ يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَكَ وَ أَمْرَهُ وَ يُصْلِحَ بَيْنَكُمْ وَ تَسْلَمَ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَ الْفُرْقَةِ ثُمَّ تَكَلَّمَ النُّعْمَانُ بِنَحْوِ مِنْ ذَلِكَ (١).

فَقَالَ لَهُمَا دَعَا الْكَلَامَ فِي هَذَا حَدَّثَنِي عَنْكَ يَا نُعْمَانُ أَنْتَ أَهْدَى قَوْمِكَ سَبِيلًا يَعْنِي الْأَنْصَارَ قَالَ لَا قَالَ فَكُلُّ قَوْمِكَ قَدْ اتَّبَعَنِي إِلَّا شُدَّادًا مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ أَفْتَكُونُ أَنْتَ مِنَ الشُّدَّادِ فَقَالَ النُّعْمَانُ أَصِيْلِحَكَ اللَّهُ إِنَّمَا جِئْتُ لِأَكُونَ مَعَكَ وَ الزَّمَكَ وَ قَدْ كَانَ مُعَاوِيَةَ سَأَلَنِي أَنْ أُوَدِّيَ هَذَا الْكَلَامَ وَ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ لِي مَوْقِفٌ أَجْتَمِعُ فِيهِ مَعَكَ وَ طَمِعْتُ أَنْ يَجْرِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَكُمْ صُلْحًا فَإِذَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ رَأَيْتُكَ فَأَنَا مُلَازِمُكَ وَ كَائِنُ مَعَكَ.

فَأَمَّا أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَحِقَ بِالسَّامِ وَ أَقَامَ النُّعْمَانُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَ فَمَا خَبَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ مُعَاوِيَةَ بِالْخَبْرِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ فَفَعَلَ وَ أَقَامَ النُّعْمَانُ بَعْدَهُ شَهْرًا ثُمَّ خَرَجَ فَارًّا مِنْ عَلِيٍّ عَ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِعَيْنِ التَّمْرِ أَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأُرْحَبِيُّ وَ كَانَ عَامِلَ عَلِيٍّ عَ عَلَيْهَا فَارَادَ حَبْسَهُ وَ قَالَ لَهُ مَا مَرَّ بِكَ بَيْنَنَا (٢) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ بَلَّغْتُ رِسَالَهُ صَاحِبِي ثُمَّ انصُرْتُ فَحَبْسَهُ وَ قَالَ كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَكْتُبَ إِلَيْكَ فِيكَ فَنَاشِدَهُ وَ عَظَّمَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْكَ فِيهِ فَارْسِلِ النُّعْمَانُ إِلَى قَرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيِّ وَ هُوَ كَاتِبُ عَيْنِ التَّمْرِ يُجِيبِي خَرَجَهَا لِغَلِيٍّ عَ فَخِزَاءَهُ مُسْرِعًا فَقَالَ لِمَالِكِ بْنِ كَعْبٍ خَلِّ سَبِيلَ ابْنِ عَمِّي يَزْحَمُكَ اللَّهُ فَقَالَ يَا قَرْظَةُ اتَّقِ اللَّهَ وَ لَا تَتَكَلَّمْ فِي هَذَا فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ عِبَادِ الْأَنْصَارِ وَ نَسَاكِهِمْ لَمْ يَهْرُبْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَمِيرِ الْمُنَافِقِينَ.

فَلَمْ يَزَلْ بِهِ يُقْسِمُ عَلَيْهِ حَتَّى خَلَّى سَبِيلَهُ وَ قَالَ لَهُ يَا هَذَا لَكَ الْأَمَانُ الْيَوْمَ وَ اللَّيْلَةَ

ص: ٣٠٢

١ - ١) ب: «هذا».

٢ - ٢) ب: «هاهنا».

وَ غَدَاً وَ اللّٰهَ اِنْ اُذِرْكُنَّكَ بَعِيدَهَا لَأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ فَخَرَجَ مُسْرِعًا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَ ذَهَبَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ فَلَمْ يُدْرَ أَيَّنَ يَتَسَكَّعُ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يُعْلَمُ أَيَّنَ هُوَ فَكَانَ النُّعْمَانُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ وَ اللّٰهَ مَا عَلِمْتُ أَيَّنَ أَنَا حَتَّى سَمِعْتُ قَوْلَ قَائِلِهِ تَقُولُ وَ هِيَ تَطْحَنُ شَرِبْتُ مَعَ الْجَوَزَاءِ كَأَسَا رَوِيَّهٖ (١)

فَعَلِمْتُ أَنِّي عِنْدَ حَيٍّ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ وَ إِذَا الْمَاءُ لِبَنِي الْقَيْنِ فَعَلِمْتُ أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الْمَاءِ (٢) .

ثُمَّ قَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَخَبَّرَهُ بِمَا لَفِيَ وَ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ مُصَاحِبًا لَمْ يُجَاهِدْ عَلِيًّا وَ يَتَّبِعُ قَتْلَهُ عُثْمَانَ حَتَّى غَزَا الضُّحَاكُ بَنُ قَيْسِ أَرْضِ الْعِرَاقِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَ قَدْ كَانَتْ مُعَاوِيَةُ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَمَا مِنْ رَجُلٍ أَبْعَثَ بِهِ (٣) بِجَرِيدِهِ حَتَّى يُغَيِّرَ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ فَإِنَّ اللّٰهَ يُرْعِبُ بِهَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ فَابْعَثْنِي فَإِنِّي لِي فِي قِتَالِهِمْ نِيَّةً وَ هَوَى وَ كَانَ النُّعْمَانُ عُثْمَانِيًّا قَالَ فَانْتَدَبَ عَلَى اسْمِ اللّٰهِ فَانْتَدَبَ وَ نَدَبَ مَعَهُ أَلْفَى رَجُلًا وَ أَوْصِيَاهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمُدُنَ وَ الْجَمَاعَاتِ وَ أَلَّا يُغَيِّرَ إِلَّا عَلَى مَضْلَحِهِ وَ أَنْ يُعَجِّلَ الرُّجُوعَ.

فَأَقْبَلَ النُّعْمَانُ بَنُ بَشِيرٍ حَتَّى دَنَا مِنْ عَيْنِ التَّمْرِ وَ بِهَا مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَعَهُ مَا جَرَى (٤) وَ مَعَ مَالِكِ أَلْفُ رَجُلٍ وَ قَدْ أُذِنَ لَهُمْ فَوَجَعُوا إِلَى الْكُوفَةِ فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا مَائَةٌ أَوْ نَحْوُهَا فَكَتَبَ مَالِكُ إِلَى عَلِيٍّ عَ أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ النُّعْمَانَ بَنُ بَشِيرٍ قَدْ نَزَلَ بِي فِي جَمْعٍ كَثِيفٍ فَرَأَيْكَ سَدَّدَكَ اللّٰهُ تَعَالَى وَ تَبَّتْكَ وَ السَّلَامُ.

فَوَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى عَلِيٍّ عَ فَصَعِدَ الْمُنْبَرِ فَحَمِدَ اللّٰهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ

ص: ٣٠٣

١-١) ب: «رديه»، و صوابه من ج.

٢-٢) كذا في الأصول، و يرى السيد جاسم أنها «الأمان».

٣-٣) ب: «معه».

٤-٤) ب: «ما ذكرناه».

أَخْرَجُوا هَدَاكُمُ اللَّهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ أَحْيَاكُمْ فَإِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قَدْ نَزَلَ بِهِ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لَيْسَ بِالْكَثِيرِ فَانْهَضُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يَقْطَعُ بِكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ طَرَفًا ثُمَّ نَزَلَ.

فَلَمْ يَخْرُجُوا فَأَرْسَلَ إِلَى وُجُوهِهِمْ وَكُبْرَائِهِمْ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْهَضُوا وَيَحْتُوا النَّاسَ عَلَى الْمَسِيرِ فَلَمْ يَصْبَعُوا شَيْئًا وَاجْتَمَعَ مِنْهُمْ نَفْرٌ يَسِيرٌ نَحْوَ ثَلَاثِمِائَةِ فَارِسٍ أَوْ دُونَهَا فَقَامَ عِزُّ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ فَقَالَ أَلَا إِنِّي مُنِيْتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ الْفَضْلَ الَّذِي شَرَحْنَاهُ إِلَى آخِرِهِ ثُمَّ نَزَلَ.

فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَقَامَ عِدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَقَالَ هَذَا وَاللَّهِ الْجِدْلَانُ عَلَى هَذَا بَايَعْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ دَخَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مَعِيَ مِنْ طَبِئِ أَلْفِ رَجُلٍ لَا يَعْصُونَ نِيَّ فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَسِيرَ بِهِمْ سَبْرْتُ قَالَ مَا كُنْتُ لِأَعْرِضَ قَبِيلَهُ وَاحِدَةً مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ لِلنَّاسِ وَ لَكِنْ أَخْرَجَ إِلَى النُّخَيْلِ فَعَسَيْكَرُ بِهِمْ وَ فَرَضَ عَلَيَّ عِزُّ بْنُ حَاتِمٍ لِكُلِّ رَجُلٍ سَبْعِمِائَةٍ فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَلْفُ فَارِسٍ عِدَا طَبِئًا أَصْحَابَ عِدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَ وَرَدَ عَلَى عَلِيِّ عِزُّ بْنُ حَاتِمٍ وَ نَصِيرَةَ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَ نَصِيرَةَ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ فَقَرَأَ الْكِتَابَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَ حَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَ قَالَ هَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَ دَمَّ أَكْثَرُكُمْ .

فَأَمَّا خَبَرُ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ مَعَ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوْزَةَ الْأَزْدِيُّ قَالَ كُنْتُ مَعَ مَالِكِ بْنِ كَعْبٍ حِينَ نَزَلَ بِنَا النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ وَ هُوَ فِي أَلْفَيْنِ وَ مَا نَحْنُ إِلَّا مِائَةٌ فَقَالَ لَنَا قَاتِلُوهُمْ فِي الْقَرْيَةِ وَ اجْعَلُوا الْجِدْرَ فِي ظُهُورِكُمْ وَ لَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْصُرُ الْعَشْرَةَ عَلَى الْمِائَةِ وَ الْمِائَةَ عَلَى الْأَلْفِ وَ الْقَلِيلَ عَلَى الْكَثِيرِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَقْرَبَ مَنْ هَاهُنَا إِلَيْنَا مِنْ شَيْعِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْصَارِهِ وَ عَمَالِهِ قَرِظَةُ بْنُ كَعْبٍ

وَمِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ فَأَرْكَضُ إِلَيْهِمَا فَأَعْلَمَهُمَا حَالَنَا وَقُلْتُ لَهُمَا فَلْيَنْصُرَانَا مَا اسْتَطَاعَا (١) فَأَقْبَلْتُ أَرْكَضُ وَقَدْ تَرَكَتُهُ وَأَصْحَابُهُ يَزْمُونَ أَصِيحَابَ ابْنِ بَشِيرٍ بِالنَّبْلِ فَمَرَزْتُ بِقَرْظِهِ فَاسْتَصِي رِخْتُهُ فَقَالَ إِنَّمَا أَنَا صَاحِبُ خَرَجٍ وَ لَيْسَ عِنْدِي مِنْ أَعْيُنِهِ بِهِ فَمَضَيْتُ إِلَى مِخْنَفِ بْنِ سُلَيْمٍ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ فَسَرَّحَ مَعِيَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مِخْنَفٍ فِي خَمْسَةِ رِجَالٍ وَقَاتَلَ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ النُّعْمَانَ وَأَصِيحَابَهُ إِلَى الْعَصْرِ فَأَتَيْنَاهُ وَقَدْ كَسَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ جُفُونَ سُيُوفِهِمْ وَاسْتَقْبَلُوا الْمَوْتَ (٢) فَلَوْ أَبْطَأْنَا عَنْهُمْ هَلَكُوا فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَى أَهْلَ الشَّامِ وَقَدْ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا يَنْكُصُونَ عَنْهُمْ وَيَزْتَفِعُونَ وَرَأَى مَالِكُ وَأَصِيحَابُهُ فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ حَتَّى دَفَعُوهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ فَاسْتَعْرَضْنَا لَهُمْ فَصَيَّرَعْنَا مِنْهُمْ رِجَالًا ثَلَاثَةً وَارْتَفَعَ الْقَوْمُ عَنَّا وَظَنُوا أَنْ وَرَاءَنَا مِيدَادٌ وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُنَا لَأَقْبَلُوا عَلَيْنَا وَ لَأَهْلَكُونَا وَحَالَ اللَّيْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَأَنْصَرَفُوا إِلَى أَرْضِهِمْ وَكَتَبَ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ إِلَى عَلِيِّ عَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ نَزَلَ بِنَا النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ فِي جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ كَمَا الظَّاهِرِ عَلَيْنَا وَكَانَ عَظْمٌ (٣) أَصِيحَابِي مُتَفَرِّقِينَ وَكُنَّا لِلَّذِي كَانَ مِنْهُمْ آمِنِينَ فَخَرَجْنَا إِلَيْهِمْ رِجَالًا مُضِيئِينَ (٤) فَقَاتَلْنَا لَهُمْ حَتَّى الْمَسَاءِ وَاسْتَصِي رِخْنَا مِخْنَفُ بْنُ سُلَيْمٍ فَبَعَثَ إِلَيْنَا رِجَالًا مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَدِهِ فَنِعَمَ الْفَتَى وَنِعَمَ الْأَنْصَارُ كَانُوا فَحَمَلْنَا عَلَى عَدُوِّنَا وَشَدَدْنَا عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا نَصْرَهُ وَهَزَمَ عَدُوَّهُ وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالسَّلَامُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

ص: ٣٠٥

١-١) كذا في ا،ج،و في ب: «بما استطاعا».

٢-٢) ب: «و استسلموا للموت».

٣-٣) عظم الشيء؛ أى معظمه.

٤-٤) يقال: أصلت الرجل السيف؛ إذا جرده من غمده.

١- وَ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ فُرَاتٍ الْجَرْمِيُّ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ع قَالَ قَالَ عَلِيُّ ع فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى الْحَقِّ فَتَوَلَّيْتُمْ عَنِّي وَ ضَرَبْتُمْ بِالْدَّرِّهِ فَأَعْيَيْتُمُونِي أَمَا إِنَّهُ سَيَلِيكُم بَعْدِي وُلَاةٌ لَا يَرْضَوْنَ عَنْكُمْ بِذَلِكَ حَتَّى يُعَذَّبُوكُم بِالسَّيَاطِ وَ بِالْحَدِيدِ فَأَمَّا أَنَا فَلَا أُعَذِّبُكُمْ بِهِمَا إِنَّهُ مَنْ عَذَّبَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَ آيَةُ ذَلِكَ أَنَّ يَأْتِيكُمْ صَاحِبُ الْيَمَنِ حَتَّى يَحْلُلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَيَأْخُذَ الْعَمَالَ وَ عَمَالَ (١) الْعَمَالِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو وَ يَقُومُ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلٌ مِّنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ فَاَنْصُرُوهُ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى الْحَقِّ.

قَالَ وَ كَانَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ زَيْدُ ع .

ص: ٣٠٦

(١- ١) ساقطه من ب.

إشاره

قَالَ: كَلِمَهُ حَقٌّ مُرَادٌ بِهَا بَاطِلٌ نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ (١) إِلَّا لِلَّهِ وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَ يُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ.

وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ ع لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرْهَ فَيَعْمَلُ فِيهَا (٢) التَّقِيُّ وَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطَعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَيَّتُهُ.

اختلاف الرأي في القول بوجوب الإمامه

هذا نص صريح منه ع بأن الإمامه واجبه و قد اختلف الناس في هذه

ص: ٣٠٧

١- ١) ب: «لا إمره إلا لله» و ما أثبتته عن ا، ج و مخطوطه النهج.

٢- ٢) ا: «بها».

المسألة فقال المتكلمون كافة الإمامه واجبه إلا ما يحكى عن أبى بكر الأصم من قدماء أصحابنا أنها غير واجبه إذا تناصفت الأمة و لم تتظالم.

و قال المتأخرون من أصحابنا إن هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمة لأنه إذا كان لا يجوز فى العاده أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال اللهم إلا أن يقول إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس و هذا بعيد أن يقوله فأما طريق وجوب الإمامه ما هى فإن مشايخنا البصريين رحمهم الله يقولون طريق وجوبها الشرع و ليس فى العقل ما يدل على وجوبها.

و قال البغداديون و أبو عثمان الجاحظ من البصريين و شيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى إن العقل يدل على وجوب الرئاسة و هو قول الإمامية إلا أن الوجه الذى منه يوجب أصحابنا الرئاسة غير الوجه الذى توجب الإمامية منه الرئاسة و ذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين من حيث كان فى الرئاسة مصالح دنيويه و دفع مضار دنيويه و الإمامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى من حيث كان فى الرئاسة لطف و بعد للمكلفين عن مواقعه القبائح العقلية .

و الظاهر من كلام أمير المؤمنين ع يطابق ما يقوله أصحابنا ألا تراه كيف علل قوله لا بد للناس من أمير فقال فى تعليه يجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تأمن به السبل و يؤخذ للضعيف من القوى و هذه كلها من مصالح الدنيا.

فإن قيل ذكرتم أن الناس كافة قالوا بوجوب الإمام فكيف يقول أمير المؤمنين ع عن الخوارج إنهم يقولون لا إمره .

قيل إنهم كانوا فى بدء أمرهم يقولون ذلك و يذهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام ثم رجعوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي .

فإن قيل فسروا لنا ألفاظ أمير المؤمنين ع قيل إن الألفاظ كلها ترجع إلى إمره الفاجر.

قال يعمل فيها المؤمن أى ليست بمانعه للمؤمن من العمل لأنه يمكنه أن يصلى و يصوم و يتصدق و إن كان الأمير فاجرا فى نفسه ثم قال و يستمتع فيها الكافر أى يتمتع بمدته كما قال سبحانه للكافرين قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (١).

و يبلغ الله فيها الأجل لأن إماره الفاجر كإماره البر فى أن المده المضروبه فيها تنتهى إلى الأجل المؤقت للإنسان .

ثم قال و يجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تأمن به السبل و يؤخذ به للضعيف من القوى و هذا كله يمكن حصوله فى إماره الفاجر القوى فى نفسه

٤٤٢

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ.

و قد اتفقت المعتزله على أن أمراء بنى أمية كانوا فجارا عدا عثمان و عمر بن عبد العزيز و يزيد بن الوليد و كان الفىء يجمع بهم و البلاد تفتح فى أيامهم و الثغور الإسلاميه محصنه محوطه و السبل آمنه و الضعيف منصور على القوى الظالم و ما ضر فجوهرهم شيئا فى هذه الأمور ثم قال ع فتكون هذه الأمور حاصله إلى أن يستريح بر بموته أو يستراح من فاجر بموته أو عزله .

فأما الروايه الثانيه فإنه قد جعل التقى يعمل فيها للإمره البره خاصه (٢) .

و باقى الكلام غنى عن الشرح

ص: ٣٠٩

١- ١) سورة إبراهيم ٣٠.

٢- ٢) كذا فى ج، و هو الوجه، و فى ب: «يعمل فيها التقى الإمره خاصه».

١- وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دِزْرِيْلَ الْمُحَدِّثُ فِي كِتَابِ صِفِّينَ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ خَالِدِ بْنِ حُمَيْدِ الْمِصْرِيِّ عَنِ عُمَرَ مَوْلَى غَفْرَةَ قَالَ لَمَّا رَجَعَ عَلِيٌّ ع مِنْ صِفِّينَ إِلَى الْكُوفَةِ أَقَامَ الْخَوَارِجَ حَتَّى جَمُّوا (١) ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى صَحْرَاءَ بِالْكُوفَةِ تُسَمَّى حُرُورَاءَ فَنَادَوْا لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا إِنْ عَلِيًّا وَ مُعَاوِيَةَ أَشْرَكَا فِي حُكْمِ اللَّهِ.

فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ ع إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَنَطَرَ فِي أَمْرِهِمْ وَ كَلَّمَهُمْ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَلِيٍّ ع فَقَالَ لَهُ مَا رَأَيْتَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي مَا هُمْ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ع رَأَيْتَهُمْ مُنَافِقِينَ قَالَ وَ اللَّهُ مَا سَمِيَاهُمْ بِسَيِّمَاتِ الْمُنَافِقِينَ إِنْ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ لِأَثَرِ السُّجُودِ وَ هُمْ يَتَأَوَّلُونَ (٢) الْقُرْآنَ فَقَالَ عَلِيٌّ ع دَعَوْهُمْ مَا لَمْ يَشْفِكُوا دَمًا أَوْ يَعْصِبُوا مَالًا وَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَا هَذَا الَّذِي أَحَدْتُمْ وَ مَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَخْرُجَ نَحْنُ وَ أَنْتَ وَ مَنْ كَانَ مَعَنَا بِصِفِّينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَمْرِ الْحَكَمِيِّينَ ثُمَّ نَسِيرَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَتَفَاتَلَهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ ع فَهَلَّا قُلْتُمْ هَذَا حِينَ (٣) بَعَثْنَا الْحَكَمِيِّينَ وَ أَحَدْنَا مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَ أَعْطَيْنَاهُمُوهُ إِلَّا قُلْتُمْ هَذَا حِينَئِذٍ قَالُوا كُنَّا قَدْ طَالَتِ الْحَرْبُ عَلَيْنَا وَ اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَ كَثُرَ الْجِرَاحُ وَ خَلَا الْكِرَاعُ وَ السَّلَاحُ فَقَالَ لَهُمْ أَ فَحِينَ اشْتَدَّ الْبَأْسُ عَلَيْكُمْ عَاهَدْتُمْ فَلَمَّا وَجَدْتُمْ الْجَمَامَ قُلْتُمْ نَنْفُضُ الْعَهْدَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَفِي لِلْمُشْرِكِينَ أَ فَتَأْمُرُونِي بِنَفْضِهِ .

فَمَكَثُوا مَكَانَهُمْ لَا يَزَالُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَرْجِعُ إِلَى عَلِيٍّ ع وَ لَا يَزَالُ الْآخَرُ

ص ٣١٠:

١- ١) الجمام، بالفتح:الراحه.

٢- ٢) ا:«و يتأولون».

٣- ٣) كذا في ا،ج،و في ب:«حيث».

يُخْرِجُ مِنْ عِنْدِ عَلِيٍّ ع فَدَخَلَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى عَلِيٍّ ع بِالْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ فَصَاحَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فَتَلَفَّتِ النَّاسُ فَنَادَى لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُتَلَفِّتُونَ فَرَفَعَ (١) عَلِيٌّ ع رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ أَبُو حَسَنِ فَقَالَ عَلِيٌّ ع إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ (٢) لَا يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ لِلَّهِ (٣) ثُمَّ قَالَ حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ هَلَّا مِلْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ فَأَفْتَيْتَهُمْ فَقَالَ إِنَّهُمْ لَا يَفْنَوْنَ إِنَّهُمْ لَفِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

٤٤٤

١- رَوَى أَنَسُ بْنُ عِيَّاضِ الْمِدَنِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ ع عَنْ أَبِيهِ عَنِ حِدِّهِ أَنَّ عَلِيًّا ع كَانَ يَوْمًا يُؤْمِ النَّاسَ وَ هُوَ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ فَجَهَرَ ابْنُ الْكَوَّاءِ مِنْ خَلْفِهِ وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤) فَلَمَّا جَهَرَ ابْنُ الْكَوَّاءِ وَ هُوَ خَلْفُهُ بِهَا سَكَتَ عَلِيٌّ فَلَمَّا أَنَهَاهَا ابْنُ الْكَوَّاءِ عَادَ عَلِيٌّ ع فَاتَمَّ قِرَاءَتَهُ فَلَمَّا شَرَعَ عَلِيٌّ ع فِي الْقِرَاءَةِ عَادَ ابْنُ الْكَوَّاءِ الْجَهْرَ بِتِلْكَ الْآيَةِ فَسَكَتَ عَلِيٌّ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يَسْكُتُ هَذَا وَ يَقْرَأُ ذَاكَ مِرَارًا حَتَّى قَرَأَ عَلِيٌّ ع فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٥) فَسَكَتَ ابْنُ الْكَوَّاءِ وَ عَادَ ع إِلَى قِرَاءَتِهِ

ص: ٣١١

١- ١) ب: «فرجع»، و ما أنبته عن ا،ج.

٢- ٢- ٢) ب: «لا يكره أن يكون الحكم إلا لله».

٣- ٢- ٢) ب: «لا يكره أن يكون الحكم إلا لله».

٤- ٤) سورة الروم ٦٠.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ (١) الْوَفَاءَ تَوْأَمَ الصُّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَمَا (٢) يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ وَ لَقَدْ أَصَيْبْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْعُدْرَ كَيْسًا وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلِ مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوْلَ الْقُلْبَ وَجَهَ الْحِيَلِ وَ دُونَهَا مَا بَعَثَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهَيْهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَ يَنْتَهَزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيَجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ .

يقال هذا توأم هذا و هذه توأمته و هما توأمان و إنما جعل الوفاء توأم الصدق لأن الوفاء صدق في الحقيقة ألا ترى أنه قد عاهد على أمر و صدق فيه و لم يخلف و كأنهما أعم و أخص و كل وفاء صدق و ليس كل صدق وفاء فإن امتنع من حيث الاصطلاح تسميه الوفاء صدقاً فلا أمر آخر و هو أن الوفاء قد يكون بالفعل دون القول و لا يكون الصدق إلا في القول لأنه نوع من أنواع الخبر و الخبر قول.

ص: ٣١٢

١-١) قبلها في مخطوطه النهج: «أيها الناس».

٢-٢) ب «ولا».

ثم قال و لا أعلم جنه أى درعا أوقى منه أى أشد وقايه و حفظا لأن الوفى محفوظ من الله مشكور بين الناس .

ثم قال و ما يغدر من علم كيف المرجع أى من علم الآخره و طوى عليها عقيدته منعه ذلك أن يغدر لأن الغدر يحبط الإيمان .

ثم ذكر أن الناس فى هذا الزمان ينسبون أصحاب الغدر إلى الكيس و هو الفطنه و الذكاء فيقولون لمن يخدع و يغدر و لأرباب الجريره و المكر هؤلاء أذكياك أكياس كما كانوا يقولون فى عمرو بن العاص و المغيره بن شعبه و ينسبون أرباب ذلك إلى حسن الحيله و صحه التدبير .

ثم قال ما لهم قاتلهم الله دعاء عليهم .

ثم قال قد يرى الحول القلب وجه الحيله و يمنعه عنها نهى الله تعالى عنها و تحريمه بعد أن قدر عليها و أمكنه و الحول القلب الذى قد تحول و تقلب فى الأمور و جرب و حنكته الخطوب و الحوادث .

ثم قال و ينتهز فرصتها أى يبادر إلى افتراضها و يغتمها من لا- حريجه له فى الدين أى ليس بذى حرج و التحرج التأثم و الحريجه التقوى و هذه كانت سجيته ع و شيمته ملك أهل الشام الماء عليه و الشريعة بصفين

٤٤٥

١- وَ أَرَادُوا قَتْلَهُ وَ قَتِلَ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَطْشًا فَضَّارِبُهُمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ حَتَّى مَلَكَهَا عَلَيْهِمْ وَ طَرَدَهُمْ عَنْهَا فَقَالَ لَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَقْتُلْتُمُ بِسُيُوفِ الْعَطْشِ وَ أَمْنَعْتُمُ الْمَاءَ وَ حُدُّهُمْ قَبْضًا بِالْأَيْدِي فَقَالَ إِنَّ فِي حَدِّ السَّيْفِ لَعْنَى عَن ذَلِكَ وَ إِنِّي لَا أَشْتَحِلُّ مَنَعَهُمُ الْمَاءَ فَأَفْرَجْ لَهُمْ عَنِ الْمَاءِ فَوَرَدُوهُ ثُمَّ قَاسَمَهُمُ الشَّرِيعَةَ شَطْرَيْنِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُ

٤٤٦

١,١٤- وَ كَانَ الْأَشْتَرُ يَسْتَأْذِنُهُ أَنْ يُبَيِّتَ (١) مُعَاوِيَةَ فَيَقُولُ

ص: ٣١٣

(١-١) يقال: بيت العدو، أى قصده فى الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغته، و هو البيات.

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص نَهَى أَنْ يُبَيَّتَ الْمُشْرِكُونَ

. و توارث بنوه ع هذا الخلق الأبي.

٤٤٧

أَرَادَ الْمَضَاءَ أَنْ يُبَيَّتَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى فَمَنَعَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (١).

وَ أَرْسَلَ لَمَّا ظَهَرَ بِالْبَصِيرَةِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ قَحْطَبَةَ مَوْلَى بَاهِلَةَ وَ كَانَ قَدْ وُلِّيَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بَعْضَ أَعْمَالِ بِفَارِسَ فَقَالَ لَهُ هَلْ عِنْدَكَ مَالٌ قَالَ لَا قَالَ آلهُ قَالَ آلهُ قَالَ خَلُّوا سَبِيلَهُ فَخَرَجَ ابْنُ قَحْطَبَةَ وَ هُوَ يَقُولُ بِالْفَارِسِ لَيْسَ هَذَا مِنْ رِجَالِ أَبِي جَعْفَرٍ وَ قَالَ لِعَبِيدِ الْحَمِيدِ بْنِ لَاحِقٍ بَلَغَنِي أَنَّ عِنْدَكَ مَالًا لِلظَّلْمَةِ يَعْنِي آلَ أَبِي أَيُّوبَ الْمُورِيَانِيِّ كَاتِبِ الْمَنْصُورِ فَقَالَ مَا لَهُمْ عِنْدِي مَالٌ قَالَ تُفْسِمُ بِاللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَقَالَ إِنْ ظَهَرَ لَهُمْ عِنْدَكَ مَالٌ لَأَعِدَّنَكَ كَذَابًا (٢).

وَ أَرْسَلَ إِلَى طَلْحَةَ الْغُدْرِيِّ وَ كَانَ لِلْمَنْصُورِ عِنْدَهُ مَالٌ بَلَغَنَا أَنَّ عِنْدَكَ مَالًا فَأَتَيْنَا بِهِ فَقَالَ أَجَلٌ إِنَّ عِنْدِي مَالًا فَإِنْ أَخَذْتَهُ مِنِّي أَغْرَمَنِيهِ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَضْرَبَ عَنْهُ.

و كان لغير إبراهيم ع من آل أبي طالب من هذا النوع أخبار كثيرة و كان القوم أصحاب دين ليسوا من الدنيا بسبيل و إنما يطلبونها ليقيموا عمود الدين بالإمره فيها فلم يستقم لهم و الدنيا إلى أهلها أميل

ص: ٣١٤

١ - ١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب؛ دخل البصره على عبد أبي جعفر المنصور و دعا الناس إلى أخيه محمّد بن عبد الله فبايعه كثيرون من أهلها، ثم استولى على الأهواز و واسط، و لم يزل بها حتى أتاه نعي أخيه محمّد قبل فطر سنة ١٤٥ بثلاثة أيام، فأرسل إليه أبو جعفر قائده عيسى بن موسى، فخرج إبراهيم لملاقاته؛ و التقيا عند باخمري و كانت العاقبة لعيسى، و قتل إبراهيم لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة ١٤٥، و المضاء أحد رجاله. مقاتل الطالبين ٣١٥ و ما بعدها، و تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٤٥).

٢ - ٢) مقاتل الطالبين ٣٣٣.

وَمِنَ الْأَخْبَارِ النَّبِيُّ الْمَرْفُوعِ فِي ذِمِّ الْغَدْرِ ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةً فَإِنْ جَارَتْ عَلَيْهِمْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ فَلَا تُخْفَرُوا جَوَارَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءً يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١).

١٤- وَ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ص بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا فَسَأَلَهُ كَيْفَ تَبِيعَ فَأَخْبَرَهُ فَأَمَرَ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ يُدْخَلَ فِيهِ يَدَهُ فَأَدْخَلَهَا فَإِذَا هُوَ مَبْلُولٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ

قال بعض الملووك لرسول ورد إليه من ملك آخر أطلعني على سر صاحبك فقال أيها الملك إنا لا نستحسن الغدر و إنه لو حول ثواب الوفاء إليه لما كان فيه عوض من قبحه و لكان سماجه اسمه و بشاعه ذكره ناهيين عنه.

مالك بن دينار كفى بالمرء خيانه أن يكون أميناً للخونه.

وقع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب كتبه على بن عيسى بن ماهان إلى الرشيد يسعى (٢) فيه بالبرامكة فدفعه الرشيد إلى جعفر يمن به عليه و قال أجه عنه فكتب في ظاهره حب الله إليك الوفاء يا أخى فقد أبغضته و بغض إليك الغدر فقد أحببته إني نظرت إلى الأشياء حتى أجد لك فيها مشبها فلم أجد فرجعت إليك فشبهتك بك و لقد بلغ من حسن ظنك بالأيام أن أملت السلامه مع البغى و ليس هذا من عاداتها و السلام.

كان العهد فى عيسى بن موسى بن محمّد بعد المنصور بكتاب كتبه السفاح فلما طالت أيام المنصور سامه أن يخلع نفسه من العهد و يقدم محمّدا المهدى عليه فكتب إليه عيسى بدت لى أمارات من الغدر شتمها أرى ما بدا منها سيمطر كم دما

(١-١) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ٢:٣٠ عن الحاكم، مع اختلاف فى الروايه.

(٢-٢) السعى هنا: الوشايه.

و ما يعلم العالی متى هبطاته

و إن سار فی ریح الغرور مسلما

٤٥٠

أَبُو هُرَيْرَةَ يَزْفَعُهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَيَنْسُ الضَّجِيعَ وَ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَيَنْسُ الْبَطَانَةَ.

٤٥١

وَ عَنْهُ مَرْفُوعًا الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالْخِيَانَةُ فِي النَّارِ .

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب عند زوال أمره أرى أن تصير إلى هؤلاء فلعلك أن تنفعني في مخلفي فقال و كيف لي بعلم الناس جميعا أن هذا عن رأيك إنهم ليقولون كلهم إنني غدرت بك ثم أنشد و غدري ظاهر لا شك فيه لمبصره و عذري بالمغيب فلما ظفر به عبد الله بن علي قطع يديه و رجله ثم ضرب عنقه.

كان يقال لا يغدر غادر إلا لصغر همته عن الوفاء و اتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم.

٤٥٢

مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ الْوَفَاءِ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرًا وَ الْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قلت هذا إنما يريد به إذا كان بينهما عهد و مشارطه فغدر أحد الفريقين و خاس بشرطه فإن للآخر أن يغدر بشرطه أيضا و لا يفى به.

و من شعر الحماسه و اسم الشاعر العارق الطائي (١)

ص: ٣١٦

١- ١) و اسمه أيضا قيس بن جروه الطائي؛ و الأبيات في ديوان الحماسه بشرح المرزوقي ١٤٦٦: ٣، ١٤٦٧. قال الشارح: «كان عمرو بن هند غزا اليمامة فأخفق و رجع منفضا، فمر بطييء - و كانوا في ذمته - بكتاب عقدا كتبه لهم، و عهد أحكمه معهم، فقال زواره بن عدس له: أبيت اللعن! أصب من هذا الحي شيئا. قال: ويلك! إن لهم عقدا لا يجوز لنا تخطيه. فأخذ زواره يهون أمر العهد عليه، و يحسن الإيقاع بهم، فلم يزل يقتل له في الذروه و الغارب معه لشيء كان في نفسه على طيء، حتى أصاب أذوادا و نساء، فهجا عارق عمرو بن هند بأبيات يعصب بها رأسه فيها بالصدر الذي كان منه، فوقعت الأبيات إلى عمرو بن هند، فتوعد عارقا و حلف أنه يقتله، فاتصلت مقاله بعارق، فقال هذه الأبيات».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ الْبُغْيُ وَالنَّكْتُ وَالْمَكْرُ قَالَ سُبْحَانَهُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ (١) وَ
قَالَ فَمَنْ نَكَّتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ (٢) وَقَالَ وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ (٣).

ص: ٣١٧

١-١) استحققتها: حملتها في الحقائق.

٢-٢) أ يوعدني، الاستفهام على طريق التقرير و استعظام الأمر.

٣-٣) أجا: أحد جبلى طيى، و ثانيهما سلمى. و الرعان: جمع رعن؛ و هو أنف يتقدم من الجبل. و القنابل جماعات الخيل، قال التبريزى: «جعلها مختلفه الألوان لاختلاف ألوان الجبال».

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ [اِثْنَانِ]

اِثْنَانِ اتِّبَاعَ الْهَوَى وَ طُولَ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى فَيَصِيدُ عَنِ الْحَقِّ وَ أَمَّا طُولَ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْأَخِرَةَ أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حِذَاءَ [جِذَاءَ]

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صِبَابُهُ كَصِبَابِهِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُهَا أَلَا وَ إِنَّ الْأَخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَوْثَانِ الْأَخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِنْ أَوْثَانِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَ لِدٍ سَيُلْحَقُ [بِأُمَّهِ]

بِأَبِيهِ [بِأُمَّهِ]

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لَا حِسَابَ وَ عَدَا حِسَابٌ وَ لَا عَمَلٍ.

[قال الرضى رحمه الله أقول الحذاء السريعه و من الناس من يرويه جذاء بالجيم و الذال أى انقطع درها و خيرها]

الصبا به بقيه الماء فى الإناء و اصطبها صابها مثل قولك أبقاها مبقياها أو تركها تاركها و نحو ذلك يقول أخوف ما أخافه عليكم اتباع الهوى و طول الأمل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق و هذا صحيح لا ريب فيه لأن الهوى يعمى البصيره و قد قيل

حبك الشيء يعنى و يصم و لهذا قال بعض الصالحين رحم الله امرأ أهدي إلى عيوبى و ذاك لأن الإنسان يحب نفسه و من أحب شيئاً عمى عن عيوبه فلا يكاد الإنسان يلمح عيب نفسه و قد قيل أرى كل إنسان يرى عيب غيره و يعنى عن العيب الذى هو فيه.

فلهذا استعان الصالحون على معرفه عيوبهم بأقوال غيرهم علما منهم أن هوى النفس لذاتها يعميها عن أن تدرك عيها و ما زال الهوى مرديا قتالا و لهذا قال سبحانه وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (١)

٤٥٤

وَ قَالَ ص ثَلَاثٌ مُّهِلَكَاتٌ شُحُّ مَطَاعٍ وَ هَوَىٰ مُتَّبِعٌ وَ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ (٢).

و أنت إذا تأملت هلاكك من هلكك من المتكلمين كالمجبره و المرجئه مع ذكائهم و فطنتهم و اشتغالهم بالعلوم عرفت أنه لا سبب لهلاكهم إلا هوى الأنفس و حبه الانتصار للمذهب الذى قد ألفوه و قد رأسوا بطريقه و صارت لهم الأتباع و التلامذه و أقبلت الدنيا عليهم و عددهم السلاطين علماء و رؤساء فيكرهون نقض ذلك كله و إبطاله و يجبون الانتصار لتلك المذاهب و الآراء التى نشئوا عليها و عرفوا بها و وصلوا إلى ما وصلوا إليه بطريقها و يخافون عار الانتقال عن المذهب و أن يشتفى بهم الخصوم و يقرعهم الأعداء و من أنصف علم أن الذى ذكرناه حق و أميا طول الأمل فينسى الآخره و هذا حق لأن الذهن إذا انصرف إلى الأمل و مد الإنسان فى مداه فإنه لا يذكر الآخره بل يصير مستغرق الوقت بأحوال الدنيا و ما يرجو حصوله منها فى مستقبل الزمان.

ص: ٣١٩

١-١) سورة النازعات ٤٠.

٢-٢) كذا أورد الحديث مختصرا، و نقله السيوطى فى الجامع الصغير (١:٢٣٦) بهذه الروايه: «ثلاث مهلكات، و ثلاث منجيات، و ثلاث كفارات؛ و ثلاث درجات؛ فأما المهلكات فشح مطاع، و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه، و أما المنجيات...» إلى آخر الحديث.

و من كلام مسعر بن كدام كم من مستقبل يوما ليس يستكملة و منتظر غدا ليس من أجله و لو رأيتم الأجل و مسيره أبغضتم الأمل و غروره.

و كان يقال تسويف الأمل غرار و تسويل المحال ضرار.

٤٥٥

وَ مِنْ الشُّعْرِ الْمَسُوبِ إِلَى عَلِيٍّ ع

عَزَّ جَهُولًا أَمَلُهُ

و قال أبو العتاهيه لا تأمن الموت فى لحظ و لا نفس

٤٥٦

وَ مِنْ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَعْمَالَ تُطَوَّى وَ الْأَعْمَارَ تَفْنَى وَ الْأَيْدَانَ تُبَلَى فِي الشَّرَى وَ إِنَّ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ يَتَرَاكِضَانِ تَرَاكُضَ الْفَرْقَدَيْنِ يُقَرَّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ وَ يُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ فِي ذَلِكَ مَا أَلْهَى عَنِ الْأَمَلِ وَ أَذْكَرَكَ بِحُلُولِ الْأَجْلِ.

و قال بعض الصالحين بقاؤك إلى فناء و فناؤك إلى بقاء فخذ من فنائك الذى لا يبقى لبقائك الذى لا يفنى.

و قال بعضهم اغتنم تنفس الأجل و إمكان العمل و اقطع ذكر المعاذير و العلل و دع تسويف الأمانى و الأمل فإنك فى نفس معدود و عمر محدود ليس بممدود.

و قال بعضهم اعمل عمل المرتحل فإن حادى الموت يحدوك ليوم لا يعدوك

ص : ٣٢٠

ثم قال ع ألا إن الدنيا قد أدبرت حذاء بالحاء و الذال المعجمه و هى السريعه و قطاه حذاء خف ريش ذنبها و رجل أخذ أى خفيف اليد و قد روى قد أدبرت جذاء بالجيم أى قد انقطع خيرها و درها .

ثم قال إن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة فكونوا من أبناء الآخره لتلحقوا بها و تفوزوا و لا تكونوا من أبناء الدنيا فتلحقوا بها و تخسروا .

ثم قال اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل و هذا من باب المقابله فى علم البيان (١)

ص: ٣٢١

١-١) هنا آخر الجزء الثانى فى نسخه ا، و فيها بعد هذه الكلمه: «تم الجزء الثانى من شرح نهج البلاغه».

إشارة

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَ جَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَ صَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَن خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِي وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا وَ الرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاهِ فَأَرُودُوا وَ لَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ وَ قَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنَهُ فَلَمْ أَر لِي فِيهِ (١) إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ (٢) بِمَا جَاءَ [بِهِ]

مُحَمَّدٌ ص (٣) إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِ أَحَدَتْ أَحَدَاتًا وَ أَوْجَدَ النَّاسَ (٤) مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَعَيَّرُوا .

أرودوا

أى ارفقوا أرود فى السير إروادا أى سار برفق و الأناه الثبت و التانى و نهيهم لهم عن الاستعداد و قوله بعد و لا أكره لكم الإعداد غير متناقض لأنه كره منهم إظهار الاستعداد و الجهر به و لم يكره الإعداد فى السر و على وجه الخفاء

ص: ٣٢٢

١-١) كذا فى ب، و فى ا: «فلم أر إلا القتال»، و فى ج: «فلم أر لى إلا القتال».

٢-٢-٢) كذا فى ب، و هو ساقط من ا، ج.

٢-٢-٣) كذا فى ب، و هو ساقط من ا، ج.

و الكتمان و يمكن أن يقال إنه كره استعداد نفسه و لم يكره إعداد أصحابه و هذان متغايران و هذا الوجه اختاره القطب الراوندى . و لقائل أن يقول التعليل الذى علل به ع يقتضى كراهيه الأمرين معا و هو أن يتصل بأهل الشام الاستعداد فيرجعوا عن السلم إلى الحرب بل ينبغى أن تكون كراهته لإعداد جيشه و عسكره خيولهم و آلات حربهم أولى لأن شياع ذلك أعظم من شياع استعداده وحده لأنه وحده يمكن أن يكتم استعداد العساكر العظيمة فلا يمكن أن يكتم فيكون اتصاله و انتقاله إلى أهل الشام أسرع فيكون إغلاق الشام عن باب خير إن أرادوه أقرب و الوجه فى الجمع بين اللفظتين ما قدمناه .

و أمّا قوله ع ضربت أنف هذا الأمر و عينه فمثل تقوله العرب إذا أرادت الاستقصاء فى البحث و التأمل و الفكر و إنّما خص الأنف و العين لأنهما صورته الوجه و الذى يتأمل من الإنسان إنّما هو وجهه .

و أمّا قوله ليس إلاّ القتال أو الكفر فلأن النهى عن المنكر واجب على الإمام و لا يجوز له الإقرار عليه فإن تركه فسق و وجب عزله عن الإمامه .

و قوله أو الكفر من باب المبالغه و إنّما هو القتال أو الفسق فسمى الفسق كفرا تغليظا و تشديدا فى الزجر عنه .

و قوله ع أوجد الناس مقالا أى جعلهم واجدين له (1) .

و قال الراوندى أوجد هاهنا بمعنى أغضب و هذا غير صحيح لأنه لا شىء ينصب به مقالا إذا كان بمعنى أغضب و الوالى المشار إليه عثمان

ص: ٣٢٣

(١ - ١) عبارته ابن ميثم: «أى جعل لهم بتلك الأحداث طريقا إلى القول عليه فقالوا».

ذكر ما أورده القاضي عبد الجبار من دفع ما تعلق به الناس على عثمان من الأحداث

يجب أن نذكر هاهنا أحداثه و ما يقوله أصحابنا في تأويلاتها و ما تكلم به المرتضى في كتاب الشافى في هذا المعنى فنقول إن (١) قاضى القضاء رحمه الله تعالى قال فى المغنى قبل الكلام فى تفصيل هذه الأحداث كلاما مجملا معناه أن كل من تثبت عدالته و وجب توليه إما على القطع و إما على الظاهر فغير جائز أن يعدل فيه عن هذه الطريقه إلا بأمر متيقن يقتضى العدول عنها يبين ذلك أن من شاهدناه على ما يوجب الظاهر توليه و تعظيمه يجب أن يبقى فيه على هذه الطريقه و إن غاب عنا و قد عرفنا أنه مع الغيبه يجوز أن يكون مستمرا على حالته و يجوز أن يكون منتقلا و لم يقدح هذا التجويز فى وجوب ما ذكرناه.

ثم قال فالحدث الذى يوجب الانتقال عن التعظيم و التولى إذا كان من باب محتمل لم يجز الانتقال لأجله و الأحوال المتقرره فى النفوس بالعادات و الأحوال المعروفه فيمن نتولاه أقوى فى باب الإمارة من الأمور المتجدده فإن مثل فرقد السبخى (٢) و مالك بن دينار (٣) لو شهدا فى دار فيها منكر لقوى فى الظن حضورهما للتغيير و الإنكار

ص: ٣٢٤

١ - ١) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، صاحب كتاب «المغنى» فى الجدل؛ و إمام أهل المعتزله فى زمانه، توفى سنة ٤١٥. طبقات الشافعية ٣: ٢١٩.

٢ - ٢) السبخى، بفتح السين و الباء الموحده، و فى آخرها خاء معجمه: منسوب إلى السبخه، موضع بالبصره، و هو أبو يعقوب فرقد بن يعقوب السبخى، من زهاد البصره، و مات سنة ١٣١ معجم البلدان ٥: ٢٧.

٣ - ٣) هو أبو يحيى مالك بن دينار؛ و كان من كبار الزهاد و الوعاظ؛ روى عن أنس بن مالك و عن جماعه من كبار التابعين كالحسن و ابن سيرين، توفى سنة ١٣٠. صفه الصفوه ٣: ١٩٧.

أو على وجه الإيـكراه أو الغلط و لو كان الحاضر هناك من علم من حاله الاختلاط بالمنكر لجوز حضوره للفساد بل كان ذلك هو الظاهر من حاله.

ثم قال و اعلم أن الكلام فيما يدعى من الحدث و التغير فيمن ثبت توليه قد يكون من وجهين أحدهما هل علم بذلك أم لا.

و الثاني أنه مع يقين حصوله هل هو حدث يؤثر في العدالة أم لا.

و لا فرق بين تجويز ألا يكون حدث أصلا و بين أن يعلم حدوثه و يجوز ألا يكون حدثا.

ثم قال كل محتمل لو أخبر الفاعل أنه فعله على أحد الوجهين و كان يغلب على الظن صدقه لوجب تصديقه فإذا عرف من حاله المتقرر في النفوس ما يطابق ذلك جرى مجرى الإقرار بل ربما كان أقوى و متى لم نسلك هذه الطريقة في الأمور المشتبه لم يصح في أكثر من نتولاه و نعظمه أن تسلّم حاله عندنا فإننا لو رأينا من يظن به الخير يكلم امرأه حسناء في الطريق لكان ذلك من باب المحتمل فإذا كان لو أخبر أنها أخته أو امرأته لوجب ألا نحول عن توليه فكذلك إذا كان قد تقدم في النفوس ستره و صلاحه فالواجب أن نحمله على هذا الوجه.

ثم قال و قول الإمام له مزيه في هذا الباب لأنه أكد من غيره و أمّا ما ينقل عن رسول الله ص فإنه و إن لم يكن مقطوعا به يؤثر في هذا الباب و يكون أقوى ممّا تقدم.

ثم قال و قد طعن الطاعنون فيه بأمر متنوعه مختلفه و نحن نقدم على تلك المطاعن كلاما مجملا يبين بطلانها على الجملة ثم نتكلم عن تفصيلها.

قال و ذلك أن شيخنا أبا علي (١) رحمه الله تعالى قد قال لو كانت هذه الأحداث مما توجب طعنا على الحقيقه لوجب من الوقت الذى ظهر ذلك من حاله أن يطلب المسلمون رجلا- ينصب للإمامه و أن يكون ظهور ذلك عن عثمان كموته فإنه لا خلاف أنه متى ظهر من الإمام ما يوجب خلعه أن الواجب على المسلمين إقامه إمام سواه فلما علمنا أن طلبهم لإقامه إمام إنما كان بعد قتله و لم يكن من قبل و التمكن قائم علمنا بطلان ما أضيف إليه من الأحداث.

قال و ليس لأحد أن يقول إنهم لم يتمكنوا من ذلك لأن المتعالم من حالهم أنهم حصروه و منعه من التمكن من نفسه و من التصرف فى سلطانه خصوصا و الخصوم يدعون أن الجميع كانوا على قول واحد فى خلعه و البراءه منه.

قال و معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع فى الأيام التى حوصر فيها و قتل بل كانت تحصل من قبل حالا بعد حال فلو كان ذلك يوجب الخلع و البراءه لما تأخر من المسلمين الإنكار عليه و لكان كبار الصحابه المقيمون بالمدينه أولى بذلك من الواردين من البلاد لأن أهل العلم و الفضل بإنكار ذلك أحق من غيرهم.

قال فقد كان يجب على طريقتهم أن تحصل البراءه و الخلع من أول الوقت الذى حصل منه ما أوجب ذلك و ألا ينتظر حصول غيره من الأحداث لأنه لو وجب انتظار ذلك لم ينته إلى حدّ إلا و ينتظر غيره.

ثم ذكر أن إمساكهم عن ذلك إذا تيقنوا الأحداث منه يوجب نسبه الجميع إلى الخطأ و الضلال و لا- يمكنهم أن يقولوا إن علمهم بذلك إنما حصل فى الوقت الذى حصر و منع لأن من جمله الأحداث التى يذكرونها ما تقدم عن هذه الحال بل كلها أو جلها تقدم هذا الوقت و إنما يمكنهم أن يتعلقوا فيما حدث فى هذا الوقت بما يذكرونه من

ص: ٣٢٤

(١- ١) هو محمّد بن عبد الوهاب الجبائى، شيخ المعتزله. توفى سنة ٣٠٣. شذرات الذهب ٢:٢٤١.

حديث الكتاب النافذ إلى ابن أبي سرح بالقتل و ما أوجب كون ذلك حدثا يوجب كون غيره حدثا فكان يجب أن يفعلوا ذلك من قبل و احتمال المتقدم للتأويل كاحتمال المتأخر.

ثم قال و بعد فليس يخلو من أن يدعوا أن طلب الخلع وقع من كل الأمة أو من بعضهم فإن ادعوا ذلك في بعض الأمة فقد علمنا أن الإمامه إذا ثبتت بالإجماع لم يجز إبطالها بلا خلاف لأن الخطأ جائز على بعض الأمة و إن ادعوا في ذلك الإجماع لم يصح لأن من جملة أهل الإجماع عثمان و من كان ينصره و لا يمكن إخراجهم من الإجماع بأن يقال إنه كان على باطل لأن بالإجماع يتوصل إلى ذلك و لم يثبت.

ثم قال على أن الظاهر من حال الصحابه أنها كانت بين فريقين أما من نصره فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال لعثمان و من معه من الأنصار ائذن لنا بنصرك و روى مثل ذلك عن ابن عمر و أبي هريره و المغيره بن شعبه و الباقر ممتنعون انتظارا لزوال العارض إلا أنه لو ضيق عليهم الأمر في الدفع ما قعدوا بل المتعالم من حالهم ذلك.

ثم ذكر

٤٥٧

١,٢,٣- مِا رُوِيَ مِنْ إِنْغَازِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عِ إِلَيْهِ وَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ لَأَمْتِهِمَا عِ عَلِي وَ صَوْلِ الْقَوْمِ إِلَيْهِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهَا قَصْرًا .

٤٥٨

وَ ذَكَرَ أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ يَزُوُونَ عَنِ النَّبِيِّ ص أَنَّهُ قَالَ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وَ اخْتِلَافٌ وَ إِنَّ عُثْمَانَ وَ أَصْحَابَهُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى .

و ما روى عن عائشه من قولها قتل و الله مظلوما.

قال و لا يمتنع أن يتعلق بأخبار الأحاديث في ذلك لأنه ليس هناك أمر ظاهر يدفعه نحو دعواهم أن جميع الصحابه كانوا عليه لأن ذلك دعوى منهم و إن كان فيه روايه من جهة الآحاد و إذا تعارضت الروايات سقطت و وجب الرجوع إلى ما ثبت من أحواله السليمه و وجوب توليه.

ص: ٣٢٧

قال ولا يجوز أن يعدل عن تعظيمه و صحه إمامته بأمور محتمله فلا شيء مما ذكره إلا و يحتمل الوجه الصحيح.

ثم ذكر أن للإمام أن يجتهد برأيه في الأمور المنوطه به و يعمل فيها على غالب ظنه و قد يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبه مذمومه.

فهذه جمله ما ذكره قاضى القضاء رحمه الله تعالى فى المغنى من الكلام إجمالا فى دفع ما يتعلق به على عثمان من الأحداث (١)

رد المرتضى على ما أورده القاضى عبد الجبار من الدفاع عن عثمان

و اعترض المرتضى رحمه الله تعالى فى الشافى (٢) فقال أما قوله من ثبتت عدالته و وجب توليه إمّا قطعا أو على الظاهر فغير جائز أن يعدل فيه عن هذه الطريقه إلا بأمر متيقن فغير مسلم لأن من نتولاه على الظاهر و ثبتت عدالته عندنا من جهه غالب الظنّ يجب أن نرجع عن ولايته بما يقتضى غالب الظنّ دون اليقين و لهذا يؤثر فى جرح الشهود و سقوط عدالتهم أقوال الجارحين و إن كانت مظنونه غير معلومه و ما يظهر من أنفسهم من الأفعال التى لها ظاهر يظن معه القبيح بهم حتى نرجع عما كنا عليه من القول بعدالتهم و إن لم يكن كل ذلك متيقنا و إنما يصحّ ما ذكره فيمن ثبتت عدالته على القطع و وجب توليه على الباطن فلا يجوز أن يؤثر فى حاله ما يقتضى الظنّ لأن الظنّ لا يقابل العلم و الدلاله لا تقابل الأماره.

فإن قال لم أرد بقولى إلا بأمر متيقن أن كونه حدثا متيقن و إنما أردت تيقن وقوع الفعل نفسه.

قلنا الأمران سواء فى تأثير غلبه الظنّ فيهما و لهذا يؤثر فى عداله من تقدمت

ص: ٣٢٨

١-١) نقله المرتضى فى الشافى ٢٦٤، ٢٦٣ مع تصرف فى العبارة.

٢-٢) كتاب الشافى فى الإمامه و الرد على كتاب المغنى. طبع فى العجم سنه ١٣٠١.

عدالته عندنا على سبيل الظنّ أقوال من يخبرنا عنه بارتكاب القبائح (١) إذا كانوا عدولا و إن كانت أقوالهم لا تقتضى اليقين بل يحصل عندها غالب الظنّ و كيف لا- نرجع عن ولايته من توليناه على الظاهر بوقوع أفعال منه يقتضى ظاهرها خلاف الولايه و نحن إنّما قلنا بعدالته فى الأصل على سبيل الظاهر و مع التجويز لأن يكون ما وقع منه فى الباطن قبيحا لا يستحق به التولى و التعظيم أ لا- ترى أن من شاهدناه يلزم مجالس العلم و يكرر تلاوه القرآن و يدمن الصلاة و الصيام و الحجّ يجب أن نتولاه و نعظمه على الظاهر و إن جوّزنا أن يكون جميع ما وقع منه مع خبث باطنه و أن غرضه فى فعله القبيح فلم نتوله إلاّ على الظاهر و مع التجويز فكيف لا- نرجع عن ولايته بما يقابل هذه الطريقه فأما من غاب عنا و تقدمت له أحوال تقتضى الولايه فيجب أن نستمر على ولايته و إن جوّزنا على الغيبه أن يكون منتقلا عن الأحوال الجميله التى عهدناها منه إلاّ أن هذا تجويز محض لا ظاهر معه يقابل ما تقدم من الظاهر الجميل و هو بخلاف ما ذكرناه من مقابله الظاهر للظاهر و إن كان فى كل واحد من الأمرين تجويز.

قال و قد أصاب فى قوله إن ما يحتمل لا ينتقل (٢) له عن التعظيم و التولى إن أراد بالاحتمال ما لا ظاهر له و أمّا ما له ظاهر و مع ذلك يجوز أن يكون الأمر فيه بخلاف ظاهره فإنّه لا يسمى محتملا و قد يكون مؤثرا فيما ثبت من التولى على الظاهر على ما ذكرناه.

قال فأما قوله إن الأحوال المتقرره فى النفوس بالعادات فيمن نتولاه تؤثر ما لا يؤثر غيرها و تقتضى حمل أفعاله على الصحه و التأول له فلا- شك أن ما ذكره مؤثر و طريق قوى إلى غلبه الظنّ إلاّ أنّه ليس يقتضى ما يتقرر فى نفوسنا لبعض من نتولاه على الظاهر أن نتأول كل ما يشاهد منه من الأفعال التى لها ظاهر قبيح و نحمل الجميع على

ص: ٣٢٩

١- ١) الشافى: «قبيح».

٢- ٢) الشافى: «لا يجوز أن ينتقل له».

أجمل الوجوه وإن كان بخلاف الظاهر بل ربما تبين الأمر فيما يقع (١) منه من الأفعال التي ظاهرها القبيح إلى أن تؤثر في أحواله المقرره و نرجع بها عن ولايته و لهذا نجد كثيرا من أهل العدالة المتقرره لهم في النفوس ينسلخون منها حتى يلحقوا بمن لا تثبت له في وقت من الأوقات عداله و إنما يكون ذلك بما يتوالى منهم و يتكرر من الأفعال القبيحه الظاهره.

قال فأما ما استشهد به من أن مثل مالك بن دينار لو شاهدناه في دار فيها منكر لقوى في الظنّ حضوره لأجل التغيير و الإنكار (٢) أو على وجه الإكراه و الغلط و أن غيره يخالفه في هذا الباب فصحيح لا- يخالف ما ذكرناه لأن مثل مالك بن دينار ممن تناصرت أمارات عدالته و شواهد نزاهته حالا بعد حال لا يجوز أن يقدح فيه فعل له ظاهر قبيح بل يجب لما تقدم من حاله أن نتأول فعله و نخرجه عن ظاهره إلى أجمل وجوهه و إنما وجب ذلك لأن الظنون المتقدمه أقوى و أولى بالترجيح و الغلبه فنجعلها قاضيه على الفعل و الفعلين و لهذا متى توالى منه الأفعال القبيحه الظاهره و تكررت قدحت في حاله و أثرت في ولايته كيف لا يكون كذلك و طريق ولايته في الأصل هو الظنّ و الظاهر و لا بدّ من قدح الظاهر في الظاهر و تأثير الظنّ في الظنّ على بعض الوجوه.

قال فأما قوله فإن كل محتمل لو أخبرنا عنه و هو ممّا يغلب على الظنّ صدقه أنّه فعله على أحد الوجهين و جب تصديقه فمتى عرف من حاله المتقرره في النفوس ما يطابق ذلك جرى مجرى الإخبار (٣) فأول ما فيه أن المحتمل هو ما لا ظاهر له من الأفعال و الذي يكون جواز كونه قبيحا كجواز كونه حسنا و مثل هذا الفعل لا يقتضى ولايه

ص: ٣٣٠

١-١) الشافى: «فيما يرجع منه».

٢-٢) الشافى: «التنكير».

٣-٣) الشافى: «الإقرار».

و لا عداوه و إنما يقتضى الولايه ما له من الأفعال ظاهر جميل و يقتضى العداوه ما له ظاهر قبيح.

فإن قال أردت بالمحتمل ما له ظاهر لكنه يجوز أن يكون الأمر بخلاف ظاهره.

قيل له ما ذكرته لا يسمى محتملا فإن كنت عنيته فقد وضعت العبارة فى غير موضعها و لا شك فى أنه إذا كان ممن لو أخبرنا بأنه فعل الفعل على أحد الوجهين لوجب تصديقه و حمل الفعل على خلاف ظاهره فإن الواجب لما تقرر له فى النفوس أن يتأول له و يعدل بفعله عن الوجه القبيح إلى الوجه الجميل إلا أنه متى تواتت منه الأفعال التى لها ظواهر قبيحه فلا بد أن تكون مؤثره فى تصديقه متى خبرنا بأن غرضه فى الفعل خلاف ظاهره كما تكون مانعه من الابتداء بالتأول.

و ضربه المثل بأن من نراه يكلم امرأه حسناء فى الطريق إذا أخبر أنها أخته أو امرأته فى أن تصديقه واجب و لو لم يخبر بذلك لحملنا كلامه لها على أجمل الوجوه لما تقدم له فى النفوس صحيح إلا أنه لا بد من مراعاة ما تقدم ذكره من أنه قد يقوى الأمر لقوه الأمارات و الظواهر إلى حد لا يجوز معه تصديقه و لا التأول له و لو لا أن الأمر قد ينتهى إلى ذلك لما صح أن يخرج أحد عندنا من الولايه إلى العداوه و لا من العدالة إلى خلافها لأنه لا شىء مما يفعله الفساق المتهتكون إلا و يجوز أن يكون له باطن بخلاف الظاهر و مع ذلك فلا يلتفت إلى هذا التجويز يبين صحه ما ذكرناه أنا لو رأينا من يظن به الخير يكلم امرأه حسناء فى الطريق و يداعبها و يضاحكها لظننا به الجميل مره و مرّات ثم ينتهى الأمر إلى ألا نظنه و كذلك لو شاهدناه و بحضرتة المنكر لحملنا حضوره على الغلط أو الإكراه أو غير ذلك من الوجوه الجميله ثم لا بد من انتهاء الأمر إلى أن نظن به القبيح و لا نصدقه فى كلامه.

قال ثم نقول (١) له أخبرنا عن شاهدناه من بعد و هو مفترش امرأه نعلم أنها ليست له بمحرم و أن لها فى الحال زوجا غيره و هو ممن تقرر له فى النفوس عداله متقدمه ما ذا يجب أن نظن به و هل نرجع بهذا الفعل عن ولايته أم نحمله على أنه غلط و متوهم أن المرأه زوجته أو على أنه مكره على الفعل أو غير ذلك من الوجوه الجميله.

فإن قال نرجع عن الولاية اعترف بخلاف ما قصده فى الكلام و قيل له أى فرق بين هذا الفعل و بين جميع ما عددناه من الأفعال و ادعت أن الواجب أن نعدل عن ظاهرها و ما جواز الجميل فى ذلك إلا كجواز الجميل فى هذا الفعل.

و إن قال لا أرجع بهذا الفعل عن ولايته بل نؤوله (٢) على بعض الوجوه الجميله.

قيل له أ رأيت لو تكرر هذا الفعل و توالى هو و أمثاله حتى نشاهده حاضرا فى دور القمار و مجالس اللهو و اللعب و نراه يشرب الخمر بعينها و كل هذا مما يجوز أن يكون عليه مكرها و فى أنه القبيح بعينه غالطا أ كان يجب علينا الاستمرار على ولايته أم العدول عنها فإن قال نستمر و نتأول ارتكب ما لا شبهه فى فساده و ألزم ما قد قدمنا ذكره من أنه لا طريق إلى الرجوع عن ولايه أحد و لو شاهدنا منه أعظم المناكير و وقف أيضا على أن طريق الولاية المتقدمه إذا كان الظنّ دون القطع فكيف لا نرجع عنها لمثل هذا الطريق فلا بدّ إذن من الرجوع إلى ما بيناه و فصلناه فى هذا الباب.

قال فأما قوله إن قول الإمام له مزيه لأنه أكد من غيره فلا معنى له لأن قول الإمام على مذهبا يجب أن يكون له مزيه من حيث كان معصوما مأمون الباطن (٣) و على مذهبه إنما تثبت ولايته بالظاهر كما تثبت ولايه غيره من سائر المؤمنين فأى مزيه له فى هذا الباب.

ص: ٣٣٢

١-١) ب «ثم يقال».

٢-٢) الشافى: «الولاية».

٣-٣) الشافى: «معصوما مأمونا باطنه».

وقوله (١) إن ما ينقل عن الرسول و إن لم يكن مقطوعا عليه يؤثر في هذا الباب و يكون أقوى ممّا تقدم غير صحيح على إطلاقه لأن تأثير ما ينقل إذا كان يقتضى غلبه الظن لا شبهه فيه فأما تقويته على غيره فلا وجه له و قد كان يجب أن يبين من أى الوجه يكون أقوى.

فهذه جملة ما اعترض به المرتضى على الفصل الأول من كلام قاضى القضاة رحمه الله تعالى.

تم الجزء الثانى من شرح نهج البلاغه (٢)

ص: ٣٣٣

١- (١) الشافى ص ٢٦٤-٢٦٦.

٢- (٢) هذا نهايه نسخه ب،ج،و فى آخر نسخه ج: «تم الجزء الثانى من شرح نهج البلاغه، بحمد الله و منه و صلى الله على محمد و آله».

فهرس الخطب و ما يجرى مجراها

فهرس الخطب و ما يجرى مجراها (١)

٢٦-من خطبه له عليه السلام يذكر فيها العرب بما كانوا عليه قبل البعثه، و شكواه من انفراده بعدها، و ذمه لمن بايع بشرط ، ١٩،٢٠، ٦٠

٢٧-من خطبه له فى الحث على الجهاد و ذم المتقاعدين ٧٤،٧٥

٢٨-من خطبه له فى إدار الدنيا و إقبال الآخره و الحث على التزود لها ٩١

٢٩-من خطبه له فى ذم المتخاذلين ١١١

٣٠-من خطبه له فى معنى قتل عثمان رضى الله عنه ١٢٦

٣١-من كلام له لما أنفذ عبد الله بن العباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيه إلى طاعته ١٦٢

٣٢-من خطبه له فى ذم الدهر و حال الناس فيه ١٧٤،١٧٥

٣٣-من خطبه له عند مسيره لقتال أهل البصره ١٨٥

٣٤-من خطبه له فى استنفار الناس إلى أهل الشام ١٨٩،١٩٠

٣٥-من خطبه له بعد التحكيم ٢٠٤

٣٦-من خطبه له فى تخويف أهل النهروان ٢٦٥

٣٧-من كلام له يجرى مجرى الخطبه، بذكر ثباته فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ٢٨٤

٣٨-من خطبه له فى معنى الشبهه ٢٩٨

٣٩-من خطبه له فى ذم المتقاعدين عن القتال ٣٠٠

٤٠-من كلام له للخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلا لله». ٣٠٧

٤١-من خطبه له فى مدح الوفاء و ذم الغدر ٣١٢

٤٢-من خطبه له يحذر الناس فيها من اتباع الهوى و طول الأمل ٣١٨

٤٣- من خطبه له و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله إلى معاوية بجرير بن عبد الله البجلي ٣٢٢

ص: ٣٣٤

١- (*) و هي الخطب التي وردت في كتاب نهج البلاغه.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات (١)

بعث معاويه بسر بن أرطأه إلى الحجاز و اليمن ٣-١٨

حديث السقيفه ٢١-٦١

أمر عمرو بن العاص ٦١-٧٣

استطراد بذكر كلام لابن نباته فى الجهاد ٨٠

غارہ سفیان بن عوف الغامدى على الأنبار ٨٥-٩٠

نبد من أقوال الصالحين و الحكماء ٩٣-١٠٣

استطراد بلاغى فى الكلام على المقابله ١٠٣-١١٠

غارہ الضحاک بن قيس و نتف من أخباره ١١٣-١٢٥

اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله ١٢٩-١٦١

من أخبار الزبير و ابنه عبد الله ١٦٦-١٧٠

استطراد بلاغى فى الكلام على الاستدراج ١٧٠-١٧٣

فصل فى ذكر الآيات و الأخبار الواردة فى ذم الرياء و الشهره ١٧٨-١٨٢

فصل فى مدح الخمول و الجنوح إلى العزله ١٨٢-١٨٤

من أخبار يوم ذى قار ١٨٧-١٨٨

أمر الناس بعد وقعه النهروان ١٩٣-١٩٧

مناقب على و ذكر طرف من أخباره فى عدله و زهده ١٩٧-٢٠٣

قصه التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج ٢٠٦-٢٦٠

أخبار الخوارج ٢٦٥-٢٨٣

الأخبار الواردة عن معرفة الإمام على بالأمر الغيبية ٢٨٦-٢٩٥

ص: ٣٣٥

١-*) و هي الموضوعات التي وردت أثناء الشرح.

أمر النعمان بن بشير مع علي و مالك بن كعب الأرحبي ٣٠١-٣٠٥

اختلاف الرأي في القول بوجوب الإمامه ٣٠٧-٣٠٩

من أخبار الخوارج أيضا ٣١٠-٣١٢

الأخبار و الأحاديث الواردة في مدح الوفاء و ذم الغدر ٣١٤-٣١٧

ذكر ما أورده القاضي عبد الجبار من دفع ما تعلق به الناس على عثمان من الأحداث ٣٢٤-٣٢٨

رد المرتضى على ما أورده القاضي عبد الجبار من الدفاع عن عثمان. ٣٢٨-٣٣٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩